

۱۲۸
۶۹۱۲
کتابخانه مجلس شورای ملی
کتاب شرح کتاب عقل اصول کافی
مؤلف ملا محمد صالح مازندرانی
موضوع
شماره قفسه
شماره ثبت کتاب
۶۳۱۴۹


۱۲۸
کتابخانه مجلس شورای ملی
کتاب شرح کتاب علم و عقل اصول کافی
مؤلف ملا محمد صالح مازندرانی
موضوع
شماره قفسه
شماره ثبت کتاب
۶۳۱۴۹
۶۹۱۴
۱۴۷

شرح كتاب العقل من اصول الكافي

١

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك يا مروح عقول العارفين بمظاهر كمالك ليلا ونهارا ونشكرك يا مفرح قلوب السالكين بزواهر جلالك سرا وجهارا ونشهد ان لا اله الا انت شهادة توجب لنا في مقام قربك مستقرا وقرارا ونصلي على سيد انبيائك واشرف اوليائك صلوة دائمة ما دامت الارض ساكنة والافلاك دوارا وبعد فيقول المفتقر الى رحمة ربه الغني حسام الدين محمد صالح بن احمد المازندراني اني قد رسمت على جميع ابواب الكافي تعليقات ورقمت على جميع فنونه تحقيقات مع قلة البضاعة في هذه الصناعة وتشتت البال وتفرق الحال فلما اردت جمعها وتدوينها خطر بالبال ان اشرح جميع احاديث هذا الكتاب شرحا متوسطا بين الايجاز والاطناب لان الاحاديث وان كان بعضها ظاهر الدلالة على المعنى المراد وواضح الاشارة على المفهوم المستفاد لكن قد يوجد فيه من الفرائد النفيسة والفوائد الشريفة ما لا يدركه بدو النظر ولا يبلغه اول الفكر كم من لآلي فريدة توجد في الساحل لغفلة الواردين عنها وعدم التفات الطالبين

وها انا اشرع في المقصود بعون الله الملك المعبود مبتديا بشرح الخطبة لما فيها من منافع الحكمة بسم الله الرحمن الرحيم ابتدا باسمه الحميد مقتديا بالسلف وبالقران المجيد ومعتصما بما قال سيد البشر كل امر ذي بال لم يبدأ فيه ببسم الله فهو ابتر وفي ذكر الاسم ايماء الى ان المراد بهذه الاسماء الشريفة المسميات وان الاستعانة في الاستعانة وقعت باسمائها لان لله تعالى اسماء من الشرف والكمال ما لا يعرف قدره الغواصون في بحار اوصافها والوصافون لشرح منافعها واسرارها على ان الاستعانة بالاسم تدل على الاستعانة بالمسمى قطعا دون العكس وانما هذه الاسماء بالذكر لانها اصل الوصول الفيض عاجلا واجلا ومبدأ الحصول الرجاء ظاهرا وباطنا الحمد لله اختلفوا في تحديد الحمد والاحسن ما ذهب اليه بعض المحققين من الصوفية ومال اليه المحقق الشريف والعلامة الدواني وهو ان الحمد اظهار صفات الكمال بالقول وبالفعل والثاني اقوى من الاول لان الافعال التي هي آثار السخاء مثلا تدل عليها دلالة عقلية قطعية لا يتصور فيها التخلف بخلاف الاقوال فان دلالتها عليها وضعية وقد يتخلف عنها مدلولها وعلى هذا كان حمده تعالى على ذاته حمدا على سبيل الحقيقة بل هو من افضل افراده لانه تعالى كشف عن صفات كماله ببسط بساط الوجود على ممكنات لا تحصى ووضع عليها موائد كرمه التي لا تتناهى اذ كل ذرة من ذرات الوجود تدل عليها ولا يتصور في العبارات مثل هذه الدلالات واشتهر من ان الحمد في اللغة الثناء باللسان على الجميل وفي العرف اتم منه من عقد الجنان وفعل الاركان فهو عبارة عن ان هذه الامور من الافراد الشايعة لذلك المفهوم لان الحمد مختصا بها كما توهمه الاكثر وحكموا بان حمده تعالى على ذاته مجاز واللام في الحمد للجنس او للاستغراق وفي لله للاختصاص يعني ان جنس الحمد او جميع افراده مختص به سبحانه وفيه تلميح الى ان لزوم عليه ومنع ذلك عنه تعالى مبدأ كل كمال ومرجع كل جلال المحمود بنعمته للحمد اركان اربعة الحامد والمحمود والمحمود به والمحمود عليه

٢

والاولان قد يتحدان بالذات كحمده تعالى على ذاته وقد يتغايران كحمده تعالى وكذا الاخيران كحمده تعالى بالنعمة لاجلها وقد بالعلم لاجل انعامه اذا عرفت هذا فنقول النعمة في قوله بنعمته اما محمود عليها ان كانت الباء سببا للحمد او محمود بها ان كانت صلة له ولا يلزم من الحمد بها ان يكون الحمد لاجلها لجواز ان يكون لاجل غيرها كما اذا احمدت زيدا بالشجاعة لاجل سخاوته وفي بعض النسخ لنعمته باللام وهو يؤيد الاول كما يؤيده نظيره في القرينة التالية لا يقال لا يصح جعل النعمة علة للحمد على نعمته قاعدة التعليق بالوصف لانه من باب تعليل الشيء بنفسه لانا نقول على تقدير اطراد تلك القاعدة الحمد لاجل النعمة بمنزلة العلة الغائية لجنس الحمد فيصح ان يجعل علة له وانما ابتدأ بعد التسمية بالحمد لحفظ ما ادركه من آلائه وجلب ما يترقب من نعمائه مع انه من افضل الطاعات واكمل العبادات اذ الحامد يلاحظ جماله وجلاله ويراعي احسانه وافضاله فيكون ذلك سببا لمزيد امتنانه حالا ورضوانه مآلا المعبود لقدرته قدم الحمد للنعمة على الحمد للقدرة مع ان القدرة من الصفات الذاتية التي هي احق بالثناء عليها لان النعمة قد وصلت الى الحامد بالذات بخلاف القدرة فان الواصل اليه انما هو اثرها فالنعمة اولى بالحمد لها بهذا الاعتبار ولقد احسن في جعل النعمة سببا للمحمودية والقدرة سببا للمعبودية لان النعمة الواصلة الى الغير توجب الحمد من حيث هو وقدرته على جميع الممكنات توجب العبادة والتذلل له تعالى المطاع في سلطانه السلطان التسلط والقهر والحجة والبرهان وقد فسر بهما قوله تعالى فقد جعلنا لوليه سلطانا والله سبحانه مطاع بالمعنيين لكونه قاهرا على جميع الممكنات فيطيعه كل ما كان في عنقه ربقة الامكان وينقاد له كل من احتجب عن الحس او سار اليه بالبنان ولا يقدر شيء ان يتجاوز عن حدود القدرة والامر المبرم والقضاء المحكم وغالبا على جميع المخلوقات بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة فلا يمكن احد ان يرد حجته وبرهانه ويمنع دليله وفرقانه ولفظة في اما للظرفية او للسببية والثاني اولى والظرف الاول سابق واللاحق واستعمالها فيه شايع حتى قيل انها حقيقة فيه المرهوب لجلاله قال في المغرب رهبه خافه رهبة والله مرهوب ومنه لبيك مرهوب ومرغوب اليك ويفهم منه ان مرهوب متعد بنفسه والذي يفهم من كلام ابن الاثير في النهاية انه متعد بمن وعلى هذا حذف من للاختصار كما هو الشايع واللام للتعليل لان من عرف عظمته وجلاله ولاحظ غناءه عن الخلق وكماله وعلم ان كل موجود باسره مقهور تحت حكمه وامره وهو يتصرف فيه ما يشاء كيف يشاء ويفعل ويحكم ما يريد كيف يريد ولا يسأل حصل له بذلك رهبة وخوف يتحير فيه العقول حيث اي نفسه عارية عن الاختيار في الرد والقبول كما هو المعروف من احوال الانبياء والصلحاء وبه نطق قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء المرغوب اليه فيما عنده من النعم الدنيوية والاخروية جليلها وخفيها يقال رغب فيه واليه اذا اراده وطمع فيه ومنه رغب عليه والرغبة السؤال والطلب وانما عقب الرهبة بالرغبة للتنبيه على وجوب مقارنتهما في التحقق اذ لا خير في رهبة بلا رغبة

ولا في رغبة بلا رهبة بل وجب اقترانهما وتساويهما كما دل عليه بعض الاخبار ويرشد اليه قوله في وصف الانبياء والاولياء انهم
يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين وقوله وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين
وانما ترك سبب الرغبة للاشارة الى ان ذاته بذاته هو الجواد المطلق فلا حاجة في بسط الرجاء الى ملاحظة شيء آخر غير ذاته او للاكتفاء
ببيان سبب الرهبة لان جلالته المطلقة كما تكون بالقهر والغلبة على ما عداه ممن يتصف بصفة الامكان كذلك تكون بالرحمة واللطف
والاحسان اذ لولا ذلك لكانت عظمته وجلالته مقيدة بوجه من الوجوه ثم نقول من لاحظ الاول تحصل الرهبة ومن لاحظ الثاني
تحصل الرغبة ولا يجوز ملاحظة احدهما وحده لانه يستلزم القنوط او الجرأة وكلاهما مذموم او نقول في كل واحد من الاول والثاني
تحصل الرهبة والرغبة جميعا اما في الاول فلان لطفه مستور في قهره فمن حيث القهر تحصل الرهبة ومن حيث اللطف تحصل الرغبة واليه
يشير قوله واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه واما في الثاني فلان قهره مستور في لطفه واحسانه لاحتمال ان يكون ذلك
على سبيل الاستدراج واليه يشير قوله حكاية عن سليمان عليه السلام هذا من فضل ربي ليبلوني ءاشكر ام اكفر وقوله ولئن شكرتم
لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد وبالجملة هو مرهوب ومرغوب اليه دائما والعبد راهب وراغب في جميع الاحوال
واليه يشير قول امير المؤمنين عليه السلام هو المأمول مع النقم والمرهوب مع النعم النافذ امره في جميع خلقه اي امر التكويني او امر الايجاد والافناء
والاعدام او حكم القضاء او امر التشريع بارادة لازمة من الثواب والعقاب ومن ظاهر لانه يتعلق بالثقلين منهم من اطاعه
ومنهم من عصاه علا فاستعلى الاستعلاء هنا الزيادة المبالغة اي علا في رتبة المخلوقين فاستعلى عن التشبه بصفاتهم والتفرع
لما هو اذ الاول يستلزم الثاني وان اردت زيادة توضيح فنقول العلو يطلق بالاشتراك على معان ثلاثة الاول الحسي كعلو [illegible]
والثاني التخيلي كعلو الملك على رعيته والثالث العقلي كعلو السبب على المسبب والاول محال في حقه لاستحالة كونه في المكان والثاني
لتنزهه عن الكمالات الخيالية اذ هي اضافية تتغير وتدرك بحسب الاشخاص والاوقات ولا شيء من كماله كذلك فتعين ان
يكون علوه عقليا بمعنى انه لا رتبة فوق رتبته بيان ذلك ان اعلى مراتب الكمال العقلي هو رتبة العلية ولما كان ذاته المقدسة
هي مبدأ كل موجود حسي وعقلي وعلته التي لا يتصور فيها النقصان بوجه من الوجوه لا جرم كانت مرتبته اعلى المراتب العقلية
على الاطلاق وله العلو المطلق في الوجود العاري عن الاضافة الى شيء او عن امكان او ان يكون في مرتبته او فوق مرتبته شيء ومن كان
كذلك فهو منزه عن التشبه بصفات خلقه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ودنى فتعالى اي قرب من كل شيء من كل وجه بحيث
لا يكون شيء اقرب منه تعالى بكونه في مكان او زمان وحده كما او بغيره من الحواس والنوع لتعاليه ظاهرا عن الزماني والمكاني والمدرك

بالحواس

بالحواس يمتنع ان يكون قريبا من كل شيء لظهور ان قربه من احد يستلزم بعده عن الآخر ثم الدنو يطلق على معان ثلاثة مقابلة لمعاني
العلو ولا يجوز ان يراد هنا شيء منها ويطلق على معنى رابع في قولك فلان دني الى فلان اذا كان مطلعا على احواله اكثر من غيره
وهو المراد هنا فدنوه في قربه اذن بحسب علمه الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر
فهو ادنى من كل دان واقرب من كل قريب بهذا الاعتبار كما قال سبحانه نحن اقرب اليه من حبل الوريد وارتفع فوق كل منظر الظرف حال
من فاعل ارتفع ويجوز ان يراد بالمنظر العلة لان نظر المعلول اليها يعني انه فوق كل علة لانه اليه تنتهي جميع الكائنات وانه علة
اسباب الممكنات وان يراد به المدرك بالعقل يعني انه فوق كل ما ادركه العقل لان كل ما ادركه العقل فهو صورة مثال يمتنع ان يقال
انه هو ويحتمل ان يكون هذا الكلام على سبيل التمثيل والله لا ابتداء لاوليته لاستحالة الحدوث ولا غاية لازليته لاستحالة
العدم عليه القائم قبل الاشياء اي قبل كل واحد واحد منها لانه كان ولم يكن معه شيء ثم احدثه بمجرد حكمته فهو متفرد بالقدم وفيه
رد على بعض الفلاسفة وليس المراد بالقبلية الزمانية حتى يلزم ان يكون في زمان وان لا يكون متقدما عليه لان القبلية الزمانية
انما تكون في الزمانيات كما بين في موضعه والله سبحانه ليس بزماني والدائم الذي به قوامها قوام الشيء بالكسر نظامه وتقديم الظرف
للحصر وفيه رد على من اسند نظام هذا العالم الى غيره كالدهرية والمبتدعة من الفلاسفة واضرابهم والقاهر الذي لا يؤوده
حفظها آده الحمل يؤوده اوداً اذا اثقله وانا مؤود مثال مقول يعني لا يثقله ولا يتعبه حفظ الاشياء مثل السموات والارضين
وما فيهما وما بينهما لان فعله سبحانه بمجرد الارادة ولا يحتاج فيه الى استعمال الآلات وتحريك الجوارح كما يحتاج اليهما
اصحاب الصنائع فلا مدافع له في فعله اصلا فلا يلحقه الانفعال فلا يعرضه الثقل والتعب والكلال تعالى عن ذلك علوا كبيرا
والقادر الذي بعظمته تفرد بالملكوت وبقدرته توحد بالجبروت القادر من اسمائه تعالى ومعناه المتمكن من جميع الاشياء
بحيث لا يطيق شيء منها الامتناع عن مراده ولا يستطيع الاباء عن اصداره وايراده وله في هذا النحو من التمكن وصفان
الاول الكبرياء والعظمة والثاني القدرة التامة والملكوت فعلوت من الملك بالكسر وهو الوضع كالمملكة وخص بعد الدنيا
بملك الله سواء كان من عالم المجردات والمفارقات او من عالم الجسمانيات والمقارنات وقد يجمع الملك والملكوت كما في قولهم
بادا الملك والملكوت يراد بالملك الجسمانيات وبالملكوت المجردات والجبروت فعلوت من الجبر وهو اقامة دخل من فقر ونحوه او اصلاح
عظم من كسر ونحوه ومنه الجبار من اسمائه تعالى لانه يغني من يشاء متى يشاء ويجبر مفاقر الخلق ويكفيهم اسباب المعاش والرزق
ويصلح نقائص حقائق الممكنات بافاضة الوجود وما يتبعه من الخيرات والكمالات وهو ايضا خص بعد الزيادة بالله والمقصود

الله تعالى شانه بالوصف الاول تفرده بالكبرياء جميع الاشياء من الممكنات المجردة والمادية لان العظمة المطلقة مقتضية لعدم الشاركة ٥
واما الملك غيره فانما هو مالك بالاضافة وله عظمة بالاضافة وهي عند التحقيق انما هي عظمة بل هي عجز وقصور وبالوصف
الثاني تفرده بايجاد الممكنات واصلاحها وتكميلها بافاضة ما يليق بها من الكمالات واتقانها متينا من غير معارض ولا مدافع لان
القدرة الكاملية الالهية توجب عدم مشاركة الغير معه في شيء من ذلك فكل شيء مملوك له منقاد لامره وكل كامل مستكمل به مفتقر اليه
وهو الغني الحميد وبحكمته اظهر حججه على خلقه الحكمة العلم والاتقان والله سبحانه حكيم لانه عالم بحقايق الاشياء متقن لخلقها
بلطف التدبير وحسن التصوير والتقدير والحجج جمع الحجة والمراد بها البرهان يعني انه سبحانه بحكمته البالغة اظهر براهين وجوده
ووحدته وقدرته وساير كمالاته على خلقه بايجاد الممكنات وتصوير المخلوقات على النظام المشاهد ويحتمل ان يراد بالحجج
نصب الانبياء والاوصياء الا انه يوجب التكرار فيما سياتي واخترع الاشياء انشاء وابتدعها ابتداء بقدرته وحكمته
لا احد لاهل اللغة فرقا بين الاختراع والابتداع قال الجوهري ابدعت الشيء اخترعته لا على مثال ولا بين الانشاء والابتداء
قال انشا يفعل كذا ابتدا ولكن الظاهر من كلام المتكلمين ان الاختراع هو الايجاد لا من شيء والابتداع هو الايجاد لا لعلة كما سيعرفه
وقيل الانشاء هو الايجاد الذي لم يسبق غير الموجد الى ايجاد مثله والابتداء هو الايجاد لم يوجد الموجد قبله مثله وقوله
انشاء وابتداء مفعول مطلق من باب جلست قعودا للتاكيد التعليل او تمييز لنسبتهما اليه سبحانه وقوله بقدرته وحكمته
متعلق بالفعلين على الترتيب المذكور او بكل واحد منهما لا من شيء فيبطل الاختراع يعني اخترع بقدرته لا عن اصل ومثال اذ
لو اوجدها عن مثال لبطل الاختراع لانه في ايجاد ذلك المثال يحتاج الى مثال آخر وهكذا او بطلان الاختراع يستلزم
عدم القدرة على الوجه الكمال كما يشاهد ذلك في الكاتب المحتاج في كتابته الى اصل مستنسخ فانه بدون ذلك الاصل عاجز
عن الكتابة ولا لعلة فلا يصح الابتداع يعني ابتدع الاشياء لا لعلة مادية او لا لعلة فاعلية متوسطة بينه وبينها
والا لبطل معنى الابتداع لانا ننقل الكلام اليها فيتسلسل او لا لعلة غائية ويكون هذا اشارة الى نفي الغرض والعلة الغائية
تعود اليه والا لكان ناقصا في ذاته وصفاته والناقص لا يخترع شيئا من غير حاجة الى شيء اصلا وقيل لا لعلة غائية ويكون
هذا اشارة الى نفي الغرض والعلة الغائية عن فعله بالكلية كما ذهب اليه طايفة والا لكان ناقصا في فاعليته مستكملا بغيرها
لان ذلك الغرض والناقص لا يصلح للاختراع اما الشرطية فلان الغرض يجب ان يكون اصلح للفاعل من عدمه اذ لو استوى وجوده
وعدمه بالنظر اليه او كان عدمه راجحا لا يكون باعثا له على الفعل بالضرورة وكلما كان غرضا وجب ان يكون وجوده اصلح للفاعل

وانسب

وانسب وهو معنى الكمال فاذن يكون الفاعل مستكملا به ناقصا بدونه فلو كان الغرض عايدا الى الغير و وجوده وعدمه سواء
بالنظر اليه سبحانه لتنزهه عن عود المنفعة او المضرة اليه وعدم كونه باعثا له على الفعل ممنوع ودعوى الضرورة في محل
النزاع لا يجدي نفعا والمسالة محلها علم الكلام خلق ما شاء كيف شاء يعني انه خلق الاشياء على الوزن والتقدير والاحوال اللايقة
بها بمشيته وارادته لا بالايجاب ولا بتحريك آلة والجوارح ولا بتوسط اللفظ والتسويل في النفس من خواص الجسم والجسمانيات
متوحدا بذلك بالنصب على انه حال عن فاعل خلق يعني خلق ما شاء حال كونه متوحدا بالذات والصفات بخلقه وايجاده غير مستعين
بالغير مثله لا بذات آخر ولا بصفات زايدة عليه والا لكان ناقصا او محتاجا في الايجاد الى الغير لاظهار حكمته وحقيقة ربوبيته
يعني خلق ما شاء على النظام العجيب والصنع الغريب الذي يتحير فيه عقول العقلاء وتحول العلماء لاظهار علمه وحكمته وحقيقة ربوبيته
التي كانت في كمون الخفاء كما قال كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لكي اعرف لا تضبطه العقول اي لا تضبط شرح حقيقته
ذاته ولا ما له من كمال صفاته عقول العارفين لانه في علو الذات وارتفاع الصفات الى حيث يقف دون بلوغه عقول اهل العرفان واذهان
اهل الايقان وانما يعرفونه بنحو خاص من المعرفة اليقينية التي هي غاية الوسع للعقول البشرية ولانه لا حد لحقيقته لانه بري عن
انحاء التركيب الخارجية والعقلية فهي منزهة عن اطلاع العقول عليها ولا نهاية لصفاته يقف عندها او بعده بها فلا يكون
العقول محيطة ضابطة اياها ولا تبلغه الاوهام لانه ليس محسوسا والوهم لا ينال الا المحسوسات ولا تدركه الابصار لان البصر انما يدرك
اللون والضوء وما يتبعهما من الجسمانيات والله سبحانه منزه عن الجسمية ولواحقها ولا يحيط به مقدار لان المقدار من لواحق الجسمية
وايضا ما يقبله يقبل التحيز والقسمة والزيادة والنقصان ولا يجري شيء من ذلك عليه سبحانه عجزت دونه العبارة وكلت دونه الابصار
دون طرف تعيين فوقه وهو تفسير من الغاية والكلال الاعياء يقال كلت العين اذا اعيت عن الادراك وعجزت عنه والابصار جمع بالفتح
البصر يعني عجزت قبل بلوغ صفاته عبارة الواصفين واعيت قبل بلوغ ذاته ابصار الناظرين كما اشار اليها في الصحيفة السجادية على صاحبها
افضل الصلوات واكمل التحيات الذي قصرت عن رؤيته ابصار الناظرين وعجزت عن نعته اوهام الواصفين وضل فيه تصاريف الصفات
ضل الشيء يضل ضلالا والضلال ضد الرشاد والمعنى ضلت في طرق صفاته الحقة تصاريف صفات الواصفين وانحاء تعبير العارفين يعني انهم
بالغوا في التوصيف وانتقلوا من صفة الى ما هو ازيد واعظم عندهم لم يصفوه بما هو وصفه ولم ينعتوه بما هو حقه ولم ينالوا حقيقة
صفاته على وجه يليق بذاته وذلك لان تصاريف الصفات والنقل من بعضها الى بعض انما هو من خواص الممكنات التي يتصور فيها الزيادة والنقصان
والله سبحانه منزه عنها وايضا لسان التعبير انما يخبر عما في الضمير وكل ما هو في الضمير مخلوق مثله كما دل عليه قوله عليه السلم كلما ميزتموه باو

باوهامكم فادق معانيه مصنوع مثلكم مردود اليكم وقال بعض العارفين نظم هرچه پیش تو پیش ازان ره نیست غایت وهم تست الله نیست
لا يقال اذا كان الامر كذلك لم يكن ثناؤه معتدا به فكيف وقع التكليف به لانا نقول لم يقع التكليف بمعرفة كنه الصفات
الكمالية والثناء بها لان ذلك محال بل التكليف انما وقع بالثناء عليها بمفهومات كلية حاصلة في الذهن صادقة عليها
الصفات الكمالية انما هي معقولة بعنوانات هي مفهوماتها او يعبر عنها بهذه العنوانات والمفهومات لا بالكنه وادراكها بالكنه
مختص به سبحانه ولذلك قال صلى الله عليه وآله لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك والمقصود منه الوصول الى ما يستحق بسط
شانه واحصائها لا قدام تصاريف صفات الواصفين لانها كلما بلغت مرتبة من مراتب المدح والتكريم كان وراءها اطوار
من استحقاق الثناء والتعظيم وانطباق الحديث المذكور عليه ظاهر احتجب بغير حجاب محجوب واستتر بغير ستر مستور اي احتجب عن
العقول واستتر عن الابصار والحجاب لغة المنع ومنه حاجب العين لانه يمنعها من الاذى وحاجب الملك لانه يمنعه من الناس
والخلق ممنوعون من ادراك ذاته سبحانه عينا وعقلا وسمي ذلك المنع حجابا وسترا ثم الحجاب والستر بهذا المعنى ليسا في عين
لامر حائل بين العقول والابصار وبين ذات الباري لان ذلك الحائل اما حسي كالاجسام الحائلة بين الرائي والمرئي او عقلي
كالعوائق الواسطة من الصور العقلية والعقول والحجب الجسمية انما تحجب الجسم والجسمانيات المحدودة المستترة بها والحجب
العقلية انما تحجب الصور والله تعالى شانه ليس بجسم ولا جسماني ولا صورة والى نفي هذين النوعين من الحجاب اشار بقوله بغير
حجاب محجوب وبغير ستر مستور لدفع توهم ان الاحتجاب والاستتار هنا كما في اكثر الموجودات بالحجاب والساتر وهذا
التركيب يحتمل وجهين الاول ان يكون محجوب خبر مبتدا والجار والمجرور متعلق به اي محجوب بغير حجاب بالمعنى المتعارف في
في اكثر الموجودات والجملة مستانفة لدفع ذلك التوهم الثاني من قوله احتجب الثاني ان يكون مضافا اليه والاضافة لاحتمال
بتقدير اللام والنفي راجع الى الحجاب المقصود ان حجابه ليس بالمعنى المتعارف لتعاليه عن ادراك القوى البشرية اياه وهذا
بعيد جدا ويخطر بالبال ان فيه معنى آخر لهذا الكلام وظني انه اولى بالارادة منه وهو انه لما قال احتجب توهم منه ان حجابه غليظ
غير كثيف مانع من ادراك وجوده وصفاته تعالى شانه بالكلية فدفع ذلك التوهم بقوله بغير حجاب محجوب اي ان يكون
محجوب بصفة الحجاب المقصود ان حجابه ليس بحجاب محجوب بحجاب آخر بان يكون غليظا ويكون بعضه فوق بعض آخر تعالى شانه
نظير ذلك قوله تعالى حجابا مستورا قال الجوهري في تفسيره اي حجاب على حجاب والاول مستور بالثاني يراد بذلك كثافة الحجاب
وهذا مما رقمته في سالف الزمان ورأيت الآن حين التحرير انه سبقني اليه سيد الحكماء الالهيين حيث قال هذا من باب

حجابا

حجابا مستورا اي حجابا على حجاب عرف بغير روية عرف مبني للمفعول والروية بفتح الراء وكسر الواو وشد الياء التفكر والنظر
يعني عرف وجوده من غير استدلال لانه بديهي كما صرح به بعض المحققين او لان الاستدلال لا يفيد معرفة خصوصيته
لان اللمي غير ممكن اذ ليس له علة والاني لا يفيد لانه استدلال من الاثر والاثر لا يفيد الا مؤثرا ما على وجه كلي
لا مؤثرا معينا فمعرفته بالحقيقة ليست الا بالمشاهدة الحضورية كما هي لبعض الكاملين وفي بعض النسخ رؤية بضم الراء
والهمزة الساكنة يعني عرف بغير ابصار كما قال سبحانه لا تدركه الابصار وهو تاكيد للسابق ووصف بغير صورة اي وصف
بغير صفة فانه وصف بانه قادر بغير قدرة قائمة بذاته وكذلك وصف بانه سميع بصير عالم حكيم لطيف خبير الى غير ذلك
وليس هناك صورة وصفات زائدة على الذات واطلاق الصورة على الصفة شايع او وصف بغير حد اذ كل ما وصف بحد لا بد
ان يكون له ماهية كلية مركبة من جنس وفصل واذ ليس له تعالى شانه شيء من انحاء التركيب لا يجوز ان يوصف بالحد ونعت
بغير جسم اي نعت بانه مغاير لجسم وجسماني اي بانه مغاير لهما لحدوثهما وتحيزهما وهو منزه عنهما ولما ذكر جده تعالى في وجه
يشعر بالاختصاص وكان في ذلك مفيدا لتفرده بالالهية وذكرا فيه تفرده بالملكوت والجبروت وخلق الاشياء الى غير ذلك
من صفات المدح والتكريم المفيدة لتفرده باستحقاق الثناء والتعظيم اراد ان يصرح بالمقصود لانه كالنتيجة لما مر فقال
لا اله الا الله الكبير اي العظيم لا بالكم والمقدار بل بالرتبة والرفعة لان ذاته المقدسة مبدأ كل موجود ومنتهى كل
مقصود المتعال عن التشابه بالخلق هذه الكلمة الطيبة اشرف كلمة وحد به الخالق عز اسمه وهي منطبقة على جميع مراتب
التوحيد وقد سميت فاتحة ونقل عن بعض العلماء ان الله سبحانه جعل عذابه نوعين احدهما السيف في يد المسلمين والثاني
عذاب الآخرة فالسيف في غلاف يرى والنار في غلاف لا يرى فقال تعالى لرسوله من اخرج لسانه من الغلاف المرئي وهو
الفم فقال لا اله الا الله ادخلنا السيف في الغمد المرئي ومن اخرج لسان قلبه من الغلاف الذي لا يرى وهو الشرك فقال
لا اله الا الله ادخلنا سيف عذاب الآخرة في غمد الرحمة واحدة بواحدة جزاء ولا ظلم اليوم ضلت الاوهام عن بلوغ
كنهه اشارة الى نفي التحديد عنه لانه تعالى ليس بمركب وكل ما ليس بمركب لا يمكن ادراك كنه حقيقته بالحد اما الصغرى فلان
كل مركب يحتاج الى الجزء الذي هو غيره وكل محتاج الى الغير ممكن لان في ذاته بذاته من دون ملاحظة الغير لا يكون كافيا في
وجوده وان لم يكن فاعلا له خارجا عنه واما الكبرى فلان ادراك كنه الحقيقة انما يكون من الحد المؤلف من اجزائها
كما بين في موضعه والله سبحانه منزه عن ان يكون لكنهه اجزاء وذهلت العقول ان تبلغ غاية نهايته يمكن ان يراد
بالغاية المسافة ونهاية الشيء آخره فالاضافة لامية ويمكن ان يراد بها النهاية قال الجوهري النهاية الغاية
فالاضافة بيانية وانما لا يبلغ العقول غاية نهايته لانه لا نهاية له اذ ليس له طبيعة امتدادية تنتهي الى حد ونهاية

وايضا لا يطرأ عليه العدم فهذا الكلام * مثل قول العرب لا ترى بها ضبا ينجحر اى ليس بها ضب فضلا ان ينجحر لا يقال ذهول العقول عن البلوغ اى تشبيهها عند شعرها بمكان البلوغ فى نفسه لانا نقول الذهول عن الشى يستلزم عدم حصوله الى الشى والمراد هنا هذا اللازم على سبيل الكناية على ان ذلك الاشعار ممنوع الا يرى ان غفلتنا عن وجود شريك البارى لا يستلزم وجوده لا يبلغه حد وهم اى منتهاه لان كلما بلغه الوهم فهو ممكن ولا سبيل للامكان فى ساحة جنابه وايضا الوهم انما يلحق بالمادى ويتعلق بامور محسوسة ذات صور واحجام حتى انه لا يتعقل نفسه ولا يدرك بها الادوات مقدار وحجم والله سبحانه منزه عن المادة ولا يدركه نفاذ بصر قال الجوهرى نفذ السهم من الرمية ونفذ الكتاب الى فلان ورجل نافذ فى امره اى ماض ونفاذ البصر بكل واحد من هذه المعانى محال على الله سبحانه اما الاول فلان شعاع البصر انما ينفذ فى جسم شفاف وهو سبحانه ليس بجسم شفاف ولا واما الاخيران فلاستحالة ان يدرك سبحانه بحاسة البصر لانه تعالى غير ذى وضع وكل غير ذى وضع يمتنع رويته والمقدمة الاولى استدلالية والثانية ضرورية وربما استدل عليها والمسألة مستقصاة فى علم الكلام ثم الظاهر من هذه المعانى هو الاول لان الاخيرين قد ذكرهما سابقا وهو السميع العليم يعنى انه السميع لا بالة والعليم لا بعلم زايد عليه لانهما من صفات خلقه بل هما عبارة عن عدم خفاء المسموعات والمعلومات وان كانت خفية دقيقة عند ذاته بذاته حتى يعلم كفر من كفر وايمان من آمن وهو عليم بذات الصدور والجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد احتج على خلقه برسله ليهديهم الى معرفة ذاته وصفاته وحشره ونشره وثوابه وعقابه وربوبيته ومعرفة ما به يتم نظامهم فى الدارين وكمالهم فى النشأتين ويجذبوهم عن مقتضيات نفوسهم من اتباع الشهوات الباطلة واقتناء اللذات الزايلة بتذكيرهم لما فى الدار الباقية وتنفيرهم عن خساسة هذه الدار الفانية لئلا يكون لهم على الله حجة بعد الرسل واوضح الامور بدلائله اى اوضح امور الرسل وحقية رسالتهم وشرايعهم بالدلائل الظاهرة والمعجزات الباهرة لتقريب الخلق الى التصديق وتبعيدهم عن التكذيب او اوضح الشرايع بالرسل واوصيائهم عليهم السلام او اوضح وجود ذاته وكمال صفاته مثل العلم والقدرة وغيرهما بنصب سماوات ذات ابراج وارض ذات مهاد الى غير ذلك من الاثار الدالة على صدورها من العزيز الجبار ولما كان الرسل علما وحكما يحملون الخلق على الطريقة الالهية من معرفة احوال المبدأ والمعاد وما يتبعهما من الاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة على حسب ما يقتضيه الحكمة وذلك قد يكون بالتذكير والتنبيه كما اشرنا اليه وقد يكون بالتبشير والتهديد وهذه يحتاج اليه اكثر الناس لان طبايعهم مثل طبايع الاطفال فى الميل الى الحاضر من الحيوة الدنيا وزهراتها فاحتاجوا فى الميل الى الخيرات والزجر عن السيئات الى الوعد والوعيد اشار اليها بقوله وابتعث الرسل بعثهم وابتعثهم بمعنى ارسلهم مبشرين للخلق بما اعد الله للمطيع من الثواب العظيم ومنذرين لهم بما اعد الله للعاصى من العذاب الاليم بذلك يجذبونهم عن طريق الغواية ويرشدونهم الى سبيل الهداية ولما كان احدث

به

به العناية الازلية وتنور قلبه من المشكوة النبوية فانه يعلم انه لولا الثواب والعقاب لا يستحق سبحانه التوسل اليه بذاته والتذلل له طلبا لمرضاته ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة تضمين للآية الكريمة واشارة الى غاية الاحتجاج والابتعاث قال القاضى المعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان الاحتجاج بالرسل وابتعاثهم وتصديقهم بالمعجزات من البينات الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحيوة للكفر والاسلام والمراد بمن هلك ومن حى المشارف للهلاك والحيوة او من هذا حاله فى علم الله وقضائه وقيل يحتمل ان يكون من باب المجاز المرسل لان الكفر سبب للهلكة الحقيقية الاخروية والايمان سبب للحيوة الحقيقية الابدية فاطلق المسبب على السبب مجازا وليعقل العباد عن ربهم بتذكير الرسل وتعليمهم ما جهلوا من احوال المبدأ والمعاد فيعرفوه بربوبيته بعد ما انكروه لغفلتهم عن العهود الالهية والمواثيق الربانية ونبذ طاعته وترك عبادة من كان لم يكن شيئا مذكورا ويوحدوه بالالهية بعد ما اضدوه بالتشريك وعبادة الاصنام للوساوس الشيطانية وتخيلات الاوهام توضيح ذلك ان المعرفة هى ادراك الشى ثانيا بعد توسط الجهل والعباد قد اقروا لله بالربوبية وهم فى صورة الذر حين قال الست بربكم فقالوا بلى لشهادة عقولهم الخالصة عليها ثم جهلوا ذلك وانكروه لتعلقهم بالعلائق الجسمية وتشبثهم بالتسويلات النفسانية وتمسكهم بالتخيلات الشيطانية فبعث الله رسله رحمة منه وتفضلا لتعليمهم وتذكيرهم فمن ضل بعد ذلك فقد غوى ومن آمن فقد اهتدى ولما حمد سابقا ذاته تعالى لاجل نعمته وقدرته وغيرهما من الصفات المذكورة اراد ان يحمده ثانيا على نعمائه المتجددة آنا فآنا على سبيل الاستمرار والتجدد فاتى بالجملة الفعلية رعاية للتناسب فقال احمده اى احمده آنا فآنا وساعة فساعة ولما كان الحمد من اجل الطاعات واكمل العبادات اذ الحامد يلاحظ جلاله وجماله ونعماءه والطاعة دواء للامراض النفسانية على حسب تفاوت مراتبها فى الاخلاص كما قال سبحانه ان الحسنات يذهبن السيئات والدافعة لجميع الامراض هى المرتبة القصوى من مراتب الاخلاص قيده بقوله حمدا يشفى النفوس لطلب المرتبة ورجاء لحصولها ثم لما كان شفاء النفس من جميع الامراض سببا لرضاه حالا ومآلا عقبه بقوله ويبلغ رضاه الموجب لمزيد احسانه فى الدنيا وثوابه فى الاخرة ثم مفهوم الحمد وان كان مغايرا لمفهوم الشكر لكنهما قد يتصادقان على فرد ما فوصف الحمد بقوله ويؤدى شكر ما وصل الينا حصرا لحمدنا فى ذلك الفرد لانه افضل افراده واكملها ثم بين الموصول بقوله من سوابغ النعماء وجزيل الالاء وجميل البلاء هذه التراكيب [illegible] لطيفة والمراد بسوابغ النعماء النعماء الكاملة الوافية الواسعة قال الجوهرى شى سابغ اى كامل واف وسبغت النعمة تسبغ بالضم سبوغا اتسعت واسبغ الله عليه النعمة اى اتمها والجزيل الكثير العظيم والالاء بالمد

النعم واحد تمام الاولا بالفتح ويجوز القراءة هنا بالجمع والافراد والبلاد الاختبار بالخير والشر بعيال الموته بلواجرية والخيرية
ولايبعدان يراد بالفقرة الاولى النعم الباطنة كالعقل والحواس المستورة وبلاء نعماتها وبالثانية النعم الظاهرة وبالثالثة
الاحتجاج بالرسل وابتعاثهم لان اعظم الاختبار الاختبار بما جاء به الرسل عليهم السلم وهذه وان كانت من النعم الظاهرة
المندرجة في الثانية لكن خصها بالذكر لشدة الاهتمام بها ثم لما كان افضل افراد الحمد هو الشهادة بالتوحيد وبرسالة نبينا
بخصوصه صلى الله عليه وسلم اذ هي اصل البواقي اشار اليها بقوله واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وحده تاكيد الحصر تفريدا له
وحال بتاويل منفردا الها واحدا دل الاول على جميع صفات الكمال والثاني على جميع صفات الجلال اذ الواحد الحقيقي منزه
عن انحاء التركيب الخارجية والذهنية والعدد وعما يستلزم احدهما كالجسمية والتحيز واما الها صمدا الصمد السيد
لانه يصمد اليه في الحوائج من صمد اذا قصد والله سبحانه هو الموصوف به على الاطلاق لاستغنائه عن غيره مطلقا واحتياج غيره
اليه من جميع الجهات لم يتخذ صاحبة لاستحالة الشهوة والحركة عنه ولان اتخاذها يقتضي المجانسة بينه وبينها ولا مجانسة
ولا ولدا لان الولد يجانس الوالد ولا يجانسه شيء ولانه لا يلتذ بشيء لان اللذة من لواحق الجسمية ولا يفتقر الى ما يعينه
او يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه واشهد ان محمدا صلى الله عليه وآله عبده انتجبه اي اختاره واصطفاه وانما
قرنت هذه الكلمة بكلمة التوحيد لان كلمة التوحيد يعتريها الاخلاص ولا يحصل الاخلاص الا بسلوك مراتبه ودرجاته ولا يحصل
ذلك الا بمعرفة كيفية السلوك ولا يحصل تلك المعرفة الا بالبيان النبوي فكانت الشهادة بصدق المبين اجل كلمة بعد كلمة الاخلاص
لانها بمنزلة الباب لها فلذلك قرنت بها وصارتا كلمتان متقارنتان لا يصح انفكاك احديهما عن الاخرى ورسول ابتعثه لاداء
العباد وهدايتهم وفي تقديم العبودية على الرسالة اشارة الى تقدمها في التحقق كما دل عليه بعض الاخبار على حين فترة من الرسل الفترة
الضعف والانكسار وما بين الرسولين من رسل الله يعني بعثه على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي وذلك الابتعاث
نعمة عظيمة لا يدانيها شيء من النعماء لظهور ان خلو الزمان عن رسول فيه يستلزم وجود الشرور بمقتضى النفوس البشرية ووقوع
الهرج والمرج وتلك احوال مذمومة تلحق ذلك الزمان بها من الذم بمقدار ما يلحق زمان وجود الرسول من المدح ولذلك
ذكر من خبث احوال ذلك الزمان وذم الخلائق فيه ما يدل على عظمة نعمة بعثته صلى الله عليه وما استلزمته من الخيرات ليعتبروا ويعرفوا
قدر تلك النعمة ويحصل لهم التوجه الى الله وشكره والاء وطول هجعة وطول هجعة من الامم الهجع والهجعة والهجيع بالفتح الجمع
طائفة من الليل والهجوع النوم ليلا كذا في النهاية وقال الجوهري اتيت بعد هجعة من الليل اي بعد نومة خفيفة وهي هنا
كناية عن غفلة الامم في ظلمات الجهالة عن امر المبدأ والمعاد وسائر المصالح التي ينبغي التوجه اليها وانبساط من الجهل اي انتشار
في الربع المسكون واحاطته بالامم اجمعين لفقدهم من يهديهم الى المعارف الالهية والمصالح الدينية والدنيوية واعتراض

من

١٣

من الفتنة اي عروضها في الاقاليم واحاطتها باهلها طولا وعرضا او وقوعها على غير قانون شرعي ومشيها في غير طريق عقلي
ونفي واعترض الشيء صار الفخر عارضا كالخشبة المعترضة في عرض النهر والفرس الماشي في عرض الطريق من غير استقامة
تشبيها بالفرس المتصف بهذه الصفة واستعارة لفظ الاعتراض وانتقاض من المبرم المحكم من ابرمت الشيء احكمته والمراد
به نظام احوالهم وابرام امورهم اي استحكامها بالشرائع السابقة والمراد بانتقاضه انقطاع زمام ذلك النظام وانعدام
بارزة تلك الاستحكام بتغيير تلك الشرائع وفسادها فان الخلائق كلهم في زمان الفترة حرفوا الطريقة الربانية وخرجوا عن
الشرائع الالهية وارقدتهم نفثات وساوس الشياطين في مهاد المراقد الطبيعية الا من عصمه الله بلطفه الخفي وقليل ما هم
وعمى عن الحق العمى يطلق على معنيين احدهما عدم البصر وثانيهما عدم البصيرة وهو المراد هنا والحق هو الامور
الثابتة بالشرائع السابقة من التوحيد وصفات الكمال والجلال وغير ذلك من الامور المتعلقة بصلاح النشأتين والعمى
عن الحق عبارة عن بطلان بصيرتهم القلبية باستيلاء الامراض النفسانية عن ادراك هذه الامور واعتساف من الجور العسف
الاخذ على غير الطريق وكذلك التعسف والاعتساف والجور الميل عن طريق الحق والظلم وفي اللغة جار عن الطريق مال وجار ظلم والمعنى
الثاني انسب يعني ابتعثه حين مالوا عن طريق الهداية وسلكوا طريق الغواية وظلموا بذلك انفسهم فبعضهم كانوا من عبدة
الاصنام وبعضهم كانوا من عبدة النيران وبعضهم كانوا من عبدة الشمس والقمر وبعضهم كانوا من عبدة الشجرة والبقر وبعضهم
قالوا عزير ابن الله وبعضهم قالوا المسيح ابن الله وبعضهم قالوا الملئكة بنات الله وبعضهم قالوا الله جسم وبعضهم قالوا هو نور
مثل سائر الانوار وبعضهم قالوا بجواز رؤيته الى غير ذلك من الملل الفاسدة والمذاهب الباطلة وامتحاق من الدين محقه
ابطله ومحاه وتمحق الشيء وامتحق اي بطل والدين في اللغة الطاعة والجزاء وفي العرف الشرائع الصادرة بواسطة الرسل
وبطلانه كناية عن تركهم العمل بما فيه من صلاح معاشهم ومعادهم فانهم غيروا وبدلوا وشرعوا الهم ما سولت لهم انفسهم
فحللوا حراما وحرموا حلالا فبعثه الله الرؤف الرحيم ليهديهم الى الصراط المستقيم واتى اليه الكتب الكتاب في الاصل
الفرض والحكم والقدر كما يظهر من الصحاح والمغرب ثم المتبادر منه عند الاطلاق هو القران العزيز لاشتماله على هذه الامور
على الوجه الاتم والاكمل فيه البيان والتبيان اي بيان كل شيء وتبيانه وهو البيان مع البرهان وقدم الظرف للحصر او للقرب
للمرجع او للاهتمام لاشتماله على ضمير الكتاب او لربط الحال على صاحبها ابتداء قرانا حال بعد حال عن الكتاب عربيا صفة
للتخصيص او للمدح واشتماله على غير العربي نادرا على تقدير ثبوته لا يقدح في عربيته غير ذي عوج لا اختلال ولا اختلاف ولا
فيه اصلا من جهة المباني ولا من جهة المعاني لعلهم يتقون من العقوبات الاخروية والشبهات الدنيوية باتباع اوامره
ونصائحه واستماع زواجره ومواعظه قد بينه للناس ضمير المفعول للقران وضمير الفاعل لله تعالى او للرسول وكذا الفاعل

في الافعال الاتية والاول اولى وارجح ونهجه بالتخفيف اى اوضحه وابانه من نهجت الطريق اذا ابنته واوضحته
او سلكه من نهجت الطريق اذا سلكته بعلم قد فصله ودين قد اوضحه وفرايض قد اوجبها وامور قد كشفها للخلق
واعلنها الظاهر ان القراين الاربعة احوال متعاقبة للقرآن يعنى اوضحه حال كونه مشتملا بعلم عظيم من التاويل والتفسير
والمحكم والمتشابه والعام والخاص قد فصله الله لرسوله او الرسول للناس وبدين يعنى بشرايع نبوية ونواميس الهية
قد اوضحه وبفرايض مثل الصلوة والصوم والزكوة والحج والجهاد ونحوها قد اوجبها عليهم وبامور من احوال الامم
الماضية والقرون السالفة قد كشفها واعلنها لهم وبالجملة فى القرآن علم ما كان وما يكون وما يحتاج اليه الخلايق وقد بينه الله
لرسوله وبينه للائمة وهو مخزون عند اهله فيها دلالة الى النجاة اى الامور المذكورة دلالة الى نجاة الخلق من الخزى
والنكال عاجلا ومن الحرمان عن الثواب والخذلان بالعقاب اجلا ومعالم تدعو الى هداه معالم جمع معلم وهو ما جعل علامة للطرق
والحدود والمراد بها هنا مواضع العلوم ومرابطها من الكلمات الرايقة والعبارات الراشقة والدلايل الواضحة ويجوز الرفع عطفا
على دلالة وبالجر عطفا على النجاة والجملة الفعلية صفة لها والضمير المجرور بالاضافة يعود الى الله او الى الرسول او الى الكتاب
والهدى ضد الضلالة والاضافة من باب اضافة المصدر الى الفاعل ومفعول تدعو محذوف وهو الخلق وقيل الهدى المهدى به
وهو الدين والكتاب والرسول والاضافة على تقدير رجوع الضمير الى الله لامية وعلى الاحتمالين الاخيرين بيانية وقيل
الهاء فى هداه ساكنة زايدة للوقف كما فى كتابيه وباريا وياسيداه وفيه نظر يعرف بالتامل فبلغ ما ارسل به من احوال
المبدا والمعاد وجميع ما يحتاج اليه الامة الى يوم القيمة وصدع بما امر اى اجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا
او اظهره من صدع اذا اظهره وبينه او فرق به بين الحق والباطل من صدعه اذا شقه على سبيل الاستعارة وتشبيه
الفرق بينهما بصدع الزجاجة ونحوها فى عدم الالتباس من باب تشبيه المعقول بالمحسوس لزيادة الايضاح والباء على
الاخيرين زايدة او التعدية بها على طريق التجوز وما مصدرية او موصولة او موصوفة والعايد محذوف اى امر به
وادى ما حمل من اثقال النبوة الاثقال جمع ثقل وهو ضد الخفة او جمع ثقل بالتحريك وهو متاع البيت والمسافر على
سبيل الاستعارة وقد ادى كلها عند الامامية الى امير المؤمنين ولم يكن غيره احدا حاملا لجميعها باتفاق الامة وقالت العامة
لم يخص صلى الله عليه واله احدا من الامة بجميعها وانما ادى جميعها الى جميع الامة بان اخذ كل واحد منهم ما يليق به
ثم ادوا الى التابعين كذلك وهكذا الى انقراض العالم وانت تعلم ما فى هذا القول ولكن من اضله الله فلا هادى له
وصبر لربه اى صبر لرضاء ربه وطلب التقرب منه فى تبليغ الرسالة واداء اثقال النبوة على تحمل المشاق واذى المعاندين
وطعن الطاغين من كفرة قريش وفسقة العرب وجاهد فى سبيله الذى هو التوحيد ودين الحق مع قلة العدد

وضعف

وضعف العدد ونصح لامته النصح فى اللغة الخلوص يقال نصحه ونصح له فتعديته الى المنصوح اما بنفسه او باللام والمراد
بنصحه لهم ارشادهم الى مصالح دينهم ودنياهم وتعليمهم اياها وعونهم عليها والذب عنهم وعن اعراضهم وبالجملة
جلب خير الدنيا والاخرة اليهم خالصا مخلصا لوجه الله ومن ثم قيل النصيحة فى وجازة لفظها وجمع معانيها كلفظ
الفلاح الجامع لخير الدنيا والاخرة ودعاهم الى النجاة النجاة مصدر نجوت من كذا اذا تخلصت منه وتنحيت عنه
يعنى دعاهم بالحكمة والموعظة الحسنة الى نجاتهم من العقوبات والشدائد والى ما به نجاتهم من المصالح وخلوص العاقبة
وحثهم على الذكر حيث يتعدى بعلى يقال حثه على كذا اذا حضه عليه وتعديته هنا بالى اما باعتبار ان حروف الجر
قد يجى بعضها فى موضع بعض او بتضمين معنى الدعاء ونحوه والمراد بالذكر ذكر الله تعالى بالقلب واللسان فى جميع الاحوال وله
شرف عظيم قال الله واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة وقال يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة
واصيلا وقال اذكرونى اذكركم وقال الصادق عليه السلام قال الله من ذكرنى فى ملاء من الناس ذكرته فى ملاء من الملائكة او
به ذكر الاء الله ونعمائه او الصلوة او الدعاء لانهما نوعان كاملان من الذكر او القرآن العزيز ودلهم على سبيل الهدى
من بعده بمناهج ودواع اسس للعباد اساسها المناهج جمع المنهج وهو الطريق الواضح الذى لا يضل سالكه والدواعى
جمع داعية وهى المنافع التى تدعوهم الى اتباع سبيل الهدى والاساس جمع اس بالضم وهو اصل الحائط وضمير اساسها
يعود الى المناهج والدواعى والمراد بتاسيس الاساس وضعها واحكامها وسبيل الهدى الطريقة الشرعية والاوصياء الكرام
ويجوز ان يراد بالاول الاوصياء وبالاخير الادلة الدالة على خلافتهم ومنار رفع لهم اعلامها عطف على سبيل الهدى
والمناير جمع المنارة على القياس لان وزنها مفعلة اذ اصلها منورة موضع النور وهى ما يوضع فوقه السراج وقياسها
فى الجمع مفاعل كمناور ومناير بقلب الواو همزة تشبيها للاصلى بالزايد كما قالوا مصايب فى مصاوب وفى بعض النسخ منار وهى
جمع منارة ايضا على غير القياس ثم استعير للاوصياء عليهم السلام لانهم محال للانوار العقلية وبهم يستبين حقايق الدين ويستبين
قلوب العارفين كما ان المشبه به محل الانوار الحسية ورفع الاعلام عبارة عن نصب الادلة الدالة على خلافتهم وامامتهم عليهم السلام
لكيلا يضلوا من بعده اى لهم حكما كذا وكذا لكيلا يضلوا من بعده عن طريق الحق الاقتداء بالائمة والاهتداء بانوارهم وكان بهم
صلى الله عليه واله رؤوفا رحيما الرافة اشد الرحمة والواو للعطف على الافعال المتقدمة او للحال عن المستكن فيها او عن البارز فى يضلوا
فلما انقضت مدته واستكملت ايامه توفاه الله وقبضه اليه تفصيل لقوله ودلهم الى آخره والعطف للتفسير قال الجوهرى
توفاه الله اى قبض روحه والوفاة الموت وهو عند الله مرضى عمله وافر حظه عظيم خطره اى قدره ومنزلته والواو
للحال عن مفعول توفاه فمضى صلى الله عليه وخلف فى امته كتاب الله ووصيه امير المؤمنين وامام المتقين صلوات الله عليه

تصريح لما علم سابقا ولذلك صح التفريع قال الجوهري خلف فلان فلانا اذا كان خليفته في قومه ومنه قوله تعالى اخلفني
في قومي وقال المطرزي في المغرب خليفة خلافة كنت خليفته وقال القاضي الخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والهاء
للمبالغة والانسب بالنظر الى هذه المعاني ان مفعول اخلف محذوف وهو الضمير العايد اليه والواو للحال بتقدير وقد وكان الله
واعطف عليه فاعله ويجوز ان يقرا خلف بتشديد اللام ويجعل الواو للعطف اي وجعلها خليفة في امته ليقطع اعذارهم
في ترك الدين الحق ورفض العمل بما فيه بفقدهم ما يرجعون اليه في التوقيف على الاسرار الشرعية فان المرجع اذا كان موجودا
بينهم بعده صلى الله عليه وآله لم يبق لهم معذرة في اتباع الاهواء الباطلة واقتفاء الآراء الفاسدة صاحبين مؤتلفين
حال عن الكتاب والوصي اي لا يفارق احدهما الآخر اصلا والائتلاف مطاوع التاليف يقال الفت بين الشيئين تاليفا فالفا
وائتلفا وفيه اشارة الى قوله صلى الله عليه وآله اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي الحديث يشهد كل واحد منهما
لصاحبه بالتصديق اي بسبب تصديق كل واحد صاحبه في كل ما يقول وينطق فالقرآن يصدقه ع في كل ما يقول باعتبار
اشتماله عليه ومن جملة ما يقول عليه السلام تقدمه في خلافته ووجوب طاعته والقرآن يشهد له بقوله انما وليكم الله ورسوله
الآية وبقوله اطيعوا الرسول واولي الامر منكم الى غير ذلك وهو عليه السلام يصدق القرآن فيما ينادي من اشتماله على كل ما كان
وما يكون وما يحتاج اليه الامة الى يوم القيمة لانه ع عالم بظاهره وباطنه ومفهومه ومنطوقه وعامه وخاصه وناسخه
ومنسوخه واسراره كما يرشد اليه قوله تعالى ومن عنده علم الكتاب وقوله تعالى فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
ينطق الامام عن الله في الكتاب بما اوجب الله على العباد من طاعته خلق الله يعني عباده الطاعة والانقياد له في كل ما امر
ونهى عنه في الكتاب وظاهر ان كل احد لا يقدر على استنباط المقصود منه لكونه ظاهرا وباطنا ورمزا واشارة ومجملا
ومفصلا ومحكما ومتشابها وعاما وخاصا ومطلقا ومقيدا ومفهوما ومنطوقا وناسخا ومنسوخا فلذلك وجب في الحكمة
ثبوت امام ينطق عن الله بما اوجب عليهم وما يحتاجون اليه لئلا يضلوا ولا يبقى لهم حجة ولا معذرة وهو لسان الحق
والناطق عن كتابه والمبين لحلاله ووجب عليهم الانقياد له واتباع آثاره واستماع اخباره واقتفاء افعاله
وطاعة الامام وولايته لدلالة الآيات القرآنية والبينات الربانية على ثبوت الامام والولاية لامير المؤمنين
عليه السلام وبعده لاولاده الطاهرين وبينها الرسول واهل الذكر عليهم وعينوها وعينوا مواضعها وكيفية دلالتها
والمنكرون لفضل آل محمد صلى الله عليه وعليهم اجمعين اولوها بما سولت لهم انفسهم فضلوا واضلوا كثيرا واوردهم النار
وبئس مصيرا وواجب حقه ليس عطفا على ولايته والضمير للامام بل على الموصول او على طاعته والضمير لله وادراج الواو
على الاخير للمبالغة والاضافة على التقديرين من باب جرد قطيفة الذي اراده اي اراده من الامام او العباد والموصول مع صلته

لحفظه

لحفظه من استكمال دينه بالعلم والعمل والهادي امره لحفظ الطريقة الالهية عن الانطماس والعلوم النبوية عن الاندراس سيما
عند ظهور البدعة وبروز الخدعة فانه يجب على العالم ح ابطالها باظهار الحق ومن ثم وجب وجود معصوم في كل عصر ليكون
مفزعا في كل مصيبة وملجأ في كل بلية والاحتجاج بحجيه اذ لكل حق حقيقة ولكل حقيقة دليل وحجة من الله سبحانه وجب على الفاعل
التمسك في اثباتها بتلك الحجة لا بما سولت له نفسه فان ايصاله الى المفاسد اولى من ايصاله الى المقاصد ويجوز ان يراد بالحجج الائمة
المعصومون اذ من حق الله على العباد ان يحتجوا في العلوم الدينية والمعارف اليقينية بقولهم عليهم السلام لانهم حفظة سره وخزنة
علمه والاستضاءة بنوره الذي اودعه معادن اهل صفوته المراد بالنور العلم على سبيل الاستعارة وتشبيه المعقول بالمحسوس
لجامع عقلي وهو الايصال الى المطلوب اذ بالعلم يدرك الحق ويفرق بينه وبين الباطل كما ان بالنور يدرك المحسوس ويفصل بين الاشياء
المرئية والاستضاءة ترشيح وصفوة الشيء خالصه ونبينا ص وعترته الطاهرين عليهم السلام صفوة الله من خلقه والاضافة الاولى
بيانية او لامية ان اريد بالمعادن القلوب والثانية بيانية والثالثة لامية وتتابع الاضافات لا يوجب نقلا مخلا بالفصاحة وعطف
اهل خيرته عطف على المعادن والاصطفاء الاختيار يقال اصطفيته اي اخترته والمصطفى بصيغة الافراد والجمع باسقاط
النون للاضافة والاضافة اما بيانية او بتقدير من والخيرة مثال العنبة والسيرة اما بمعنى المختار او بمعنى الاختيار وقد
استعملت فيهما كما في قولهم محمد صلى الله عليه وآله خيرة الله وقوله ما كان لهم الخيرة فاوضح الله بائمة الهدى من اهل
بيت نبينا حال عن الائمة او بيان لها عن دينه الذي هو عبارة عن مجموع ما جاء به نبينا من القوانين والايضاح الاظهار
والابانة يقال وضح الشيء اي ظهر وبان واوضحته اي اظهرته فعديته بعن للمبالغة وابلج بهم عن سبيل مناهجه بلج الصبح بلوجا بالضم
اذا اشرق واضاء وكذلك انبلج وتبلج وابلجه اذا اظهره واوضحه وعديته بعن للمبالغة في الربط والايصال ومناهجه كل ما يتقرب به
اليه سبحانه من العلوم الكاملة والاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة وسبيله ما يدل عليها وفتح بهم عن باطن ينابيع علمه الينابيع
جمع الينبوع وهي عين الماء وهذا الكلام اما على سبيل الاستعارة المكنية والتخييلية بتشبيه العلم بالماء واثبات الينابيع له
او من قبيل لجين الماء وفي لفظ الباطن اشارة الى علمهم بالاسرار الالهية والعلوم الغيبية اللدنية المشار اليها بقوله عالم الغيب والشهادة
فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول والى علمهم بباطن القرآن ومتشابهاته على ان يكون المراد بالينابيع الآيات القرآنية وجعلهم
مسالك لمعرفته لكل مطلوب طريق ومسالك من سلكه وصل اليه وهم عليهم السلام طرق معرفة الله بما يليق به ومسالكها بامر الله عز شانه فمن جهلهم
يتورد عنه نور المعرفة وضوء الايمان ومن اعرض عنهم تحير في تيه الجهالة وظلمة الكفران ومعالم لدينه الناس بتعليمهم يعلمون
انوار الطريقة وبتعليمهم يعلمون اسرار الشريعة وحجابا بينه وبين خلقه الحجاب بالضم والتشديد جمع حاجب السلطان وهو الذي يمنع
من شاء من الدخول عليه ويأذن من شاء ولا يمكن الوصول الا بالرجوع اليه والتمسك به وهم عليهم السلام كذلك بالنسبة الى السلطان الاعظم

والباب المؤدي الى معرفة حقه الباب جنس يصدق على الكثير وبهذا الاعتبار صح حمله على الجمع وتوضيح المرام في هذا المقام ان حقوق الله
على عباده كثيرة وهي مدينة ليس فيها الا الحق ولا يدخلها الا اهل الحق وتلك الحقوق اشرف واعظم من ان ينالها العقول البشرية
بذاتها او يدركها باستقلالها لها الفكار طرقها ودقة مسالكها فربما يقع في الخيال مثلا التماثل بينه وبين المخلوقات ويجري عليه احكام
الاجسام والجسمانيات كما وقع لكثير من المبتدعة ولذلك جعل الله تعالى نبيه صلعم مدينة تلك الحقوق وعليا واوصياءه عليهم السلم
بابها كما يدل عليه انا مدينة العلم وعلي بابها وهو في الحقيقة باب الجنة وباب الرحمة وباب السعادة فمن عكف على سدته فقد
رشد ومن اعرض عنه فقد هلك وقد افتدا اطلعهم على المكنون من غيب سره اطلعهم بتخفيف الطاء من قولك اطلعت على سر اذا اظهرته
له ووقفته عليه واما بتشديدها من قولك اطلعت على بالحول فمعنى اشرفت عليه فلا يناسب المقام لانه لازم والمقصود انهم عليهم السلم
يكونوا مقصورين على العلم بظاهر الشريعة بل اطلعهم الله سبحانه على اسرار مكنونة في لوح التقدير مكتوبة بقلم القضا وغائبة عن بصائر
الخلايق مستورة عن نظار ارباب العلايق والعوايق وهم قد كانوا يظهرون بعضا البعض لمن وجدوه اهلا ويخفونها عن غير اهله
اذ كانوا اطباء النفوس يتكلمون الناس بقدر عقولهم ومن ثم قال سيد الوصيين امير المؤمنين عليه السلم واشار بيده الى صدره
ان ههنا لعلما جمة لو وجدت لها حملة كلما مضى منهم امام نصب فاعله ضمير يعود الى الله او الى الامام ولا تفاوت في المعنى
لان الامامة عهد من الله ورسوله لرجل حتى ينتهي الامر الى صاحبه لخلقه من عقبه اماما من جارة او موصولة واماما على الاول مفعول
نصب وعلى الثاني حال عن الموصول وذلك لان الله سبحانه خلق الارض من حجة والائمة كانت باهلها بينا في العلم والحلم والامانة ظهر
الايات والكرامات منه مقرونا بدعوى الامامة وهاديا بالقران الذي هو ضيم الى الدين القويم والصراط المستقيم نيرا كالشمس
الطالعة المجللة بنورها للعالم اذ بنوره يضئ قلوب المؤمنين ويرتفع عنها ظلمة الجهالة والغواية كما ان بنور الشمس يضئ وجه الارضين
ويرتفع عن الابصار ظلمة الغطاء والغشاوة واماما قيما اي مستقيما في افعاله واعماله وساير الحالات الكاملة المطلوبة من الانسان
من قوم الشي فهو قويم اي مستقيم او قيما بامر الامامة والائمة من قام بامر كذا يهدون بالحق يهدون حال عن الائمة وبالحق ظرف
مستقر حال عن ضمير الجمع اي يهدون الناس حال كونهم متلبسين بالحق او ظرف لغو اي يهدون بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة
وبه يرشدونهم اليها وبه يعدلون بينهم في الاحكام حجج الله اي هم حجج الله على خلقه والجملة حال عن ضمير الجمع ودعاته ورعاته
جمع الداعي والراعي اما رعى الامير رعيته رعاية اذا حفظهم عن المكاره او من رعيت الاغنام ارعاها رعيا اذا ارسلتها الى المرعى
وكفلت مصالحها بتشبيه الخلق بالاغنام لانهم قبل الاستكمال الشرعية بمنزلة الحيرة وعدم علمهم بمصالحهم ومضارهم او لخيانهم
على من يحبسهم على مراعي الشريعة ويمنعهم عن الخروج عنها كما ان الاغنام تحتاج الى من يحبسها على مراعيها وما فيه مصالحها على خلقه
متعلق بالثلثة المذكورة على سبيل التنازع اذ بهم يحتج الله على خلقه في استكمال الدين فلا يكون لهم عليه حجة وهم دعاة على

خلقه يدعونهم الى معرفة ذاته وصفاته وشريعته ورعاة عليهم يحفظونهم عن المكاره والمقابح ويرشدونهم الى المحاسن والمصالح
يدين بهديهم العباد اي العباد يطيعون الله ورسوله في الامر والنهي وغيرهما مما يوجب التقرب والرضوان بسبب هدايتهم
وارشادهم ولولا ذلك لهلكوا جميعا ويستهل بنورهم البلاد اي يستضئ بعلمهم البلاد او اهلها على سبيل الاستعارة بتشبيه
العلم بالنور في الهداية جعلهم الله حيوة للانام اي سببا لحيوتهم وبقائهم في الدنيا الى اجل معدود اذ لولا وجودهم لمات
الخلايق دفعة ويحتمل ان يراد بالحيوة الايمان بالله وباليوم الاخر والتصديق بما جاء به الشرع من باب تسمية المسبب باسم
السبب لان هذه الامور سبب للحيوة الابدية ومصابيح للظلام شبه البدعة والجهالة بالظلمة في المنع من الاهتداء الى الطريق
واستعمل المشبه لفظ المشبه به ولزم من ذلك تشبيههم عليهم السلم بالمصابيح اذ بنورهم يرتفع غشاوة البدعة والجهالة
عن بصاير المؤمنين فيهتدون الى سبيل الحق ويجتنبون عن طريق المفاسد كما ان بنور المصباح يرتفع غشاوة الظلمة عن ابصار
الناظرين فيبصرون المطالب ويرشدون الى المقاصد ومفاتيح للكلام تشبيه الكلام بالبيت المخزون فيها الجواهر استعارة مكنية
واثبات المفاتيح تخييلية والمراد بالكلام الكلام الحق مطلقا او القران العزيز ولا ينفتح باب حقايقه واسراره على قلوب العارفين
ولا يشاهدها ابصار الطالبين الا بتفسيرهم وتعليمهم عليهم السلم ودعائم للاسلام تشبيه الاسلام بالبيت مكنية واثبات الدعائم
له تخييلية فكما ان بقاء البيت الى دعائم متناوبة يقوم الاخر مقام الاول عند زواله كذلك [illegible] الاسلام وعدم اندراسه
بتوارد صواعق المحن وتواتر سيول الفتن يحتاج الى امر معين يقوم واحد بعد واحد الى قيام الساعة وجعل نظام طاعته
اي ما ينتظم به طاعته والنظام بالكسر الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ ففي الكلام استعارة مكنية وتخييلية وتمام فرضه على العباد
من غير ان يكون فيه نقص وعيب التسليم لهم فيما علم اي فيما علمه العبد او فيما هو معلوم ومعنى التسليم الاخبات والخضوع
والتصديق بقولهم فيما اسروا وما اعلنوا سواء علمت المصلحة او لم تعلم ومن التسليم نقل حديثهم كما سمعوه من غير زيادة ونقصان
كما دل عليه رواية ابي بصير عن الصادق عم والرد اليهم فيما جهل اي فيما جهله العبد او فيما هو مجهول يعني الرجوع اليهم
في استعلام المجهولات لا الى غيرهم قال الله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وبالجملة اوجب الله علينا التسليم لهم
في كل ما علمناه من تعليمهم والرجوع اليهم في كل ما جهلناه لانهم استادنا وهادينا في ظلمات الطبايع البشرية وحظر على غيرهم
التهجم على القول بما يجهلون الحظر المنع ومنه قوله تعالى وما كان عطاء ربك محظورا وكثيرا ما يرد في الحديث ذكر المحظور ويراد
به الحرام وقد حظرت الشي اذا حرمته وهو راجع الى المنع والهجوم الاتيان بغتة والدخول من غير استيذان من باب طلب
يعني حرم على غيرهم الدخول على القول بما يجهلون ومنعهم على الاقدام عليه بمجرد الظن والراي والقياس بقوله تعالى ولا تقف ما ليس
لك به علم وقوله تعالى الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ومثله ما روي عن ابي جعفر عليه السلم قال حق الله

على العباد ان يقولوا ما يعلمون ويقفوا عندما لا يعلمون وما روي عنه انه قال لسدير يا سدير أفأريكم الصادين عن دين الله
ثم نظر الى ابي حنيفة وسفيان الثوري وهم حلق في المسجد يعني مسجد الحرام فقال هؤلاء الصادون عن دين الله بلا هدى
من الله ولا كتاب مبين ان هؤلاء الاخابث لو جلسوا في بيوتهم فجال الناس فلم يجدوا احدا يخبرهم عن الله تبارك وتعالى
وعن رسوله حتى يأتونا فنخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله صلى الله عليه وآله ونعيهم بجحد ما لا يعلمون لان عدم العلم بالشيء
ليس علما بعدمه ولا مستلزما له فانكاره لا يجوز عقلا ونقلا لقوله تعالى فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون
وقوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله لما اراد تبارك وتعالى ان يستنقذ من شاء من خلقه من ظلمات الظلم
ومغشيات البهم اللام لتعليل ما تقدم في ختم عليهم اي من لطف الله بهم واكرامه عليهم وما موصولة والعائد اليه محذوف
والظلمات جمع ظلمة وهي النازلة من نوازل الدنيا وحوادثها والظلم جمع الظلمة والمراد بها البدع والفتنة على سبيل
الاستعارة وظلمات الظلم من باب جرد قطيفة والغشاوة الغطاء والاغشاء التغطية ومنه قوله تعالى فاغشيناهم فهم لا يبصرون
والبهم جمع البهمة بالضم وهي ما يوقع في الحيرة لعدم معرفة وجهه من قولهم كلام مبهم اذا لم يعرف له وجه والتركيب ايضا
من باب جرد قطيفة يعني فعل الله تعالى في شأن الائمة ما فعل واكرمهم بما ذكر وجعلهم هادي الامة لما اراد الله تبارك وتعالى
ان يستنقذ من شاء من خلقه برحمته ورأفته ونجاتهم بسبب هداية الائمة واشراقات انوارهم من ظلمات البدع والفتن
اذا نزلت بهم ومن البهم الموجبة لحيرة عقولهم المغطية لبصائر قلوبهم اذا وردت عليهم ولما حمد الله على صفاته الذاتية
والفعلية التي من جملتها بعث الرسول ونصب الخلفاء اراد ان يدعو لهم استغاثة بارواحهم المقدسة المطهرة فيما هو بصدده
وامتثالا لقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه فقال وصلى الله عطف على قوله الحمد لله لانه في قوة الجملة الفعلية او على
قوله احمده على محمد واهل بيته الطاهرين المعصومين جميعا وان كان اهل البيت يطلق تارة على علي وفاطمة والحسن والحسين
عليهم السلام الاخيار جمع الخير بالتشديد اذ الخير بالتخفيف اسم تفضيل لا يثنى ولا يجمع كما بين في موضعه الذين اذهب الله عنهم
الرجس اللام للجنس او للاستغراق وطهرهم تطهيرا اقتباس لقوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم
تطهيرا ولما فرغ من التحميد والصلوة اراد ان يشير الى سبب تأليف هذا الكتاب فيه بطريق الاجمال ان رجلا من المؤمنين شكى
اليه الخلاف بين عقائدهم وافعالهم من اتفاقهم على الجهل بامر الدين وتعظيمهم لاهله لعلة بينهم من كتابته وزيادة ما شكى
وسأله هل يسعهم المقام على الجهل والتقليد بالآباء والاسلاف ام لا فاجاب بان الناس على صنفين صنف اهل الفترة والزمانة وصنف
اهل الصحة والسلامة وهذا الصنف لا يجوز لهم المقام على الجهل بل وجب عليهم التعليم والتعلم وبينه بكلام طويل ثم لما علم السائل
وجوب التعلم على هذا الصنف شكى اليه اختلاف الروايات وانه لا يعرف حقيته من باطله وتمييز صحيحه وسأله ان يصنف له كتابا جامعا

للروايات

للروايات الواردة في اصول الدين وفروعه فاجاب سؤاله وصنف هذا الكتاب ليكون مرجعا له ولسائر المؤمنين
الى يوم الدين فاشار الى ما ذكرناه اجمالا بقوله اما بعد فقد فهمت يا اخي ما شكوت من اصطلاح اهل دهرنا على
الجهالة اي من تراضيهم وتوافق آرائهم عليها وتجنبهم لاهلها واجتماع كلمتهم فيها واستحسانهم اياها لان كل حزب بما لديهم
فرحون والاصطلاح من الصلح وهو اسم بمعنى المصالحة والتصالح خلاف المخاصمة والتخاصم وتوازرهم اي تعاونهم
من الازر وهو القوة يقال آزرت فلانا اي عاونته والعامة تقول وازرته وسعيهم في عمارة طرقها وتزيينها
وتحسينها وترويج آثارها من اكتساب الخطيئات واقتراف السيئات ومودة الانذال ومعاشرة الارذال
لان كل ذلك سبب لشهرتها واتضاح امرها وميل اهل الطبع اليها ومباينتهم العلم واهله في لفظ المباينة اشعار
بان الفعل من الطرفين وفي ذلك لان العلم ضد الجهل فمن اتصف باحدهما وجب ان يتنفر ويجتنب عن الآخر واهله فكان
الجاهل يستنكف عن التحلي بالعلم والاستكمال بصحبة العلماء ومجالستهم كذلك العالم يستنكف عن التدنس بالجهل والارذال
بصحبة الجهال ومجالستهم ومما ينبهك على ذلك وان لم يكن من هذا الباب حكاية الخضر وموسى على نبينا وآله وعليهما السلام
فاذا كان الحال بين النبيين المقربين الكاملين في القوة العلمية والعملية ما قد تعلم فما ظنك بين غيرهما الظاهر لزوم الافتراق
ابين واجدر حتى كاد العلم معهم اي مع سوء معاملتهم وقبح افعالهم وشدة معاندتهم ان يأرز كله بتقديم الزاء المعجمة
على المهملة اي يجتمع كله في زاوية النسيان من ارزت الحية الى جحرها اذا انضمت اليها واجتمع بعضها الى بعض فيها
او ينقبض وينزوي من الهم والغم من ارز فلان يأرز ارزا وارزا وارزوزا اذا انقبض من بخله ولم ينبسط للمعروف وعلى التقديرين
في الكلام استعارة تبعية ويأرز بتقديم المهملة على المعجمة بمعنى يضعف غير بعيد والارز مشترك بين الضدين اعني
القوة والضعف وينقطع مواده بالكلية وهي الاخبار والآثار المروية عن المعصوم عليه السلام لما قد رضوا ان يستندوا
في اعمالهم وعقائدهم الى الجهل ويضيعوه واعلموه ويركنوا اليه وهو اشارة الى الاصطلاح والتوازر المذكورين
كما ان في قوله ويضيعوا العلم واهله اشارة الى المباينة المذكورة لانهم بسبب ذلك يلبسون الحق بالباطل وهم عن الحق
معرضون ويدرسون كتاب الجهل وهم به موقنون ويروجون مسائله وهم بذلك مبتهجون ويتبعون آثاره
من الخطيئات وهم على ذلك مفرطون ويمدحون الدنيا واهلها وهم اليهم متقربون ويذمون العلم واهله وعنهم
مجتنبون ويوحون الى قرنائهم زخرف القول في ذم العلماء وهم بذلك مستبشرون ويكرهون مجالسة الحكماء الذين
هم ورثة الانبياء وهم بهم مستهزؤون كذلك طبع الله في قلوبهم وهم عن ادراك الحق مبعدون فلذلك كاد العلم
ان يأرز وينقطع مواده ويتبرأ من عساكر الجهل الفقدة من ينصره الا قليلا من المؤمنين وسئلت هل يسع الناس المقام

بنصب الاول على المفعولية ورفع الثاني على الفاعلية على الجهالة في المعارف الحقيقية والامور الشرعية والرحب
من وسعة المكان اذا لم يضيق عليه ويستعمل كثيرا في معنى الجواز يقال يسعه ان يفعل كذا اي يجوز له ان يفعل والرحب
غير مضيق والمقام بفتح الميم وضمها لانه ان كان من قام يقوم فمفتوح وان كان من اقام يقيم فمضموم وهو على التقديرين
قد يكون مصدرا بمعنى القيام والاقامة وقد يكون اسما لموضع القيام ويجوز حمله هنا على كلا المعنيين لان الاول يناسب
الوسع بمعنى الجواز والثاني يناسبه بمعنى الضيق والدين بغير علم يستند الى معصوم شفاها او بواسطة رواة
ثقات اذ كانوا اخلف في الدين مقرين بجميع اموره على جهة الاستحسان من غير حجة وبرهان والظرف متعلق بالدخول
والاقرار على سبيل التنازع والنشو عليه نشا الصبي ينشا نشا على فعل بتسكين العين ونشوء على فعول بفتحتين وهو الاول
اذا كبر وشب ولم يتكامل بل في بعض النسخ والنشو قال الجوهري يقال رجل نشو اذا كان يدخل في اموره بلا تحقيق
والتقليد القلادة هي التي في العنق وقلدت المراة فتقلدت هي ومنه التقليد في الولاة والاعمال وتقليد الهدي
وهو ان يعلق في عنقه شيء ليعلم انه هدي للاباء والاسلاف والكبراء فقبلوا ما قبلوه وردوا ما ردوه من غير
ان يتمسكوا في ذلك بتمسك صحيح ومستند صريح كما هو المشاهد في اكثر هذه الامة ولو سالتهم عن وجه ذلك
لسكتوا بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون وفي الاتكال على عقولهم في دقيق الاشياء وجليلها
يعني في اصول العقائد وفروعها كما هو شان بعض من المتكلمين وتابعيهما وبعض الفقهاء المتمسكين بالادلة العقلية مثل القياس
والاستحسان والمفهومات وغيرها مما علم بطلانه شرع في الجواب عما سال السائل بقوله هل يسع الناس [illegible] عن حكاياته
والجبلات بما يزيلها لان تلك الخصال الذميمة قد صارت في اكثر الناس كالطبيعة الثانية فلا بد للعاقل اللبيب
من ان يتجرع كاس الغصص في تصبر صبرا جميلا ان الله تبارك وتعالى خلق عباده خلقة بكسرها النوع والحالة منفصلة
اي متميزة عن البهايم في الفطن جمع الفطنة وهي الفهم والذكاء رجل فطن وفطن ذكي فهيم وفي بعض النسخ في الفطر بالراء
جمع الفطرة وهي الخلقة من الفطر بمعنى الايجاد كالخلقة من الخلق وانها اسم للحالة ثم جعلت اسما للخلقة القابلة
لدين الحق على الخصوص وعليه الحديث المشهور كل مولود يولد على الفطرة ثم اسما لملة الاسلام نفسها لانها حالة
من احوال صاحبها وعليه قوله قص الاظفار من الفطرة كذا في المغرب وقد يرجح هذا على ما في الاصل بان الكلام في
اصل الخلقة والفطنة من الامور العارضة والعقول المركبة فيهم بالجر عطف على الفطن ويحتمل الرفع على الابتداء وقال
الجوهري بقوله تركب الفص في الخاتم والنصل في السهم ركبته فتركب محتملة بالنصب حالا عن العقول على الاول وبالرفع خبرا لها
على الثاني للامر والنهي بخلاف البهايم اذ ليست لها فطانة وذكاء ولا عقول بل يتعلق بها قوى جوانية لحفظ البدن

والاغتذا

والاغتذاء والنمو وتوليد المثل والاحساس والحركات الارادية وجعلهم بعد اشتراكهم في التكليف العقول منفيين صنفا
منهم بدلا وعطف بيان للمفعول الاول اهل الصحة والسلامة مفعولا ثانيا ومن قال ان صنفا منهم منصوب على انه بدل من
مفعولا ثاني لجعل واورد على قوله اهل الصحة والسلامة بانه لا محل له من الاعراب فقد اخطا وصنفا منهم اهل الضرر الضر
خلاف النفع والاسم الضر وهو الشدة والضرر ذهاب البصر والزمانة هي آفة في الحيوانات ورجل زمن اي مبتلى
بين الزمانة قيل المراد انهم ضرر وزمنا في الجوهر الباطني والاول اشارة الى قصور القوة النظرية التي يقال لها العقل
النظري والثاني الى اختلال القوة العملية التي يقال لها العقل العملي اقول الاولى حملها على كل ما يمنع من توجه خطاب التكليف
بالادب والتعليم لان المقصود بيان من يجوز له التقليد ومن لا يجوز واهل الضرر في العقل النظري واهل الزمانة في العقل
العملي قد لا يكونون من اهل التقليد ايضا ولا يتبين حالهم على احد فلا يكون في التقسيم كثير فائدة وههنا سؤال مشهور وهو
انه لم يخلقهم سواء وما الباعث على هذا التفاوت وما المصلحة فيه فاجاب الاشاعرة بانه فاعل مختار يفعل في ملكه ما يشاء
ويحكم ما يريد لا يسال عما يفعل وهم يسالون واجاب بعض الحكماء بان هذا التفاوت لتفاوت في القابلية والقابلية اذ القابلية
شرط في الافاضة وهذا الى الايجاب اقرب ومن ظاهر الشريعة ابعد واجاب بعض آخر منهم بانه لمصلحة نظام الكل الذي هو نظام
الكل منه لانه لو خلق كل فرد على الوجه الاكمل بالنسبة اليه وحده لفات نظام الكل من حيث هو كل او فات نظام كل فرد
اليه مثلا لو جعل كل فرد فاضلا عالما لما انتظم المصالح الجزئية التي لا بد في مزاولتها من خسة والحق ان لهذا التفاوت بواعث
ومصالح جمة والعقول الناقصة قاصرة عن معرفة تفاصيلها وقد سال المفضل بن عمر في توحيده عن الصادق عليه السلام حين ذكر عليه السلام
منافع ما في الانسان من العقل والقوى الظاهرة والباطنة وغير ذلك من الاعضاء وذكر مضار عدمها فقال المفضل فلم
صار بعض الناس يفقد شيئا من هذه الجوارح فيناله في ذلك مثل ما وصفته يا مولاي قال عليه السلام ذلك للتاديب والموعظة
لمن يحل ذلك به ولغيره بسببه كما قد يؤدب الملوك الناس للتنكيل والموعظة فلا ينكر ذلك عليهم بل يحمد من رأيهم ويصوب
من تدبيرهم ثم ان الذين ينزل بهم هذه البلايا من الثواب بعد الموت ان شكروا وانابوا ما يستصغرون معه ما ينالهم
منها حتى انهم لو خيروا بعد الموت لاختاروا ان يردوا الى البلايا ليزدادوا من الثواب فخص اهل الصحة والسلامة
القابلة عقولهم للادب والتعليم وخص بالغين المعجمة والصاد المهملة بالامر والنهي في المعارف الالهية والفروع الشرعية
وطلب منهم معرفة ذلك بالاستدلال على الوجه المعتبر وتعليمهم لغيرهم كما يشعر به قوله فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة
ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون بعد ما اكمل لهم آلة التكليف يعني القوى الباطنة
والظاهرة مع صحتها عن الآفات وخلوها عن الموانع ووضع التكليف عن اهل الزمانة والضرر اذ خلقهم خلقة غير محتملة

لادب والتعليم في المعارف اليقينية والقوانين الشرعية بالنظر والاستدلال ولبعض هنا كلام لا يخلو من مناقشة لانه
لونه فسر آلة التكليف بالعقل الذي يعرضه الجنون والاغماء وشبههما وفسر الفقر والزمانة بالاختلال كما في العقل
وهذا صريح بقرينة المقابلة فان رفع التكليف عن اهلها عند فقد العقل بالجنون ونحوه ثم خص الادب والتعليم
بالمعارف الالهية حيث قال اي غير محتملة للتاديب بالاداب العقلية والنسك الالهية والتعليم بالعلوم الحقيقية والمعارف
اليقينية العقلية كذا والاوفق انهما مكان بالاوامر والنواهي الشرعية والاعمال من الصلوة والطواف والزكوة والصيام
وغيرها من الاعمال البدنية هذه عبارته وفيه مسامحة ان القسم الثاني اذا فقد العقل كيف به يكون مكلفا بهذه الاشياء
فلبا ... وجعل عز وجل سبب بقائهم في الدنيا اهل الصحة والسلامة وجعل بقاء اهل الصحة والسلامة بالادب والتعليم
اذ لولا الادب والتعليم لكانوا كلهم بمنزلة البهائم ولفات الغرض من الايجاد ولو كانوا كذلك لما بقوا طرفة عين لعن الله
لا يدع الارض بغير عالم يعرف به الخلق من الباطل فلو كانت الجهالة جائزة لاهل الصحة ... للتعليل لاهل الصحة والسلامة ولم
يجب عليهم الادب والتعليم كما لم يجب على اهل الفقر والزمانة لجاز وضع التكليف عنهم كما جاز وضعه عن اهل الفقر والزمانة
وفي ذلك بطلان الكتب والرسل والاداب لان الغرض من انزال الكتب وارسال الرسل وتقرير الاداب هو التلقي
بما تضمنه الاول والتصديق بما جاء به الثاني وتزيين النفس وتحليها بالثالث ليحصل لهم بذلك نظام الدنيا وكمال
الآخرة واذا لم يجب عليهم ذلك بطل الغرض من هذه الامور واذا بطل الغرض بطل هذه الامور ولزم العبث
وفي رفع الكتب والرسل والاداب والقول بطلانها وفسادها فساد التدبير اي القول بانه ليس لهذا العالم صانع مدبر
يصنعه بتقدير وتدبير وعلم بعواقب الامور من دبر الامر اذا نظر في ادباره اي في عواقبه والرجوع الى قول اهل الدهر المنكرين
للحشر والنشر وبعث الانبياء والقائلين بان هذا العالم واجزائه من فعل الطبيعة باهمال لا بعلم ولا تدبير ولا صنعة فيه ولا تقدير
بل الاشياء تكون من غير اتيانها وكانت الدنيا لم تزل ولا تزال ويقولون ان هي الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا
الا الدهر وان شئت ان تعرف جملة من تقديرات ربك وتدبيرات الهك فعليك بمطالعة توحيد المفضل المنقول
عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلم وقد سمعت عمن اثق به ان السيد الجليل ابن طاوس رضي الله عنه اوصى الى بعض احبائه
وامره ان يطالعه ويمارسه والحق انه مع قلة حجمه كتاب يظهر لمن مارسه من العلم بالحكم الالهية والتدبيرات الربوبية
ما يكل اللسان عن صفته ويعجز البيان عن شرحه فوجب في عدل الله وحكمته اخبرا اي بتفسير ويعني الاخيرين قوله فيما بعد
فكانوا محصورين بالامر والنهي من خلق من خلقه خلقة محتملة للامر والنهي وهو من كان من اهل الصحة والسلامة
كاملا فيه آلة التكليف بالامر والنهي في الاحكام والمعارف والطرق متعلق بخص لئلا يكونوا سدى اي السدى يقع

البين

بضم السين وقد يفتح وكلاهما للواحد والجمع بمعنى المهمل يقال ابل سدى اي مهملة واسديتها اي اهملتها وذلك اذا تركتها
ترعى ليلا ونهارا بلا راع فقوله مهملين بدل او عطف بيان او صفة للتوضيح والتفسير وفي اهمالهم والتخلية بينهم
وبين نفوسهم غير ما ذكر من المفاسد ما لا يخفى وليعظموه بتحميده وتمجيده وتوصيفه بما يليق به من صفات الكمال ونعوت
الجلال ويوحدوه بنفي الشرك والتجزية ذهنا وخارجا ويقروا له بالربوبية اي بانه رب كل شيء ومالكه ومدبره
ولا رب سواه والرب من اسمائه ولا يطلق على غيره الا بالاضافة وليعلموا انه خالقهم منشئ بدء وجودهم وبقاؤهم
ورازقهم في كل ما ينتفعون به ويحتاجون اليه في التعيش والبقاء والرزق في اللغة ما ينتفع به وعند الاشاعرة
كل ما ينتفع به حتى غذاء كان او غيره مباحا كان او حراما وخصه بعضهم بالاغذية والاشربة وعند المعتزلة هو
كل ما صح انتفاع الحيوان به بالتغذي وغيره وليس لاحد المنع منه فليس الحرام رزقا عندهم اذ شواهد ربوبيته دالة
ظاهرة وحججه نيرة واضحة واعلامه لائحة العطف فيها للتفسير ويحتمل ان يراد بالشواهد طبايع الممكنات القابلة
للتربية الموصلة لها الى كمالاتها وبالحجج نفس تلك الكمالات وبالاعلام مجموع ذلك من حيث المجموع او ونسخ كل ممكن في حد ذاته وتنبيه
يليق به تدعوهم الى توحيد الله عز وجل وعلمه وقدرته وتدبيره وسائر صفاته وكمالاته وتبعثهم على التصديق بذلك
والجملة في محل النصب على انها حال عن فاعل الاخبار المذكورة وانما وضع الظاهر موضع الضمير للتبرك بذكر الله وللاشارة
اجمالا الى ان الله المذكور جامع لجميع كمالاته ايضا كما اشرنا اليه وتشهد اي تلك الشواهد والحجج والاعلام على انفسها لصانعها
بالربوبية والالهية لما فيها من آثار صنعه وعجائب تدبيره فان من نظر بقلب سليم وعقل صحيح الى احوال هذا العالم وكيفية
نضدها ونافعها واحوال الافلاك وكيفية حركتها من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق واحوال الشمس
في طلوعها وغروبها وانتقالها من برج الى برج لاقامة دور السنة والفصول ومنافعها التي من جملتها نشو النبات
ونموها وادراك الثمار والغلات وضبط الاوقات للديون والمعاملات واحوال القمر في انارته ونقصانه وزيادته
وحركته في منازله ومنافع هذه الامور واحوال المتحيرة في اختلاف حركاتها كما وكيفا وجهة وانتقالاتها واقترانها
واستقامتها ووقوفها ورجوعها وما يترتب على هذه الامور من المنافع واحوال السفليات مثل الارض والماء والنار
والهواء والسحاب المسخر بين السماء والارض وانتقاله من موضع الى موضع وافاضة الماء في وقت وفي محل دون وقت
ومحل آخر واحوال المعدنيات مثل الذهب والفضة والياقوت والزبرجد والزمرد والفيروزج والحديد والنحاس والرصاص
والزيبق والكبريت والقار والموميا وغيرها مما يشتد حاجة الناس اليه ويكثر منافعه واحوال الحيوانات وفوائدها
ومنافعها وخواصها واهتدائها الى مصالحها في معاشها وبقائها وفرارها عما يضرها وميلها الى ما ينفعها ومن جملتها الذرة

الحقيرة وهي مع حقارتها وصغرها يجتمعن في جمع القوت واعداده بالمعاونة في نقله الى بيوتهن ثم يقددن ويقطعن
الحب لكيلا ينبت ولا يفسد ومنها الزنبور فانه يعمل بيوتات مسدسات ومخمسات متجاورات من غير فرجة وقد
يعجز عن مثلها المهرة من ارباب الهندسة واحوال الانسان وما فيه من القوى والحواس والاعضاء والجوارح والعروق
الساكنة والمتحركة والنفوس القابلة للعروج الى اعلى عليين والنزول الى اسفل السافلين واحوال الجنين واحتجابه في ظلمات
ثلث ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة حيث لا حيلة له في طلب الغذاء ولا دفع الضرر ولا جلب النفع كيف يجري اليه
في تلك الاحوال جميع ما يحتاج اليه وكيف يجعل له ثدي الام بمنزلة الاداوتين وكيف يجعل له الدم لبنا خالصا وكيف
يحرك حوشنة لطلب الغذاء عرف ان كلا من هذه الامور وغيرها مما لا يعد ولا يحصى بابداع صانع عليم خبير قدير يدبر امر
كل ذرة من ذرات هذا العالم بعلم وقدرة وتدبير لا اله الا هو تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وندبهم اي
دعاهم الى معرفته اي معرفة ذاته وصفاته وشرايعه واحكامه كما يرشد اليه قوله لكونه لا يبيح لهم ان يجهلوا
دينه الذي شرعه لنظام احوالهم وانقيادهم بالعبودية واحكامه الحسنة المعروفة لان الحكيم لا يبيح الجهل به والانكار
لدينه لارباب الاستعداد واهل الصحة والسلامة ولعل المراد بالانكار الجهل بناء على ان انكار الشيء يستلزم الجهل به
فيطبق الدليل على المدعى فقال جل شانه وعز الغار تفصيل لقوله ندبهم او تعليل له او لقوله لان الحكيم لا يبيح الجهل به والانكار
لدينه الم يوخذ عليهم انكار للنفي اي اخذ على اهل الكتاب ميثاق الكتاب اي الميثاق المذكور في الكتاب وهو التورية والميثاق
العهد ان لا يقولوا على الله الا الحق وهو القول باشتراط التوبة في غفران الذنوب حتما وفيه ان ما ذهب اليه اليهود من اثبات
المغفرة بغير توبة والبت عليها نقض لميثاق الكتاب وافتراء على الله وتقول عليه بالبهتان وان لا يقولوا عطف بيان
للميثاق ومتعلق به اي بان لا يقولوا وقيل المراد بميثاق الكتاب في الآية في التورية من ارتكب ذنبا عظيما فانه لا يغفر الا بالتوبة
وح قوله ان لا يقولوا مفعول له ومعناه لئلا يقولوا والآية وان نزلت في سبب مخصوص كما ذكره المفسرون الا انا قد بينا في الاصول
ان خصوص السبب لا يخصص عموم الحكم وعلى هذا دلت الآية على انه يجب على هذه الامة ايضا ان يقولوا الحق ويحرم عليهم ان يقولوا
في صفاته وافعاله واحكامه وشرايعه بالبهتان وان يثبتوا له ما هو منزه عنه من الولد والصاحبة والتجسيم والتحديد
والتشبيه وغير ذلك وقال بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه قال القاضي وصاحب الكشاف بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن
اول ما سمعوه وفي بديهة السماع قبل ان يفقهوه ويتدبروا آياته ويعلموا كنه امره ويقفوا على تاويله ومعانيه وذلك
لفرط نفورهم عما يخالف دينهم ومفارقة دين ابائهم كالناشئ على التقليد اذا احس بكلمة لا توافق ما نشا عليه والفه
وان كانت اضوء من الشمس في ظهور الصحة وبيان الاستقامة انكرها اول وهلة واشمأز منها قبل ان يحل ادراكها

بحاسة سمعه من غير فكر في صحة او فساد لانه لم يشعر قلبه الا صحة مذهبه وفساد ما عداه من المذاهب
عما بين الابيتين دلالة واضحة على الذهاب الى معرفة الحق والقول به وذم الجهلة والمنكرين لدين الحق فكانوا اي اهل الصحة
والسلامة محصورين بالامر والنهي في المعارف والاحكام اي محبوسين بها لا يجوز لهم التفارق عنهما والتمايز جهاتهم
او الى غيرهم من اهل الضرر والزمانة مامورين بقول الحق فيهما والاضافة بيانية او من اضافة المصدر الى المفعول غير رخص
لهم بفتح الخاء والظرف قام مقام الفاعل وبكسرها والفاعل هو الله في المقام بالفتح والضم مصدر على الجهل بدين الحق واحكامه
امرهم بالسؤال والتفقه في الدين بمنزلة التعليل لما مر فلذلك ترك العاطف فقال فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا
في الدين بمنزلة التعليل ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم قال القاضي وصاحب الكشاف فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة
واهل بلدة جماعة قليلة ليتكلفوا الفقاهة في الدين ويتجشموا المشاق في اخذها وتحصيلها وليجعلوا غرضهم ومرمى
همتهم في التفقه ارشاد القوم وانذارهم والنصيحة لهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على انه ينبغي ان يكون غرض المتعلم
فيه ان يستقيم في نفسه ويقيم غيره لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد والتشبه بالظلمة في ملابسهم ومراكبهم كما هو شان
بعض المتفقهين اورد عليهما بعض الافاضل وتبعه بعض آخر بانهما جعلا الانذار والنصيحة آخر القصد ومرمى الهمة في التفقه
ولم يتعرضا بانه مما لا يساعده اللفظ لوجود العاطف في التعليل فيكون لينذروا عطفا على ليتفقهوا باعادة لام العلة ولو لم يكن
الواو وكان لما ذكراه وجه اقول نسبة عدم التفطن بالعاطف الى مثلهما سيما الى صاحب الكشاف المبارز في علم العربية لعوانيهما في غاية
البعد ولعلهما ارادا بذلك من عدم التفطن بمقصودهما لان مقصودهما ان مجموع التفقه في الدين وتفهم الاحكام واصول القواعد
على اليقين مع انذار القوم وارشادهم اليها وان كان غاية السعي والنفر لكن الظاهر ان الانذار غاية النفر بواسطة التفقه اذ لا يمكن
حصوله بدونه فهو بحسب الحقيقة والمعنى غاية التفقه وان كان في العبارة بظاهر العطف غاية النفر فهما جعلا الانذار غاية التفقه
رعاية لجانب المعنى وتنبيها على ما ذكرناه وقال فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون امرهم بالسؤال المعلق بعدم العلم ولم يجوز
لهم البقاء على الجهالة والمقدم هنا جزاء الشرط عند من جوز تقديمه عليه ودليل على الجزاء المحذوف بعده عند طائفة والشرط
حال الاحتياج الى الجزاء عند آخرين فلو كان يسع اهل الصحة والسلامة المقام على الجهل لما امرهم بالسؤال وفيه دلالة على ان الامر للوجوب
اذ استحباب السؤال لا ينافي جواز المقام على الجهل ولم يكن يحتاج الى بعثة الرسل بالكتب والآداب لان البعثة على هذا التقدير
عبث اذ الغرض منها تكميل الخلايق وتهذيبهم فاذا لم يجب عليهم قبول ذلك وجاز لهم المقام على الجهل بطل الغرض واذا بطل
الغرض لزم العبث واذا لزم العبث لزم عدم الاحتياج الى ما ذكر وكلمة عدم الاحتياج الى ما مر من نفي التدبير والرجوع
الى اهل الدهر والى ما اشار اليه بقوله فكانوا اي اهل السلامة يكونون عند ذلك اي بعثة الرسل بالكتب والآداب بمنزلة البهائم

ومنزلة اهل الفترة والزنادقة في عدم الفرق بين الحق والباطل وعدم التمييز بين العارف وغيرها وقيل الان بين الفريقين
فرق لان اهل الفترة والسلامة لهم عذاب اليم في القيمة لانهم ابطلوا استعدادهم وافسدوا مراة بصيرتهم دون
الطايفة الاخيرة لانهم مختوم على قلوبهم في الازل وفيه نظر لان المفروض عدم وقوع التكليف بشيء اصلا فكيف يكونون
معذبين في القيمة والعذاب انما يكون بترك التكاليف ولو كانوا كذلك اي بمنزلة البهايم واهل الفترة والزنادقة لما بقوا
طرفة عين ولهلكوا دفعة واحدة من غير مهلة لان حكمة الله تقتضي عدم بقاء الارض ومن عليها بدون شريعة ودين
واصحاب معرفة ويقين فلما لم يجز بقاؤهم الا بالادب والتعليم وجب انه لا بد لكل صحيح الخلقة كامل الالة من مودب
ودليل ومشير ليحصل التادب بالاداب باعانته وارفاقه والارشاد الى الحق بدلالته وارشاده واوامره ونواهيه ليسلك
سبيل الخيرات بزواجر امره ويترك سبيل المنهيات بزواجر نهيه وادب وتعليم ليكتسب الذهن من نورهما جلاء ويقتبس
العقل من ضوئهما صفاء وسوال ومسئلة ليرفع عن وجه القلب نقاب الجهالة ويزيل عن ساحته حجاب الضلالة لان شفاء
العي هو السوال كل ذلك ليستكمل القوة النظرية والعملية على مراتبهما ويتخلى النفس عن الرذائل ويتحلى بالفضائل ويخرج
الى حد الكمال من حد النقصان وتشاهد القوى الادراكية مشاهدة العيان وتدرك جلال الحق في مراة ذاته ولا تغفل
طرفة عين عن افعاله وصفاته ففي كل وقت يحصل لها الشوق والسرور بالله ولقائه ويخرجها من الظلمات الى النور فاحق
ما اقتبسه العاقل من المودب والدليل يقال اقتبست منه علما اي استفدته والتمسه اي طلبه بالمسئلة والسوال
السديد من الفطن سعيه للموفق المصيب العلم بالدين ومعرفة ما استعبد الله به خلقه اذ بهذين العلمين يخرج الخلق
من ظلمات الجهالة ويعلمون كيفية الخروج عن غشاوة الغواية والضلالة وبذلك يحصل لهم اصابة قرب رب العالمين
ورفاقة من انعم الله عليه من الانبياء والملئكة المقربين وحسن اولئك رفيقا من توحيده بيان للدين اي العلم بالدين هو
التصديق بوحدانيته وصفاته اللايقة به ويندرج فيه التصديق بملائكته وكتبه ورسله واوصياء رسله وبما
اخبر به الرسل من احوال الاخرة مثل الحشر والنشر والحساب والميزان والصراط والجنة والنار وغير ذلك من احوال القيمة
وشرايعه واحكامه وامره ونهيه وزواجره وادابه بيان لما استعبد الله خلقه اذ كانت الحجة ثابتة على صحيح الخلقة
كامل الالة وهذا تمام ما عطف عليه دليل على ان العلم بالدين ومعرفة ما استعبد الله به خلقه احق الاشياء من اهل الالتماس
والتكليف لازما لما عرفت من الدليل والعقل يسير امر ما فيه من الضروريات التي لا يمكن البقاء بدونه كالنوم وتحصيل الغذاء
واللباس ونحوها فلا يمنع العلم اللازم والاحق وهو الامور المذكورة والتسويف غير مقبول لان العمر لا يفي بذلك
ولان التكليف ثابت في وقت التسويف ايضا والشرط من الله جل ذكره فيما استعبد به خلقه ان يودوا جميع فرايضه بعلم

ويقين

ويقين وبصيرة لقول الله ولا تقف ما ليس لك به علم وقوله فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقوله فلم تحاجون
فيما ليس لكم به علم وقوله فلولا نفر الاية الى غير ذلك من الايات الدالة على اشتراط العلم والبصيرة في العمل ليكون المودي
لها محمودا عند ربه من الطاف الخفية وعناياته الجلية انه مع كمال استغنائه عن الخلق يقابل حمدهم بالحمد وشكرهم
بالشكر وذكرهم بالذكر كما قال جل شانه اذكروني اذكركم وفي الحديث قال الله من ذكرني في ملاء من الناس ذكرته في ملاء خير من ملائه
مستوجبا لثوابه وعظيم جزائه لان الثواب والجزاء انما يترتب على فعل المامور به وترك المنهي عنه ولا يتم ذلك الا بالعلم والبصيرة
بهما لان الذي يودي بغير علم وبصيرة لا يدري ما يودي ولا يدري الى من يودي لظهور ان من لم يعرف ربه ولم يعلم اوامره
ونواهيه لا يدري ما يفعل ولا لمن يفعل ولا من يتقرب اليه فلو فعل شيئا لم يكن في ذلك عبادة لان العلم اصل العبادة والتقرب وجه
فاذا لم يتحقق لم يتحقق العبادة واذا كان جاهلا لم يكن عالما بنفسه مما ادى فلا يصدق بانه ادا وهو المطلوب ويترتب عليه الثواب
والجزاء لان المصدق لا يكون مصدقا حتى يكون عارفا بما صدق به من غير شك ولا شبهة اذ لم يكن للطالب بعد الشعور
بالمطلوب رجحان باحد طرفيه كان له شك فلا يكون عارفا بما صدق به وان كان له رجحان فان لم يكن لذلك الرجحان مستند
الى دليل كان له تقليد وان كان مستندا الى دليل فان كان ذلك الدليل ظنيا كان له ظن وهذان قد اشتركا في ان تصديقهما قابل للشبهة
فليس تصديقهما في الحقيقة تصديقا لزواله بسهولة عند توارد الشبهات فلا يكون لهما معرفة وتمسك بحسب الحقيقة وان كان
ذلك الدليل برهانا مفيدا لليقين كان له تصديق قطعي وعلم يقيني غير قابل للشبهة ومصدق بحسب الحقيقة وعارف بما صدق به
وهذا التصديق هو المطلوب في دين الحق ومعارفه لان الشاك بدين الحق الغير الثابت الذي يكون بزوال المعرفة بتوارد الشبهات
لا يكون له من الرغبة والرهبة والخضوع والتقرب مثل ما يكون من العالم المستيقن بالله وصفاته وبدينه الذي شرعه للتقرب
اليه ولصلاح الخلق عاجلا واجلا كما قال عز شانه انما يخشى الله من عباده العلماء وقال وهل يستوي الذين يعلمون والذين
لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب وقد قال الله عز وجل الا من شهد بالحق وهم يعلمون قيد الشهادة بالعلم وجعله شرطا
لقبولها به فصارت الشهادة مقبولة لعلة العلم بالشهادة اي بالامر المشهود ولولا العلم بالشهادة لم يكن الشهادة مقبولة ضرورة
انتفاء المشروط بانتفاء الشرط ولا شبهة في ان شهادة الامور الدينية والمعارف اليقينية داخلة تحت هذا الحكم بل هي من اعظم
الشهادات فهي مشروطة بالعلم قطعا والاظهر الثاني الظاهر ان المراد بالشاك من ليس له رجحان وتصديق اصلا ومن كان له
رجحان مستند الى تقليد او الى دليل ظني بقرينة تقييد العلم فيما سيأتي باليقين فيفهم منه ان الشاك يشمل الاخيرين لقوله حجاجا
تشكيكا وشبهة المودي لفرايض الله بغير علم وبصيرة قلبيه بتلك الفرايض الى الله جل ذكره اي الى مشيته من غير ان يكون
قبوله واجبا عليه كما هو الواجب في صورة العلم ان شاء تطول عليه بقبول عمله وان شاء رده عليه هذا ان اتفق اصابته

في العمل ان قلت اصحاب التقليد مع تحقق الاصابة مؤمنون من اهل الجنة غايته ان ايمانهم دون ايمان اصحاب اليقين من ارباب
المكاشفة والبراهين في درجاتهم دون درجاتهم فكيف يصح الرد عليهم قلت اولا كون اعتقادهم ايمانا يوجب ترتب القبول
والثواب والجزاء عليه غير معلوم وثانيا ان الايمان التقليدي قابل للزوال بطريان ادنى شبهة خصوصا عند حضور الموت
واضطراب النفس في القاء الشياطين شبهات متكاثرة فربما ينهدم اعتقاده بتلك الشبهات لعدم ابتنائه على اصل ثابت واساس
قائم ولقد سمعت من اثق به انه قال كانت لعجوزة دعوى على احد بالجزئي فمرضت مرضا شديدا وحضرتها في حال الاحتضار
وكررت الشهادتين عليها وهي لم تتكلم بها فلما بالغت في ذلك قالت ان هذا الذي حاضر يقول لا تكلمي بها فانها تمنعك من
اخذ حقوقك من فلان فماتت وربما يظهر عنده خلاف بعض عقائده وبطلانه فيصير ذلك سببا لعدم وثوقه باعتقاده
اعتقاداته فيتردد فيها وربما يميل قلبه الى حب زهرات الدنيا وشهواتها فيشتغل بها ويغفل عن امور الآخرة لعدم
كونه واثقا بها ثابتا عليها فيزهق روحه وهو على تلك الحالة مسلوب الايمان نعوذ بالله من هذه المفاسد وهذا هو المراد بقوله
ان شاء تطول عليه فتقبل عمله وان شاء رد عليه يعني ان مشية الله في شانه لكونه متزلزلا غير ثابت غير معلومة ان
شاء ابقاه على ما كان عليه بفضله وان شاء وكله الى نفسه وهذا بخلاف العالم الثابت المنور قلبه بنور ربه فانه لما كان مستيقنا
شاهدا لما في الملك والملكوت بعين البصيرة عارفا بالمطالب عالما بالمفاسد وبحقارة الدنيا وزينتها كان له قدرة تامة على ان
يدفع عن نفسه جميع هذه المفاسد بعون الله تبارك وتعالى ونقل عن بعض المشايخ العارف الكامل انه قال في حال الاحتضار
حضر في ذلك اللعين والقى علي شبهات كثيرة وانا اجيبت عن كل واحدة واحدة منها ببراهين قاطعة فالحمد لله فعلم ان
علمي نفعني في الدنيا والآخرة والله الموفق والمعين والى ما ذكرنا اشار بقوله لان الشرط عليه من الله ان يودي المفروض بعلم
وبصيرة ويقين كيلا يكون ممن وصفه الله فقال تبارك وتعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف قال القاضي اي على طرف من
الدين لا ثبات له فيه كالذي يكون على طرف الجيش فان احس بظفر قر والا فر فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة
انقلب على وجهه قال ايضا روى انها نزلت في اعاريب قدموا الى المدينة فكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا
سريا وولدت امراته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن به وان كان
الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبي ص
فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت خسر الدنيا والآخرة اما خسران الدنيا فلابتلائه بالمصائب والفتن وذهاب
الاموال والاولاد واما خسران الآخرة فلذهاب عصمته وحبوط عمله وفساد دينه بالارتداد ذلك هو الخسران المبين لفوات
راس ماله الذي هو حبوته في الدنيا وحبوته في الآخرة ولا خسران اظهر من ذلك وانما كان شانه ذلك لانه كان اخلاقه في الدين

بغير

بغير علم ولا يقين فخرج منه كما دخل فيه وقد قال العالم عليه السلم المراد به هنا موسى بن جعفر عليهما السلم وقيل هو المراد من العالم
اذا اطلق ويقال له الكاظم وابو الحسن على الاطلاق وابو الحسن الاول والعبد الصالح وابو ابرهيم ويقال ابو الحسن الثاني للرضا وابو الحسن
الثالث للهادي ع وابو عبد الله للصادق عليه السلم وابو جعفر على الاطلاق وابو جعفر الاول للباقر ع وابو جعفر الثاني للجواد ع
والماضي وابو محمد للعسكري ع من دخل في الايمان بعلم ثبت فيه ونفعه ايمانه ومن دخل فيه بغير علم خرج منه كما دخل اي منه
بغير علم اما لشبهة او لغرض من اغراض نفسانية وفيه ايماء الى تساوي الايمان وعدمه عنده فليس لاستقراره فيه ولا خروجه
عنه وقال عليه السلم من اخذ دينه اي فرايضه او طريقه وسبيله الى الحق وثوابه من كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله عليه
بفهم وبصيرة زالت الجبال قبل ان يزول الضمير المستكن راجع الى من او الى دينه وفيه على التقديرين مبالغة في استقراره
على الدين وعدم احترازه بصرصر الشبهات وهبوب رياح الاغراض والبليات لحصول اعتقاده بعلم ويقين وابتنائه
على اصل متين ومن اخذ دينه من افواه الرجال تقليدا لهم واتباعا لآثارهم واقتفاء لافعالهم واقوالهم رده الرجال
عنه بالقاء ادنى الشبهات واضعف التدليسات لعدم تمسكه بمستند شديد واصل سديد فهو كنبات يابس تكسره حوادث الزمن
وتقلبه رياح الفتن وفيه ايماء لطيف الى ان المقلد لابد ان ينقلب من حال الى حال لان متابعته للاول الى حين ما ومتابعته للآخر فاذا اختلفا
بقي متحيرا مترددا في قبول قول احدهما دون صاحبه فيخرج من طريق الحق وقال عليه السلم من لم يعرف امرنا اي شاننا في الامامة وشرايط الخلافة
والوراثة من القران بل اخذ بمجرد التقليد والاستحسان لم يتنكب الفتن تنكبها تجنبها وتباعد عنها يعني لا يقدر على العدول عنها ولا يامن
من الوقوع فيها لان فتنة الشبهة والشكوك قد تزيله عن عقائده وفيه دلالة على وجوب الاستدلال في الاصول ولهذه العلة بعينها وهي
ان من اخذ دينه من افواه الرجال ردته الرجال ومن لم يعرف امرنا من القران وقع في الفتنة انبثقت على اهل هذا اي جرت عليهم
في النهاية انبثق الماء انفجر وجرى في المفرب بثق الماء بثقا فتحه بان خرق الشط او السكر وانبثق هو اذا جرى بنفسه من غير خرق والبثق
بالفتح والكسر الاسم شبه هذه الاديان الفاسدة على انبثقت شبه الاديان الفاسدة بالسيول واثبت لها البثوق التي هي جمع
البثق بمعنى الشق ففيه استعارة مكنية وتخييلية واثبت البثوق واسند الفعل اليها مع ان استناده الى هذه الاديان الشبهة
بالسيول والى التنبيه على ان هذه الاديان قد احدثت في دين الحق ثلما متكثرة وخللا متفاحشة متعددة لا يمكن تداركها وسدها
وفي بعض النسخ انبثق بالبين الجهالة معنا وطالت عليهم فروع هذه الاديان واغصانها من انبثق النخل اذا طالت باسقاتها وتوغلت
وفيه ايضا استعارة مكنية وتخييلية وما في الاصل احسن انقرع المذاهب المتشعبة وهي اثنان وسبعون لقوله ستفترق امتي على ثلث
وسبعين فرقة الناجية منها واحدة التي قد استوفت شرائط الكفر والشرك كلها لان اصحاب هذه المذاهب مخلدون في النار كما
يقتضيه الحديث المذكور وغيره ولا معنى للكفر والشرك الا ما يوجب الخلود فيها وذلك المذكور يعني اخذ الدين من كتاب الله وسنة

واخذه من افواه الرجال بتوفيق الله جل وعز وخذله لانه التوفيق توجيه الاسباب نحو المطلوب الخير وهو يرجع الى لطفه
واعانته على الطلبة ولابد من وقوع ذلك لكل من تمسك بذيل رحمته لقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان
الله لمع المحسنين والخذلان عدم الاعانة لمن اعرض عنه والحاصل انه هدى عباده اجمعين طريق الخير وطريق الشر فمن اختار
طريق الخير اعانه عليه ومن اختار طريق الشر وكله الى نفسه فلا جبر ولا ظلم والله ليس بظلام للعبيد فمن اراد الله توفيقه وان
يكون ايمانه ثابتا مستقرا في لفظه مستقرا ايماء الى ان لعقل العبد مدخلا في ثبوت ايمانه سبب له الاسباب التي تؤدي الى ان
ياخذ دينه من كتاب الله وضع الظاهر موضع الضمير لزيادة التعظيم والتكريم وسنة نبيه صلى الله عليه وآله بعلم ويقين
وبصيرة قلبية بها يسلك سبيل المعارف ويشاهد كمال الله وجماله وجلاله فذاك اثبت في دينه من الجبال الرواسي اي الثوابت
لان زوال الاعتقادات انما يكون بتطرق الشبهات وتصادم التدليسات ولا سبيل لها اليه ومن اراد الله خذلانه وان
يكون دينه معارا مستودعا نعوذ بالله منه سبب له اسباب الاستحسان اي جعل دينه ومبناه فعل بعقله ما رآه حسنا مثل القياس
واصالة البراءة ومفهوم اللقب ومفهوم الصفة الى غير ذلك من المحسنات العقلية في اصول العقائد وفروعها والتقليد للاباء
والكبراء والتاويل في المجمل والمتشابه وغيرهما بمجرد رايه من غير علم وبصيرة ناشية من الكتاب والسنة وقول اهل البيت عليهم السلام
فذاك في المشية ان شاء تبارك وتعالى اتم ايمانه ووفقه لسلوك سبيل النجاة وان شاء سلبه اياه ووكله الى نفسه والنفس الامارة
بالسوء فتورده موارد الهلكات ولا يؤمن عليه ان يصبح مؤمنا ويمسي كافرا او يمسي مؤمنا ويصبح كافرا ومثاله كمثل مسافر لا بصيرة
له وقد صادفه طريقان احدهما يوصله الى المطلوب والآخر يبعده عنه فان سلك الاول فقد اهتدى وان سلك الآخر
فقد ضل وكمثل مسافر سلك طريقا مخوفا قد كثر فيه السباع وقطاع الطريق فان سلم منهم فقد رشد والا فقد هلك لانه
كلما راى كبيرا من الكبراء مال معه من غير علم بان ذلك حق او باطل وقد ذمهم سبحانه بقوله واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله
قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا او لو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وحكى عنهم بقوله يوم تقلب وجوههم في النار
يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب
والعنهم لعنا كبيرا وكلما راى شيئا استحسن ظاهره قبله لاستيناس قلبه بظواهر المحسوسات واستيحاشه عن بواطن المعقولات
اذ المعقولات انما تدرك بعلوم برهانية وانوار ربانية وهي مفقودة فيه ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فلذلك
اغلق قلبه عن معرفة الاشياء على ما هي عليه وعن معرفة الاحكام واحوال الآخرة التي بها قوام الايمان وثباته وقد قال
العالم عليه السلام ان الله عز وجل خلق النبيين على النبوة فلا يكونون الا انبياء ولا يتزايلون عن صفة النبوة اصلا وخلق
الاوصياء على الوصية فلا يكونون الا اوصياء ولا يتفارقون عن معنى الوصاية والخلافة ابدا واعار قوما ايمانا فان

فان شاء تممه لهم وان شاء سلبهم اياه وفيهم جرى قوله فمستقر ومستودع مستقر بفتح القاف وكسرها على اختلاف القراءة
جارية في النبي والوصي فبالفتح اسم مفعول يعني مثبت في الايمان او اسم مكان يعني له موضع استقرار وثبات فيه وبالكسر اسم فاعل يعني مستقر
ثابت فيه ومستودع بفتح الدال اسم مفعول واسم مكان جارية في المعار واعلم ان الايمان والكفر طريقان متقابلان ولكل منهما سالك
والسالك على طبقات متفاوتة فالطبقة الاولى للايمان من وضع القوانين الشرعية بامر الله وهم الانبياء الذين ايدهم الله بروح
النبوة وروح القدس والثانية اوصياؤهم الذين ايدهم الله بروح الامامة واذا قبض الانبياء انتقل روح القدس الى اوصيائهم
وهو لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو وبه يعرفون ما تحت العرش الى ما تحت الثرى ويشاهدون ما كان وما هو كائن وما
يكون في الدنيا والآخرة والثالثة التابعون لهم في الاقوال والعقائد والمسلمون لهم في جميع اوامرهم ونواهيهم والرابعة
اصحاب التقليد والاستحسان الذين ينظرون في ظواهر ما شاءوا وياخذون منها ما راوه حسنا ويتركون ما عدوه قبيحا والطبقة
الاولى للكفر من وضع القوانين الفاسدة لشبهات شيطانية وتوهمات نفسانية كرؤساء الملاحدة والمجسمة ونحوهم
للاديان الفاسدة والثانية المتعلمون لتلك الشبهات بتعليمهم والمروجون لتلك الاديان بامرهم وتفهيمهم وهم بمنزلة اوصيائهم
مقابل اوصياء الانبياء عليهم السلام والثالثة التابعون لهم واهل التسليم لعقائدهم وافعالهم واعمالهم والرابعة اصحاب التقليد
والاستحسان وحال الكل في الهداية والضلالة والرسوخ وعدمه ظاهر الا اصحاب التقليد والاستحسان من الفريقين فان
الايمان والكفر فيهما معاران مستودعان فان شاء الله تممهما لهم وان شاء سلبهم اياهما ومن ثم ترى المؤمن قد يرتد فيصير كافرا
بعد ما كان مؤمنا والكافر يرجع ويصير مؤمنا بعد ما كان كافرا نعوذ بالله من سوء العاقبة وذكرت ان امورا قد
اشكلت عليك لا تعرف حقائقها لاختلاف الرواية اختلافا يوجب الاخذ ببعضها طرح البواقي لعدم امكان الجمع بينها بوجه
وانك تعلم ان اختلاف الرواية فيها لاختلاف عللها واسبابها من جملتها اغراض نفسانية وتقربات سلطانية وتحصيلات شيطانية
لقوم سولت لهم انفسهم فوضعوا الاحاديث لتثبيت عقائدهم على وفق مقاصدهم كما حكي ان غياث بن ابراهيم دخل على المهدي
العباسي وكان المهدي يحب المسابقة بالحمام فروى عن النبي صلى الله عليه وآله انه لا سبق الا في خف او حافر او نصل او جناح فامر له المهدي
بعشرة الاف درهم فلما خرج قال المهدي اشهد ان قفاه قفا كذاب على رسول الله ما قال رسول الله او جناح ولكن هذا اراد ان
يتقرب الينا وامر بذبح الحمام وقال انا حملته على ذلك وقد وضع المنافقون في الزنادقة والغلاة والخوارج احاديث كثيرة
وحكي ان بعضهم كان يقول بعدما رجع عن ضلالته انظروا الى هذه الاحاديث عمن تاخذونها فانا كنا اذا راينا رايا وضعنا له حديثا
ومنها توهم الراوي فربما سمع حديثا ولم يحفظه على وجهه ووهم فيه فلم يتعمد كذبا وهو في يده يقول به ويعمل به ولو علم انه وهم فيه
لرفضه ولو علم المسلمون انه وهم لرفضوه ومنها التقية اذ كثيرا ما كانوا عليهم السلام يفتون على سبيل التقية والخوف من التهمة والقتل

ومنها عدم علم الراوي بالناسخ فربما سمع الامر بالشيء ثم نهوا عنه وهو لا يعلم او سمع النهي عن الشيء ثم امروا به وهو لا يعلم
فعلم المنسوخ ولم يعلم الناسخ فيروي المنسوخ ويعمل به ولو علم هو والمسلمون عنه انه منسوخ لرفضوه وذكرت انك لا تجد
بحضرتك حضرة الرجل قربه وفناؤه من تذاكره وتفاوضه فاوضه في الامر اي جاراه ومفاوضة العلماء ان يعطي كل واحد
منهم ما عنده من العلم صاحبه وياخذ ما عند صاحبه وهي المساواة والمشاركة مفاعلة من التفويض وهو رد الامر
الى الغير ممن تثق بعلمه فيها اي في الروايات حتى يكشف لك عن وجهها حجاب الاختلاف وقلت انك تحب ان يكون عندك
كاف يجمع من جميع فنون علم الدين الفنون الانواع والافانين الاساليب وهي اجناس الكلام وطرقه والمراد بها هنا اصول المعارف
وفروعها على اختلاف انواعها ما يكتفي به المتعلم ويرجع اليه المسترشد وياخذ منه من يريد علم الدين والعمل به
ليكون تبصرة للطالبين وتذكرة للعالمين وتحلة للعاملين بالآثار الصحيحة متعلق بيجمع او بياخذ او بعلم الدين وظرف
مستقر حال من كتاب عن الصادقين عليهم السلام والسنن القائمة المراد بالسنة هنا الطريقة النبوية الشاملة للمندوبات
والمفروضات وغيرها والمراد بقيامها دوامها واستمرارها واتصال العمل بها الى يوم القيمة التي عليها العمل وبها يؤدي
فرض الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله تقديم الفرض للوضعين المحصور المراد بالسنة هنا خلاف الفرض بقرينة
المقابلة او ما يعم من الندب الفرض تخصيص الفرض المذكور بما ثبت بالقرآن فقد طلبت كتابا يكون العامل به مؤديا
جميع ما عليه من معرفة احوال المبدا والمعاد ومعرفة الفروع كلها وقلت لو كان ذلك اي لو وجد الكتاب المذكور رجوت
ان يكون ذلك سببا يتدارك الله استدركت ما فات وتداركته بمعنى وفيه اشارة الى ما مر صريحا من اضمحلال اهل الملة
المستقيمة وتفرق نظامهم وتشتت احوالهم بمعونته وتوفيقه المعونة والاعانة بمعنى وفي بعض النسخ بمعرفته والمصدر
مضافا الى الفاعل والضمير عائد الى قوله سببا وراجع الى الله بوجه جعل الجملة الوصفية عن ضمير الموصوف اخواننا واهل
ملتنا من الفرقة الامامية فينتظم به احوالهم بعد تشتتها ويجمع كلمتهم بعد تفرقها ويقبل بهم اي يجعلهم مقبلين الى مراشدهم
الرشد خلاف الغي والمراشد الطرق الموصلة الى الحق لانها محال الرشد والهداية فاعلم يا اخي ارشدك الله انه لا يسع احدا
تمييز شيء اي لا يجوز من وسعه اذا جاز له ان يفعله ولم يضيق عنه مما اختلفت الرواية فيه عن العلماء عليهم السلام فيه متعلق
بالاختلاف وعن بالرواية والمراد بالاختلاف ما ذكرنا من الاختلاف التام الذي يوجب العمل بجميعها طرح البواقي وحمله على اطلاق
الاختلاف بين الروايات التي يصح ان يكون بعضها مفسرا لبعض بعيد جدا برايه متعلق بالتمييز اي لا يجوز التمييز بما يقتضيه رايه
بنحو من الحار كالاستحسان والاوجه بين الله لا يدرك بالراي والقياس الا على ما اطلقه العالم اي اجله وجوزه من الطرق بالكر وهو
العلامة بقوله اعرضوها اي الروايات المختلفة على كتاب الله عز وجل فما وافق كتاب الله جل جلاله فخذوه وما خالف كتاب الله

ردوه

فردوه لان كل حكم من الاحكام وكل حق من الحقوق موجود في الكتاب كما قال سبحانه ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا
في كتاب مبين فما لم يوجد فيه ليس بحكم ولا حق فهو مردود وقوله عليه السلام دعوا من الروايات المختلفة بعد موافقة الجميع
كتاب الله ما وافق القوم يعني العامة فان الرشد اي الهداية الحق في خلافهم لانهم سالكون مسالك الطبائع راغبون
عن مراشد الشرائع غالبا وهذه قرينة واضحة على ان الحق في خلافهم وقوله عليه السلام خذوا من الروايات المختلفة
بالمجمع عليه عند العصابة المحقة فان المجمع عليه عندهم لا ريب فيه وقد يستدل بهذا على حجية الاجماع ويشكل
عليه انشاء الله تعالى ونحن لا نعرف من جميع ذلك الا اقله اي اقل ذلك الجميع يعني انا لا نعرف من افراد التمييز الحاصل بحسب
تلك القوانين المذكورة الا الاقل ولا نعرف من جميع ذلك المذكور من القوانين الثلثة الا الاقل فان ذلك متوقف على تتبع
الاحكام الجزئية واستنباطها من الكتاب ومعرفة مذاهب العامة فيها ومعرفة اجماع الفرقة الناجية عليها وتحصيل هذه
المعارف متعسر جدا وقيل المقصود انا لا نعرف للاعتماد والتعويل لكل احد من المتعلمين من جميع ما ذكرنا الا ما هو اقله اتعابا
واسهله عليهم ماخذا وهو المفسر بقوله ولا نجد وهذا مستبعد جدا لعدم فهمه من العبارة ولا نجد شيئا احوط
ولا اوسع من رد علم ذلك كله الى العالم من اهل بيت نبينا فان فيه التحرز عن القول في الدين بغير علم والتخلص عن التعب
والتجنب عن عذاب الآخرة كما قال العالم عليه السلام اذا كان في ذلك فارجه حتى تلقى امامك فان الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام
في الهلكات وقيل يجوز ان يراد بالعالم العالم من علماء الامامية الذي علم اصول المذهب وفروعه ببصيرة وبرهان وهذا بعيد
اما اولا فلان المعهود من كلام المصنف انه كلما اطلق العالم اراد به المعصوم عليه السلام واما ثانيا فلوجود عليه السلام بعد العالم
في بعض النسخ واما ثالثا فلانه لا يناسب العبارات الآتية الا بتكلف كما ستعرفه وقبول ما وسع من الامر فيه اي فيما اختلف الرواية
عنهم عليهم السلام وفاعل وسع بالتشديد ضمير العالم بقوله متعلق بوسع بايهما اخذتم من باب التسليم للعالم والانقياد له وسعكم اي
جاز لكم وفيه دلالة على ان المكلف مخير في العمل بالروايات المختلفة في زمان الغيبة كما هو مذهب بعض ارباب اصول الفقه وعلى
ما جوزه في العالم الا ان ربط هذا الكلام بما قبله لا يخلو عن تكلف وهو ان يجعل قوله بقوله متعلقا بالقبول ومعناه قبول ما وسع ذلك
العالم من علماء الامامية وتحمله من التحقيق والتوفيق بين الروايات المختلفة بقوله اي بمجرد روايته للاعتماد عليه فيما يحده او
رده من الروايات والفتاوي والاحكام ويجعل قوله بايهما اخذتم الآخر مبتدا او خبرا على سبيل الاستيناف لدفع القول في التعيين اي ايما
اخذتم به من اقوال ذلك العالم تسليما له وقبولا لقوله جاز لكم العمل به وهذا التكليف بعينه من غير تفاوت اشارة اليه في ذلك
القائل وهو اعلم بما قال وقد ياخذوا على ذلك وقد يسر الله وله الحمد تاليف ما سالت من الكتاب الكافي الشامل لجميع فنون علم
الدين وارجو ان يكون بحيث توخيت اي تحريت وقصدت فمهما كان فيه من تقصير في الجمع والتاليف وذكر ما يحتاج اليه

فلم تقصر نيتنا في اهداء النصيحة التقصير في الامر التواني فيه وعدم الاتيان به على وجه الكمال والاهداء الابلاغ والايصال
والنصيحة فعل الشيء الذي به الصلاح كارشاد الجاهل وتنبيه الغافل والاعانة على مصالح الدنيا والدين يعني لو كان فيه
تقصير لم يكن ذلك لتقصير في النية وتوانيها بل لعجز في البلوغ النصيحة بقدر الوسع والطاقة اذ كانت اي النصيحة واجبة
لاخواننا واهل ملتنا لقول رسول الله لينصح الرجل اخاه كنصيحته لنفسه وقول الصادق عليه السلام يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة مع
رجونا ما مصدرية والظرف حال عن فاعل رجونا يعني ان ذلك الرجا مقرون مع رجاء ان نكون مشاركين لكل من اقتبس منه
اي استفاد منه علما وهداية وعمل بما فيه من الاحكام في دهرنا متعلق باقتبس وعمل وحال عن فاعليهما وفي غابر الدهر
والمستقبل وهو من الاضداد والمراد هنا الثاني الى انقضاء الدنيا متعلق بالغابر وغاية للاقتباس والعمل فلا ينافي رجاء مشاركة
الثواب في الآخرة ولم يذكره لانه تابع لذلك الرجا ثم علل بقاء الاقتباس والعمل الى انقضاء الدنيا بثلثة امور الاول اشار اليه
بقوله اذ الرب عز وجل واحد لا شريك له فلا يتطرق التغيير في تدبيره من جهة الشركة والتنازع والثاني اشار اليه بقوله
والرسول محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وآله واحد لا شريك له في تبليغ الرسالة فلا يتصور فساد الدين من جهة الشركة في الرسالة
ايضا والثالث اشار اليه بقوله والشريعة واحدة اذ لا نبي بعده ولا شريعة بعد شريعته فلا يتصور زوال الدين من جهة
النسخ ايضا وبالجملة زوال الدين اما من جهة التنازع التابع للشركة في الرب او في الرسول او من جهة النسخ واذا انتفت هذه الامور
بقي الدين الى قيام الساعة كما اشار اليه بقوله وحلال محمد حلال الى يوم القيمة وحرامه حرام الى يوم القيمة فاذن كان الاقتباس
والعمل بما في هذا الكتاب المشتمل على حلاله وحرامه باقيا الى يوم القيمة ووسعنا قليلا التوسيع خلاف التضييق يقول وسعت
الشيء فاتسع اي صار واسعا وقليلا منصوب على المصدرية اي توسيعا قليلا كتاب الحجة وهو الكتاب الثالث من كتب الكافي
سمي به لاشتماله على بيان لزوم الحجة وعدم خلو الارض منها ما دامت السموات والارض وان لم نكمله اي كتاب الحجة
لانا لم نذكر جميع ما يتعلق به من الاحاديث والاخبار لانا كرهنا تعليل التوسيع في الجملة ان نبخس اي ننقص بترك حظوظه
كلها الحظوظ جمع كثرة للحظ وهو النصيب وارجو ان يسهل الله جل وعز امضاء ما قدمنا من النية اي القصد الى تاليف كتاب
الكافي او الى توسيع كتاب الحجة منفردا على وجه الكمال وذكر جميع ما يتعلق به من الاخبار كما اشار اليه بقوله ان تاخر الاجل اي الوقت
المضروب للحد ومن العمر صنعنا من الصنع او من التصنيف كتابا في الحجة اوسع واكمل منه اي من كتاب الحجة الذي ذكرناه في هذا الكتاب
نوفيه حقوقه كلها ان شاء الله اوفاه حقه ووفاه بمعنى اعطاه وافيا والجملة حال عن فاعل صنعنا وبه الحول والقوة الحول
الحركة يقال حال الشخص يحول اذا تحرك والقوة الطاقة يقال قوي على الامر اذا اطاقه اي به الحركة الى المقاصد والمطالب مطلقا والقوة
على تحصيلها والفتح على تحملها او به الحركات الفكرية والانظار العقلية مطلقا او في تاليف هذا الكتاب والقوة عليها وتقديم

للاختصاص مع الاهتمام ومراعاة قرب المرجع واليه الرغبة في الزيادة في المعونة اي الاعانة على الخيرات مطلقا وعلى تاليف
هذا الكتاب والتوفيق اي تكميل الاسباب لتحصيل المطالب والصلوة اي الرحمة التامة الربانية بمعنى افاضة الروحانية دائما
على سيدنا محمد النبي اي المرتفع على جميع الخلايق من النبوة وهي الارتفاع او المخبر عن الله من النبأ وهو الخبر وآله الطيبين الاخيار
واول ما ابدا به وافتتح به كتابي هذا كتاب العقل والجهل وفضائل العلم وارتفاع درجة اهله وعلو قدرهم في الدنيا والآخرة
ونقص الجهل وخساسة اهله وسقوط منزلتهم عند رب العالمين ومن الملائكة المقربين ومن الانبياء المرسلين ومن عباد الله الصالحين
ثم اشار الى وجه تقديم كتاب العقل على سائر الكتب بقوله اذ كان العقل هو القطب الذي عليه المدار اي مدار التكليف والحكم بين الحق
والباطل من الافكار وبين الصحيح والسقيم من الانظار وساير القوى تابعة له منقادة لامره ونهيه وهو الحاكم على جميعها
وقطب الرحا بالحركات القاف والضم اشهر الحديدة المركبة في وسط حجر الرحا السفلى التي تدور حولها العليا وقطب القوم
سيدهم الذي يدور عليه امرهم كصاحب الجيش ونحوه وبه يحتج على العباد في تصويب اعمالهم وتخطئة افعالهم وله الثواب
وعليه العقاب اللام في له اما للتعليل اي لاجله او للاختصاص وحصر الثواب والعقاب فيه باعتبار انه منشأ واصل لهما
حصلا له عند تجرده عن البدن كما في البرزخ او عند اقترانه به كما في الآخرة **كتاب العقل والجهل** الغرض من الفصل بين
انواع المسائل بالترجمة بالكتاب وبين مسائل النوع بالفصول والابواب هو التسهيل وتنشيط المتعلم فان المتعلم اذا ختم كتابا
اعتقد انه كان في ذلك النوع فينشط الى قراءة غيره بخلاف ما لو كان التصنيف كله جملة واحدة والاولى بالقاري ان يصرح
بالترجمة ويقول مثلا كتاب كذا لانها جزء من التصنيف وكتاب العقل والجهل اسم لجملة من الاحاديث لا محلها اخبرنا
ابو جعفر محمد بن يعقوب كان هذا كلام الرواة عنه او كلامه بلسانهم او اخبار عن نفسه بطريق الغيبة قال حدثني
عدة من اصحابنا قال المصنف رحمه الله في هذا الكتاب في كثير من الاخبار عدة من اصحابنا قال العلامة وغيره انه رحمه الله قال كلما
قلت في هذا الكتاب عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن عيسى فهم محمد بن يحيى العطار وعلي بن موسى الكمنداني وداود بن كورة
واحمد بن ادريس وعلي بن ابراهيم بن هاشم وكلما قلت فيه عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد فهم علي بن ابرهيم
وعلي بن محمد بن عبد الله بن اذينة واحمد بن عبد الله بن اذينة وعلي بن الحسن وكلما ذكرت فيه عدة من اصحابنا عن سهل بن زياد
فهم علي بن محمد بن علان ومحمد بن ابي عبد الله ومحمد بن الحسن ومحمد بن عقيل الكليني انتهى والظاهر ان محمد بن ابي عبد الله
هو محمد بن جعفر الاسدي الثقة والعدة على هذا في جميع الموارد مشتملة على العدول والثقات فهذا الحديث صحيح لان
بواقي الرجال ثقات وعدول محمد بن يحيى العطار عن احمد بن محمد عن الحسن بن محبوب عن العلا بن رزين عن محمد بن مسلم
عن ابي جعفر عليه السلام قال لما خلق الله العقل اي النفس الناطقة وهي الجوهر المجرد عن المادة في ذاته دون فعله في

بالتصرف والتدبير وهذا الجوهر يسمى نفسا باعتبار تعلقه بالبدن وعقلا باعتبار نسبته الى عالم القدس اذ هو بهذا الاعتبار
يعقل نفسه اي يحبسها ويمنعها عما تقتضيه بالاعتبار الاول من الشرور والمفاسد الناشئة من الرجوع الى هذا العالم وله مراتب
متفاوتة وحالات مختلفة في القوة والضعف وهي ستة اولها حالة الاستعداد الصرف للكمالات وثانيها حالة بها يشاهد
الاوليات وثالثها حالة بها يشاهد النظريات من مرآة الاوليات ورابعها حالة بها يشاهد تلك النظريات بعد زوالها
من هذه المرآة واختزانها من غير كسب جديد وهذه الحالة علم اليقين وهي حالة بها يشاهد الصور العلمية والمطالب
اليقينية في ذاته وخامسها حالة عين اليقين وهي حالة بها يشاهد تلك الصور والمطالب في ذات المفيض وسادسها حالة
حق اليقين وهي حالة بها يتصل بالمفيض اتصالا معنويا ويلاقيه تلاقيا روحانيا وهذه الحالة هي اعظم الحالات
للقوة البشرية وقد تسمى هذه الحالات التي للنفس فيها عقلا ايضا ومن هيهنا ظهر وجه تفاوت العقول في البشر ووجه قبولها
للكمال والنقصان وقد يطلق العقل على الجوهر المفارق عن المادة في ذاته وفعله ويقال انه اول خلق من الروحانيين وانه كثير العدد
لا كثرة اشخاص تحت جنس واحد لان تلك الكثرة من توابع المادة وعالم القدس منزه عنها بل هي مراتب وجودية نورانية
بسيطة مختلفة في الشدة والضعف النورية متفاوتة في الكمال والقرب الى نور الانوار وانه روح نفس الناطقة وحالة
لها وتتعلق بها كتعلق النفس بالبدن وبانارته واشراقاته تتقوى النفس وتترقى وتتبصر في عالم الملك والملكوت وتعرف منافعها
ومضارها فتطلب الاول وتجتنب عن الثاني وانه لا بعد في ذلك التعلق لانه اذا جاز تعلق النفس بالبدن مع المباينة بينهما في التجرد
والمادية جاز تعلق ذلك الجوهر بالنفس مع المناسبة بينهما في التجرد بالطريق الاولى والحق ان وجود ذلك الجوهر امر ممكن
دل عليه ظاهر كثير من الروايات لكن لا على الوجه الذي ذهب اليه طائفة من الفلاسفة من انه موجد للافلاك وما فيها
وما تحتها من الاجسام والعناصر وغيرها فان وجوده على هذا الوجه غير ثابت لا عقلا ولا نقلا بل دلالة النظر الى الآيات والروايات
الدالة على ان موجدها ليس الا الله جل شأنه وان كثرته وتعلقه بالنفس على الوجه المذكور ايضا امر ممكن وان انتساب الثواب
والعقاب اليه غير بعيد اذ كما ان الثواب البدني وعقابه باعتبار متعلقه وروحه الذي هو النفس كذلك يجوز ان يكون
ثواب النفس وعقابها باعتبار متعلقها وروحها الذي هو ذلك الجوهر اذا عرفت هذا فلا يبعد ان يراد بالعقل في الروايات الدالة
على انه اول الخلق من الروحانيين انه حال من احوال النفس كما في حديث الجنود وغيره ذلك الجوهر ثم معاني العقل وان تباينت يجمعها امر واحد
يشترك الكل فيه وهو انه ليس بجسم ولا جسماني ولهذا صح ان يجعل موضوعا لعلم واحد كما في هذا الكتاب ويبحث عن العوارض الذاتية
له ولاقسامه وللرائي الثاقب ان يحمله في كل حديث على ما يناسبه من المعاني المذكورة واذا عرفت العقل فاعرف الجهل المقابل له
فهو ان النفس باعتبار تعلقها بالبدن او الحالات المقابلة للحالات المذكورة ولان في ذلك التعلق وتلك الحالات منشأ الظلمة

النفس

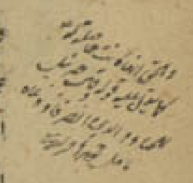
النفس والكدر انما يميلها الى الشرور وامر مقابل لذلك الجوهر النوراني يتعلق بالنفس وروح خبيث يدعوه الى الشر
والفساد ولا يبعد ان يكون ما في بعض الروايات من ان المؤمن مؤيد بروح الايمان وان لكل قلب اذنين على احدهما
ملك يهديه وعلى الآخر شيطان يضله اشارة الى العقل والجهل بهذا المعنى والله اعلم بحقايق الامور استنطقه اي طلب نطقه
واستنطقه اي كلمه وفي استنطاقه اخراج له عن الوحشة وتأنيس له بالقربة وتكريم له بالعزة كما يقع مثل ذلك كثيرا
بين المحب والمحبوب ومن هذا القبيل قوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى مع علمه بحقايق الامور ثم قال له اقبل فاقبل ثم قال
ادبر فادبر كان المراد باقباله الى ما يصلح ان يؤمر به من الطاعة وادباره عما ينهى عنه من المعصية او اقباله الى المقامات
العالية والدرجات الرفيعة التي يمكنه الوصول اليها وادباره عن تلك المقامات ونزوله في منازل الطبيعة الجسمانية وهبوطه الى
مواطن الظلمة البشرية ولعل الغرض من الامر بالاقبال اراءة مقاماته والهادة درجاته ليستيقظ في العالم السفلي من نوم الجهالة
البطالة ويتذكر بان له سوى هذه النشأة الدنية نشأة اخرى هي افضل منها بل لا نسبة بينهما واقباله الى الدنيا وادباره
عنها وعدم ركونه اليها وقيل المراد بالامر بالاقبال والادبار هو الامر التكويني لا التكليفي والاقبال والادبار التزيد والتنقص التنقص
في كل مرتبة من مراتب القوة العاقلة بالقياس الى العلوم والاخلاق والاعمال كما وكيفا بحسب كل من استعداد الفطرة الاولى
والاستعداد الثاني المكتسب في الفطرة الثانية فان الاعمال والتعطيل في الفطرة الثانية ويتبوء بطغيانه في الفطرة الاولى والذي من لوازم
الذات هو القدر المشترك السيال المتجدد في الربوة والطفافة وهو متحفظ غير متبدل ما دامت الذات في مراتب التزيد والتنقص وفيه ان
تكوينه على قبول الزيادة والنقصان انما هو في مرتبة تكوين ذاته لا بعده كما يشعر به لفظة ثم قال وعزتي اي وغلبتي على جميع الكائنات
يقال عزه يعزه بالضم عزا اذا غلبه والاسم العزة ومنه العزيز من اسمائه تعالى بمعنى القوي الرفيع الغالب الذي لا يغلب وبمعنى
الذي لا مثل له قول اخوة يوسف يا ايها العزيز وجلالي اي وعظمة شأني وارتفاع قدري وكان منه الجليل من اسمائه تعالى بمعنى العظيم المطلق
والواو للقسم وما بعدها مبتدأ خبره محذوف وهو قسمي ما خلقت خلقا هو احب الي منك دل على ان العقل ليس هو اول الخلق
كما زعم قيل المحبة ميل القلب الى ما يوافقه وهي من الطرفين لما روي عن الصادق عليه السلام حب الله لم ... يقول اودك فكيف
اعلم انه يودني فقال امتحن قلبك فان كنت توده فانه يودك سيما اذا اخبر احدهما الآخر بحبه له فانه يوجب الانس والخبر
انه كما ورد في بعض الاخبار ومن هيهنا يعلم ان العقل كما كان احب المخلوقات الى الله سبحانه كذلك كان الله سبحانه احب الموجودات
الى العقل وسبب محبة الشيء اما كونه حسنا في ذاته او في الحس كالصور الجميلة او في العقل كمحبة الصالحين او كونه محسنا يجلب نفعا
او يدفع ضرا وثمرة محبة الله لخلقه ارادته له وافاضة رحمته عليه والاحسان اليه وكشف الحجاب عنه وتمكينه من بساط
قربه وثمرة محبة الخلق له تعالى وقوفه عند حدوده ومحبته لما احبه وبغضه لما ابغضه واستيناسه به واستيحاشه عما سواه

وبجانبه عن دار الغرور وترقيه الى عالم النور وكان من انكر المحبة بينه وبين خلقه وزعم ان ذلك يوجب نقصا في ذاته انكر
المحبة بمعنى الميل لان الله تعالى منزه عن الميل وما يميل اليه وليس هذا المعنى مرادا هيهنا بل المراد هنا هي الغايات والثمرات المذكورة
لان ما نسب اليه مما يمتنع اخذه باعتبار المبادي والحقايق يجب اخذه باعتبار الغايات وقد شاع ذلك في القران العزيز
على انه قد يقال محبة الخلق له بمعنى ميل العقل اليه ممتنع لان الميل العقلي ادراك ولا يمتنع ذلك كما لا يمتنع العلم به وانما الممتنع
هو الميل الحسي لاستلزامه ان يكون في جهة والوجه العقلي في كونه احب المخلوقات ان الطاعة والانقياد مع القدرة على المخالفة
اشد من الطاعة والانقياد مع القدرة على المخالفة اشد عبد ونها وادخل في التقرب في استفاضة الرحمة والاحسان منه
وقيل الوجه فيه ان المحبة تابعة للادراك لانه خير محض وكل ما كان وجوده اتم كانت خيريته اعظم والادراك المتعلق
به اقوى والابتهاج به اشد فاجل مبتهج بذاته هو الحق لان ادراكه لذاته اشد ادراكا واعظم مدركا الشرف
الاكمل والنور الانور والجلال الارفع فذاته سبحانه احب الاشياء اليه وهو اشد مبتهج به ومحبته لعباده راجعة
الى محبته لذاته لان كل من احب شخصا احب جميع حركاته وافعاله فالله يحب الاجل ذاته واقرب المجعولات اليه هو العقل
فثبت انه احب اليه المخلوقات ومن المتكلمين من انكر محبة الله لعباده وزعما منهم ان ذلك يوجب نقصا في ذاته ولم يعلموا ان محبة الله لخلقه راجعة
الى محبته لذاته انتهى وفيه نظر من وجوه اما اولا فلان قوله المحبة تابعة للادراك الوجود ممنوع وما ذكره لاثباته من ان الوجود خير
محض مدخول والبحث عنه مشهور مذكور في موضعه واما ثانيا فلان كون العقل المجعول عنه اقرب المجعولات كلها اليه سبحانه
ممنوع واما ثالثا فلان المحبة والبغض متقابلان وقد نسب البغض لبعض المخلوقات اليه سبحانه ولا شك ان بغضه ليس لاجل انه
اثاره بل لشي آخر فلم لا يجوز ان لا يكون محبته لخلقه لاجل انه من اثاره بل لاجل شي آخر واما رابعا فلان قوله ان الله يحب المحسنين
ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين صريح في ان محبته لهم لاجل احسانهم وتوبتهم وطهارتهم لا لاجل انهم من اثاره ولو اريد ان الاحسان
والتوبة والطهارة من فعله واثاره لرجع هذا الى قول الاشاعرة ويقع دابر المناقشة فليتأمل ولا اكملتك الا فيمن احب دل على ان
كمال العقل كما هو صلح حاشي الله جل شانه ولكن لكسب العبد وعنايته مدخل فيه كما يدل عليه قول موسى بن جعفر عليهما السلم من اراد الغنا بلا مال
وراحة القلب من الحسد والسلامة في الدين فليتضرع الى الله عز وجل في مسألته بان يكمل عقله ويرشد اليه التجربة فان من شأن المتعلم
وطهارة النفس وصرف القوة العلمية والعملية في تحصيل العلوم والاعمال والاخلاق المرضية ازداد عقله ضوءا ونفسه نورا حتى يكاد
يبصر ما تحت العرش وما تحت الثرى وتلك العناية التي هي من التوفيقات الربانية انما تتوقف على وجود اصل العقل لا كماله فلا يلزم الدور
اما في اياك آمر واياك انهى واياك اعاقب واياك اثيب انما قدم حرف تنبيه يصدر بها الكلام الذي تضمنه خطر وعناية تنبيها للمخاطب
وايقاظه طلبا لاصغائه وتقديم المفعول للاختصاص فان العقل وان استشعر من قوله اقبل وادبر انه مخلوق يتوجه اليه

الامر

الامر والنهي لكنه استشعر ايضا بانه مقارن مع مخلوق آخر فكانه غفل عن ذلك لشدة شغفه بمخاطبة ربه جل ذكره وتوهم ان الامر والنهي
والثواب والعقاب يتوجه اليه مع مشاركة او يتوجه الى الغير وحده لا اليه فالقى الله سبحانه بحرف التنبيه ايقاظا له عن تلك الغفلة واشعارا
بان الكامل لابد من ان لا يصير مغرورا بكماله بل هو دائما يحتاج الى التنبيه والتذكير وبطريق الحصر دفعا لما عرض له من التوهم واشعارا بان
القابل للخطاب هو دون غيره وحصر الثواب والعقاب فيه باعتبار انه بذاته او بواسطة قوة وروية فيه منشأ الطاعة والعصيان
ومبدأ المعصية والطغيان في مواد الانسان ومستحق لهما في ضمن تلك المواد فلا يدل الحديث على ثبوتهما له مجردا عنها فضلا
عن ان يدل على نفي المعاد الجسماني وانطباق معنى الحديث على العقل بالمعنى الاول وهو النفس باعتبار التجرد ظاهر وبالمعنى الثاني وهو حالة
النفس وقوتها الداعية الى الخيرات في المراتب المذكورة يحتاج في قوله اياك اعاقب واياك اثيب الى تكلف بان يقال معناه بك اعاقب وبك
اثيب على سبيل التوسع لان المعاقب والمثاب هو النفس او يقال لما كانت تلك القوة منشأ التكليف النفس نسب الثواب والعقاب اليها
على سبيل التجوز وبالمعنى الاخير وهو الجوهر النوراني المفارق عن المادة في ذاته وفعله يحتاج في هذا القول وفي قوله ولا اكملتك
الا فيمن احب الى تكلف بان يقال المراد بكماله كمال اشراقاته على النفس وبثوابه وعقابه ثواب النفس وعقابها باعتبار الاستفاضة
من مشكوته وعدمها وقيل المراد بالعقل هنا العقل النبوي والحقيقة المحمدية وهو الروح الاعظم المشار اليه بقوله قل الروح من
امر ربي واحب الخلق اليه استنطقه الله بعدما خلقه وجعله ذا النطق والكلام يليق بذلك المقام ثم قال له اقبل الى الدنيا واهبط الى الارض
رحمة للعالمين فكان روحه مع كل نبي باطنا ومع شخصه المبعوث ظاهرا ثم قال له ادبر يعني ادبر عن الدنيا وارجع الى ربك فادبر عنها
ورجع اليه ليلة المعراج وعند المفارقة عن دار الدنيا ثم اجلسه تشريفا وتكريما له لانه احب الخلق اليه واكد ذلك بالقسم ثم قال اياك
آمر واياك انهى واياك اعاقب واياك اثيب والمراد بك آمر وبك انهى وبك اعاقب من جحدني وجحدك من الاولين والآخرين وبك
اثيب من عرفني وعرفك منهم كما قال لولاك لانك سبب الايجاد ولولاك لما خلقت الافلاك او المراد اياك آمر واياك انهى لاجل التكليف
واياك اعاقب بحبسك في الدنيا مدة ودخولك في المنزل الرفيع من الجنة واياك اثيب باختيار غاية كمالك وكمال قربك ومنزلتك الدنيا
ولدينا مزيد والله بحقيقة كلامه علي بن محمد يروي المص في هذا الكتاب كثيرا عن علي بن محمد بن ابراهيم بن ابان الرازي الكليني المعروف
بعلان ثقة عين عن سهل بن زياد ضعيف في الحديث عن عمرو بن عثمان كوفي ثقة نقي الحديث عن مفضل بن صالح ضعيف كذاب عن
سعد بن طريف قيل هو صحيح الحديث ونقل العلامة عن النجاشي انه يعرف وينكر وعن ابن الغضايري انه ضعيف وقال الكشي عن
حمدويه انه كان ناووسيا وقف على ابي عبد الله عليه السلم عن الاصبغ بن نباتة بضم النون قال العلامة والنجاشي والشيخ في الفهرست
انه كان من خاصة امير المؤمنين عليه السلم وقال العلامة انه مشكور عن علي عليه السلم قال هبط جبرئيل عليه السلم على آدم عليه السلم
الظاهر ان ذلك كان بعد هبوط آدم من الجنة وبعد قبول توبته فقال يا آدم اني أمرت ان اخيرك واحدة من ثلث

اي خصلة واحدة من ثلث خصال فاخترها ودع اثنتين فقال آدم يا جبرئيل وما الثلث الظاهر ان الواو لمجرد حسن الارتباط وزيادة
الاتصال لا للعطف فقال العقل والحياء والدين العقل هنا قوة نفسانية وحالة نورانية بها يدرك الانسان حقايق الاشياء
ويميز بين الخير والشر وبين الحق والباطل ويعرف احوال المبدا والمعاد وبالجملة هو نور اذا الم في افاق النفوس ينكشف عنها
غواشي الحجب فيتجلى فيها صور المعقولات كما يتجلى في العين صور المحسوسات والحياء خلق يمنع من ارتكاب القبيح والتقصير في الحقوق
وقال الزمخشري هو تغير وانكسار يلحق من فعل او ترك ما يذم به وهو غريزة وقد يتخلق من لم يجبل عليه فلا بد منه
ما يوافق الشرع ويجيء تحقيقه وتحقيق انه في بعض الانسان الكيفية المانعة له عن القيام بحقوق الله الخالية من الحياء انشاء الله والدين
المستقيم الذي يكون سالكه ويايس من الخيرات بعيدا عن المنهيات وهو عبارة عن معرفة مجموع ما يوجب القرب من الرب والعمل بما يتعلق
به الامر ومعرفة مجموع ما يوجب البعد عنه وترك العمل بما يتعلق به النهي فقال آدم اني اخترت العقل لا يقال اختياره للعقل
لم يكن الا لملاحظة ان حسن عواقب اموره في الدارين يتوقف عليه وان نظام احواله في النشأتين لا يتم الا به ولا يكون ذلك
الا لكونه عاقلا متفكرا متاملا فيما ينفعه عاجلا وآجلا لانا نقول المراد بهذا العقل العقل الكامل الذي يكون للانبياء والاوصياء
واختياره لا يتوقف على عقل سابق يكون درجته دون هذا والعقل درجات ومراتب قد يقال هذه الامور الثلثة كانت حاصلة له
على وجه الكمال والتخيير فيها لا ينافي حصولها والغرض منه اظهار قدر نعمة العقل والحث على الشكر عليها فقال جبرئيل للحياء والدين
انصرفا ودعاه اي انصرفا عن آدم ودعاه مع العقل ودعا العقل معه فقالا يا جبرئيل الظاهر ان هذا القول حقيقة بلسان
المقال بحياة خلقها الله تعالى فيهما ولا يبعد ذلك من القدرة الكاملة وقد ثبت نطق اليد والرجل على صاحبهما ونطق الكعبة والحجر وتسبيحهما
ويحتمل ان يكون ذلك مجازا بلسان الحال او يخلق الله سبحانه فيهما كلاما اسمعه جبرئيل وآدم عليهما السلم كما قد خلق ذلك في
بعض الاجسام الجمادية واسمعه من شاء من خلقه انا امرنا ان نكون مع العقل حيث كان اي حيث وجد وحيث كان موجودا
يفهم منه ان العقل مستلزم لهما وهما تابعان له والامر كذلك لان العاقل يعرف الله سبحانه وجلاله وجماله وكماله وتنزهه عن النقايص
واحسانه وانعامه وقهره وغلبته بحيث يرى كل جلال وجمال وكمال واحسان وانعام وقهر وغلبة مقهورا تحت قدرته
مغلوبا تحت قهره وغلبته بل لا يرى في الوجود الا هو فيحصل له بذلك خوف وخشية من تعذيبه جوانحه كما قال سبحانه انما يخشى الله
من عباده العلماء ويحصل له بذلك قوة وملكة تمنعه عن مخالفته طرفة عين وهذه القوة هي المسماة بالحياء ثم تلك القوة يسلك
الصراط المستقيم وهو الدين القويم فرجعنا ظهر ان الحياء مستلزم للدين والدين تابع له ثم جبرئيل بما ان كان على الملائكة ماموربه لك
كان قوله انصرفا ودعاه محمولا على الامتحان لاظهار شرف العقل ومباهاة قدره وان لم يكن على ما كان فذلك القول محمولا على الطلب قال فشأنكما وعرج
الشان بالهمزة الامر والحال والقصد اي فخذا شأنكما او الزما شأنكما وهذا الحديث وان كان ضعيفا بحسب السند لكن صحيح بحسب المضمون وكذا



وكذا الحديث الآتي مع ضعفه بالارسال ايضا لاعتضاده بالبرهان العقلي وكذا كثير من الاحاديث الواردة في الاحكام العقلية من
اصول المعارف ومسايل التوحيد احمد بن ادريس عن محمد بن عبد الجبار عن بعض اصحابنا رفعه الى ابي عبد الله عليه السلام قال قلت له
ما العقل قال ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان سال سائل عن معرفة العقل مطلقا سواء كان حقيقيا او رسميا او لفظيا او غيره
واجاب ببعض خواصه واغراضه المقصودة منه للتنبيه على ان معرفة هذا هو الاهم والانسب دون معرفة حقيقته والاشعار
بان عرفان حقيقته متعسر جدا فلا يحصل له بسهولة ولهذا اختلف العلماء وتحيرت عقول الحكماء في تحديدها وهذا
التعريف اشارة الى القوة النظرية المسماة بالعقل النظري والى القوة العملية المسماة بالعقل العملي اذ بالاولى يعلم المعارف الالهية والاحكام
الشرعية والاخلاق الحسنة النفسانية وبالثانية يعمل بها ويهذب الظاهر والباطن بالعلم والعمل يتم نظام عبادة الرحمن واكتساب
الجنان ويمكن ان يكون اشارة الى العقل بالمعنى الاول والاخير ايضا لان مقتضى النفس من حيث التجرد وعدم معارضة الاوهام ووساوس
القوى البدنية ومقتضى الجوهر النوراني المجرد عن شوايب المادة من جهة اشراقاته على النفس عبادة واكتساب الجنان كما يشهد به الذوق
السليم ولما كان هذا الجواب من الخواص الشاملة للعقل ومن شانها عدم تخلفها عما هي خاصة له وقد تخلفت هنا عما في بعض الاشخاص
مثل معوية من نشاط التدبير والتصرف في الامور الدنيوية الموجبة لبعده عن عبادة الرحمن واكتساب الجنان مع ان الناس يسمونه عاقلا
وعاقلا سال السائل ثانيا حيث قال قلت فالذي كان في معوية الموصول مبتدا خبره محذوف وهو ما هو فقال تلك النكراء وتلك الشيطنة
تلك النكراء النكراء بالفتح والسكون والنكر بالضم وبضمتين المنكر وهو الامر الشديد وكلاهما قبيح وكرهه العقل والشرع فهو منكر اي
تلك القوة التي كانت في معوية وكانت سببا لتحصيله المصالح الدنيوية واكتسابه للامور الشرية والخرافة عن الله وعن امر
الآخرة منكرة شنيعة قبيحة تلك الشيطنة فيعلة من شطن عنه اذا بعد ومنه الشيطان لبعده عن رحمة الله سبحانه والمراد
بها روية نفسانية تكتسب بها اعمال الجاهلين وملكة شيطانية يقترف بها افعال الشياطين او قوة داعية الى الاغراض الفاسدة
والشرور وتحصيل المطالب بالحيل والمكر وفعل الزور وهي شبيهة بالعقل في انها حالة للنفس او قوة محركة لها الى منافعها كما ان العقل
كذلك توضيح ذلك ان العقل قوة نورانية شريفة الذات نقية الجوهر يدعو الى ملازمة العلم والعمل واكتساب المنافع الاخروية الموجبة
للسعادة الابدية وكلما زاد العلم والعمل زادت نورانيته وصفاؤه حتى يصير نورا محضا وضوءا صرفا يضيء به سماء القلوب وارض
النفوس والشيطنة قوة ظلمانية خبيثة الذات مظلمة الجوهر تدعو الى ملازمة الشرور واكتساب المنافع الدنيوية الموجبة للشقاوة الابدية
واغتراف زهراتها الزايلة الفانية بالمكر والحيل والوساوس الشيطانية وكلما زادت تلك الشرور والمنافع زادت ظلمتها وكثرت
كدورتها حتى تصير ظلمة صرفة وشيطنة محضة ولكن لما كان التمايز بينهما وبين منافع العقل من الامور المعنوية وبين منافع الشيطنة
من الامور الحسية صارت الشيطنة شبيهة بالعقل بل عقلا عند الجهال وليست بالعقل ولا شبيهة به عند اهل العقل

والكامل في الجهل لفقدان بصيرتهم عن تلك القوة النورانية وعميان سرائرهم عن مشاهدة تلك الروية الربانية مع سماعهم بان
للانسان عقلا هو مبدا الفطانة والروية يخصّون اسم العقل بموضعه ويسمون هذه الروية النكراء وهذه الفطانة
الغيا عقلا ويعدون معاوية من جملة العقلاء واما اهل الفضل والكمال فانهم يعرفون بنور البصيرة ان بين تينك القوتين
تباينا بحسب الذات والصفات لان احديهما نورية والاخرى ظلمة وبين الحركتين تفاوتا في الجهات لان جهة احديهما التقرب بالحق
والتنعم بالنعيم وجهة الاخرى التقرب بالشيطان والتحول الى الجحيم وبين الغرضين تفاوتا في الحال لان غرض احديهما التلذذ
باللذة الروحانية وغرض الاخرى التلذذ باللذة الجسمانية ويمكن ان يقال العقل على اي معنى كان يقع الاشتباه بينه وبين
الشيطنة عند الجهلة لان في كل واحد منهما جودة الروية وسرعة التفطن بما ينفع ويضر وعزم الانتقال الى النافع والاجتناب
عن الضار سواء كان متعلقا بامر الدنيا او بامر الاخرة تحقيق ذلك ان العقل على الاطلاق بداية ونهاية وكلاهما يسمى عقلا
اما الاول فهو جوهر مبدا العلوم والاعمال والخيرات كلها ومنشا الروية والتفطن بها والتميز بينها وبين غيرها من اضدادها
واما الثانية فهي العلوم والمعارف التي بها يعبد الرحمن ويكتسب الجنان وهي ثمرة الاولى فاذا استعمل ذلك الجوهر مع ما فيه من
الروية والتفطن فيما خلق لاجله من اتخاذ الزاد ليوم المعاد واقتباس الحكمة الى غير ذلك مما هو نافع في الاخرة زادت رويته
وتفطنه وعظمت قوتهما وتسمى تلك القوة ايضا عقلا اما حقيقة او مجازا ويتفاوت بحسب التفاوت في القوة والضعف وكثرة
جنود العقل وقلتها وشدة معارضة الاوهام والقوى وعدمها وان ترك مهملا ولم تستعمل فيما ذكر بل استعمل في اضداده
وصرف رويته وفطانته في جميع الحيل والمكر الى جمع متفرقات الدنيا وزهراتها وتحصيل جزئياتها وضبط زخرفاتها حتى يكون
ابدا في الحزن والاسف على فوات ما فات وفي الخوف من ذهاب ما حصل وفي الحرص على جمع ما لم يحصل وعاونته جنود الجهل صارت قوة
تلك الروية والفطانة شيطنة ورويته من الشيطان وهي عقل عند الجهلة دون الكملة كما عرفت محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى
عن ابن فضال وهو الحسن بن علي بن فضال من اصحاب الرضا عليه السلام وكان خصيصا به وكان جليل القدر عظيم المنزلة ورعا
ثقة وكان فطحيا يقول بامامة عبد الله بن جعفر في جميع عمره حتى حضره الموت فرجع الى الحق عن الحسن بن الجهم قال سمعت الرضا
عليه السلام يقول صديق كل امرء عقله وعدوه جهله كما ان صديق كل رجل يجلب له الخير ويدفع عنه الشر وعدوه بالعكس كذلك
عقله يجلب له النافع ويدفع عنه الضار وجهله بالعكس اذ بالعقل يعرف الحلال والحرام واحوال المبدا والمعاد ويسلك سبيل
الهداية والرشاد ويميز بين الحق والباطل ويعبد الرحمن ويكتسب الجنان فهو احق باطلاق الصديق عليه واولى اذ كل صديق غيره
لا ينفع بدونه وبالجهل يغفل عن جميع ذلك ويسلك سبيل الغي والجهالة ويقع في طرق الشرور والضلالة ويعبد الشيطان ويكتسب
غضب الرحمن فهو اولى باطلاق العدو عليه واحرى اذ كل عدو غيره لا يضر بدونه وفيه ايماء الى انه ينبغي ان لا يتخذ الجاهل

صديقا

صديقا والعاقل عدوا لان الجاهل اذا كان عدوا لنفسه فكيف يكون صديقا لغيره والعاقل لما يكون صديقا لنفسه يكون
صديقا لاخيه ويعينه فيما يعنيه ومن اتخذه عدوا كان اثر عداوته خرابا بين يديه ومانعا من وصول الخير اليه
ولذلك كثر الامر في الاحاديث بملازمة العالم ومفارقة الجاهل وكما ان صداقة الاصدقاء وعداوة الاعداء
متفاوتة كذلك في الناس كذلك صداقة العقل وعداوة الجهل متفاوتة بحسب تفاوت مراتب العقل والجهل في الشدة
والضعف لكثرة جنودهما وقلتها على ما سياتي تفصيل ذلك في الحديث المتضمن لذكر الجنود ان شاء الله وعنه اي عن
محمد بن يحيى عن احمد بن محمد الظاهر انه احمد بن محمد بن عيسى الاشعري ويحتمل احمد بن محمد بن خالد البرقي لان محمد بن يحيى
يروي عنهما الا ان روايته عن الاول اكثر ورواية الاول عن ابن فضال اشهر وكلاهما عدلان ثقتان عن ابن
فضال عن الحسن بن الجهم قال قلت لابي الحسن عليه السلام الظاهر انه ابو الحسن الرضا ويحتمل ابو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام
لان الحسن بن الجهم يروي عنهما ان عندنا قوما من الشيعة والتنكير للتكثير لهم محبة لكم اهل البيت والتنكير
للتحقير وليست لهم تلك العزيمة الواو للعطف او للحال والعزم ارادة الفعل والقطع عليه والجد فيه
يعني ليس لهم القطع واليقين بحبكم كما يكون لخلص شيعتكم وذلك لعدم كمالهم في العقل والتميز وعدم تمكنهم في الدين
بالبرهان يقولون بهذا القول بمجرد التقليد والنشو عليه لا بالبصيرة والبرهان وهو تاكيد لما سبق
ولذلك ترك العاطف فقال ليس اولئك ممن عاتب الله بالتقليد وترك الاستدلال لان الاستدلال يتوقف على ادراك مقدمات
مناسبة للمطلوب واعتبار الحدود فيها وترتيبها على نهج الصواب واعتبار الشرائط المعتبرة في الانتاج وقوة الانتقال منها الى
ذلك الانتاج له قوة استعدادية وبصيرة ذهنية وليس لهم ذلك وبهذه الصفة فلا يتعلق بهم الخطاب بالاستدلال والعتاب
بتركه انما قال الله فاعتبروا يا اولي الابصار خص الامر بالاعتبار باولي الابصار والحث على الاستدلال بذوي الافكار اذ
لهم اذهان ثاقبة وعقول كاملة وبصائر نافذة تمكنوا بها من معرفة غوامض الامور من مباديها فاولئك مكلفون بمعرفتها والتصديق
بها يقينا والاقرار بما امنا والبلوغ الى اعلى المراتب بحيث استبانت مناهج البرهان ومعارج التبيان ثم ان علوا الصعود لحقائق الايمان وصاروا
رفقاء في الجنان وان اهملوا وتمسكوا بعروة الكفران استحقوا عذاب النيران وبذلك الخذلان وهذا الحديث كما ترى صريح في ان
التكليف عاجلا وتحصيل كمال الرضا والقرب عاجلا واجلا متوجه الى العاقل الكامل وان الضعفاء من الشيعة غير ماخوذين بالتقليد
في اصول الدين وان هذا الصنف دون الصنف الاول في الثواب والعقاب كما قال سبحانه ورفع بعضهم فوق بعض درجات احمد بن
ادريس عن محمد بن حسان ضعيف عن ابي محمد الرازي قيل هو جعفر بن يحيى الخزاعي ويحتمل احمد بن اسحق الرازي عن سيف بن عميرة
بفتح العين ثقة عند الاكثر وقال محمد بن شهر اشوب هو واقفي وقال الشهيد في شرح الارشاد في نكاح الامة بانه [illegible]

وضعّفه بعضهم ايضاً والصحيح انه ثقة عن اسحق بن عمار ثقة عند الكل شيخ من اصحابنا عند بعض وفطحي عند بعض وقال العلامة الاولى
عندي التوقف فيما ينفرد به قال قال ابو عبد الله عليه السلم من كان عاقلاً كان له دين ومن كان له دين دخل الجنة هذا ضرب اول
من الشكل الاول مركب من متصلتين والنتيجة من كان عاقلاً دخل الجنة اما بيان الصغرى فظاهرة في حديث آدم من ان الدين لازم للعقل
وذلك لان العاقل يعرف احوال المبدء والمعاد وما هو خير له في الدنيا والآخرة فيحصل له بذلك قوة مانعة من الخروج عن الصراط المستقيم
والدين عبارة عنه وبعبارة اخرى العاقل من كان له علم بالمصالح وعمل بها اذ لو لم يكن له علم لكان جاهلاً ولو لم يكن له العمل كان سفيهاً وهو ايضاً
جاهل وهذا المعنى هو الذي اشار اليه في الحديث السابق من ان العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان فثبت ان من كان له عقل كان
له دين واما الكبرى فلان الدين كما عرفت عبارة عن الصراط المستقيم وهو طريق الجنة فمن سلكه كان لا محالة غايته دخول الجنة ولان
سالكه استحق دخولها ومحال على فضل الله واحسانه ان يمنعه من دخولها مع الاستحقاق ويلزم من مفهوم الشرطين ان من كان جاهلاً
لا دين له ولا يدخل الجنة ولكن لا يلزم القول بان هذا المفهوم غير معتبر لان الجاهل قد يكون له دين وان كان ضعيفاً وقد يدخل
الجنة بالفضل والقول بان المراد بدخول العاقل الدخول بلا تعذيب بعذاب يوم القيمة او بلا حساب لان العاقل يؤدي حسابه في دار
الدنيا ويلزم ايضاً من قاعدة انتفاء الملزوم عند انتفاء اللازم ان لا يكون احد من فرق الكفار والمخالفين عاقلاً وان لا يكون ما فيهم من
قوة التصرف والتفكر والتدبير عقلاً وقد مرّ انها شيطنة ونكراء عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد ثقة عن الحسن بن علي بن
يقطين ثقة فقيه متكلم عن محمد بن سنان ثقة عند المفيد ضعيف عند الشيخ الطوسي والنجاشي وابن الغضائري ممدوح
بمدح عظيم عند الكشي وله حال في الخلاصة والوجه عندي التوقف فيما يرويه عن ابي الجارود واسمه زياد بن المنذر
زيدي اعمى مذموم بذم عظيم عن ابي جعفر عليه السلم قال انما يداقّ الله العباد في الحساب المداقة مفاعلة من الدقة يعني ان
مناقشتهم في الحساب واخذهم على جليله ودقيقه يوم القيمة على قدر ما آتاهم من العقول في الدنيا للعقل مراتب متفاوتة في القوة
والضعف والكمال والنقصان المرتبة العليا للانبياء والاوصياء عليهم السلم والمرتبة السفلى ما به يتميز عن ساير الحيوانات الخارجة
عن رتبة التكليف وبينهما متوسطات على كثرتها متوسطات والمداقة في الحساب بحسب تلك المراتب فحساب من في الدرجة
الثانية اشق وادق من حساب من في الدرجة الاولى واخف من حساب من في الدرجة الثالثة وهكذا وذلك لان الحكيم اوجب
التكاليف والتكاليف متفاوتة على حسب تفاوت العقول اذ من قوي عقله اشد تكليفاً من الاضعف هذا وقال سيد الحكماء الالهيين
انما يداقّ الله بالدال المهملة والقاف المشددة ويروى بالذال المعجمة وفي بعض النسخ يداف بابدال احدى القافين فاء يقال دفّ
عليه دفيفاً اي وفق وقدم ودافقت الرجل مدافقة ودفافاً اجهزت عليه وفي النهاية الاثيرية في حديث ابن مسعود انه
دافّ ابا جهل يوم بدر اي اجهز عليه وحزّ رقبته ويذاف بالذال المعجمة بمعنى يداف واما يداق بالقاف فتصحيف تحريفي وتحريف

نيخ

تصحيفي وهذا المختصر كلامه وانما كلامه طويل مبسوط كله لبيان معنى هذا اللفظ بحسب اللغة كما هو دابه في تصحيح اللغات واسماء
الرجال ولا ادري ما الباعث له على تحريف يداق بالقاف وتصحيفه وترجيح يداف بالفاء عليه علي بن محمد بن عبد الله
ابو الحسن القزويني القاضي وجه من اصحابنا ثقة في الحديث عن ابراهيم بن اسحق الاحمر النهاوندي ضعيف في حديثه متهم
في دينه وفي مذهبه ارتفاع امره مختلط لا اعتمد على شيء مما يرويه عن محمد بن سليمان الديلمي عن ابيه سليمان بن زكريا
الديلمي كذاب غال كذا نقل عن ابن الغضائري وكذا ابنه ضعيف في حديثه مرتفع في مذهبه والحديث معتبر لان الكذوب
قد يصدق قال قلت لابي عبد الله عليه السلم فلان من عبادته ودينه وفضله فقال كيف عقله في القوة والضعف
قلت لا ادري حال عقله فيهما فقال ان الثواب المترتب على العبادة والدين والفضل على قدر العقل فان كان كاملاً كان الثواب
كاملاً وان كان ناقصاً كان الثواب ناقصاً لان زيادة الثواب بكمال العبادة وكمال العبادة بمعرفة المعبود وصفاته واستحقاقه
للعبادة دون غيره وبمعرفة حقيقة العبادة واحكامها وشرائطها وكيفية فعلها وصدورها على الخوف والخشية ولا يحصل
ذلك الا بزيادة العقل والعلم فاذن زيادة الثواب على قدر العقل كما ان زيادة العقاب على قدره لقول الصادق عليه السلم يغفر للجاهل
سبعون ذنباً قبل ان يغفر للعالم ذنب واحد لا يقال مجاهدة قليل العقل مع نفسه ودفعه للخطرات الشيطانية واللذات
النفسانية اشق واعظم لضعف آلته من مجاهدة العاقل الكامل العالم الماهر فينبغي ان يكون ثواب عبادته اكثر واعظم كما ورد
ان الذي يعالج القرآن بمشقة وقلة حفظ له اجران لانا نقول ذلك ممنوع بل الظاهر الحق الذي لا ريب فيه ان مجاهدة العاقل
العاقل العالم اعظم لان اللذات النفسانية مشتركة والخطرات الشيطانية فيها اكثر واعظم وسيره في طرق تفاصيل المقامات العالية
الدقيقة وتركه لاضدادها مع كثرة قطاع الطريق والتحلي فيها اشد واشق بخلاف قليل العقل فانه لا يسير في هذه الطرق
ومقامات هي معارك النفوس ومع لم يقع فيها ولم يرشقها ولا صولة الاعادي فيها واما تضعيف اجر من له قلة حفظ على من له قوة
حفظ فانما هو بعد تساويهما في العلم بالقراءة واحكامها فليس هذا من قبيله الخبر فيه ان رجلاً من بني اسرائيل كان يعبد الله في جزيرة
من جزاير البحر قال المطرزي في المغرب الجزر انقطاع المد ويقال جزر الماء اذا انفرج اي انكشف حين غار ونقص ومنه الجزيرة وقال
الجوهري الجزيرة واحدة جزاير البحر سميت بذلك لانقطاعها عن معظم الارض خضراء بفتح الخاء وسكون الضاد اي فيها الفواكه
والثمار والكمثرى وغيرها والبقول كالكراث والكرفس والسداب ونحوها والنبات والكلاء الاخضر وجميع ذلك نضرة
صفة بعد صفة والنضرة الحسن والرونق وقد نضر وجهه اي حسن ونضره الله يتعدى ولا يتعدى كثيرة الشجر ظاهرة الماء
بالظاء المعجمة يعني ان ماءها كان جارياً على وجه الارض وقد يقرأ بالطاء المهملة وكأن طهارة مائها كناية عن صفائه ولطافته
وخلوه عما يغير لونه وطعمه والظاهر ظاهر الماء بلا تاء لان الوصف بحال المتعلق في التانيث والتذكير تابع لفاعله دون الموصوف

والفاعل هنا مذكور وان ملكا من الملائكة مر به فقال يا رب ارني ثواب عبدك هذا دل هذا وغيره من الاخبار على ان الملائكة لا يعلمون ثواب اعمال العباد كما وكيفا بل لا يعلمون تفاصيل اعمالهم ايضا الا ما شاء الله فاراه الله ذلك فاستقله الملك اي عده قليلا بالنظر الى عبادته فاوحى الله اليه ان اصحبه فاتاه الملك في صورة انسي تمثل الملائكة والشياطين والاجنة الذين هم اجسام شفافة بل الاعراض ايضا كالاعمال والعقائد بالصور الجسمانية الكثيفة مما لا ينكره العقل وقد ثبت ذلك من طرق العامة والخاصة باخبار معتبرة متكثرة ولا يستلزم ذلك تبدل الحقايق ولا عبرة بانكار بعض اهل الظواهر اذ الحقيقة الواحدة تختلف صورها باختلاف المواطن فتتجلى في كل موطن بحلية وتتزيا في كل نشأة بزي وهو مذهب الخواص من اهل التحقيق وتوضيحه ما اشار اليه الشيخ في الاربعين من ان سنخ الشيء واصله امر مغاير لصورته التي تتجلى بها على المشاعر الظاهرة ويلبسها لدى المدارك الباطنة وانه يختلف في تلك الصور بحسب اختلاف المواطن والنشآت فيلبس في كل موطن لباسا ويتجلبب في كل نشأة بجلباب كما قالوا ان لون الماء لون انائه والاصل الذي يتوارد عليه هذه الصور ويعبرون عنه تارة بالسنخ وتارة بالوجه ومرة بالروح فلا يعلمه الا علام الغيوب فلا يبعد في كونه متلبسا في موطن بالصورة الملكية او العرضية وفي آخر بالصورة الانسانية او الجوهرية وانه بعيدات لا يليق المقام ذكرها وانما اتاه بصورة انسي لا بصورة ملكية ليعرف ذلك العابد انه من جنسه ولا يعلم انه ملك لانه ادخل في الامتحان او لعدم استعداد العابد لرؤية الملك بصورته الاصلية او لعدم قدرته على تحمل هيبة الصورة الملكية وفيه دلالة على تحقق المكاشفة وظهور الاشياء الملكوتية والآثار الربوبية التي تحجبها الشواغل الجسمية والعوائق البدنية والعلائق البشرية عمن شاهدتها على بعض النفوس العارية عن هذه الشواغل الظلمانية عن تلك الموانع الرياضة باعمال الرياضة المتازة بانواع العبادة والشواهد عليها من القرآن والاخبار كثيرة فلا عبرة بانكار المنكرين فقال له اي العابد له اي الملك من انت قال انا رجل عابد لم يرد انه رجل بحسب الحقيقة حتى يلزم انقلاب الماهية بل اراد انه رجل بحسب الصورة ويصدق عليه مفهومه بحسب الرؤية فاية الاخبار باعتبار الوصف بلغني مكانك اي نزاهة مكانك او منزلتك او موضعك وعبادتك في هذا المكان فاتيتك لاعبد الله معك فيه ترغيب في الميل الى الصالحين والرفاقة معهم في العبادة فكان معه يومه ذلك فلما اصبح قال له الملك ان مكانك لنزه بالغ في التأكيد مع ان نزاهة المكان امر محسوس غير قابل للانكار لانه رأى العابد مشتغلا بعبادته بحيث عما سواه بحيث لا يخطر بباله المكان والمكانيات اصلا بل كانه ينكر وجود غيره بالكلية فهو بهذا الاعتبار صار منكرا فصار ناسب الخطاب معه تأكيدا بليغا وما يصلح الا للعبادة دل على ان مكان العبادة ينبغي ان يكون طاهرا نزها لانه يوجب نشاط النفس وسرورها ويدفع انقباضها وكل ذلك يبعثها ويحركها الى المقامات العالية الموجبة لتحمل مشاق العبادة ورياضاتها فقال له العابد ان لمكاننا هذا عيبا فقال له وما هو قال ليس لربنا بهيمة اي في الوجود او في هذا الموضع والاول احرى وانسب فما اتا عد هذا عيبا للمكان

صح

بلغ

باعتبار انه سبب لعيبه وهو ضياع حشيشه كما اشار اليه بقوله فلو كان له حمار رعيناه في هذا الموضع فان الحشيش يضيع بيان للملازمة فقال له الملك وما لربك حمار بالاستفهام ويحتمل ان يكون للنفي ايضا اي ليس لربك حمار لانه اجل وارفع من ان يكون له حمار وفيه ان النفي على تقدير صحته لا يناسب قوله فقال لو كان له حمار ما كان يضيع مثل هذا الحشيش هذا قياس استثنائي انتج برفع التالي رفع المقدم والملازمة ممنوع لان خلق كل حشيش لا يجب ان يكون للحمار ونحوه اذ له منافع كثيرة ومصالح جمة لا يعلمها الا هو فهذا الكلام من جملة ما دل على قلة عقله فاوحى الله الى الملك انما اثيبه على قدر عقله فكما كان عقله قليلا كان ثواب عمله ايضا قليلا واما قلة عقله فلعدم علمه بانه ما يفعل ربه بالحمار واي احتياج له اليه وان العيب الذي نسبه الى المكان راجع بزعمه الى عيب ربه واعتراض واعتراض عليه بضعف تدبيره لخلق الحشيش عبثا بلا منفعة ولا مصلحة وان خلق كل لا يجب ان يكون لاجل الحمار وان لكل شيء منافع واغراض لا يعلمها الا هو وان ليس لاحد ان يقول لربه لم خلقت هذا ولم تخلق ذاك وان المقامات العلية والدرجات الرفيعة انما هي للعابدين المرتضين على سواء حتى علق قلبه باخس المخلوقات وصرف همته الى ان يكون راعيا لله لئلا يضيع النباتات وفيه دلالة على ان امثال هذه الاعتقادات الفاسدة والاعتراضات الباطلة والاقتراحات الكاسدة لا يضر في اصل الايمان ولا في الاثابة على الاعمال الصالحة اذا كانت مستندة الى قلة العقل وضعف البصيرة كيف وقد دل الاحاديث الكثيرة على ان اكثر اهل الجنة النساء وضعفاء العقول لا يقال ترتب الثواب على العبادة مشروط بصحتها وصحتها مشروطة بنية التقرب الى الله تعالى ونية التقرب اليه متوقفة على معرفته ومعرفته بهذا النحو وهو انه خالق من الاشياء عبثا بلا مصلحة ولا منفعة ليست بمعرفة حقيقة فكيف يتحقق يترتب الثواب على عبادة هذا الرجل في الآخرة لانه يقال ادنى المعرفة مع نفي الشريك يكفي في ترتب ادنى الثواب على العمل وذلك لان العبد اذا عرف ربه بقدر عقله ووسعه ولم يعتقد الشريك له ولا مشابهته لخلقه في الجسمية والمقدار وما يتبعهما كان قابلا للرحمة الواسعة مع رجحان الرحمة فاذا انضم معها عبادة عارية من الكبر والعجب والرياء وغيرها من الآفات والمفسدات للعبادة صار جانب الرحمة ارجح واستحقاق الثواب اقوى فوجب تحقق الثواب ولو كان حصول اصل الثواب موقوفا على كمال المعرفة والظاهر ان ذلك لا يتيسر الا للعارف الكامل الذي هو فريد في العقل والكمال لزم ان لا يكون من هو دونه من الضعفاء من اهل الرحمة وهو خلاف ما نطقت الروايات ودلت عليه الآيات والظاهر انه لم يذهب اليه احد ايضا علي بن ابرهيم ثقة معتمد صحيح المذهب له كتب عن ابيه ابرهيم بن هاشم ابي اسحق القمي لم يصرحوا بجرحه وتعديله والارجح قبول قوله صه عن النوفلي حسين بن يزيد بن محمد بن عبد الملك وكان شاعرا اديبا وقال قوم من الكوفيين انه غلا في آخر عمره عن السكوني اسمعيل بن ابي زياد الشعيري له كتاب وكان عاميا عن ابي عبد الله عليه السلم

قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله صرح عنه بالنسبة مع ان جميع ما روى عنه اخذه من مشكوة النبوة للتشرف
بذكره وللتاكيد والمبالغة في مضمون الحديث ولاحتمال ان يكون السامع لا يقبل منه بدون ذلك اذا بلغكم عن رجل
حسن حال من فعل الصلوة والزكوة والصيام والحج والصدقات وغيرها من الاعمال الدينية والدنيوية فانظروا في حسن عقله فان
وجدتم عقله على وجه الكمال فاعلموا ان اعماله ايضا على وجه الكمال وان الثواب المترتب عليها على وجه الكمال وان وجدتم عقله ناقصا
فاعلموا ان جميع ذلك ناقص فلا تغتروا بجميل اعماله وافعاله واستقامة احواله ظاهرا ولا تحكموا بمجرد ذلك على صحة عقيدته
وسلامة قلبه وكمال عمله وثوابه بل انظروا اولا في حسن عقله وكمال جوهره فانما يجازى بعقله اى بقدره والعقل مراتبه
متفاوتة تفاوتا فاحشا وهو اصل العبادة واساسها كما قال الصادق عليه السلام العبادة حسن النية من الوجوه التي يطلع الله منها والظاهر
ان ذلك لا يحصل بدون العقل ففضل العبادة وكمال ثوابها بقدر فضل العقل وكماله وفيه دلالة على ان ثواب العالم افضل من ثواب
الجاهل وان كان الجاهل اعبد منه وعلى اختبار حال الشاهد والراوي وكل مخبر وان كانت احوالهم حسنة بحسب الظاهر محمد بن
يحيى عن احمد بن محمد عن ابن محبوب عن عبد الله بن سنان قال ذكرت لابي عبد الله عليه السلام رجلا مبتلى بالوضوء والصلوة اى بالوسواس
في نيتهما وفي فعلهما او بالخاطرات التي تشغل القلب عنهما وقلت هو رجل عاقل التنكير للتعظيم والتفخيم فقال ابو عبد الله عليه السلام واى
عقل له وهو يطيع الشيطان انكار لذلك القول على سبيل المبالغة فان من يطيع الشيطان كانه لا عقل له فضلا عن ان يكون عقله
كاملا ويحتمل ان يكون نفيا للعقل حين كل طاعة فيكون ردا لذلك القول على ان يكون قضية دائمة واعلم ان للشيطان تصرفا عجيبا
في الانسان وامرا غريبا معه فانه اذا يئس من كفره من جهة ايمانه قصده بالوسوسة ليشغله من جهة الشقوة ويكدر عليه افعاله
ويؤذيه فربما يتصرف فيه بامر النية وهي القصد الى الفعل المامور به تقربا الى الله فيقول له الملك تقصد قصدا معتبرا ويقول
له الملك الموكل بقلبه لتسديده انك قصدت ويقع بينهما تعارض يوجب تردده فعند ذلك يقول له الشيطان كيف قصدت مع هذا التردد
فيبطله ويستانفه وهكذا دائما وقد يقول له لا يكفيك هذا القصد الاجمالي بل يجب عليك القصد الى الفعل به تفصيلا من غير
في تفصيل معنى القصد والفعل وجوبه وندبه والقربة وغير ذلك وكلما خطر معنى من هذه المعاني بالبال غفل عن الاخر لان شرب القلب
فيقول له لا بد لك من تدارك ذلك الاخر فيامره بذلك دائما فيبقى مترددا بحيث لا يدري ما الفعل فيعتريه بذلك سبب القلق والاضطراب
حتى كانه مجنون وقد نقل عن ابن الباقلاني انه قال يجب على المصلي في نية الصلوة ان يستحضر العلم بالصانع وما يجب له وما يستحيل عليه وما
يجوز له من بعثة الرسل وتاييدهم بالمعجزات ووجه دلالتها على صدقهم ويستحضر مع ذلك الطرق التي وصل بها التكليف ويستحضر حدوث
العالم وما يتوقف عليه العلم بحدوثه من اثبات الاعراض واستحالة خلو الجوهر عنها وابطال حوادث لا اول لها ويستحضر الصلوة بجميع اجزائها
وافعالها وشرائطها وقال المازري اتى ارحتنا تباع ابن الباقلاني في ذلك القول فرايته في منامي كاني اخوض بحرا من ظلام فقلت هذا

والله

والله قول ابن الباقلاني وربما يتصرف في قلبه ويشغل عن ذكر ربه وعن افعال العبادة واجزائها ويقول له اذكر كذا وكذا
وافعل كذا وكذا الى غير ذلك من الخاطرات الردية فيحيره بحيث لا يعلم ما فعل وكم صلى وقد قيل ان رجلا شكى الى بعض اهل العلم انه خبا
شيئا فلم يجده اين هو فامره ان يصلي ركعتين ويجتهد ان لا يحدث فيهما نفسه ففعل فجاءه الخبيث فذكره اين خباه ولا يخفى ان عروض
قبول القلب تلك الخاطرات وتاثره بتلك التصرفات انما هو لضعف العقل فان العاقل اللبيب يعلم ان العبادة وسيلة انما معراج
العابدين وكلما يبعده ويشغله عن الذكر فهو من تدليسات ذلك اللعين فيسد طرق تصرفاته بالبصيرة وان النية انما هي القصد بالشيء
ولا معنى لتكراره بعد حصوله وان التردد انما ينشا من العدد والمبين اي ملاحظة تفاصيلها وتمييز بعضها عن بعض خارجة عن القصد
وان امتثال امر الله سبحانه كامتثال العبد امر سيده وان تعظيمه كتعظيمه فلو امره سيده بفعل معين في وقت معين فقام امتثالا
لامره وفعله في ذلك الوقت كان ممتثلا لامره عرفا وشرعا ولو شرع في القيام وقال اقوم امتثالا لامر مولاي قياما مقارنا
لتعظيمه واشتغل بذلك لكان شيئا مطلوبا له وافعل فيه في وقت كذا الفعل الذي اجزاؤه كذا وكذا او يكرر ذلك لينتقش في
قلبه صورة هذه المعاني لعد ضعيفا في عقله وسخيفا في رايه لان هذه الصور مخطورة بالبال مندرجة تحت الامتثال على
سبيل الاجمال كاندراج اجزاء العالم وعلة حدوثها في قولك العالم حادث فكما ان القصد الى الاجزاء مثل الارض والسماء الى غير ذلك
مما يحيط العد والاحصاء خارج عن افادة هذا القول بل زايد كذلك القصد الى الصور المذكورة فيما نحن فيه فقلت له وكيف يطيع الشيطان
مع اشتغاله بالعبادة واهتمامه بها وكيف للاستفهام عن وجه ذلك او للانكار فقال سله هذا الذي ياتيه من الوسواس في الوضوء والصلوة
والابتلاء بهما من اي شيء هو انما احال البيان اليه للتنبيه على ان كونه من الشيطان امر يقيني يعرفه كل احد حتى صاحبه وذلك لان
كل احد يعلم ان الزيادة في الدين انما هو من عمل الشيطان اللعين فانه يقول لك من عمل الشيطان لعلمه بانه الباعث لهذا الفعل دون الشرع
او العقل وتصديقه بذلك لا يوجب كونه عاقلا كالملوك شارب الخمر والزاني والسارق فانما العاقل من ترك عمل الشيطان ولم يعمل بقوله
وقيل قوله من عمل الشيطان قول بلسانه ولم يؤمن به قلبه اذ لو عرف انه من عمل الشيطان لكان عاقلا لا موسوسا وانما يقول ذلك
تقليدا او اضطرارا وذلك مثل ما حكى الله سبحانه عن الكفار بقوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فان هذا قولهم
بافواههم ولم تؤمن به قلوبهم اذ لو علموا ذلك لم يكونوا كفارا وانما قالوا ذلك تقليدا وسماعا من الناس على الرسم والعادة ولا يخفى ضعفا
وعرفانا فلذلك لا ينفعهم في الدنيا والاخرة وفيه نظر لانا لا نسلم ان علمه بان ذلك من عمل الشيطان يستلزم ان يكون عاقلا لما عرفت
ولا نسلم ان علم الكفار بان الله خالق السموات والارض يستلزم عدم كفرهم لجواز ان يكون كفرهم مع علمهم بذلك لاجل امر اخر كاعتقادهم
باستحقاق الاصنام للعبادة ونحوه فليتامل عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد عن بعض اصحابه رفعه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
ما قسم الله للعباد شيئا افضل من العقل كما قيل بالفارسية الهى انرا كه عقل دادى چه ندادى وانرا كه عقل ندادى چه دادى

والمقصود ان العقل افضل من جميع ما قسمه الله للعباد وهذا المعنى يفهم من هذه العبارة بحسب العرف فان المفهوم من قولنا ليس في البلد افضل من زيد ان زيدا افضل من غيره وسره ان العقل مناط لجميع الفيوضات الدنيوية والاخروية ولم يبق شيء

من الاعتبار بهذه المثابة والجهل بحكم المقابلة اخس من جميع الاشياء فيظهر وجه التفريع في قوله فنوم العاقل افضل من سهر الجاهل يعني للعبادة وذلك لان حقيقة السهر وان كان افضل من حقيقة النوم لكن النوم المقارن للعقل افضل الا ان النوم المقارن للعقل

واشرف من السهر المقارن للجهل بحكم المقابلة والمجاورة ففيه زيادة مبالغة على شرافة العقل وخساسة الجهل ولان العاقل لا ينام الا بطهارة ودعاء الملئكة يستغفرون له ويكتبون له الصلوة ما دام نائما كما نطقت به الاخبار وظاهر ان استغفار الملئكة والصلوة

المكتوبة له افضل من عبادة الجاهل ولان نوم العاقل ربما يتعلق عن رؤيا صالحة وهي جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة كما دلت عليه الروايات فنوم العاقل في الحقيقة معراج له بخلاف سهر الجاهل ولان العاقل لا ينام الا بقدر الضرورة ويجعل نفسه

وسيلة الى عبادة اخرى ولا شك انه على هذا الوجه عبادة مستندة الى العقل وسهر الجاهل لاجل العبادة وعبادته غير مستندة اليه وظاهر ان العبادة المستندة الى العقل افضل من العبادة الغير المستندة اليه وقد سمع امير المؤمنين عليه السلام

رجلا من الحرورية اي الخوارج يتهجد ويقرأ فقال نوم على يقين خير من صلوة في شك والوجه فيه ظاهر لان صلوة الشاك فيما يجب الاعتقاد فيه لا تنفعه ونوم الموقن له فوايد كثيرة واقامة العاقل افضل من شخوص الجاهل اي سفر الجاهل من بلد الى بلد لطاعة الله

كالحج والجهاد ونحوهما مع ان الشخوص مشقة زايدة على الاقامة وذلك لان عقل العاقل وان كان جسمه مقيما ساير في المقامات العالية التي لا تخطر ببال الجاهل ابدا وله في كل آن سفر روحاني وشهود رباني ولا شبهة في ان سير الروح في معارج العرفان مع سكون الجسم افضل من سير الجسم في البلدان مع سكون الروح اولان اقامة العاقل وسكونه عبادة كشخوص الجاهل ولا ريب في ان عبادة العاقل

اشرف من عبادة الجاهل ولان روح الطاعة واعتبارها هو النية وقصد القربة ولا يحصل ذلك الا بالمعرفة واليقين والجاهل بمعزل عنهما ولا بعث الله نبيا ولا رسولا من باب ذكر الخاص بعد العام لان النبي اعم من الرسول كما سيجيء في الباب الثالث من كتاب الحجة

حتى يستكمل العقل ويكون عقله افضل من عقول جميع امته لانه واسطة بينهم وبين الله فيستحيل ان يكون في امته من هو افضل منه عقلا او مساويا له لاستحالة ترجيح المفضول على الافضل وترجيح احد المتساويين على الآخر وفيه مدح عظيم للعقل والعقلاء حيث حكم بان التفاضل في الدرجة والتشرف بشرف النبوة والرسالة انما حصل به ولذلك صار خاتم المرسلين اشرف المخلوقات

اجمعين ولولاه لما خلق الله السموات والارضين ولا الملائكة المقربين لان عقله نور من رب العالمين بها اخذ النور كل نبي وكل وصي في دعوى الامكان كما ان الكواكب تستضئ بنور الشمس في ظلمة الليل اذا كانت غايبة في الخفاء فاذا طلعت قهر نورها على انوار الكواكب منه يظهر سر نسخ شريعته الغراء لشرايع الانبياء وما يضمر النبي افضل من اجتهاد المجتهدين لكونه عقله افضل

ورافع

وارفع من عقولهم لان عقله لشدة اتصاله بنور الحق جل شانه كمال محض لا نقص فيه قطعا ونور صرف لا تشوبه ظلمة اصلا وذلك لان الاتصال بمنزلة اتصال الحديد بالنار وتاثره منها بحيث يصير نارا صرفا بمحو هويته حتى يؤثر في غيره مثل تاثيرها وبه يشعر قوله ليلة المعراج خطابا له صلى الله عليه وآله وما يتقرب عبدي الي بشيء احب الي مما افترضت عليه وانه ليتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها ان دعاني اجبته وان سالني اعطيته ولاجل ذلك الاتصال التام يظن من ليس له معرفة وتميز انهما متحدان والارباب المعرفة فيعرفون ان بينهما مغايرة وان هذا المخلوق اتصل بكمالات الخالق كما ان ذلك الحديد اتصف بصفات النار وهذه المرتبة هي المرتبة العظمى والدرجة العليا من مراتب العقل ودرجاته وهي مرتبة حق اليقين وهو فناء وراء تلك المرتبة اعني مرتبة علم اليقين ومرتبة عين اليقين يشاهد المعقولات كلها مشاهدة العيان بحيث لا يعرف شيئا الا باللّه هذا حال العقل وعقل اوصيائه عليهم السلام الا ان بين عقله وعقلهم تفاوتا دقيقا لا يعرفه الا الله سبحانه واما عقل غيرهم ممن تمسك بعصمتهم نحوه وان كان كاملا ونورا في ذاته لكنه استعداد محض وظلمة صرفة بالنظر الى عقلهم اذ غاية جهده ونهاية سعيه تحصيل تلك المعقولات على قدر الوسع من مباديها بالاجتهاد وهو في هذه المرتبة بمنزلة من استدل على وجود النار بمشاهدة الدخان وبين هاتين المرتبتين مسافة بعيدة كما لا يخفى على العارفين واذا كان كذلك وافضل من عقول المجتهدين كان ادراكاته وتعقلاته افضل واتم من اجتهادات المجتهدين وتعقلاتهم ولهذا الحكم بان عقل الاعلم وادراكاته اتم وافضل من عقل العالم وادراكاته وكذا عقل العالم وادراكاته اتم وافضل من عقل الجاهل وادراكاته بالنسبة هنا ويرشد الى التفاوت المذكور قول الصادق عليه السلام اعرفوا منازل الناس على قدر رواياتهم عنا وما ادى العبد فرايض الله حتى عقل عنه اي عقل عن الله وعرفه حق معرفته وعلم ما يصح عنه ويمتنع عليه وحقق امره فيما اراده من الفرايض والاحكام وذلك ظاهر لان اداء الفرايض لا يتصور بدون العلم فيها المتوقفة على معرفته ومعرفته لا يتصور بدون العقل فالعقل هو الاصل لجميع ذلك ولا بلغ جميع العابدين اي مجموعهم من حيث المجموع او كل واحد منهم في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل اي في فضل عبادة او في عقله عن الله واحكامه وعلمه بها لان العقل اصل العبادة وروحها اذ به يحصل الخوف والخشية والخضوع الموجبة لصعودها الى محل القبول والخلاء الفرع عن الاصل وعدم صعود العبادة الفاقد لروحها بين لا سترة فيه والعقلاء هم اولو الالباب في تعريف الخبر باللام وتوسيط ضمير الفصل تنبيه على التخصيص والقصر اي على قصر المسند على المسند اليه كما هو الشايع في مثل زيد هو الامير او على قصر المسند اليه على المسند فانه قد يجيء لهذا المعنى ايضا كما في قولهم الكرم هو التقوى اي الكرم الا التقوى وهذا انسب بالمقام لان الظاهر ان المقصود حصر العقلاء بانهم ليسوا الا اولو الالباب الذين مدحهم الله تعالى في الكتاب ويحتمل ان يكون المراد بيان اتحاد المفهومين يعني اذا حققت معنى اولي الالباب

وتقرر ذلك في ذهنك وتصورته حق تصوره فقد عرفت مفهوم العقلاء وحقيقتهم فانه لا مفهوم لهم وراء ذلك فلا يرضاك
حمل لب المعنى ولا قصر وقد صرح ائمة العربية بجواز ارادة هذا المعنى في مثل هذا التركيب منهم الشيخ في دلائل الاعجاز
الذين قال الله تعالى فيهم رحمهم والجملة صفة لاولى الالباب او للعقلاء وما بين اولى الالباب واولو الالباب وهم الذين اتصفوا
بنور البصائر وجودة الاذهان وشاهدوا المعارف مشاهدة العيان واهتدوا اليها لتجرد عقولهم عن غواشي الحواس وعلائق
الابدان وصعدوا بالسلامة عقولهم معارج اليقين فصاروا اهل الذكر ومنبع العرفان الذين فرض الله سبحانه رجوع العباد اليهم
بقوله فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فالمتمسكون بهم متمسكون بحبل الله وهم مهتدون وبعض اصحابنا رفعه النسخ هنا مختلفة
ففي بعضها هذا وفي بعضها ابو عبد الله الاشعري عن بعض اصحابنا رفعه واسمه الحسين بن محمد وفي بعضها ابو عبد الله الاشعري رفعه
وفي بعضها ابو علي الاشعري رفعه وضعف الخبر بحسب الاسناد لا يقدح بصحة مضمونه لاشتماله على علوم عقلية وحكم برهانية وادلة جلية
ودلائل وحدانية وشواهد ربوبية ومواعظ لقمانية هي مناهج الايمان ومعارج العرفان كما سيظهر ذلك من مطالعة الابواب ومشاهدة
التبيان عن هشام بن الحكم يروي عن ابي عبد الله وابي الحسن موسى عليهما السلام وكان ثقة محققا متكلما حاضر الجواب وله مدائح كثيرة جليلة
عنهما عليهما السلام وسيجيء في كتاب الحجة بعض مدائحه ومهارته في صناعة الكلام وما روي في ذمه لجاجوا عنه في موضعه وقال العلامة
هو صدوق عظيم الشأن رفيع المنزلة قال قال لي ابو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام يا هشام ان الله تعالى بشر اهل العقل والفهم في
كتابه لما كان الغرض من خلق نوع الانسان معرفته والعبادة له كما قال كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لكي اعرف وقال
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وذلك الغرض لا يمكن حصوله الا باستعمال العقل والفهم خص الله سبحانه اهلهما بالبشارة تعظيما وتكريما
لهم واما غيرهم فكانهم بمنزلة بهائم غير قابلين للبشارة والحكمة لانهم من اهل الضرر والاثم كما قرر في سر الكتاب فقال فبشر عبادي
الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه في اضافة العباد اليه سبحانه تشريف لهم بشرف الاختصاص والتكريم وفي عدم ذكر المبشر به
دلالة على التفخيم والتعظيم وفيه مدح للسالكين في منهج الصواب التابعين للحق في كل باب وقد سال ابو بصير ابا عبد الله عليه السلام عن هذه
الاية فقال هم المسلمون لال محمد الذين سمعوا الحديث لم يزيدوا فيه ولم ينقصوا منه جاؤا به كما سمعوه ويمكن التعميم بحيث يندرج
فيه المترددون بين الفريقين والمتحصون بين المتخاصمين يسمعون من احد الطرفين اقوالا ينقلون الى الاخر احسنها ليرتفع التخالف عنهم
ويوقع التوافق بينهم ويندرج فيه الناظرون الى جمال الحقائق بنور البصر والطامحون الى نقد المعارف بغوص الفكر والمجتهدون
في سبيل الحق بالاستدلال والنظر فان كل قول صدق وعقد حق له ضد ومعاند فان القول بان الله موجود عالم قادر حكيم مثلا
ضده انه ليس بموجود كما يقول الملاحدة وانه ليس بعالم على الاطلاق كما يقوله من نفى عنه العلم بالجزئيات وانه ليس بقادر على اعادة
الاجسام كما يقوله من نفى المعاد الجسماني وانه ليس بحكيم كما يقوله من نفى التدبير عنه وقس عليه غير ذلك مما يتعلق بالاصول والفروع
ومن

ومن البين ان التمييز بين الصحيح والسقيم من هذه الامور وغيرها لا يمكن بمجرد الاستماع والا لوقع الخلاف فيها وانما يمكن بما هو حجة الله تعالى
على عباده وهو العقل الصحيح السليم عن غواشي الاجسام ولوابس الاوهام وذلك التمييز يتصور بوجهين احدهما ان العقل الصحيح اذا
لاحظ الضدين يعين منهما ما هو احسن كما هو شان المجتهدين من اولي الالباب مثل الانبياء والاولياء وثانيهما ان يجد احسن الضدين وحسن الباطن
المتعلقة كما هو شان المجتهدين في البشارة تشمل الجميع اولئك الذين هداهم الله يعني اولئك الموصوفون بالصفة المذكورة هداهم الله
الى خير الدنيا والاخرة من اجل تلك الصفة ويحتمل ان يكون جواب سوال عن سبب تبشيرهم دون غيرهم كانه قيل لم هؤلاء العباد الموصوفون
بالصفة المذكورة اختصوا بالتبشير لهم دون غيرهم فاجيب بان السبب هو اختصاصهم بالهداية واللطف والتوفيق لسلوك سبيل الخيرات
من الله سبحانه وعلى التقديرين لا محل لهذه الجملة من الاعراب وفيه دلالة على ان الهداية امر حادث من الله للعقول القابلة المستعدة لها واولئك
هم اولوا الالباب اي ذوو العقول السليمة عن شوائب العلائق ومفاسد العادات واما غيرهم ممن لم يفرق بين الاقوال والعقائد
الحسنة والقبيحة او فرق واتبع القبيحة بحكم النفس وتارة هو من اهل الضلالة والجهالة بحكم القابلة وان كان له ما يميل به في اقسام الدنيا
وزهرتها فان ذلك عقل عند الجهلاء وشيطنة عند العقلاء يا هشام ان الله تبارك وتعالى اكمل للناس الحجج بالعقول الحجة الفضل ومنه
الحجة اي البرهان وولاة امر الله سبحانه لانهما يقصدان ويعتمدان به بها يقصد الحق المطلوب وقد يطلق على العقل وبه كما في بعض الروايات
لله على الناس حجتان احديهما العقل والاخرى الرسول ولا يجوز ارادته هنا بعلاقة الاولى فانه يجوز ارادة الاول على ان يكون
الباء للسببية يعني اكمل للناس براهين وجوده ووجوبه ووحدته وقدرته الى غير ذلك من الصفات بسبب العقول وخلقها وتركيبها فيهم ويجوز
ارادة الثاني على ان يكون الباء للتعدية او السببية ايضا يعني اكمل للناس حجة الانبياء والاوصياء المرضيين بعقولهم الصافية واذهانها
الثاقبة او بسببها لانهم ان تمحيهم عقولا زكية عارية عن شوائب النقصان مدركة للشواهد الربوبية بحقائق الايات ونصر النبيين بالبيان
اي الفصاحة لان نبي كل قوم افصح منهم لسانا ويجوز ان يراد به ما يتبين به الشيء من الكلام والايات الباهرة والدالة على نبوتهم المكملة لهم احوال
عباده ونفى بها عنهم المرافقة لانه يخرج الناس من ظلم الجهالة والغواية وينجيهم من حيرة الضلالة والضلالة ويدلهم على الطريق بربوبيته
عود الحجج الى النبيين وترتيب الى الناس يعني بالادلة الدالة على وجود ذاته والايات الكاشفة عن جلايل صفاته وتلك الادلة من اثار
صنعه العجيبة وافعاله الغريبة لان معرفة الشيء اما بمشاهدته نفسه وحضوره عند العارف كمعرفة هذا الرجل وهذا الجبل واما بمعرفة علته
وهذا الطريق يقال له برهان لمي واما بمعرفة معلوله ويقال له برهان اني ولا طريق للمعرفة غير هذه الثلثة لان ما لا يكون نفس الشيء
ولا علته ولا معلوله لا تعلق له بذلك الشيء فلا دخل له في معرفته ثم الطريق الاول لا يتيسر الوصول اليه الا للمقربين المخصوصين بزيادة
اللطف والتوفيق وهم الذين اخذت بايديهم العناية الازلية وازالت عنهم الهويات البشرية وقطعت عنهم العلائق البدنية ورفعتهم
في عالم التجرد منازل القدس وارفع مقامات الانقطاع بحيث يشاهدونه بلا حجاب كما لمونه بلا سوال وجواب كما هو صفت نبينا

واوصيائه عليهم السلام والطريق الثاني لا اثر له في ساحة قدسه جل شانه لانه بسيط صرف لا تركيب فيه اصلا لا ذهنا ولا خارجا واجب
لذاته مبدأ الجميع ما سواه واليه ينتهي الآثار كلها فلا فاعل له خارجا عن ذاته ولا سبب له داخلا في ذاته عز ذلك علوا كبيرا والطريق
الثالث يشترك فيه الكل فلذا اخصه بالذكر وهو طريق يسلكه كل من له عقل سليم وطبع مستقيم ولكن سلوكهم ووصولهم اليها
وانقيادهم على حسب تفاوت مراتب عقولهم اما ترى انك تستدل بملكوت السموات والارض وحركات الكواكب بنوعيها
على وجود صانعها ومدبرها كما استدل بها خليل الرحمن ع اكمل استدلال بها التعليم وقد حصل لك علم ضعيف شبيه بالجهل
حتى لو وقعت في بلية تلوذ بكل من زعمت انه يخلصك منها وحصل له ع علم ثابت ويقين جازم حتى قال له الروح الامين حين
رمي بالمنجنيق وكان في الهواء مائلا الى النار الك حاجة قال اما اليك فلا وما عرضه عنه في تلك الحالة والتجاؤه الى ربه
ولجأ الآيات ولو عاد ضمير الجمع في لهم الى الناس لكن ان يراد بالادلة المعصومون المطهرون عليهم السلام فقال والهكم اله واحد اي
مستحق العبادة منكم واحد لا شريك له يصح ان يعبد ويسمى الها ووحدة التي ابوجه عدم انقسامه من جهة اتصافه بما شكل وجوه
متصف بها فان الرجل الواحد مثلا يحتمل ان ينقسم الى رجلين او اكثر ان ينقسم من وجه آخر وقيل هي وجوده الخاص الذي به يتعين
ووحدته للعالم لم يكن متحققة بجهة دون امر زائد بل هو متصف بها من جميع الجهات كانت وحدته راجعة الى انه بسيط في الذات بمعنى ان
ذاته غير مؤلفة من الاجزاء اصلا والى انه فرد لا شريك له في الوجوب الذاتي والالهية والى انه واحد في افعاله لا شريك له في المبدئية
وفي انتساب جميع الكائنات اليه اما بلا واسطة او بواسطة والى انه واحد في صفاته عين ذاته وبالجملة عالم الالهية والوجوب الذاتي
يابى عن تحقق الكثرة فيه ذاتا وصفة وشركة والكثرة انما تحقق في عالم الامكان ثم قال بوقوع الكثرة في ذلك العالم كان في ذلك القصور
بصيرته وعدم تميزه بين عالم الامكان وعالم الوجوب لا اله الا هو قال القاضي وهو تقرير للوحدانية وان احدا لا يتوهم ان
في الوجود الها وكثيرا لا يستحق منهم العبادة وتوضيحه انه لما قال والهكم اله واحد ومعناه ان مستحق العبادة منكم واحد لكن ان يتوهم
احد ويقول ان الها واحدا يستحق العبادة منا فلعل في الوجود الها غير الهنا لا يستحق العبادة منا فازال هذا الوهم ببيان التوحيد المطلق
حيث نفى ماهية الالهية واثبت فردا منها فعلم انه لا وجود لها الا في هذا الفرد وعمم التوحيد التام الرحمن الرحيم اي المعطي لجميع النعم
الدنيوية والاخروية فهذا كالبرهان لما مر من انه يستحق العبادة دون غيره لانه لما كان هو المعطي النعم كلها اصولها وفروعها
في الدنيا والاخرة وما سواه والمانعة اذ نعم عليه كانت الالهية واستحقاق العبادة منحصرة فيه لا توجد في غيره اصلا قيل كان للمشركين
حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فلما سمعوا بهذه الآية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فات باية نعرف بها صدقك فنزلت
ان في خلق السموات على مقادير متفاوتة وابعاد شاهدة في البعد البعيد لما ذهبها من تحير الابصار بمشاهدة شعاع الكواكب
وسرعة دورانها كما يشاهد ذلك في البروق المتوالية المقطرية في الجو من المصابيح المكثرة التي تدور حول احد دورانا

حيثا

حثيثا فانها تحير بصره حتى يتحير لوجهه وعلى ادارتها مثل الدولاب مع ما فيها من الشمس والقمر والنجوم والثوابت والسيارات
على بسيط الارض ونوع انما يهذا التقدير المشهود والتأثير المعهود لصلاح الارض ومن عليها من غير انثلام ولا انخرام مع كمال انتظامها
واتساقها وعلى حركات مختلفة في الكم والكيف والجهة فبعضها سريع وبعضها بطيء وبعضها شرقي وبعضها غربي وبعضها
عرضي وعلى تجزيتها بمثلثات ومخمسات وحوامل وخوارج المراكز والتداوير وكل ذلك على انحاء مخصوصة واوضاع معلومة
لاغراض مقصودة بعضها جلي وبعضها خفي والارض على حجمها وثقلها وسوء بانها الماء وانكشاف بعضها ليكون مسكنا للحيوانات
البرية وعلى سعتها وسكونها وتوسطها بين الصلابة والرخاوة لتكون مأوى لانواع الوحوش ومسكنا لاصناف الناس ومزارعهم ومراعيهم
ومنابت اخشابهم واحطابهم ولا يكونوا بمنزلة المحصنين في حصار ضيق وليتمكنوا من السعي فيها في آربهم والجلوس فيها والنوم
عليها والانتقال عما لهم فانها لو كانت متحركة رجراجة لم يتمكنوا من التعيش فيها كما يشاهد ذلك فيما يصيبهم حين الزلازل على قلة
مكثها وليتمكنوا من الزرع فيها والبناء عليها والمشي فيها ويسهل خروج النبات والاشجار فانها لو كانت شديدة الصلابة
مثل الحجر او شديدة الرخاوة مثل الماء لما امكن شيء من ذلك وعلى ما فيها وما عليها من المياه والجبال والمعادن مثل الياقوت
والزبرجد والفيروزج والذهب والنحاس والحديد وغيرها كل ذلك لمنافع الخلق التي يعجز الوهم عن توصيفها وتحديدها
وعلى كرويتها الموجبة لاختلاف الآفاق والطوالع والمطالع والتعديلات والطلوع والغروب مستويا ومعكوسا واختلاف
اهوية اقاليم الموجب لاختلاف امزجة سكانها واختلاف احوالهم واخلاقهم والوانهم وقيل ان جميع السماء واقرب الارضين كل
سماء جنس آخر بخلاف الارض فانها جنس واحد واختلاف الليل والنهار اي تعاقبهما على هذا النظام الشاهد من الخلفة بالكسر وهي ان
يذهب احدهما ويجيء الآخر خلفه وبه فسر قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة ومنه قولهم واختلفا ضربة اي ضرب كل واحد
منهما صاحبه على التعاقب او اختلافهما في النور والظلمة او في الزيادة والنقصان ودخول احدهما في الآخر على سبيل التدريج حتى يبلغ كل
واحد منهما في الزيادة والنقصان وهي خمسة عشر ساعة تقريبا او في الطول والقصر والحر والبرد باعتبار العروض واهويتهما فان
العروض الشمالية كلما كانت اكثر كان قوس النهار اطول وقوس الليل اقصر ويكون النهار اطول من الليل بقدر ضعف تعديل النهار والعروض
الجنوبية بعكس ذلك او اختلاف سمتهما بحسب الامكنة فان الارض لما كانت كروية فاية ساعة فرضت من النهار فهي صبح لقوم
وظهر لآخر وعصر لثالث ومغرب لرابع وقس على هذا ولاختلافهما فوائد ومنافع للخلق فانه لو كان الليل والنهار سرمدا
الى يوم القيمة او كان مقدار النهار مائة ساعة او مائتي ساعة او اكثر كما في عرض التسعين فان هناك مدة كل منهما ستة
اشهر كان في ذلك بوار كل ما في الارض من حيوان ونبات ولو دخل احدهما في الآخر دفعة لا يتحمل ذلك الابدان واسقمها
كما يضر الخروج من الحمام الحار الى موضع بارد ولو كانت العروض متساوية في الحر والبرد والاهوية لضاق الامر على العباد

بخلاف ما اذا كانت متفاوتة فانه ينتقل منهم من اراد من موضع وجده موافقا لمزاجه فهي كالخوان الموضوع بين يدي جماعة فيه الوان
مختلفة من الاطعمة والاشربة والكمية والكيفية يأكل كل واحد منهم ما اراده ويوافق مزاجه وبالجملة انا وضع الله تعالى وحسن تدبيره في اختلافها
ومصالحه ومنافعه اعظم من ان يحيط بها علم الانسان ويكتب في الدفاتر ويذكر بالالسنة ولذلك ذكره الله تعالى في القرآن المجيد في مواضع
عديدة وموارد كثيرة تنبيها لهم عن الغفلة وتذكيرا لهم بالحكمة والفلك التي تجري في البحر الفلك بضم الفاء وسكون اللام واحد وجمع
فاذا كان واحدا فالضمة بمنزلة ضمة قفل واذا كان جمعا فالضمة بمنزلة ضمة اسد فالضمتان متفقتان لفظا ومختلفتان معنى اما
الجمع فكما في قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم واما الواحد فجعلا باعتبار التذكير بمعنى المركب كما في قوله تعالى في الفلك المشحون وقد يأتي
المؤنث بمعنى السفينة كما في قوله تعالى والفلك التي تجري في البحر ويحتمل ان يكون فيه جمعا بما ينفع الناس ما مصدرية اي بنفعهم او
موصولة اي بالذي ينفعهم من المحمولات والمجلوبات وعموم الاولى وضمير ينفع على الاول يعود الى الفلك بمعنى المركب فقيد استخدام
او الى الجري والبحر وعلى الثاني الى الموصول وفي وضع هذا المركوب بالشكل المخصوص الداخل فيه الهواء وحمله الامتعة الكثيرة
واصناف من الحيوان وجريه في الماء بسياق الرياح وعدم رسوبه فيه وتقوية القلوب على الركوب وجعل البحر متوسطا بين الكثيف
واللطيف القابل لجريانه من لطائف الصنع وحسن التدبير في مصالح الناس ومعاشهم لا يخفى على ذي البصائر الثاقبة ومن جملتها
انه لولا هذا المركوب لعطلت التجارات التي تجلب من البلاد البعيدة مثل ما يجلب من الصين الى العراق ومن العراق الى الصين وبقيت
الامتعة في بلادها في ايدي صاحبها او ان حملها على ظهور الدواب كان يجاوز اثمانها فلا يتعرض احد لحملها على ان بعض المسافات
كالبحر ما لا يمكن قطعه بالدواب فتفقد اشياء كثيرة تعظم الحاجة اليها فينقطع المعاش ويتضيق طرقه على الناس فمن جملة هذه
الحكمة جعل الفلك بحيث يحمل ما لا يحصى من الحمولة والاوزان والاثقال وهي تجري بعنايته في موج كالجبال وجعل الريح سائقها
ومحركها ولولا الريح لركدت كما قال سبحانه ومن آياته الجوار المنشآت في البحر كالاعلام ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ان
في ذلك لآيات لكل صبار شكور ومن جملتها انه لو جعل البحر لطيفا محضا مثل الهواء لما استقر الفلك على ظهره ولغرق من فيه ولو جعله
كثيفا محضا مثل الارض لما امكن قطعه وشقه فجعل متوسطا بينهما لتكميل مصالحهم قال القاضي الفاضل في هذه الآية الى الاستدلال
بالبحر واحواله وتخصيص الفلك لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب لان منشأهما
البحر في غالب الامر وقيل الحكمة في عدم رسوب السفينة في الماء وان كان بعض اجزائها او كلها اثقل منه كالحديد هي ان الاجسام
المتداخلة بعضها في بعض بمنزلة جسم واحد والمعتبر في الرسوب في الماء وعدمه ثقل المجموع بالقياس اليه وعدمه ولذلك
لو كثرت الحمولة وقل الهواء الداخل بحيث يكون المجموع اثقل من الماء رسبت وغرق اهلها والضابطة فيه انه لو وضع على الماء
جسم آخر فان كان نسبة حجمه الى حجم الماء كنسبة ثقله الى ثقل الماء فلا يرسب فيه اصلا بل يكون سطحه الاعلى مساويا لسطح الماء

في العلو والسفل وان كانت نسبة حجمه الى حجم الماء اقل منها فيرسب فيه البتة ويتفاوت بتفاوت ثقله يكون سرعة حركته وبطؤها
في النزول الى القعر وان كانت اكثر فلا يرسب على الطريق الاولى لكن يخرج منه شيء من الماء ثم بقدر اكثرية هذه النسبة يكون
خروج ابعاضه حتى يستوفي جميع النسب التي يتصور بينهما وان لم يبق بينهما نسبة اصلا وذلك بان لا يكون للماء ثقل
وميل الى المركز اصلا وعند ذلك يكون مماسا له بنقطة ان كان كرة او بخط او سطح ان كان غيرها من الاشكال فلذا اذا كان غير
طالب للعلو واتوا فيه تفصيلا على الماء ذلك تقدير العزيز العليم وما انزل الله من السماء من ماء من الاولى للابتداء والثانية
للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب المعلق وهذه من آيات وجوده سبحانه وقدرته وحكمته وحسن تدبيره من جهة كيفية نزول
المطر ومبدأ نزوله وفوائده اما الاول فانه ينزل متقاطرا متعاقبا ولو نزل متصلا دفعة واحدة مثل البحر لاهلك كلما يصيبه
وينزل في وقت دون آخر على التعاقب بينه وبين الصحو اذ في دوام احدهما فساد العالم وبطلان نظامه اذ لو دام المطر لعفنت
البقول والنباتات واسترخت ابدان الانسان وسائر الحيوانات وخمر الهواء فاحدث ضروبا من الامراض والوباء وافسد الطرق
والمسالك والبلاد واخرب البناء الى غير ذلك من المفاسد التي لا يحيط بها العقل والاحصاء ولو دام الصحو لجفت الارض واحترق
النبات وغيض ماء العيون والاودية وغلب اليبس وحدث القحط والجدب وضروب من الامراض فيه هلاك نوع ومن عليها
وما فيها جميعا ففي هذا التعاقب على النحو المشاهد الذي يوجب اعتدال الهواء ونظام الاشياء وصلاحها واستقامتها ودفع كل
منهما عادية الآخر دلالة على اللطيف الخبير واما الثاني فقال بعض الطبيعيين ان الشمس وغيرها اذا اثرت في الارض يخرج منها ابخرة
متصاعدة الى الطبقة الزمهريرية التي لا يصل اليها اثر شعاع الشمس المنعكس من وجه الارض وهي منشأ السحب والصواعق والرعد
والبرق فاذا وصلت تلك الابخرة الى هذه الطبقة يتكاثف بالبرد ويصير سحابا فاما ان لا يكون البرد قويا فيتقاطر وهو المطر
او يكون قويا فان اثر في الاجزاء المائية قبل اجتماعها يحصل الثلج وان اثر بعده يحصل البرد وروي عن امير المؤمنين عليه السلام ان
تحت العرش بحرا فاذا اراد الله ان ينبت به ما يشاء اوحى اليه فمطر ما شاء من سماء الى سماء حتى يصير الى سماء الدنيا فيلقيه الى
السحاب والسحاب بمنزلة الغربال فيمطر على النحو الذي امر به وليس من قطرة تقطر الا ومعها ملك حتى يضعها موضعها والحديث طويل
نقلنا بعض مضمونه ويؤيده ما روي عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله عز وجل جعل السحاب غرابيل المطر حتى يذيب البرد حتى يصير ماء
كيلا يضر شيئا يصيبه وهذا وان كان مما يستبعده الغافلون لكن وجب قبوله والاذعان له اذ اخبر به المخبر الصادق كما في سائر
الاسرار الالهية وروي عنه ايضا انه سئل عن السحاب اين يكون قال يكون على شجر على كثيب على شاطئ البحر يأوي اليه فاذا اراد الله
عز وجل ان يرسله ارسل ريحا فاثارته ووكل به ملائكة يضربونه بالمخاريق وهو البرق فيرتفع ثم قرأ هذه الآية الله الذي
يرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت والمناسبة للرعد وفيه دلالة على ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض وفيضانها

بامر الله وبطرة كل مكان تعلق بها ارادته ومشيته ويدل عليه ايضا ظاهر ما العامة والخاصة كما صرح به الشيخ في مفتاح الفلاح من
ان المامون خرج يوما من بغداد فارسل صقره فارتفع في الهوا ولم تسقط على الارض حتى رجع وفي منقاره سمكة فتعجب المامون من ذلك
فلما رجع الى بغداد راى في بعض طريقه محمد بن علي بن موسى الرضا عليهم السلم وله في ذلك الوقت احدى عشرة سنة وقيل عشر فتقدم
اليه المامون وهو ضام كفه على السمكة وقال له قل اى شي في يدي فقال عليه السلم ان الغيم حين ياخذ من ماء البحر ياخذه سمك صغار
فتسقط منه فيصادها صقور الملك فيمتحنون بها سلالة النبوة فادهش ذلك المامون فنزل عن فرسه وقبل راسه وتذكر الغم ثم
زوجه ابنته والظاهر من جميع ذلك تحقق لان الشي الواحد قد يكون له اسباب متعددة وفي جميع ذلك دلالة على الحكيم القدير المدبر
للاشيا على احسن ما ينبغي فان قال قايل انا نرى المطر من السحاب بطبعه لانه ثقيل فاي حاجة الى القيد على ما ذكرتم قلنا لولا هذا الطبع لبلغ
قيل نقصه بالضرورة في اعطاوا اياه دون غيره من الاجسام الحقيقة مع اشتراكها في الجسمية ومن اسكنه في جو السما وكبد السحاب
بحيث ينزل تارة دون اخرى مع اقتضا طبعه نزوله وعدم استقراره ومن ساقه من جو الى جو مع اقتضا طبعه الحركة الى المركز
وثانيها انه اذا نزل بطبعه لثقله فلم يتصاعد الى اعالي الشجر والاوراق والنبات من النباتات الضيقة والعروق الدقيقة بل ينافي
الى كل جزء من اجزائها ولو قال صعود لجذب قواها الجاذبة اياه قلنا الله من اعطاها تلك القوى التي تقتضي الى الصعود المخالف لمقتضى
طبعه فيرجع الكلام بالاخرة الى موجد واجب الوجود الذي بامره وتدبيره تحرك الماء فيما بين الارض والسماء من شرق الى غرب ومن غرب
الى شرق ومن شمال الى جنوب ومن جنوب الى شمال ومن علو الى سفل ومن سفل الى علو ذلك تقدير العزيز العليم واما الثالث فهو ما اشار
اليه سبحانه بقوله فاحيا به الارض بعد موتها اي بسبب ينبت فيها النباتات والحيوانات والكلام هنا في ثلثة امور الاول كون
النبات والحيوان حيوة الارض ومجمل القول فيه ان نسبة النبات والحيوان الى الارض كنسبة النفس الى الحيوان بل [illegible] عظيم المنفعة
كان الارض بلا نبات ولا حيوان ومن ثم قيل ان الارض بما فيها من النبات والحيوان بمنزلة حيوان واحد تموت عند الجدب في الشتاء
وتحيى عند الخصب في الربيع والثاني ان الماء سبب لحيوة النبات والحيوان وهما يحتاجان اليه احتياجا شديدا ووجهه ظاهر
لان القوى النباتية والحيوانية في جذب الغذاء والالصاق والتنمية يحتاج الى ما يرطب ذلك الغذاء ويعين على النفوذ في المنافذ
الضيقة ويعين تلك القوى في اعمالها واذا فقدناه بطلت اعمالها واذا بطلت اعمالها عدم الحيوان والنبات وبالجملة الانسان
وساير الحيوانات والزروع وساير النباتات يحتاجون اليه في الوجود والنمو والبقاء احتياجا شديدا وقال صاحب العقد
ان بعض الوعاظ دخل على هرون الرشيد فقال له عظني فقال ارايت لو منعت شربة من ماء عند عطشك بكم كنت تشتريها فقال
بنصف ملكي قال ارايتها لو حبست عنك عند خروجها بكم كنت تشتريها قال بالنصف الثاني فقال لا اغترنك ملك قيمته شربة
ماء والثالث في دلالة احياء الارض بالمطر على وجود الصانع المدبر للعالم وذلك ان البرد في الشتاء يوجب كثافة الهواء وركوده

والشجر

والشجر ويبس ظاهرها فيعود القوى النباتية والحرارة الغريزية في الشجر والنبات وتستقر في بطونها واصولها وتحتمي فيها
مواد الثمار وتولد الامثال فاذا نزل الماء وقت الربيع الذي هو وقت بروزها في البطون وظهورها في الكمون انتعشت الارض
واهتزت وتحركت القوى الحارة وتولد المواد الكامنة في الشتاء فيطلع النبات ويتنور الاشجار والازهار ويخرج
اصناف مختلفة من فقه والبقعة من الثمار التي يتمتع بها الانسان وغيره من انواع الحيوان كما قال سبحانه وترى الارض هامدة
فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج وقال وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا
وجنات الفافا فالعاقل اللبيب اذا نظر في هذه الحركات والانقلابات وفي صنوف مختلفة من النباتات والاشجار والازهار والثمار
من حب وعنب وقضب وزيتون ونخل ورمان وفواكه كثيرة على اختلاف انواعها واصنافها المختلفة الاشكال والالوان
والطعوم والروايح يفضل بعضها على بعض في الاكل والمنافع مع ان جميعها يخرج من ارض واحدة ويسقى بماء واحد وتفكر
ما في النباتات من ضروب المنافع وصنوف المآرب فالثمار للغذاء والاتبان للعلف والحطب للوقود والخشب لكل شي من انواع
النجارة وغيرها ولحاء والورق والاصول والعروق والصموغ وغيرها الضروب من المنافع فبعضها يقوي وبعضها يغذي
وبعضها يقتل وبعضها يحيي وبعضها يسخن وبعضها يبرد وبعضها يدفع السوداء وبعضها يسهل الصفراء وبعضها يقمع
البلغم الى غير ذلك من الفوائد الغير المحصورة ورأى ما في الاوراق من شبه العروق مبثوثة في جرمها اجمع فمنها غلاظ ممتدة
في طولها وعرضها لامساكها وحفظها عن التمزق والاضطراب ولايصال الماء الى اطرافها بمنزلة الجداول ومنها دقاق
تتخلل تلك الغلاظ لايصال الماء والغذاء الى كل جزء من اجزائها بمنزلة العروق المبثوثة في البدن علم ان جميع ذلك من فاعل
قادر مختار عليم حكيم يوجد الاشياء بمجرد ارادته لمصالح ومنافع غير محصورة وبث عطف على انزل فهو صلة على حدة
للموصول عنده بحكم العطف ويجوز عطفه على احيى لان الحيوان ايضا ينمو بالماء ويعيش بالخصب والحيا فيها من كل دابة مختلفة
في الطبايع والاخلاق والاشكال والادراك والحواس والحركات والمنافع والاهتداء الى طرق المعاش فمنها ما يمشي على بطنه
كالحيات ومنها ما يمشي على رجلين كالانسان ومنها ما يمشي على اربع كالفرس ومنها ما يمشي على اكثر كبعض الحشرات ومنها ما يمشي تارة ويطير
اخرى كالطيور ومنها ما يدخر قوته بحيلة وتدبير كالذرة والعنكبوت ومنها ما يطلب قوته عند الحاجة كالطير فانه يروح جياعا
ويرجع شباعا ومنها ما في خلقه صنعة عجيبة كالبعوضة فانها مع صغرها على هيئة الفيل مع زيادة الجناحين يطير بهما ومنها ما لا ياوي
الى بيت بل يبيت حيث كان من الارض ومنها ما يحتاج اليه ويبنيه على شكل عجيب غريب يهتدي المهرة من المهندسين كالنحل وكل ذلك
وغيره مما يتعذر عده واحصاؤه دل على ان الوجود موجود الا لحكمة بفعل ايتا كيف يشاء واليه ينتهي الموجودات على تفاوت
طبايعهم ومراتبهم التي ارفعها واعلاها واشرفها واسناها المرتبة الانسانية لانها مشتملة على تفاوت الطبقات في العقل والادراك لو خلوه الى ترهيب

الموجودات فبعضها للأكل وشربه وسائر منافعه وبعضها ليستدل به على وجود صانعه وقدرته وعلمه وحكمته بل لو لم يكن
في هذا العالم موجود سواه وتأمل في مبدأ نشوه وصورته واعضائه ومنافع قواه الظاهرة والباطنة وفي احوال نفسه وعقله وعلمه
بالعلومات الكلية والجزئية واحاطته بالمدركات العقلية والحسية علم انه مخلوق مغلوب مقهور له خالق غالب قاهر مصور عليم حكيم
فانه اذا اعتبر مثلا حاله حين كونه نطفة في الرحم وصيرورته جنينا حين لا تراه عين ولا تناله يد مع اشتماله على جميع قواه
وصلاحه من الاحشاء والجوارح وسائر الاعضاء من العظام واللحم والشحم والمخ والعصب والعروق والغضروف وهو محجوب في
ظلمات ثلث ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة ولا حيلة في طلب غذائه ولا دفع اذاه ولا استجلاب منفعة ولا دفع
مضرة وقد جرى اليه من دم الحيض ما يغذوه كما يغذو الماء النبات فلا يزال ذلك حتى اذا كمل خلقته واستحكم بدنه وقوى اديمه
على مباشرة الهواء وبصره على ملاقات الضياء هاج الطلق بامه فازعجه اشد ازعاج واعنفه حتى يولد واذا ولد صرف
ذلك الدم الذي كان يغذوه في الرحم الى ثديي امه وانقلب الطعم واللون الى ضرب آخر من الغذاء وهو اشد موافقة له من الدم
فيوافيه في وقت حاجته اليه وحين تولد قد تلمظ وحرك شفتيه طلبا للغذاء فلا يزال يتغذى باللبن ما دام رطب البدن
رقيق الامعاء لين الاعضاء حتى اذا تحرك واحتاج الى غذاء فيه صلابة ليشتد ويقوى بدنه طلعت له الطواحين من الاسنان
والاضراس ليمضغ به الطعام فيلين عليه ويسهل له اساغته فلا يزال كذلك حتى يدرك فاذا ادرك وكان ذكرا طلع الشعر في
وجهه وكان ذلك علامة الذكر وعز الذي يخرج به من حد الصبي وشبه النساء وان كانت انثى يبقى وجهها نقيا من الشعر ليبقى
لها البهجة والنضارة التي تحرك الرجال لما فيه دوام النسل وبقاؤه واعتبر انه لو لم يجر اليه ذلك الدم وهو في الرحم لذوى
وجف كما يجف النبات اذا فقد الماء ولو لم يزعجه المخاض عند استحكامه لبقي في الرحم كالموؤد في الارض وفي ذلك هلاكه
وهلاك امه ولو لم يوافقه اللبن بعد الولادة لمات جوعا ولو لم يطلع عليه الاسنان في وقتها لامتنع عليه مضغ الطعام
واساغته او يقيم على الرضاع فلا يشتد بدنه ولا يصلح للعمل مع ان ذلك يمنع امه عن تربية غيره من الاولاد بل عن حوائجها
مطلقا ولو لم يخرج الشعر في وجهه في وقته لبقي شبيها بالصبيان والنساء فلم يكن له جلالة ولا قدر ولا وقار وكذا اذا اعتبر
في وصول الغذاء الى البدن وما فيه من التدبير وتفكر في ان الطعام يصير الى المعدة فتطبخه وتبعث بصفوه الى الكبد منه
في عروق دقاق قد جعلت كالمصفاة للغذاء الى الكبد ولا يصل الى الكبد منه شيء فينكاه وذلك ان الكبد رقيقة لا تحتمل العنف
ثم ان الكبد تقبله فيستحيل بلطف التدبير دما وينفذ الى البدن كله في مجاري مهياة لذلك بمنزلة المجاري التي للماء حتى يطرد
في الارض كلها وينفذ ما يخرج منه من الخبث والفضول الى مغايض قد اعدت لذلك فما كان منه من جنس المرة الصفراء جرى
الى المرارة وما كان من جنس السوداء جرى الى الطحال وما كان من البلغم والرطوبة جرى الى المثانة وتأمل في حكمة التدبير في تركيب البدن

ووضع هذه الاعضاء منه في مواضعها واعداد هذه الاوعية فيه لتحمل الفضول لئلا تنتشر في البدن فتسقمه وتنهكه
وفكر في اعضاء البدن اجمع وتدبير كل منها للارب والحاجة فاليدان للعلاج والرجلان للسعي والعينان للاهتداء
والفم للاغتذاء واللسان للتكلم والحنجرة لتقطيع الصوت وتحصيل الحروف والمعدة للهضم والكبد ~~لتحصيل~~ للتخليص والمنافذ
لتنفيذ الفضول والاوعية لحملها والفرج لاقامة النسل وفكر في سائر الاعضاء والقوى ومنافعها واعمل فكرك فيها ووجد
كل شيء منه قد قدر لشيء على صواب حكمة وتقدير وتدبير يعجز العقل عن معرفة تفاصيلها علم ان له خالقا مقتدرا عليما حكيما
يوجد الاشياء بمجرد ارادته بلا كلام ولا حركة ولا آلات لاغراض ومصالح لا يعرف تفاصيلها الا هو وهو اللطيف الخبير
وتصريف الرياح جمع كثرة الريح وهي الهواء المتموج المتحرك بسبب مقتدر من الله العزيز العليم والعين فيهما واو قلبت ياء لكسرة
ما قبلها وجمع القلة ارواح بالواو اذ لم يوجد فيه ما يوجب الاعلال والمراد بتصريفها تصريفها في مهابها صبا ودبورا وشمالا
وجنوبا وفي احوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقيما ولواقح وجعلها تارة للرحمة يرحم بها من اطاعه وتارة للعذاب
يعذب بها من عصاه ولكل واحدة من الرياح الاربع المذكورة ملك يهيجها ويحركها بامر الله سبحانه كما ورد في الرواية الصحيحة
عن ابي جعفر عليه السلم ان الرياح الاربع الشمال والجنوب والصبا والدبور اسماء الملائكة الموكلين بها فاذا اراد الله ان يبعث شمالا
امر الملك الذي اسمه الشمال فهبط على البيت الحرام فقام على الركن الشامي فضرب بجناحه فتفرقت ريح الشمال حيث يريد الله
من البر والبحر واذا اراد الله ان يبعث جنوبا امر الملك الذي اسمه الجنوب فهبط على البيت الحرام فقام على الركن اليماني فضرب
بجناحه فتفرقت ريح الجنوب في البر والبحر حيث يريد الله واذا اراد الله ان يبعث الصبا امر الملك الذي اسمه الصبا فهبط
على البيت الحرام فقام على الركن الشرقي فضرب بجناحه فتفرقت ريح الصبا حيث يريد الله في البر والبحر واذا اراد الله ان يبعث
دبورا امر الملك الذي اسمه الدبور فقام على الركن الغربي فضرب بجناحه فتفرقت ريح الدبور حيث يريد الله من البر والبحر
ثم قال عليه السلم اما تسمع لقوله ريح الشمال وريح الجنوب وريح الدبور وريح الصبا انما يضاف الى الملائكة الموكلين بها اذا عرفت
هذا فنقول في تصريف الرياح ومنافعها دلالة واضحة على ان مدبرها حكيم قادر عليم بمصالح العباد اما الاول فلان حركة الهواء
الى الجوانب المختلفة ليست ارادية بالضرورة ولا طبيعية لان الحركة الطبيعية الى جهة واحدة هي العلو او السفل وحركة
الهواء الى جهات متعددة فينبغي ان يكون لامر خارج فان كان ذلك الخارج ارادة الواجب بالذات ثبت المطلوب وان كان غيرها
ننقل الكلام الى ذلك الغير فيرجع بالاخرة الى المطلوب واما الثاني فلان الريح تحيي الابدان وتمسكها من داخل بما تستنشق
منها ومن خارج بما تباشر بها من روحها وتبلغ الاصوات وتؤديها الى السامع من البعد البعيد ولولا ذلك لبطل نظام العالم
وتحمل الروائح التي تقوى القلوب والدماغ من موضع الى موضع الآخر كيف تاتيك الرائحة من حيث تهب الريح

عن الاجسام وتدخل في فرجها وتصير مادة لنشو النبات التي يحتاج اليها جميع الحيوانات في الاغذية والدواء وغيرها ملاذ الاكل
لتعفنت في مدتها وتعفنها وفسادها يؤدي الى فساد الانسان والحيوان جميعا وتزجي السحاب من موضع الى موضع ليقع نفعه ثم تقصر
حتى ينكشف فيطرح بنفضه حتى يتحلل ويتفشى وينتشر وتلقح الشجر وتسير السفن وتزجي الاطعمة وتبرد الماء وتثب النار
وتجفف الاشياء الندية وتعين في تصفية الغلات ولولاها لفاتت هذه المصالح الجليلة والمنافع العظيمة وحدثت الكرب
في النفوس وحرض الاصحاء وهلك المرضى وفسد الثمار وعفنت البقول وحدثت الوباء في الابدان والآفة في الغلات وركدت
السفن في بحر البحار وبالجملة بطل نظام العالم بالكلية ففيها من تدبير الحكيم ومصالح الخلق ما لا يحصيه الناس ولا يحيط به العباد
والبيان وكل هذا شواهد صادقة وآيات ناطقة بلسان حالها مفصحة عن جلال الله باريها وقدرته معربة عن كمال صانعها وحكمته
والسحاب المسخر بين السماء والارض وهو بحال مع ما فيه من الصواعق الصادعة والبروق اللامعة والرعود القارعة ثقل الماء
وكثرة مستقلا في الهواء ويجتمع بعد تفرقه وينفجر بعد تمسكه ويرتفع مرة وينحط اخرى بصفقة الرياح وتسوقه وتفرقه باذن
مدبره وخالقه فيما بين الارض والسماء الى البلدان النائية فيخرج البرق من خلاله بقدر معلوم لمعاش مفهوم ووقت معلوم
ويرسل قطرة بعد قطرة وشيئا بعد شيء على رسله حتى يعم البرك ويملأ الفجاج ويغفل الاودية ويحيي به الارض الميتة
فتصبح مخضرة بعد ان كانت مغبرة وتعود معشبة بعد ان كانت مجدبة وتكسو الوان نبات ناضرة وزاهرة مزينة معاش
للناس والانعام ولو احتبس عن ازمنته وتخلف عن وقته هلكت الخليقة ويبست الحديقة ثم اذا اصاب ما فيه اقلع
وتفرق وذهب حتى لا يعاين ولا يدرى اين يتوارى فيعرف العاقل حين يتفكر في ذلك ان له مدبرا حكيما عالما حيا قويا وان
السحاب لو تحرك بنفسه وصار مائية بمقتضى طبعه لما مضى به الى فرسخ واكثر واقرب من ذلك ولما يرسل قطرة بعد قطرة
بلا هدم ولا فساد وسارية الى بلد متجاوزا عن الاخرى لآيات لقوم يعقلون اي في كل واحد من الامور الثمانية آية ظاهرة
ودلالة واضحة على وجود الصانع وقدرته وحكمته ووحدته واستحقاقه للعبادة لقوم ينظرون اليه بعيون عقولهم
الصحيحة ويعتبرونه ببصائر اذهانهم السليمة او في كل واحد منها آيات كثيرة كما يظهر لمن تأمل فيها تأملا عاريا عن الاوهام
الفاسدة وقد يوجه بان كل واحد منها يدل من حيث على وجود الصانع ومن حيث حدوثه في وقت معين على ارادته وعلمه
بالجزئيات ومن حيث منافعه على حكمته واتقان صنعه وحسن تدبيره ومن حيث ارتباط بعضه ببعض على الانتظام والتعاون
على وحدانيته وقال القاضي دلالة هذه الآيات على وجود الاله ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل
انها امور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة مثلا اذا كان من الجائز ان لا تتحرك السموات او بعضها كالارض
وان يتحرك بعكس حركتها او بحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وان لا يكون لها اوج وحضيض اصلا وعلى هذا الوجه

لبساطتها وتساوي اجزائها فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه حكمته وتقتضيه مشيته متعاليا عن معارضة
غيره اذ لو كان معه اله يقدر على ما يقدر عليه فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم اجتماع مؤثرين على اثر واحد وان
كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الآخر المنافي لالهيته وان اختلفت لزم التمانع والتطارد كما اشار اليه بقوله
لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي الآية تنبيه على شرف علم الكلام واهله وحث على البحث والنظر فيه وقيل الاحرى بذلك
هو العلم الذي فوق الطبيعة وهو الحكمة الالهية الحقة باهتمام فقد جعل الله ذلك المذكور من الآيات او مثلها او ضمنها فان مضمونها
مذكور تفصيلا في الآيات الآتية دليلا على معرفته بان لهم مدبرا لانهم اذا تأملوا فيها ونظروا اليها بعين البصائر واعتبار
الضمائر علموا ان لهم خالقا خبيرا وصانعا بصيرا خلقهم بعد وتقدير وصنعهم بنقشه وتدبير وخلق لهم جميع ما يصلح لانتفاعهم
وينفعهم في وجودهم وبقائهم كما يظهر بعض ذلك مما ذكرنا آنفا فقال وسخر لكم الليل والنهار بان قدرهما لنفعكم وهيأهما لحصول
لمصالحكم وجعل الزمان بهما للصلاح لكم ونظام حالكم فصارا يتعاقبان تعاقبا مخصوصا ويتبادلان تبادلا لا مخلا بالتكوين والتفصيل
ولتبتغوا من فضله وفي نظر فيه اللبيب البصير دله الى وجود الصانع العليم الخبير وقيل وجه دلالتهما عليه انهما اجزاء الزمان والواحد
والزمان مقدار حركة دورية غير مستقيمة فالحافظ لها لا بد ان يكون جسما كريا ابداعيا وهو السماء فدل وجودهما على وجود السماء
والسماء دل على وجود خالق الاشياء لان السماء ممكنة مفتقرة الى العلة وعلتها ليست ذاتها ولا صورتها ولا نفسها ولا جسم آخر حاو لها
او محوي فتعين ان يكون امرا خارجا عن الكون والمكان وهو المطلوب وفيه ان هذا على تقدير تمامه مبني على مقدمات كثيرة كلامية
وليس هذا المقام موضع ذكر امثال هذا الكلام والشمس والقمر سخر الشمس بان جعلها ضياء وامرها بالارتفاع والانحطاط والسير
في البروج لاقامة الفصول وتربية البقول وتنمية الحيوان والاشجار وتقوية الفواكه والاثمار الى غير ذلك من المنافع التي يعجز
عن ذكرها القلم واللسان ولا يحيط بها الوصف والبيان ولو سارت دائما على مدار واحد لاحرقت ما تحته وبلي ما وفات اثرها
لا ليائيه ولم تتحقق الفصول الاربعة ومنافعها المذكورة في الكتب مما ان المذكور منها القليل من كثير وسخر القمر بان جعله نورا
يستضيء بها المسافرون في قطع المفاوز ويستعين به العاملون في حرث الزرع وضرب اللبن وقطع ونحو ذلك وسائر الاعمال المعروفة له
ليكون اثره في اقطار الارض وعقيقه على احوالها على السواء ولغير ذلك من المنافع الغير المحصورة ومختلفا في احواله من الزيادة والنقصان
والمحو والخسوف والوجود غالبا في بعض الليل دون بعض ليعلموا به عدد الشهور والسنين والحساب ولكي ينبسطوا في العلو والسير لشدة
الحر والحرور مثل انبساطهم بالنهار ويستعوا من الهدوء والقرار فيه لكم وفيه من المنافع التي يعلمها ارباب البصائر الثاقبة ومحال
الضمائر النافذة ويعلمون بانهما من لدن حكيم فسبحان من نور بهما الظلم واوضح بهما البهم وجعلهما آيتين من آيات الله وعلامتين من
علامات سلطانه والنجوم مسخرات بامره قرأها حفص بالرفع على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه ونصب ما قبلها على

المفعولية وقرا الشمس والقمر بالرفع على الابتداء ايضا ونصب الليل والنهار وحدهما والقراءة المشهورة عند الاكثر نصب
جميع الاسماء الستة واورد على هذه القراءة بانه لا حاجة الى مسخرات بعد قوله وسخر لكم واجيب عنه بان نصب المسخرين بفعل مقدر
يعني وجعل النجوم مسخرات بامره خلقها وجرها كيف شاء او نصب مسخرات على الحالية للفاعل المحذوف على ان سخر بمعنى صير يعني صير
هذه الاشياء المحذوفة نافعة لكم وتنفعكم بها حال كونها مسخرات بامره لما خلقن له او على المصدرية يعني سخرها لكم انواعا من التسخير
على ان يكون مسخر بمعنى تسخير كما في قولك سخره مسخرا مثل سرحه مسرحا وجمع لاختلاف الانواع فتلك التسخيرات في النجوم اختلاف
استقامتها
اشكالها وصورها ونورها ومقاديرها ومواقعها وحركتها كما وكيفا وجهة وتقارنها وتفارقها وتثليثها وتربيعها وتسديسها و
رجعتها ووقوفها وطلوع بعضها دائما وخفاء بعضها كذلك وظهور بعضها في بعض السنة واحتجابها في بعضها كل ذلك لمصالح كثيرة بعضها
معلوم بالضرورة وبعضها بالنظر الشاق وبعضها لا يعلمه الا هو اما ترى ان الثريا والجوزا والشعريين وسهيل كل ذلك يطلع حينا ويغيب حينا
لمصالح معروفة ومنافع مشهورة وفوايد محدودة وكوكبات باسرها تظهر في وقت لم يكن لواحد منها على حياله دلالات يعرفها الناس
ويهتدون بها لبعض امورهم كمعرفتهم بما يكون من طلوع الثريا والجوزا اذا طلعتا من احتجابهما اذا احتجبتا فصار ظهور كل واحد منهما
في وقت واحتجابه في وقت آخر لينتفع الناس بما يدل كل واحد منهما على حدته وكما جعلت الثريا واشباهها تظهر حينا وتحتجب حينا
لضرب من المصلحة فانها بمنزلة الاعلام التي يهتدي بها الناس في البر والبحر للطرق المجهولة وذلك انها لا تغيب ابدا فهم ينظرون اليها
متى ارادوا ان يهتدوا بها الى حيث توجهوا وصار الامران جميعا على اختلافهما موجهين نحو الارب والمصلحة وفيهما مآرب اخرى
ما في ترددها في كبد السماء مقبلة ومدبرة ومشرقة ومغربة من العبرة لاولي الالباب وبالجملة خلق الله جل شانه الانسان لمعرفته وعبادته
وخلق لهم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم بل هذا العالم كله وقد قال امامنا ومولانا الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام في كتاب التوحيد
للمفضل اول العبر والادلة على الباري جل قدسه تهيئة هذا العالم وتاليف اجزائها ونظمها على ما هي عليه فانك اذا تاملته بفكرك وميزته
بعقلك وجدته كالبيت المبني المعد فيه جميع ما يحتاج اليه عباده فالسماء مرفوعة كالسقف والارض ممدودة كالبساط والنجوم منضودة
كالمصابيح والجواهر مخزونة كالذخاير وكل شيء فيها لشانه معد والانسان كالمملك ذلك البيت والمخول جميع ما فيه وضروب النباتات مهياة لماربه
وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه ومنافعه ففي هذا دلالة واضحة على ان العالم مخلوق بتقدير وحكمة ونظام وملائمة
وان الخالق له واحد وهو الذي الفه ونظم بعضا الى بعض جل قدسه وتعالى جده وكرم وجهه ولا اله غيره تعالى عما يقول الجاحدون
وجل وعظم عما ينتحله الملحدون لقصور افهامهم عن تامل الصواب والحكمة فيما ذراه الباري وخرجوا بقصر علومهم الى الجحود وبضعف بصايرهم
الى التكذيب والعنود حتى انكروا خلق الاشياء وادعوا ان كونها بالاهمال لا صنعة فيها ولا تقدير ولا حكمة من مدبر ولا صانع تعالى الله
عما يصفون قاتلهم الله انى يؤفكون ان في ذلك لايات لقوم يعقلون تامل ايها اللبيب كيف جعل الله سبحانه هذه الامور ادلة

على معرفته ودل العقلاء الراسخين في العلم على ربوبيته وعلى رحمته بذلك العقل والروية ونعمهم بتلك النعمة والعطية فاولئك
هم الفرحون يوم التناد واولئك هم المقصودون من الغرض في الايجاد وقال هو الذي خلقكم من تراب نسب خلق هذا النوع
الى التراب يعني خلق اول افراده منه ويحتمل ان يراد بالتراب الغذاء الذي يتكون منه المني ثم من نطفة النطفة الماء القليل يعني
المني اي نطفة لقليله وجمعها نطف ثم من علقة هي قطعة جامدة منعقدة من الدم يتغير بالتدريج الى ان تصير مضغة هي
قطعة من اللحم قدر ما يمضغ وهي تنتهي بالتدريج الى العظام المكسوة باللحم المنتهية الى خلق آخر وهو صورة البدن المشتملة على القوى
والروح الانساني ولم يذكر بعض هذه المراتب هنا لذكره قبل ذلك في مواضع اخر وللاشارة في انتقالاته واستحالاته الى اطوار
خروجه من بطن امه الذي هو العالم الاول والعالم الاصغر منازل محصورة والمعروف منها هذه الستة التي اولها التراب يعني الغذاء
وثانيها النطفة وثالثها العلقة ورابعها المضغة وخامسها العظام الكاسية باللحم وسادسها القوى التي تنفخ فيها الروح والقوى
ثم له بعد خروجه منه ودخوله في بطن الام الكبرى الذي هو العالم الاوسط الى دخوله في العالم الاكبر وهو عالم الاخرة وعالم
لقاء الله تعالى ايضا مراحل غير معدودة الا ان المعروف منها اولها الصبا والطفولية وثانيها منزل تمام النمو وكمال القوة وهو
منزل الشباب وثالثها منزل الشيخوخة فاشار جل شانه الى الاولى من هذه الثلثة بقوله ثم يخرجكم طفلا اي اطفالا وانما افرد
لارادة الجنس والجنس يصدق على الكثير او على تاويل ويخرج كل واحد منكم ولانه في الاصل مصدر وهو في هذا المنزل في التزايد
والنمو قوة وكما فيكمل قواه ويزيده مقدارها شيئا فشيئا بحسب ما يقتضيه الطبيعة فيلقى الاشياء بذهن ضعيف ومعرفة ناقصة
ثم لا يزال يتزايد في المعرفة قليلا قليلا وشيئا بعد شيء حتى يألف الاشياء ويتمرن عليها ويصل الى غايته ويخرج من حد الحيرة
فيها الى التصرف في المعاش بعقله والى الاعتبار والطاعة والسهو والمعصية وذلك من تدبير الحكيم العليم اذ لو كان النمو انما
لعظمت الابدان واشتبهت المقادير حتى لا يكون لشيء منها حد يعرف ولو ولد فهما عاقلا لانكر العالم عند ولادته
ولبقي حيران تائه العقل اذا راى ما لم يعرف وورد عليه ما لم ير مثله ولم يانس بكثرة اختلاف صور العالم والطيور والبهايم الى غير ذلك
مما يشاهده ساعة بعد ساعة ويوما بعد يوم ولو وجد في حضانته اذا راى محمولا مرضعا معصبا بالخرق مسجى في المهد لانه لا يستغني عن
هذا كله لرقة بدنه ورطوبته حين يولد ولذهب حلاوة تربية الاولاد وما يوجبه التربية من البر والعطف والالفة وفات
بين الابوين والاولاد لانهم يستغنون عن تربيتهما فيتفرقون عنهما في ابان الولادة فلا يعرف اباه وامه ولا يمتنع من نكاح
امه واخته وذوات المحارم اذ كان لا يعرفهن ولا يدري وبعقله حين الولادة من امه لا يحل ان يراه من تفكر في هذه
الامور وغيرها علم ان ذلك من تدبير اللطيف الخبير الذي اقام كل شيء من الخلقة على غاية الصواب واشار الى الثاني بقوله
ثم لتبلغوا قيل متعلق بمحذوف اي ثم يبقيكم لتبلغوا اشدكم اي كمالكم في القوة والعقل جمع الشدة كالانعم جمع النعمة

وهو حد التكليف وهو وقت الشباب وكمال النشو الذي يكون القوى فيه اقوى من سائر اوقات العمر ويستمر الى اوان شروع تلك
القوى في الانحطاط واشار الى الثالث بقوله ثم لتكونوا شيوخا وهو حد ينتهي اليه الشباب ويتوجه البطن بحيث
قوة اخرى من نوع آخر فيه الى عالم الآخرة فيظهر اثر من آثار الضعف فيه ويتزايد على التدريج الى اوان الفراغ من هذه الدار
الفانية ومنكم من يتوفى من قبل اي قبل الشيخوخة او الاشد ومنشأ الموت عند الاطباء والطبيعيين ان الحرارة الغريزية التي هي آلة
للطبيعة في افعالها كالجذب والدفع والهضم وغير ذلك ولذلك قيل انها كالجذاء للبدن تفني الرطوبة الغريزية شيئا فشيئا
ثم تفنى هي بفناء الرطوبة كما ان النار تفني الدهن ثم تنطفي الفتيلة وقيل منشأه ان النطفة التي هي مادة البدن جسم مركب ونضج ثم
اذ وقع هضمه في خمس مراتب اربعة منها لان يصير الغذاء جزءا من بدن المغتذي والخامسة لان يصير مادة لتكون المثل
فان المادة المنوية فضلة الهضم الرابع واذا وقعت في اوعية التوليد استحالت نطفة بهضم خامس ثم بعد ما تعذر ورود
الغذاء عليها بدلا عما يتحلل منها وليس حكم الوارد في الاعتدال والنضج حكم ما ينقص منها بالتحليل فما دام شيء منها باقيا في البدن كانت الحيوة
باقية ونسبة القوة والضعف على نسبة ما بقي منها زيادة ونقصانا واذا تحللت بالكلية تحقق الموت وهذا قريب مما قيل ان
الموت طبيعي ومعناه ان لا اشاعة عند نشأه ومنشأه يتوجه بحسب الغريزة الفطرية والاشواق الالهية نحو نشأة الآخرة وسلوك
سبيلها ليرجع اليه كما بدأ منه فهو متحرك دائما على منازل ومراحل من طور الى طور في دار البلية ودار الفراق الى ان يبلغ
تلك النشأة التي هي منتهى حركته في هذه الدار فاذا بلغها انتقل اليها واولها القبر والبرزخ والحشر والنشر والعرض
والحساب الى غير ذلك ولتبلغوا اجلا مسمى قيل هو وقت الموت او يوم القيمة وقيل يحتمل ان يراد به وقت لقاء الله تعالى في الجنة
الذي هو الغاية الاخيرة لخلق الانسان ولعلكم تعقلون ما في هذه الاحوال العجيبة والاطوار الغريبة من العبر والحجج الدالة
على انه سبحانه هو الذي خلقكم على اطوار مختلفة وخلق ابدانكم واصولكم من الاشياء المذكورة واودع الحيوة فيها وابدع عنها
ثم ابقاكم الى اجل مقدر وان من كان قادرا على ذلك فهو قادر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالاية الكريمة دليل على التوحيد
والبعث جميعا وقيل معناه لعلكم تصيرون بعد هذه الاحوال عاقلا كاملا بالفعل فيكون اشارة الى ان غاية الخلقة وآخر
النشأة والاطوار هي صيرورة الانسان جوهرا عقليا والحاصل انه اشارة الى ان غاية هذه الاكوان وجود العقل وذات
العاقل مع قطع النظر عن تعقله وقال ان في اختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق اي من مطر واطلاق الرزق
على المطر من باب الحقيقة بالنظر الى تفسيره لغة وعرفا قال الجوهري الرزق ما ينتفع به وقالت الاشاعرة هو كل ما ينتفع به حي
غذاء كان او غيره حلالا كان او حراما ومنهم من خصه بالاغذية والاشربة فيخرج عنه اللباس والهواء الذي يتنفس به الحي
وقالت المعتزلة هو كل ما صح ان ينتفع به حي بالتغذي وغيره وليس لاحد منعه منه فيخرج الحرام فالماء رزق على هذه

التفاسير

التفاسير لانه مما ينتفع به ويحتمل ان يكون من باب المجاز من باب تسمية السبب باسم المسبب ويؤيده قول الجوهري وقد يسمى
المطر رزقا وذلك قوله عز وجل وما انزل لكم من السماء من رزق فاحيا به الارض بعد موتها وفي السماء رزقكم وهو اتساع
في اللغة كما يقال التمر في قعر القليب يعني به سقي النخل فاحيا به الارض بعد موتها الظاهر ان المراد بالارض والرزق معناهما
الحقيقي ويحتمل ان يراد بالارض القلب لاشتراكهما في قبول الحيوة وبالرزق العلم لاشتراكهما في السببية للحيوة قال ابن الاثير
في النهاية الارزاق نوعان ظاهرة للابدان كالاقوات وباطنة للنفوس والقلوب كالمعارف والعلوم وقد شاع في القرآن العزيز
وكلام الحكماء نسبة الحيوة بالعلم والموت بالجهل الى القلب وتصريف الرياح لايات لقوم يعقلون اي يفهمون تلك الآيات بعقولهم
الصافية ويستدلون بها على وجوده جل شأنه ووحدته وعلمه وقدرته وحكمته وقد ذكرنا سابقا ما يناسب هذا المقام قال
جنات جمع جنة وهي البستان سمي بها لاجتنانه واستتاره بالاشجار والاغصان والاوراق وهذا التركيب دال على الاستتار
ومنه الجن لاستتاره من الانس والجنون لانه يستر العقل والجنين لانه مستور في الرحم والجنة بمعنى الترس لانه يستر صاحبه
وهي بالرفع عطف على قطع في قوله وفي الارض قطع متجاورات اي بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة
وبعضها حجر وبعضها رمل وبعضها ابيض وبعضها اسود وبعضها احمر وبعضها اصفر وبعضها معدن للجواهر المختلفة مثل الياقوت
والعقيق والفيروزج والزبرجد والزمرد والذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد وغير مما يستعمله الناس
في مآربهم وفي هذا الايضاح دلالة على الصانع لان انقسام كرة الارض الى هذه الاقسام واتصافها بهذه الاوصاف مع اتحاد الطبيعة
الارضية في تلك الاقسام وتساوي الاجرام العلوية واوضاعها بالنسبة اليها دال على وجود قادر مختار يوجد الاشياء بالحكمة
على وجه دون وجه بلا ضد ولا ند له وحده لا شريك له من اعناب وزرع ونخيل افرد الزرع لانه في الاصل مصدر
والنخيل اسم جمع وهما مرفوعان معطوفان على جنات اي في الارض قطع متجاورات وجنات من انواع الاعناب وفيها
زروع ونخيل او مجروران معطوفان على اعناب اي في الارض بساتين مشتملة على انواع الاعناب والزروع والنخيل
صنوان اي نخلات اصلها واحد جمع صنو وهو ان تطلع نخلتان من عرق واحد ومنه الصنو بمعنى المثل كما في قولهم عم الرجل
صنو ابيه اي مثله لانهما خرجا من اصل واحد وغير صنوان اي نخلات متفرقات مختلفة اصولها وعروقها وقرء حفص
بضم الصاد فيهما وهي لغة تميم يسقى بماء واحد في الطبيعة والصورة والغرض من ذلك دفع توهم استناد هذه الامور
والاختلاف الى الماء ويسقى بالتذكير في قراءة عاصم ويعقوب وابن عامر على تأويل ما ذكر ونفضل بالنون في القراءة المشهورة
وبالياء في قراءة حمزة والكسائي بعضها على بعض في الاكل اي في الثمر شكلا وقدرا ورائحة وطعما كما هو المشاهد ان في ذلك
المذكور لايات لقوم يعقلون اي يستعملون عقولهم السليمة عن شوائب الوهم بالتفكر فيها ويستدلون بها على وجود

الصانع الحكيم القادر المختار فان من تفكر في تلك الاشجار المختلفة في الهيئة والمقدار وخروجها من الارض واغتذائها من اجزاء الارضية
ونموها وفي اوراقها المشتملة على العروق الصغار والكبار لاستفادة الجم ووصول الغذاء الى جميع الاجزاء وفي اثمارها حين كونها
بمنزلة الاجنة في بطونها ثم خروجها بعد استكمال المواد واستقرارها على رؤوس الاغصان وانضمامها بينها آنا فآنا الى تمام النضج
النضيجة الى وقت بلوغها حد الكمال المنافع الناس وغيرهم وفي اختلاف انواعها واصنافها واشكالها واقدارها وروايحها
وطعومها وفي ان الطبيعة الارضية مع اتحادها وعدم شعورها لا يمكن استناد هذه الامور اليها وكذا الطبيعة المائية
وفي ان الاوضاع الفلكية والاتصالات الكوكبية وتاثيرات الاجرام السماوية ونسبتها اليها متساوية متشابهة سيما القطعات
المتجاورات علم ان ذلك من تدبير عليم بصير وتقدير حكيم خبير يتعلق قدرته بجميع الممكنات ويحيط علمه بكيفية نظام جميع
قوله الكائنات ومن اياته يريكم البرق الفعل مصدر بتقدير ان او صفة لمحذوف اي آية يريكم بها البرق خوفا من الصاعقة وتخرب
المنازل والزروع او من المسافرة ونحوها وطمعا في الغيث في النبات وسقي الزروع وغير ذلك ونصبهما على العلة لفعل
لازم للفعل المذكور فان اراءتهم يستلزم رؤيتهم او الفعل المذكور بتقدير مضاف اي ارادة خوف وطمع او بتأويل الخوف
والطمع بالاخافة والاطماع وعلى التقادير يتحد فاعلهما وفاعل عاملهما او على الحال مثل كلمته شفاها واما ان البرق آية من اياته
فلما لان البخار الممتزج مع الدخان اذا وصل الى الكرة الزمهريرية يحتبس فيما بين السحاب فيميل من السحاب الى السفل للثقل وغلبة البرودة
او الى العلو لبقاء سخونته وزيادة لطافته فيمزق السحاب تمزيقا عنيفا فيحصل الرعد ويشتعل الدخان بالتسخين الحاصل من المصاكة الخفة
فان كان لطيفا ينطفي سريعا وهو البرق وان كان كثيفا لا ينطفي حتى يصل الى الارض وهو الصاعقة او لان السحاب فيه كثافة ولطافة
بالنسبة الى الهواء والماء واذا هبت ريح قوية تخرقه بعنف فيحدث صوت الرعد ويخرج منه النار للمصادمة بينهما كما يخرج من ضرب
الحديد على الحجر ولا خفاء في ان خروج البرق الذي هو نار محترقة من السحاب الرطب المشتمل على الماء الذي سبب كان دليلا على وجود الصانع
الذي رتب المسببات على اسبابها وآية من اياته ونقل عن العترة الطاهرة ان الرعد صوت ملك يزجر السحاب ويسوقه والبرق
ما يحدث من حركة سوطه وقال بعض العارفين من سمع هذا الصوت وراى هذه النار وكان له روية قلبية وبصيرة ذهنية
علم ان ما نقل عنهم عليهم السلام حق وصدق وينزل قرئ بالتشديد من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها بانواع النباتات والحيوانات
ان في ذلك لايات لقوم يعقلون اي يفهمونها ويتدبرون في استنباط اسبابها وكيفية ربطها بتلك المسببات الدالة على
كمال قدرة الصانع وحكمته وعلمه بحقائق الامور جليها وخفيها وقال قل تعالوا امر من تعالون في القاموس وصاحب الكشاف هو من
العام الذي صار عاما فان اصله ان يقوله من كان في مكان عال لمن هو اسفل منه ثم اتسع فيه بالتعميم اتل مجزوم بترك مقدر بعد الامر
ما حرم ربكم منصوب باتل وما موصولة والعائد محذوف او مصدرية ويحتمل ان يكون استفهامية منصوبة بحرم بمعنى اتل اي شيء

حرم عليكم متعلق باتل او حرم على سبيل التنازع ان لا تشركوا به شيئا ان ناصبة ولا للنفي والجملة خبرية لفظا وانشائية
معنى بدل من ما حرم او من العائد المحذوف ويحتمل ان يكون مفسرة لما حرم ولا للنهي وبالوالدين احسانا اي وان تحسنوا
بمعنى احسنوا او واحسنوا بالوالدين احسانا فالجملتان المتعاطفتان انشائيتان معنى فقط او لفظا ومعنى جميعا والاولى
معنى فقط والثانية لفظا ومعنى او بالعكس ويكون له في بعض الوجوه مثل قوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله
وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا فان لا تعبدون بمعنى لا تعبدوا او وبالوالدين تقدير
وتحسنون بهما بمعنى احسنوا او بتقدير واحسنوا بهما وفي جعلهما خبريتين لفظا وانشائيتين معنى فائدة لطيفة وهي المبالغة
باعتبار ان المخاطب كانه شرع في الامتثال وهو يخبر عنه ورد صاحب الكشاف ان يكون ان ناصبة ولا للنفي بانه وجب ان يكون
لا تشركوا نهيا لعطف الامر عليه وهو قوله وبالوالدين احسانا لان التقدير واحسنوا بالوالدين احسانا والجواب عنه يظهر بما تقدم
مما ذكرنا وبقي هنا شيء وهو ان لا تشركوا وما عطف عليه لا يصح ان يجعل تفسيرا لما حرم لان كلا من ترك الشرك والاحسان
بالوالدين واجب لا محرم والجواب ان ايجاب ترك الشرك يستلزم تحريم الشرك وايجاب الاحسان بالوالدين يستلزم تحريم الاساءة
اليهما مع ما فيه من الاشارة الى ان ترك الاساءة اليهما غير كاف بل لا بد من الاحسان بهما والتفسير باعتبار اللازم وفي ذكر الاحسان بهما عقيب النهي
عن الشرك بالله دلالة واضحة على جلالة حق الوالدين على الولد لان اعظم النعم على الانسان نعمة الايجاد ونعمة التربية وللوالدين
دخل في كل واحد منهما فكما يقتضيان عدم الشرك بالله كذلك يقتضيان عدم اساءتهما والاحسان بهما ولذلك قال الله سبحانه وقضى ربك
ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا الاية ولا تقتلوا اولادكم من املاق اي من اجل فقر نحن نرزقكم واياهم فوجب على الوالدين
تبقية الاولاد وتربيتهم والاتكال في رزقهم على الله لا يقال يلزم جواز قتلهم عند عدم خوف الفقر لما تقرر من ان النفي والاثبات في الكلام
راجعان الى القيد لانا نقول ذلك اذا لم يجزم بعدم جوازه بدونه اولى هنا من قبيل التنبيه بالادنى على الاعلى ان التقييد فائدة
اخرى محذر زجرهم عما كانوا عليه من الخصلة الذميمة ولا تقربوا الفواحش في النهي عن قربانها مبالغة في المنع منها ما ظهر منها وما بطن
بدل من الفواحش قيل المراد بها الزنا سرا وعلانية وقيل الكبائر مطلقا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله لما نهى اولا عن قتل الاولاد
لعلة مذكورة نهى هنا عن القتل مطلقا دفعا لتوهم الاختصاص ان قتل النفس المحرمة داخل تحت الفواحش على تقدير عمومها
فالفائدة في ذكره على حدة قلت الفائدة هي الاشارة الى التعظيم وزيادة فظاعة عقوبته كما قال سبحانه ومن يقتل مؤمنا متعمدا
فجزاؤه جهنم خالدا فيها الا بالحق كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن وغيرها مما ثبت جوازه بدليل متصل والاستثناء
منفصل ان كان من القتل المطلق ومنقطع ان كان من القتل المقيد بالتحريم هذا وقال بعض الحكماء لعل معناه ولا تميتوا النفس المجردة التي
حرم الله موتها ذاتها بالجهل وهو اعظم واهية من موت بدنها بهلاك الروح الحيواني اماتة الجهالة والغواية والاضلال والابعاد

من سمت الرشد وسبيل القدس ولا تخرجوها عن جبوة جوهرها الحقيقية بالعلوم والمعرفة الابقى واستعدادها الفطري
ونفوق جبلتها الغريزي وذلكم اشارة الى ما ذكره مفصلا وصيكم به اى بحفظه ورعايته ولا يخفى ان في التعبير عن التكليف بالتوصية
من اللطف المقرب الى القبول لعلكم تعقلون فوائد هذه التكاليف وتبصرون بعيون البصائر منافعها المترتبة عليها في الدنيا
والاخرة فانظر ايها اللبيب كيف مدح الله سبحانه العقل والعقلاء الذين هم الغايات الذاتية للايجاد بما لهم من الحكمة النظرية
التي هي ادراك السموات والارض وما بينهما من الامور المذكورة والتصديق باحوالها والانتقال منها الى مبدعها وفي هذه
الاية بالعمل من الحكمة العملية التي هي العلم باصول الشرايع وقوانينها والعمل بها الاشارة الى ان كمال الانسان انما يحصل بتكميل
القوة النظرية بصور الحقايق وتحليها بنور العرفان وتكميل القوة العملية بمعرفة الشرايع وتخليتها عن الرذايل والنقصان
ليحصل له بذلك البهجة والسرور الدنيوية والفوز بالسعادات الابدية الاخروية وقال هل لكم هذا بعض آية صدرها
ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم اى منتزعا ذلك المثل من احوال انفسكم التي هي اقرب الامور اليكم فالاعتبار بها اولى وما قرب من
الاعتبار بحال غيرها وانما لم يذكره لان ما ذكره لكونه مثلا لا يحتاج اليه ويتم المقصود منه بدونه وفيه دلالة على جواز
الاستشهاد ببعض آية او ببعض حديث اذا كان تام الفائدة والمطلوب نفي شريك الباري وهو كما يثبت بدلائل عقلية ونقلية
يوجب انتقال النفس من معقول صرف الى معقول واذعانها به كما ترى من الايات والبينات الظاهرة كذلك يثبت بالامثال الجزئية
المحسوسة لانها تكشف المثل له وترفع الحجاب عنه وتبرزه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم والعقل ويتفقا عليه
فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان الوهم من طبعه الميل الى المحسوس وحكاية المعقول به ولذلك شاعت
الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغاء واشارات الحكماء وكتب المصنفين مشحونة بذكر الامثلة الجزئية لان
اكثر الافهام قاصرة عن ادراك حقيقة الشيء الا في مادة مخصوصة محسوسة مما ملكت ايمانكم يعني عبيدكم وامائكم من شركاء
من زائدة للتأكيد والاستفهام الجاري مجرى النفي فيما رزقناكم من الاموال فانتم فيه سواء متفرع على الشركة وحمله على الاستفهام
الانكاري محتمل ايضا تخافونهم كخيفتكم انفسكم حال عن انتم او عن ضمير المخاطبين في رزقناكم اى والحال انكم تخافون من شركة
مماليككم في اموالكم واستبدادهم بالتصرف فيها كما يخاف الاحرار بعضهم من بعض في ذلك والاستفهام ليس محمولا على الحقيقة
لانه على الله سبحانه محال فوجب صرفه الى المجاز وهو الانكار ان يكون مماليكم شركاءكم في ملككم لينتقلوا من ذلك الى انه لا ينبغي
ان يكون مملوكه سبحانه شريكا له بالطريق الاولى او تقريرهم وحملهم على الاقرار بما يعرفونه من عدم شركة المماليك لان الاستفهام
عن امر معلوم للمخاطب يستلزم حمله على الاقرار بما هو معلوم له او استبعاد ان يكون مماليكم شركاءكم لان الاستفهام عن الشيء المجهول
المتحمل به وهو يناسب استبعاده وتوقعه لانه اما هو قريب الوقوع شانه ان يكون معلوما والمقصود على التقادير كلها انه اذا لم

مالكم

ماليكم مع نقصانكم وشدة حاجتكم شركاءكم فيما لكم من اموالكم مع انهم مثلكم في الصورة والسيرة وقابلية التصرف ولا يكون
مماليك الحق جل شأنه مع شدة ضعفهم وكمال عجزهم شركاءه في الالهية واستحقاق العبادة مع كمال قدرته ونهاية عظمته
وعدم المشابهة بينه وبينهم بالطريق الاولى كذلك اى مثل ذلك التفصيل التمثيلي الذي يرفع الحجاب ويكشف المعاني ويوضحها نفصل
الايات الدالة على وحدة الصانع واستحقاقه للعبادة دون غيره لقوم يعقلون اى يستعملون عقولهم الصحيحة في تدبر
الامثال ومعرفة حسن موقعها ومضربها والانتقال منها الى المقصود وفيه دلالة واضحة على شرف العقل وتعظيم العقلاء حيث
جعل باعث التفصيل الايات في الكتاب والعاقل مقصودا من الكلام والخطاب لانه ينتفع به دون غيره فلو لم يكن عقل وعاقل لم يكن تفصيل
ولا خطاب بل لم يكن كون ولا مكان ولا ايجاد ولا زمان يا هشام ثم وعظ اهل العقل وزهدهم عن الدنيا ورغبهم في الاخرة
بعد دلالتهم على توحيد الذات والصفات بالايات والبينات فقال وما الحيوة الدنيا الا لهو ولعب شبه التقلب في الدنيا
والاعمال المختصة بها باللعب وفي اللهو ساعة قليلة لاشتراكهما في الاتيان بلا منفعة وفي المنع عما يورث منفعة ابدية ولذة
حقيقية من الاعمال للاخرة وللدار الاخرة خير من دار الدنيا لعدم زوالها ودوام منافعها ولذاتها بخلاف الدنيا وذلك
لان الحقير الدايم خير من العظيم المنقطع فكيف اذا كان الامر بالعكس للذين يتقون من الشرك والمعاصي الدنيا وزهراتها
واعمالها الشبيهة باللهو واللعب افلا تعقلون التفاوت بين الدنيا والاخرة ولا تعلمون ان الاخرة خير من الاولى
والتفاوت بين اعمالها ولا تعلمون ان اعمال الاولى بمنزلة اللهو واللعب بلا منفعة واعمال الثانية تورث منفعة دائمة غير
منقطعة والهمزة للانكار التي اثباته في المعنى انتم تعقلون هذا التفاوت فوجب عليكم ان لا تستبدلوا الذي هو ادنى بالذي هو خير والغرض
من الاية ذكر تفضيل العقل ونحن نقدم قبل بيانها الكلام في تبيين الاية في الزهد في الدنيا وهو ضد الرغبة فيها وقد فسر الزهد في بعض
الاحاديث بانه الحب في الله والبغض في الله وترك طول الامل وترك حطام الدنيا وزينتها وعدم الالتفات الى حرامها وهو يوجب
معرفة القلب بحلاوة الايمان وتفرغه للاخرة كما قال الصادق عليه السلام حرام على قلوبكم ان تعرف حلاوة الايمان حتى تزهد في الدنيا
وقال الا انه حرام عليكم ان تجدوا طعم الايمان حتى تزهدوا في الدنيا وقال كل قلب فيه شك او شرك فهو ساقط وانما ارادوا الزهد
في الدنيا لتفرغ قلوبهم للاخرة ومن ادعى رغبة في ثواب الاخرة وهو حريص على الدنيا فهو كاذب لان امير المؤمنين قال علامة الراغب
في ثواب الاخرة زهده في عاجل زهرة الدنيا اما ان زهد الزاهد في هذه الدنيا لا ينقصه مما قسم الله عز وجل فيها وان زهد
وان حرص الحريص على عاجل زهرة الدنيا لا يزيده فيها وان حرص فالمغبون من حرم حظه من الاخرة ثم ان الزهد بالمعنى المذكور يتوقف
على العلم باحوال الدنيا وانقلابها وعدم ثباتها ودوامها والعلم باحوال الاخرة ودوامها ودوام سعادتها وشقاوتها فاذا
حصل هذا العلم وصار ملكة امكن الوصول الى مقام الزهد بتوفيق الله تعالى اذ في التقوى وقد فسره الصادق بان لا يفقدك الله

ولا يراك حيث نهاك وبعبارة اخرى ذكر الله عند ما احل وحرم فان كان طاعة عمل بها وان كان معصية تركها فهو عبارة
عن فعل الطاعات وترك المنهيات والثاني اتم من الاول لان الثاني يفيد في نفسه وبمجموعه الاول وان قل والاول بدون الثاني
لا ينفعه كما صرح به صاحب العدة وفي خبر معاذ دلالة عليه ودل عليه ايضا روايات اخر ثم التقوى خصلة عظيمة اوصى الله
سبحانه بها الاولين والاخرين كما قال ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله واثنى عليها كما قال وان تصبروا وتتقوا
فان ذلك من عزم الامور وهي توجب حفظ النفس والمال من الاعداء كما قال وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا وتوجب النصر
كما قال ان الله مع المتقين وتوجب محبته كما قال ان الله يحب المتقين وتوجب اكرامه كما قال ان اكرمكم عند الله اتقيكم وتوجب اصلاح العمل
كما قال يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم وتوجب قبول العبادة كما قال انما يتقبل الله من المتقين وتوجب
البشارة عند الموت كما قال الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة وتوجب النجاة من شدايد الدنيا والرزق
الحلال كما قال ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وتوجب تيسير الحساب كما قال وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء
وتوجب النجاة من النار كما قال ثم ننجي الذين اتقوا وتوجب الخلود في الجنة كما قال اعدت للمتقين وبالجملة هي حكمة عملية مركبة من العلم
والعمل توجب محبة صاحبها لله ومحبة الله لصاحبها ولا تحصل الا بمعرفة مصالح الجوارح والاعضاء ومفاسدها واكتساب الاول
وترك الثاني وذلك بان يعرف مثلا مصالح القلب ومفاسدها ويكتسب العقايد الصحيحة ويجتنب عن العقايد الذميمة ويعرف مصالح
اللسان ومفاسده ويكتسب الاقوال الصحيحة ويجتنب الاقوال الباطلة وعلى هذا القياس ساير الاعضاء ولا يكفي العمل بدون العلم لانه
يوجب الخطاء والبعد عن الحق كثيرا ولا العلم بدون عمل فان من به داء وعلم ان هذا الدواء ينفعه وذاك يضره واستعمل الثاني وترك
الاول لا ينفعه علمه بل يصير سببا لذمه ولومه عرفا وشرعا بل اللوم عليه اشد واعظم من لوم الجاهل بنافع الدواء ومضاره وكما اشار
اليه قول مولانا الصادق ع يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل ان يغفر للعالم ذنب واحد اذا عرفت هذا فانظر الى العقل لطيفة الهية
وشرفه حيث جعله حاكما على افعال جميع الجوارح والاعضاء يميز بين صحيحها وسقيمها وحسنها وقبيحها ويقبل الصحيح والحسن ويرد
السقيم والقبيح حتى يحصل له بذلك السلطنة العظمى والفضيلة الكبرى هي الوصول الى غاية مدارج ونهاية مناهج التقوى وينبغي
للطالب للحق في الاخرة والاولى والعاقل كيف عظمه وكرمه حيث جعله مخاطبا بهذا الوعظ الشريف والخطاب المنيف تنبيها على
تمامه وكماله وانافة رتبته وحاله وعلى انه ينتفع به دون غيره فمن صار لقوة جهله وضعف عقله ذليلا وفي عدم سلوك
الخطا كالانعام بل هو اضل سبيلا باهنا ثم خوف الذين لا يعقلون عقابه اي خوف الذين لا يستعملون عقولهم في الاتعاظ
باحوال الماضين والاعتبار منها لهم الشرك وارتكاب المعاصي والقبايح ولا يتبعون الرسول فيما جاء به من التوحيد
والصفات وغيرها من المعارف والشرايع عقابه بنزول بيرامث الهم وانزال الرجز عليهم من السماء بسبب فسقهم ولا عمال الشنيعة ولا فعال

النتيجة

النتيجة فقال عز وجل ثم دمرنا الاخرين بعد تنجية لوط واهله الا امراته فانها كانت من الغابرين وكيفية تدميرهم
انه قلع جبرئيل عليه السلم قريتهم لسوء صنيعتهم بجناحه من سبع ارضين ومعه من الملئكة ميكائيل واسرافيل وكروبيل
ثم رفعها حتى سمع اهل السماء الدنيا نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها وامطر عليها وعلى من حولها حجارة من سجيل وانكم
يا اهل مكة واهل الضلالة لتمرون في متاجركم ومسافركم الى الشام عليهم اي على منازلهم فان قريتهم وهي سدوم في منهج السبيل
في طريقة بين القدس والكرك مصبحين اي داخلين في الصباح وبالليل اي بالمساء يعني داخلين في هذا الوقت نهارا وليلا
قال القاضي وغيره لعلها وقعت قريب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد لها مساء افلا تعقلون اي افليس لكم
عقل تعتبرون به وتعلمون ان تدميرهم واهلاكهم لمعصية ربهم ومخالفة رسولهم لكي تطيعوا وتتبعوا رسولكم فيما جاء به
من التوحيد والشرايع وتتركوا الشرك والمعصية وتحولوا من وبال الدنيا ونكال الاخرة والانكار للتوبيخ على عدم استعمالهم
العقول في الاعتبار والاستبصار بمثل هذه الاية الجلية الدالة على وخامة حال اهل المعصية وقال انا منزلون من انزل
على القراءة المشهورة وقرا ابن عامر بالتشديد على اهل هذه القرية هي سدوم قرية قوم لوط وهذا خطاب الملئكة بدليل قوله قبله
ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك واهلك الا امراتك كانت من الغابرين وانما
قدم التنجية على التعذيب لوجوه الاول ان التنجية من اثار الرحمة والتعذيب من اثار الغضب وقد سبقت رحمته غضبه الثاني
ان بشارة احد بالنفع العايد اليه ادخل في السرور من بشارته بالضرر العايد الى عدوه الثالث ان في ذكر التنجية اشارة اجمالية الى العذاب
فاذا وقع العذاب بعده وقع بعد الطلب والواقع بعد الطلب اتم واوقع في النفس وادخل في التعظيم الرابع ان لا يتطرق الحزن الى
خاطره عليه السلم اذ لو قدم تعذيب اهل القرية على تنجية المؤمنين كان في ذلك سوء ما ابتداء لتوهم العذاب بشموله لكل من فيها رجزا من السماء اي عذابا
واختلفوا فيه فقيل هو حجارة من سجيل وقيل هو نار وقيل هو خسف بعذابين وجعل عاليها سافلها والمراد بانزاله انزال اسبابه والقضاء به
من السماء لا غير بما كانوا يفسقون اي بسبب فسقهم وفيه دلالة على استمرارهم فيه وعدم انزجارهم عنه اصلا وانما علق التعذيب بالفسق
دون التنجية بالايمان ونحوه لان الرحمة بالذات فلا يحتاج الى التعليل بخلاف الغضب فانه امر عرضي يقتضي العلة ولقد تركنا منها اي من القرية
اية بينة دالة على سوء عاقبة الفاسقين قيل هي حكايتها الشايعة وقيل هي اثار الديار الخربة وقيل هي الحجارة الممطورة لتعلقيب
الارض فانها كانت باقية بعده وقيل هي الماء الاسود فان انهارها صارت مسودة لقوم يعقلون اي لقوم لهم عقل وبصيرة
فيستبصرون ويعتبرون بان الفسق يوجب خراب الديار وعقوبة الدنيا والاخرة باهنا ان العقل مع العلم المراد بالعقل هنا
نور يعرف به حقايق الاشياء على ما هي عليه في نفس الامر وهو العقل بالفعل والعقل المستفاد والعلم هو هذه المعرفة ولا خفاء
في التلازم بينهما وعدم انفكاك احدهما عن الاخر وانما اكده مع ظهوره دفعا لتوهم ما هو المتعارف عند الجمهور حيث يقولون لمن له

روية وكياسة فى امور الدنيا انه عاقل فان تلك الروية ليست بعقل بل هى شيطنة ونكرا وما هو المتعارف عندهم ايضا حيث
يطلقون العقل على الغريزة التى يتميز الانسان بها عن البهايم فان فى ذلك يتحقق فى الصبيان والجهال مع انهم معزولون عن المدح
والكمال بل المراد به ذلك النور الذى به يفارق العلم والعرفان والعقلاء هم العلماء الربانيون والحكماء الالهيون الذين قال الله
فى شانهم يوتى الحكمة من يشاء ومن يوت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا افعال ولك يوما يال الماسى سبحانه حال الذين اتخذوا
من دون الله اولياء واتكلوا عليه واعتمدوا بهم بحال العنكبوت اتخذت بيتا فى الوهن والضعف فكما ان الثانى لا يقى الحر
والبرد ويتهدم بورود ادنى شىء عليه كذلك الاول لا يدفع حر العذاب عنهم يوم القيمة ولا يقيهم شر ذلك اليوم وينهدم
اساسه بالكلية بورود صرصر غضب الله عليهم عقيبه بقوله وتلك يوما الاشارة الى المثل المذكور ونظايره من الامثال المذكورة
فى القران المجيد نضربها للناس تقريبا لما بعد من افهامهم وتفهيما لما شرد عن اذهانهم اذ المثل يبرز المعقول بصورة المحسوس وذلك
اسهل فى التفهيم واجدر فى التعليم لمن الف طبعه بالمحسوسات واشمأز عقله عن المعقولات ولذلك قال سيد المرسلين نحن معاشر الانبياء
امرنا ان نكلم الناس بقدر عقولهم وما يعقلها الا العالمون لانهم يعرفون بنور بصيرتهم وضياء سريرتهم حسن بيانها ولطف معانيها
وكيفية ارتباطها بالمقصود وطريق دلالتها على المطلوب فينقلون من ظاهرها الى باطنها من محسوسها الى معقولها بل يجدون عالم المحسوس
كله مثالا لعالم المعقول ويعلمون ان كل صورة محسوسة فى هذا العالم لها صورة حقيقية وحقيقة عقلية فى عالم المعقول يرشد
الى ذلك ما نقل عن ابى جعفر عليه السلام حين ساله النصرانى فقال لها اخبرنى عن اهل الجنة كيف صاروا ياكلون ولا يتغوطون اعطنى
مثلهم فى الدنيا فقال له هذا الجنين فى بطن امه ياكل مما تاكل امه ولا يتغوط وما نقل عن بعض ائمتنا عليهم السلام حين الى عن اجتماع العادة
يوم القيمة هل هى بين كل دال وغيره قال الاعينه ولا غيره فقيل اخبرنى عن مثله فى الدنيا فقال اللبنة المضروبة بقالب مخصوص
فانها اذا كسرت وضربت مارة اخرى بذلك القالب ليست بعين كل ولا غيرها وبالجملة ما من صورة فى الدنيا الا وله حقيقة
فى عالم المعقول والاخرة وما من معنى حقيقى فيهما الا وله مثال وصورة فى الدنيا ولا يعلم ذلك الا العلماء الراسخون فى العلم الناظرون
اليها بنور العقل واما الجهال فهم غافلون عن ذلك ولا يعلمون الا ما هو ظاهر محسوس بل لا يميزونه كونه من الظواهر الا ما يدركه
ساير البهايم فاولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا **يا هشام** ثم ذم الذين لا يعقلون مدارك اصول العقايد ولا يفهمون
ما نطقت به الشريعة من فروع القواعد فقال واذا قيل لهم الضمير للناس فى قوله يا ايها الناس كلوا مما فى الارض حلالا
طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان على سبيل الالتفات من الخطاب الى الغيبة للتنبيه على بعدهم عن رتبة الخطاب بسلوكهم
طريق التقليد الذى هو خارج عن منهج الصواب اتباعهم الاية المذكورة بهذه الاية للتنبيه على ان التقليد من جملة خطوات الشيطان
اتبعوا ما انزل الله فيه المامورون بالاتباع هم المشركون فالموصول عبارة عن القران وما اشتمل عليه من اصول الشرايع وفروعها

ومواعظها ونصايحها مما ينتظم به نظام الدنيا والاخرة وقيل هم طايفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فالموصول
على هذا يشمل التورية ايضا لان التورية ايضا تدعو الى الاسلام والاقرار بنبينا صلعم وبما انزل الله سبحانه اليه قالوا بل نتبع ما
الفينا اى وجدنا عليه اباءنا قدم الظرف على المفعول به لقرب المرجع او لقصد الحصر او للاهتمام لاشتماله على ضمير ابيهم
الذى هو مستحسن عندهم اولو كان اباؤهم الهمزة للانكار وفعل مقدر والتعجيب والواو للحال والمعنى ايتبعون اباءهم و
الحال ان اباءهم لا يعقلون شيئا من الحق مثل صفات الواجب وافعاله وكتبه ورسله وما جاء به رسله مما يكمل به نظام الخلق
عاجلا واجلا ولا يهتدون اليه لعمى بصيرتهم وفقدان ضياء سريرتهم ويجوز ان يكون الواو للعطف على ذلك المقدر
وجزاء الشرط محذوف والمعنى لو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون لاتبعوهم والاية تدل على وجوب النظر والمنع عن التقليد
اعنى الرجوع الى الغير والاخذ منه بغير بصيرة مطلقا خرجت الفروع بالاجماع كما قيل فبقيت الاصول مندرجة تحت المنع
هذا اذا لم يعلم ان ذلك الغير صادق محق واما اذا علم كالانبياء والاوصياء فاتباعه واجب ولا يسمى ذلك تقليدا فى العرف بل هو
اتباع لما انزل الله قيل وجوب النظر شرعا محال لانه لو وجب النظر فاما على العارف وهو تحصيل الحاصل او على غيره وهو دور
لتوقف وجوب النظر على معرفة ايجاب الله اياه وهى متوقفة على معرفة ذاته وهى متوقفة على معرفة وجوب النظر واجيب بان
معرفة ايجابه متوقفة على معرفة ذاته باعتبار ما وبوجه من الوجوه والمتوقف على وجوب النظر هو معرفة ذاته بوجه اتم
او لاحد الوجهين فاما بثم فى وجوب النظر على صفاته وافعاله واثاره واما على الاصل وجوده فلا لان معرفة ايجابه متوقفة على
معرفة والتصديق بوجوده كما لا يخفى والاحسن ان يقال معرفة ذاته لا يتوقف على وجوب النظر لجواز حصولها بالنظر وان
لم يجب ثم من اوجب التقليد فى الاصول وحرم النظر لان الشبهات فى الانظار كثيرة والنظر مظنة الوقوع فى الضلالة وفيه انه لو
كفى بطلان التقليد فانه اسلم لعدم مشاهدة المقلد تلك الشبهات وجب لوجوب الاحتراز عن مظنة الضلالة اتفاقا والجواب
انه ان اريد بالتقليد تقليد اهل العصمة عليهم السلام فلا ينبغى النزاع فيه الا ان ذلك لا يسمى تقليدا ولكن لا مشاحة فى الاصطلاح وان
اريد به مطلقا ففيه ان المظنة تجرى فى التقليد ايضا لان المقلد اما ان يقلد المحق او المبطل والثانى فعلى الاول يلزم المحذور المذكور وهو
الوقوع فى الضلالة مع زيادة وهى احتمال الكذب لان الاول فى صدور النظر منه وعلى الثانى فاما ان لا ينتهى سلسلة التقليد الى الناظر فيلزم
التسلسل وهو باطل او ينتهى فيلزم ذلك المحذور مع احتمال الكذب لان الناظر بطلان فاذا كان هو الناظر بنفسه فانه لا يجرى فيه
هذا الاحتمال لان من لم يعلم بالذى اليه نظره فالتقليد فيه واجبه ان يكون حراما وقال من الذى شغوا الاسهم الادعاء وبذا هذه
الاية فى القران متصلة بالاية التى قبلها ولما ذم الكفرة فى الاية السابقة بالتقليد لاباءهم وعدم متابعتهم لما انزل الله وعدم التدبر والنظر فيه ضرب
لهم مثلا متضمنا التشبيه بالبهائم فى عدم فهم المقصود من الخطاب توضيحا لسوء حالهم فان مثل الذين كفروا هم المدعوون الى دين الحق والذى ينعق

هو الداعي البهايم فلا مطابقة بين المشبه والمشبه به قلت للمناظرين في هذه الاية اختلاف في تفسيرها وحلها فمنهم من قدر مضافا ومنهم
من حملها على ظاهرها فاما الذين قدروا مضافا فمنهم من قدره في جانب المشبه وقال تقديره ومثل داعي الذين كفروا وهو الرسول
من نعيق وحذوه في القا الخطاب اليهم وعدم فهمهم لما هو المقصود منه وعدم استبصارهم به لانهماكهم في التقليد واستحكامهم
دينا بائهم كمثل داعي البهايم الذي ينعق بها وهي لا تسمع الا دعاء ونداء والذي هو تصويت بها ولا تفقه على شي آخر فقد شبه
الكفرة المقلدين في عدم فهمهم لما يسمعون من الرسول بالبهايم التي تسمع الصوت من الراعي ولا تفهم معناه ومنهم من قدره في جانب المشبه به
وقال تقديره كمثل بهايم الذي ينعق معناه ومثل الذين في عدم فهمهم ما القي اليهم من الخطاب كمثل بهايم الراعي الذي يتصوت بها فتسمع الصوت
ولا تعرف مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه والمعنيان متقاربان معناه ومثلهم في اتباعهم اباءهم والتقليد لهم على ظاهر
حالهم وعدم فهمهم ايام على اختيام على باطل كمثل بهايم الراعي التي لا تسمع الا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته واما الذين حملوها على
ظاهرها فقيل معناها مثل الذين كفروا في دعائهم اصنامهم التي لا شعور لها بدعائهم وخطابهم كمثل الراعي التي ينعق بالبهايم التي
لا تسمع الا دعاء ونداء فقد شبه الاصنام بالبهايم في عدم الفهم المتحقق في الطرفين ومحققة فيهما وان لم يكن منوقعا على قوله الا دعاء
ونداء لكن الغرض من ذكره زيادة المبالغة والتوبيخ والذم اذ لا شبهة في ان من دعى بهيمة لا تسمع الا دعاء ونداء عد جاهلا سخيفا
العقل سخيف الراي فمن دعى صنما لا يسمع شيا كان اولى بالذم والتحقير وبما قررنا ظهر انه قد ما ورده الفاضل صاحب الكشاف من ان هذا
التفسير لا يساعده قوله الا دعاء ونداء لان الاصنام لا تسمع شيا وانا ما عنده التحقيق ان التشبيه من باب التمثيل المركب والتشبيه غير معتبر
في مفرداته وهذا مما فرع بان التشبيه وان كان مركبا لكن المذكورة في الجانبين لابد ان يكون له مدخل في التشبيه وان يكون ما اعتبر
في احد الجانبين له مناسب في الجانب الآخر وقيل معناها مثل الذين كفروا في قلة عقلهم وضعف حالهم في عبادة الاصنام كمثل الراعي الذي
ينعق البهايم فكان هذا ينعق على الراعي بقلة العقل وكذا ذاك فوجه التشبيه قلة العقل وقيل معناها مثلهم في اتباعهم اباءهم
والرسوخ في دينهم بالتقليد لهم كمثل الراعي الذي ينعق البهايم فكما ان الكلام مع البهايم عديم الفايدة كذلك التقليد ثم بالغ في ذمهم
على التقليد وعدم النظر فيما انزل الله اليهم بقوله صم بكم عمي رفع على الذم من باب التشبيه البليغ اي هم بمنزلة الصم حيث تركوا العمل
بما سمعوه فكانهم لم يسمعوه لفوات الغرض الاصلي منه وهذا كما يقال للعالم لم يعمل بعلمه انه ليس بعالم وبمنزلة البكم حيث لم يتكلموا
بالحق ولم يستجيبوا لما دعوا اليه وقالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا وبمنزلة العمي حيث اعرضوا عن الدلائل الساطعة والبراهين القاطعة
فكانهم لم يشاهدوها وبالجملة لما فات منهم الغرض من السماع والتكلم والابصار فكانه فقدت عنهم تلك الالات ويمكن حمل الكلام على الحقيقة
وذلك لانه كما يكون للانسان سمع ولسان وبصر ظاهري به يدرك المسموعات ونطق ظاهري به يتكلم بالكلام وبصر ظاهري به يدرك
المبصرات كذلك يكون له قوة باطنة بها يفرق بين الحق والباطل وهي من حيث انها حاكمة في المسموعات عارفة بين صحيحها وسقيمها تسمى سمعا عقليا

ومن حيث انها فارقة بين الاقوال الصادقة والكاذبة تسمى نطقا عقليا ومن حيث انها فارقة بين المبصرات تسمى بصرا عقليا وقلبيا
البصيرة على قوة بها تدرك النفس صور المعاني الكلية الا انه واما الذين كفروا واتبعوا اقوال ابائهم وتركوا ما سمعوه من كلام داعي الحق
ولم ينظروا فيما شاهدوه من الدلائل فهم فاقدون لتلك القوة العقلية فهم صم بكم عمي حقيقة حيث لم يكن لهم سمع ونطق وبصيرة عقلية
اصلا ونسبة العمى الى القلب اولى من نسبته الى العين كما يشعر به قوله فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور فهم لا يعقلون اي
لا يعقلون فرقا بين الحق والباطل ولا يتفكرون فيما انزل الله ولا ينظرون اليه بعيون عقولهم ليعلموا انه الحق من ربهم وقال
ومنهم اي ومن المكذبين الذين بادروا الى التكذيب بالقران وما اشتمل عليه من الحشر والنشر والثواب والعقاب في ساير ما يخالف دينهم
ودين ابائهم قبل ان يقفوا على معانيه وينظروا الى معانيه حتى يتبين لهم انه صدق من يستمعون اليك اذا قرات القران
وعلمت الشرايع ولكن لا يقبلون كالاصم الذي لا يسمع اصلا لغلبة الشقاوة عليهم واحاطة الغواية بهم بسبب التقليد والالف بالباطل
ومعارضة الوهم افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون اي فانت تقدر على اسماعهم ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم شيئا
لغلو الشقاوة قلوبهم وجمود طبائعهم وخمود اذهانهم حتى صاروا بمنزلة البهايم وفيه تنبيه على ان الاعراض عن نصح امثالهم
اولى لان من شرايط النصيحة ان يكون للمنصوح قوة سامعة وبصيرة قلبية فاذا انتفت احديهما او كلتاهما فالاعراض عنهما
احرى ولذلك ترى الطبيب الحاذق اذا علم استيلاء المرض وعدم قبوله للعلاج يعرض عنه قيل هذه الاية تدل على ان السمع افضل
من البصر لانه قرن بذهاب السمع ذهاب العقل ولم يقرن بذهاب البصر فالسمع افضل ويرشد اليه تقديمه فيما قبل الفوائد عليه ايضا
قوله ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع فجعل السمع قرينا للقلب والمراد به العقل دل على انه افضل وقوله لو كنا نسمع
او نعقل ما كنا في اصحاب السعير فانهم جعلوا السمع مثل العقل سببا للخلاص عن السعير وقيل البصر افضل من السمع لان آلة القوة الباصرة
هي النور وآلة القوة السامعة هي الهواء والنور اشرف من الهواء فالبصر افضل من السمع ولان البصر يرى ما فوق سبع سموات والسمع لا يدرك
ما بعد عنه على فرسخ فكان البصر اقوى ولان محله الوجه وهو اشرف الاعضاء وللطرفين مويدات وترجيحات لا يناسب المقام ذكرها
وقال ام تحسب ام حرف عطف في الاستفهام ولها موضعان احدهما ان تكون متصلة بما قبلها وهي تقع دائما معادلة لالف الاستفهام
ولا تستعمل بدونها تقول ازيد في الدار ام عمرو وتعلم ان الكاين فيها احدهما وتطلب التعيين والمعنى ايهما فيها وشرطها ان يكون احد
المستويين يليها والاخر يلي الهمزة بلا فصل والثاني ان تكون منقطعة عما قبلها خبرا كان او استفهاما تقول في الخبر انها لابل ام شاة
يا فتى وذلك اذا نظرت الى شخص فتوهمته ابلا فقلت انها لابل ثم ادركك الظن انه شاة فانصرفت عن الاول وقلت ام شاة بمعنى
بل اشاة هي لان ما يقع بعد بل يقين وما بعد ام مظنون وتقول في الاستفهام هل زيد منطلق ام عمرو يا فتى انما اضربت عن سؤالك عن
انطلاق زيد وجعلته عن عمرو والمعنى ام عمرو منطلق اذا عرفت هذا فقوله ام تحسب عطف على قوله افانت في الاية المتصلة في القران

العزيز وهي قوله أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا والاستفهام الاول للتقرير والتعجب لانكار الفاعل والثاني
لانكار الفاعل والثالث لانكار الفعل وام ههنا ليست متصلة لانتفاء الشرط المذكور بل هي منقطعة اضراب عن الاول الى
ما هو اشد مذمة منه حتى حق بالاضراب عنه اليه والمعنى بل أتحسب أن أكثرهم يسمعون آيات القرآن والحجج المنزلة
للتحدي بها أو يعقلون معانيها الدقيقة ولطائفها الخفية وحقائقها الجلية وفيه قطع لاطماعه بايمانهم وطمعه بايمانهم
وتخصيص الاكثر بالذكر لان منهم من عرف الحق وآمن به ومنهم من عرفه وانكره عنادا واستكبارا او خوفا على فوات الرياسة
ان هم الا كالانعام في عدم انتفاعهم بما يقرع آذانهم من الآيات وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات وفيه تنبيه
على ان تميز الانسان في الحقيقة عن غيره من الحيوان ليس بحسب الصورة المحسوسة بل بحسب الحقيقة الروحانية التي بها يدرك المعقولات
المفصلة ويميز بين الحق والباطل فاذا افسدت تلك الحقيقة وبطل فعلها ارتفع التمييز وحصل الانتكاس بل هم اضل سبيلا من الانعام
لانها تنقاد لصاحبها وتميز المحسن اليها من المسيء وتطلب ما ينفعها وتجتنب عما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يميزون
احسانه من اساءة الشيطان ولا يطلبون ثوابه الذي هو اعظم المنافع ولا يجتنبون عن عذابه الذي هو اشد المضار ولانها لم تعتقد
حقا ولم تكتسب خيرا ولم تعتقد باطلا ولم تكتسب شرا بخلاف هؤلاء فانهم اعتقدوا باطلا واكتسبوا شرا ولان جهالتها لا تضر
باحد وجهالة هؤلاء تهيج الفتن وتصد الناس عن الحق ولانها تتخلص بالموت ونفوسهم الشريرة باقية ابدا متألمة محروقة منكوسة
الى اسفل السافلين ولانها غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم وهؤلاء مقصرون مستحقون للبعد عن حضرة القدس
وتوضيحه ان للانعام صورة ظاهرية محسوسة وحقيقة باطنية معدة لافعال المخصوصة وآثار معلومة وتلك الصورة
دائما مطابقة لهذه الحقيقة لا تتعداها الى غيرها مثلا الاسد اسد بحسب الصورة وبحسب الحقيقة الباطنية السبعية والذئب
ذئب بحسب الصورة وبحسب الحقيقة الباطنية الضارية والحمار حمار بحسب الصورة وبحسب الحقيقة الباطنية الناهقة وتلك الحقيقة
لا تقدر ان تبطل آثارها وخواصها بخلاف الانسان فانه انسان بحسب الصورة وبحقيقة الروحانية القلبية وهي مستعدة للاكتساب
الصدق كتاب الخير والشر وقابلة للتحلي بالفضائل والتدني بالرذائل فاذا اكتسب شيئا وفعل فعلا واستمر فيه صار ذلك
ملكة يصدر عنها الافعال بسهولة وتلك الملكة صورة باطنية فان كانت تلك الفضائل طابقت الصورة الظاهرة تلك الصورة
الباطنة ويترقى بذلك الانسان الى ان يتصل بملا الروحانيين ويصير من اصحاب اليمين وبعضهم من السابقين وان كانت ملكة
الرذائل والكفر والزندقة خالفت الصورة الظاهرة تلك الصورة الباطنة ويتنزل الانسان بذلك الى اسفل السافلين ويصير
من اصحاب الشمال وبعضهم الخاسرين فصورته الظاهرة صورة انسان وصورته الباطنة صورة كلب او خنزير او سبع او شيطان
او اخس منها ولكن لا ترى هذه الصورة في دار الدنيا لكونها دار التباس ودار تلبيس ودار تكليف الا من خصه الله سبحانه وتعالى

بزيادة

بزيادة بصيرة قلبية بمجاهدات نفسانية ورياضات جسمانية ومكاشفات روحانية فانه قد يظهر له هذه الصورة كما هي
عليه في نفس الامر لكن لا من حيث انه في هذا العالم بل كانه في عالم آخر بين العالمين ولقد رأى بعض الصالحين ممن اصدقه في عقائده
واعماله جماعة من الناس في جنب كل واحد منهم كلب بحقيقته الكلبية وصورته له ذنب واذن وعينان وراس وفم وشعر
مثل الكلب المشاهد واما دار الآخرة فلما كان موطن بروز الحقائق بصورها الذاتية بلا التباس يحشر الناس على صورة القردة
او الخنازير او الكلاب او الذئاب وذلك لعدم المطابقة بين ظاهرهم وباطنهم وابطالهم الحقيقة الانسانية وافسادهم قوة الاستعداد
للسعادة الاخروية اضل من الانعام لمطابقة بين ظاهرها وعدم ابطالها الحقيقة الحيوانية والقوة الاستعدادية وقال لا يقاتلونكم تلونكم
ضمير الخطاب للرسول ومن معه من المؤمنين وضمير الغائب لليهود والمنافقين اذ وعد المنافقون اليهود بالنصرة على قتال المؤمنين
جميعا اي مجتمعين في محاربتكم الا في قرى محصنة بالحصون والقلاع والدروب والخنادق او من وراء جدر لشدة رهبتهم منكم
ولا توهم منه ان يكون ذلك لضعف حالهم وقلة عددهم وعددهم دفعه على سبيل التكميل بقوله بأسهم بينهم شديد يعني ليس ذلك
لضعف حالهم وقلة شوكتهم اذ يشتد بأسهم اذا حارب بعضهم بعضا بل لان الله قذف الرعب في قلوبهم والرهبة في صدورهم
تحسبهم جميعا اي مجتمعين في المحاربة متفقين في الالفة والمحبة وقلوبهم شتى اي متفرقة غير متفقة في امر لاختلاف عقائدهم وافتراق
مقاصدهم وذلك يوجب اختلافهم في الامور وفيه تقوية للمؤمنين وتحريضهم على القتال ذلك اي تشتت قلوبهم وهذا وان كان
معنى غير محسوس لكن لظهور آثاره واعني تباين كلمتهم وافتراق شملهم صار بمنزلة المحسوس فاستحق الاشارة اليه بانهم اي بسبب انهم
قوم لا يعقلون اذ العقلاء متوافقون في امر ظاهرا وباطنا وقلوبهم غير متفرقة لان دينهم واحد بخلاف الجهلاء لان طرق الجهل
متعددة فلاجرم قلوبهم متفرقة متفاوتة بحسب تفاوت اغراضهم ولذلك قيل العقل فن واحد والجنون فنون ويحتمل ان يكون المراد
انهم قوم لا يفقهون ما فيه صلاحهم وبقاء سلطنتهم وان تشتت قلوبهم يوجب وهنهم وافتراقهم فعلى الاول اشارة الى علة التشتت وفي الثاني الى عدم
علمهم بغايته وذلك ان يجعل ذلك اشارة الى شدة بأسهم بينهم واختيارهم قرى محصنة خوفا من المؤمنين يعني ان كل ذلك لعدم عقلهم اذ
العقلاء لا بأس بينهم بل هم كنفس واحدة ولا يخافون الا الله ولا يرهبون الا منه وهؤلاء اشد رهبة في صدور المؤمنين من الله عز شانه
وقال وتنسون انفسكم الواو للعطف على تأمرون في قوله أتأمرون الناس بالبر والحال عن ضمير الجمع والهمزة للتنبيه على الضلال او للانكار
والتوبيخ بمعنى لا ينبغي ان يكون ذلك او للتعجب او للتقرير والتثبيت والبر الصلاح وقيل الخير وقيل التوسع في الخير من البر وهو الفضاء الواسع
والجملة هي قوله ولكن الخير والآية نزلت في جماعة كانوا يأمرون الناس بطاعة الله وهم كانوا تاركيها ويقدمون على المعاصي وقيل كانوا يأمرون
بالصلوة والزكوة وهم كانوا تاركيهما وقيل نزلت في احبار اليهود كانوا يأمرون من نصحوه في السر من الاقارب وغيرهم باتباع محمد صلى الله عليه
وهم لا يتبعونه وقيل كانوا يأمرون الناس قبل بعثة الرسول باتباعه فلما بعث انكروه وعلى التقادير لا يختلط الحكم بسبب نزول الآية فيهم

بل يجري مجرى المثل انزجر الى يوم القيمة انا قد بينا في اصول الفقه ان خصوص السبب لا يخصص الحكم والمعنى اتامرون الناس
بما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة وتتركون انفسكم منه كالمنسيات وتفعلون ما فيه فسادها فيهما وانتم تتلون الكتاب
اي القران على ان يكون الخطاب لطائفة من المسلمين فان فيه وعيدا على ترك البر والصلاح ومخالفة القول للعمل مثل قوله
يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون او التورية على تقدير ان يكون الخطاب
لاحبار اليهود فان الوعيد المذكور موجود في التورية ايضا اذ الكتب الحقة كلها انزلت لتكميل وتشتملة على ما فيه صلاحهم
في الدارين واما تعميم الكتاب بحيث يشمل الكتب المدونة في الاحكام كما زعم فغير مناسب اذ لم يعهد في القران اطلاق الكتاب عليها
افلا تعقلون اي اتصنعون ذلك فلا تعقلون قبحه وشناعته حتى يمنعكم عنه فكانه لا عقل لكم اذ العقل يمنع عن [illegible] وتقدم
ولقبح ذلك وجوه الاول ان من ارتكب ذلك كان قوله مناقضا لفعله وهو مستقبح من العاقل الثاني ان الغرض من الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر ارشاد الغير وايصاله اليه والاحتياج الى نفسه اولى من الاحتياج الى الغير فمن امر ولم ياتمر ونهى ولم ينته فقد ترك
ما هو الاحسن بالنسبة اليه ولا يليق ذلك بالعاقل الثالث ان الغرض من الامر والنهي ترويج الدين وهو بفعله يريد عدم ترويجه
فقد جمع بين المتناقضين وهو غير واقع من العاقل الرابع ان الآمر لا محالة يريد نفاذ امره في القلوب وفعله يوجب عدم نفاذه لانه
ينفر القلوب عن القبول فقد نقض مراده بفعله والعاقل لا يفعل ذلك ولذلك ورد ان العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته
عن القلوب كما يزل المطر عن الصفا الخامس انه اذا امر بشيء الطرق الناس علمه بذلك الشيء فاذا تركه كان لومهم به اشد وذمهم
به الحق من لوم من تركه جاهلا او بلا علم ولذلك ورد ان عقوبة العالم اذا لم يعمل اعظم من عقوبة [illegible] السادس انه بقوله يقول
لهم افعلوا وبفعله يقول لهم لا تفعلوا فقد اتى بالمتناقضين في العقل [illegible] ثم المراد بالآية حث الواعظ على تزكية نفسه وتهذيبها
والاقبال عليها بتقديمها وتكميلها ليقيمها ولا يقيم غيره ولذلك كان [illegible] بعد تكميل نفوسهم القدسية لا منع
الفاسق عن الوعظ كما زعم لانه مامور بشيئين احدهما ترك المعصية والثاني منع الغير منها والاخلال باحد التكليفين لا يوجب
الاخلال بالآخر ودلالة الآية على النهي عن الجمع بينهما او تخريبه غير مسلمة لجواز ان يكون النهي راجعا الى نسيان النفس مطلقا
لا الى نسيانها منضما الى الامر بالمعروف ويشعر بذلك قوله وتنسون انفسكم حيث رتب الذم عليه ولم يذكر صدر الآية وفيه
دلالة ايضا على جواز الاستشهاد ببعض آية اذا كان تام الفائدة فيفهم جواز ذلك في الحديث بالطريق الاولى ثم ذم الله الاكثر
فقال وان تطع اكثر من في الارض في عقايدهم واقوالهم واعمالهم يضلوك عن سبيل الله اذ الحق له سبيل واحد لا يسلكه الا
العارف العالم الراسخ في علمه وورعه وهو قليل جدا واما الباطل فله طرق متكثرة ويسلكها الاكثر من في الارض على مطايا الغواية
والجهالة ومراكب الغباوة والضلالة ويدعون اليها من اقتفى آثارهم وتبع الهوى ولا يامرونه الآيات فيه هواهم ولا يرشدونه

الا الى مقاصدهم ومناهجهم كما دل عليه قوله كل حزب بما لديهم فرحون ولانه كما دلت على ان طاعة الاكثر سبب الضلالة كذلك دلت على ان
مخالفتهم سبب الهداية وعلى هذا لا يجوز متابعة الاكثر الا اذا كان هناك دليل على حقيتهم فالمتبع ح هو الدليل دون الكثرة
من حيث هي ولا يجوز التمسك في الاحكام بمجرد الشهرة وكثرة القائلين بها ولا بتبعية جمهور والله اعلم وقال ولئن سألتهم اي
الذين يعبدون من غير الله سبحانه من خلق السموات والارض ليقولن الله اي ليقولن خلقهن الله بحذف المسند بقرينة سؤال المحقق
والدليل على ان المرفوع فاعل والمحذوف فعله انه جاء عند عدم الحذف في مثل هذا الكلام كذلك كقوله ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم وقوله من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها اول مرة ويحتمل ان يكون المرفوع
مبتدأ والمحذوف خبره اي الله خلقهن ليطابق السؤال في الاسمية ولان السؤال عن الفاعل لا عن الفعل وتقديم المسؤول عنه
اولى [illegible] واقرارهم بذلك على سبيل الاجبار والاضطرار لوضوح الدليل المانع من اسناد خلقهن الى غير الله قل الحمد لله على الزامهم
والجائهم الى الاعتراف بما يوجب بطلان عقايدهم واعمالهم في باب الشريك او على حفظك وعصمتك من مثل هذه الضلالة
بل اكثرهم لا يعلمون اي لا يعلمون ان ذلك يلزمهم او لا يعلمون ما اعترفوا به ببرهان عقلي ودليل قطعي لان كونه خالق
السموات والارض نظري لا يعلم الا بالبرهان وهم معزولون عن العلم به وانما اعترفوا به اضطرارا وكل من ادعى علما نظريا بلا نظر
استحق ان يلام بالسفاهة ويذم بالجهالة او لا يعلمون ما تريد بتحميدك عند مقالتهم او لا يعلمون انهم يتناقضون حيث يعترفون
بانه خالق السموات والارض ثم يشركون به غيره او لا علم لهم اصلا حتى يعترفوا بالتوحيد بعد ما اقروا بما يوجبه وفيه ذم
عظيم للجهلة الذين انصرفوا عن طريق الحق وسلكوا طريق الضلالة ومدح بليغ للعلماء الذين يميزون بين الحق والباطل ويسلكون
سبيل الهداية وارشاد الى كيفية الاستدلال على التوحيد وقال ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيى به الارض من بعد موتها
ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون هذا مثل السابق فيما ذكرناه وفيه دلالة على شرف العقل وعظم قدره لايمان [illegible]
معرفة المنعم واداء حقوقه وان اكثر الناس معزولون عنه [illegible] لا يعقلون ان المنعم الحقيقي هو الله تعالى شانه ولا يعرفون ان يحمدوه
على النعمة لا يستحقه الا هو بلا شبهة ثم مدح القلة بعنوان المدح من الناس وهو المؤمن الحقيقي العالم العامل المهذب الظاهر والباطن
فقيل نادر جدا وقد دلت على قلته الآيات المتكثرة والروايات المعتبرة المتواترة كما يظهر لمن له ادنى تامل في احاديث الكفر والايمان
ودلت عليه التجربة ايضا فقال وقليل من عبادي الشكور قيل الشكر في اللغة فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب انعامه وفي العرف صرف العبد
جميع ما انعم الله عليه فيما انعم لاجله اقول الظاهر ان النسبة بينهما عموم من وجه لتحقق الاول وحده في صرف الاول وحده في مقابلة
النعمة دون الثاني اذ لم يعتبر فيه صرف جميع الجوارح وتحقق الثاني في صرف الجميع لا في مقابلة النعمة بل لاجل كمالاته الذاتية
وتحققهما جميعا في صرف الجميع بازاء النعمة وذكر القوم صريحا بان بينهما عموما مطلقا لصدق الثاني لانه كلما تحقق صرف الجميع بازاء النعمة

يتحقق صرف الواحد بازائها ايضا من غير عكس ثم اورد عليه بان هذه النسبة انما تتم لو اعتبر في الثاني كونه في مقابل النعمة
ولا اشعار في التعريف به واجيب عنه تارة بان هذا القيد مستنبط من تعليق الحكم بوصف الانعام الصالح للعلية وورود الاية
يلزم منه ان لا يكون في الخلق شاكرين ولا واسطة بين الشكر والكفران وتارة بان المراد بكونه في مقابل النعمة ان يكون بازائها
وان لم تكن ملحوظة للشاكر ومحصله ان انعامه هنا عرفية لا حقيقية ويمكن دفعه ايضا بان مفهوم التعريف مطلق ولا يراد المذكور
وارد بالنظر الى ظاهره اذا عرفت هذا فنقول الشكر بكلا المعنيين منزلة عظيمة ومرتبة جليلة والبالغ فيه قليل جدا وبالمعنى
الثاني اعظم لان حصوله يتوقف على العلم بالله وصفاته وافعاله والتصديق بالرسول وخواصه وكمالاته وبجميع ما جاء به من
الشرائع والاداب مع العمل بها وتهذيب الظاهر والباطن من الاخلاق الرذيلة ورداها ومجاهدة النفس الامارة بدفع متمنياتها
وهواها وقال الشريف في حاشية المطالع مثل هذا المعنى يعني بالمعنى الثاني ورد قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور وقال بعض المحققين
بل الظاهر انه بالمعنى الاول وكون القلة ناشئة عن المبالغة المستفادة من الشكور كما هو المعروف من ان النفي والاثبات في الكلام
راجعان الى القيد واما المعنى الثاني فلا يتصور فيه المبالغة لان المراد به صرف الجميع في الجميع فيكون الشكور بهذا المعنى ممتنع
الوجود لا قليل ولو سلم استقامة حمله على هذا المعنى فلا يتعين لجواز حمله على المعنى الاول ايضا واجاب عنه المحقق الدواني
بان صرف الجميع في الجميع يتفاوت بحسب استغراق الاوقات وعدمه وتحقق المبالغة في الاستغراق بان يتحقق صرف الجميع في الجميع
في اكثر الاوقات او في جميعها ثم اورد على نفسه بان صرف الجميع في الجميع في اكثر الاوقات او في جميعها مما لا يتصور ضرورة انه
لا يمكن صرف جارحة الاذن مثلا في وقت من الاوقات في جميع ما خلق لاجله كالذكر والنصيحة والانذار للاعمى من البئر الى غيرها واجاب
بان جميع ما خلق لاجله هو جميع ما كلف به وجميع ما كلف به وجب ان يكون ممكنا لاستحالة التكليف بالمحال فاذا اتى المكلف في وقت من الاوقات
بجميع ما كلف به في ذلك الوقت فهو شاكر بالمعنى الثاني واذا استمر على ذلك الوصف في جميع الاوقات او في اكثرها فهو شكور واجاب
عن المنع المذكور بان المعنى اللغوي غير محتمل لان المبالغ فيه ليس قليلا لصدور البسملة والشهادتين وغيرهما من الافعال
والاقوال المنبئة عن تعظيمه سبحانه من كثير من العباد فلو كان صرف الجميع في الجميع يتفاوت بحسب استغراق الاوقات وعدمه كذلك صرف
البعض فيتحقق المبالغة فيه ايضا بان يصرف البعض في اكثر الاوقات او في جميعها ولا شبهة في ان الصارف في هذا الوصف
قليل بالنسبة الى الصارف في وقت ما نعم هو كثير في حد ذاته وبالنسبة الى الصارف الجميع في الجميع في معظم الاوقات ولا يقدح
شيء من ذلك كونه قليلا بالنسبة الى الصارف في وقت ما فكما يجوز ارادة المعنى الثاني في الاية يجوز ارادة المعنى الاول
ايضا فليتامل وقال وقليل ما هم الضمير راجع الى الموصول في قوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي المؤمنون العاملون
للصالحات قليلون جدا وما مزيدة للابهام والتعجب من قلتهم وسبب القلة ان الله سبحانه خلق اعضاء الانسان على مقتضى حكمته

البالغة

البالغة بحيث تصلح ان تنال الخير والشر فان اليد تتناول الضرب والبطش والاعطاء والمنع وغيرهما من الافعال الصادرة
منها والرجل تتناول المشي الى سبيل الحق والباطل والبصر يقدر ان يدرك المصنوعات العجيبة والمبدعات الغريبة التي
دلت على وجود صانعها وقدرته وحكمته وان يدرك المحرمات من الصور وغيرها والسمع يصلح ان يسمع الايات
والبينات المحركة الى السير الى الله وان يسمع الهزل واللغو والاقوال الكاذبة الموجبة للبعد منه ومن رحمته وقس
عليها البواقي وجعل النفس واسطة بين القوة الشهوية والغضبية وغيرهما من القوى الطبيعية الحيوانية وبين القوة
العاقلة الملكية وهي بالاولى تحرص على تناول اللذات البهيمية الفانية كالقهر والغلبة والشرة والشهوة والعداوة
والتهجم على الغير بالضرب والشتم وتستعمل الاعضاء والجوارح في وجوه الشر والضلالة واذا استمرت على ذلك صارت
شيطانا ولحقت بزمرة الشياطين وترجع الى اسفل السافلين وبالثانية تتناول اللذات الملكية الباقية مثل العلوم الحقيقية
والخصال الحميدة المؤدية الى السعادات الابدية وتستعمل الاعضاء والجوارح في وجوه الخير وتكمل الشرائع البدنية واذا
استمرت على ذلك شاركت الملائكة المقربين في فضائلهم وزاحمت الانبياء المرسلين في منازلهم وتستحق ان تخاطب بيا ايتها
النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية والى هذين الطريقين اشار سبحانه بقوله وهديناه النجدين وبقوله انا
هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا ولكن النفس لذاتها لما كانت مائلة الى اللذات آنسة بالمحسوسات واللذات الفانية
الدنيوية لذات حاضرة محسوسة ظاهرة واللذات الاخروية لذات غائبة عقلية مخفية صارت النفوس كلها مائلة الى الدنيا
وزخارفها باغواء الشياطين مع غلبة الشقاوة والهوى عليها حتى خرجوا عن الدين مع انه رجوا في سلك الشياطين فاتصفوا بالخسران
المبين وخلطوا اعمالا صالحة واخر سيئا وصاروا من المذنبين الا من عصمه الله واخذت بيده العناية الازلية ونورت قلبه بنور
الحكمة والايمان وافاضت عليه سجال الكرامة والاحسان وطهر ظاهره بالاعمال الصالحة وحلى باطنه بالاخلاق الفاضلة وهذا
قليل الوجود كما اشار اليه مولانا الشارح عليه السلام المؤمن اعز من الكبريت الاحمر فمن رأى منكم الكبريت الاحمر وقال
رجل مؤمن من آل فرعون من اقاربه قيل هو ابن عمه وقيل كان قبطيا من قومه وقيل كان من بني اسرائيل ورجح الاول لفظ الآل لانه حق
على القريب كما قال سبحانه الا آل لوط نجيناهم بسحر وهو صفة ثانية لرجل وقيل هو متعلق بقوله يكتم ايمانه وهذا صفة ثالثة
على ما قلنا وصفة ثانية على ما قيل وهذا القول بعيد لانه يلزم الفصل بين الصفة والموصوف باجنبي اللهم الا ان يجعل يكتم ايمانه حالا
وهو بعيد جدا ولانه لو كان كذلك كان تاخيره اولى اذ لا وجه لتقديمه الا الحصر وهو غير مناسب للمقام ولان كتمان الايمان حال المؤمن
لا يناسب من كان لا نسب ان يذكر بعد الوصف فان قلت فعلى هذا لو كان صفة كان الانسب ايضا تاخيره عن الصفة الثالثة قلت نعم لكن
في تاخيره اخلالا ببيان المعنى المقصود لانه يتوهم ح انه من صلة يكتم فلم يفهم ان ذلك الرجل من آل فرعون فقدم لدفع هذا التوهم على

تقديمه اهم لان ايمانه مع كونه من آل فرعون كان مستبعدا اتقتلون رجلا وهو موسى والهمزة للانكار اما للتوبيخ والتعجب
وحملها على حقيقة الاستفهام بعيد ان يقول اى لان يقول او وقت ان يقول ربي الله وحده لا شريك له وهو يفيد قصر
الربوبية على الله ورد القول فرعون انا ربكم الاعلى تعريض قيل صديقين حزبيل والغرض من ذكر هذه الاية الكريمة ان الله سبحانه
وصف رجلين من بين كثيرين لا يعلم عددهم الا هو بالايمان ومدحهما به وقال ومن آمن عطف على اهلك في قوله قلنا احمل فيها
من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ولما اوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن وامره بعمل السفينة
واخبره باهلاك قومه بالغرق شرع في عمل السفينة فلما تم عمله وجاء امر الله وفار التنور امره بان يحمل معه في السفينة
من كل نوع من الحيوان ذكرا وانثى واهله الا ابنه كنعان وامه وان يحمل فيها المؤمنين فحملهم فيها زوجين من كل
حيوان وكل من آمن وما آمن معه الا قليل قيل كانوا ثمانين رجلا في ناحية الموصل قرية يقال لها قرية الثمانين سميت
بها لان هؤلاء لما خرجوا من السفينة بنوها وهذا القول بعيد وقال في الكشاف روي عن النبي انه قال كانوا ثمانية نوح واهله
وبنوه الثلث ونساؤهم وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة و اولاد
نوح سام وحام ويافث ونساؤهم والجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء ولكن اكثرهم لا يعلمون اى
لا يوجد لهم حقيقة العلم او لا يعلمون استقامة هذا الدين لعدم تدبرهم فيه حتى يحصل لهم العلم باستقامته وبما ينبغي
من نظام احوالهم في الدنيا والاخرة وقال اكثرهم لا يعقلون اى ليس لهم فضيلة العقل او لا يعقلون الحلال والحرام وما جاء به
رسولهم من المصالح والاحكام ليهتدوا بها ظاهرهم وباطنهم ويتصفوا بكمال الانسان ويتركوا ما سولت لهم انفسهم وزينه لهم
الشيطان وقال اكثرهم لا يشعرون بما فيه صلاحهم في الدارين كالعلم في النشأتين وهذه الايات الثلث يستلزم مدح القليل
وهو المقصود في هذا المقام واعلم ان الايات والروايات الدالة على ذم الكثير ومدح القليل اكثر من ان تحصى والغرض من ذكرها
هنا امران احدهما بيان ان الضلالة والطغيان صار كالطبيعة الثانية للانسان الا من عصمه الله من سلوك سبيل الشيطان
ونور قلبه بنور الايمان والمعرفة وهذا الصنف قليل جدا بل قد ينحصر في بعض الاعصار في فرد كما قيل في تفسير قوله ان ابرهيم
كان امة انه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا الثاني التنبيه على ان ما وقع بعد نبينا من ارتداد اكثر الناس
وخروجهم عن الدين وبقاء قليل منهم مثل عمار وسلمان وابي ذر واضرابهم غير مستبعد باهلها ثم ذكر اولي الالباب
اى ذوي العقول الخالصة عن شوائب الوهم والفضل الكاملة بتفضيلي العلم والعمل باحسن الذكر تفريعا على النساء ويطلق الذكر
على الصيت والثناء والشرف كما في قوله تعالى ص والقران ذي الذكر اى ذي الشرف وحلاهم باحسن الحلية اى زينهم باحسن الزينة
او وصفهم باجل الصفة والحلية بكسر الحاء المهملة وسكون اللام تطلق على الصفة مثل العلم والشجاعة والسخاوة ونحوها وعلى الزينة

من ذهب

من ذهب وفضة او لؤلؤا ونحوها وفي التنزيل وتستخرجون حلية تلبسونها منه الحلي بضم الحاء وكسر اللام وشد الياء جمع حلي
بفتح الحاء وسكون اللام وهي ما يتحلى به المرأة وجمع الحلية حلى مثل اللحية ولحى وربما ضم فقال يؤتي الحكمة قال ابو عبد الله جعفر بن محمد الصادق ع
هي طاعة الله ومعرفة الامام وهذا القول منه ع اشارة الى الحكمة والعلمية وهما خروج النفس من القوة الى الفعل في حقيقة العلم
والعمل لان معرفة الامام اشارة اجمالية الى معرفته علما بما ينبغي ومعرفة الرسول وما جاء به ومعرفة الله وما يليق به وهذه المعارف
عبارة عن الحكمة النظرية وطاعة الله اشارة الى تخلية الظاهر والباطن عن الرذائل وتحليتهما بالفضائل وهذه هي الحكمة العملية
ويرجع الى هذا التفسير قول القاضي وهي تحقيق العلم والعمل وقول صاحب الكشاف هي العلم والعمل به والحكيم عند الله هو العالم العامل
وقول الرازي هي العلم النافع المصحوب بانارة البصيرة وتهذيب النفس وقال ابن دريد هي كل ما يؤدي الى مكرمة ويمنع من قبيح وقال
شيخ العارفين بهاء الملة والدين هي ما يتضمن صلاح النشأتين او صلاح النشأة الاخرى من العلوم والمعارف واما ما تضمن صلاح
الحالة الدنيا فقط فليس من الحكمة في شيء وقال الثالث الحكمة هي الفقه وهذان التعريفان لا يصدقان على الحكمة العملية كما لا يصدق
تعريف من قال هي الاصابة في القول ومن قال هي طاعة الله على الحكمة النظرية من يشاء مفعول اول اخر للاهتمام بالمفعول الثاني وللدلالة
على تعظيمه في اول الامر ومن يؤت الحكمة بفتح التاء في القراءة المشهورة على البناء للمفعول لان المقصود بيان حال المفعول به بخلاف قوله والمقصود
هنا تعلق الفعل بالفاعل على الفاعل لبيان ان الحكمة فضيلة الهية وموهبة ربانية للنفوس المستعدة لها ولا تحصل بمجرد الاكتساب وان كان له
مدخل فيها فقد اوتي خيرا كثيرا التنكير للتعظيم والتكثير جميعا والوصف بالكثرة للمبالغة والتأكيد وكثرته باعتبار اشتماله على خير الدنيا
والاخرة وفيه دلالة على كمال العلم وعلو منزلته وعموم فوائده ولا ينافي هذا ما في قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا لان قلته بالاضافة
الى علم الواجب لذاته وكثرته بالنظر الى ذاته مدة بقائه وبقاء السعادة اللازمة له وما يذكر الا اى ما يتعظ بالحكمة التي اعطاها النفوس
القابلة ولا يعرف منزلة هذه النعمة او ما يتفكر في القرآن وما فيه من حقائق العلوم ودقائقها الا اولوا الالباب اى ذوو العقول الكاملة
الخالية عن الدنيا وزهراتها الامنة من مكايد النفس ومتمنياتها وقد نقل في هذا الكتاب عن الرضا ع في فضل الامام وصفاته في
حديث طويل ان الانبياء والائمة يوفقهم الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمته ما لا يؤتيه غيرهم فيكون علمهم فوق علم اهل زمانهم في
قوله هذه الاية وقال والراسخون في العلم رسخ الشيء رسوخا ثبت وكل ثابت راسخ ومنه الراسخون في العلم اى الذين تمكنوا فيه
واستقروا بحيث لا يزعجهم شيء من مكايد الشيطان ومتمنيات النفوس وزهرات الدنيا على الخروج عن سبيل الحق بوجه من الوجوه
يقولون آمنا به اى بالكتاب الذي منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات او بالمتشابه وهو كلام يحتمل وجوها
متعددة لا يتضح المقصود منه لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص الشديد والنظر الدقيق والمحكم كلام لا يحتمل الا وجها واحدا

كل من عند ربنا اى كل واحد من المحكم والمتشابه نزل من عند ربنا وهذا كالتاكيد للسابق ولذا فصل عنه وما يذكر
الا اولوا الالباب اى وما يعلم التشابه الا الكاملون في العقول وهم الراسخون في العلم او وما يعلم الراسخين في العلم وهم النبي
وائمة الطاهرين عليهم السلام وما يذكر احوالهم الا اولوا الالباب الذين هم شيعتهم روى ابو بصير عن ابى عبد الله ع قال نحن
الراسخون في العلم ونحن نعلم تاويله وروى عبد الله بن بكير عنه ع قال الراسخون في العلم امير المؤمنين والائمة عليهم السلام وروى
بريد بن معوية عن احدهما عليهما السلام ان رسول الله ص افضل الراسخين في العلم قد علمه الله جميع ما انزل عليه من التنزيل والتاويل
وما كان لينزل عليه شيئا لم يعلمه تاويله واوصياؤه من بعده يعلمونه كله الحديث وروى جابر عن ابى جعفر عليه السلام في قول الله تع
هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب قال ابو جعفر عليه السلام انما نحن الذين يعلمون والذين لا يعلمون
عدونا وشيعتنا اولوا الالباب وقال ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات اى لعلامات ظاهرة وادلة
واضحة على وجود الصانع ووحدته وقدرته وحكمته وتدبيره لاولى الالباب اى لذوى العقول الثاقبة والبصائر النافذة
لانهم لصفاء ضمائرهم ونور بصائرهم هم القادرون على التفكر في خلق السموات وما فيها من الثوابت والسيارات وحركاتها شرقا وغربا
جنوبا وشمالا اجتماعا وافتراقا الى غير ذلك من احوال السماء والسماويات وما يترتب عليها من المنافع والمصالح وفي خلق الارض وما فيها
وما عليها من انواع المعادن والنباتات والحيوانات ومنافعها وفي اختلاف الليل والنهار وتعاقبهما وتفاوتهما في الزيادة والنقصان
وفوايدها وعلى الاستدلال بهذه الامور وامثالها مما لا يحصى على ان لها صانعا لطيفا عليما خبيرا حكيما قادرا اوجدها
بمجرد ارادته ومشيته بلا مشاركة ولا معاونة واما غيرهم ممن ضعفت ضمائرهم وعميت بصائرهم فهم انما ينظرون اليها نظر البهائم بحيث
منها ما يدركه العلوفة والسوائم ذاهلين عما فيها من عجايب الفطرة ولطايف التقدير وغرائب الصنع وبدايع التدبير قال الفاضل ولعل
الاقتصار على هذه الثلثة في هذه الاية لان مناط الاستدلال هو التغير والتغير اما ان يكون في ذات الشيء كتغير الليل والنهار او في
جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها او في الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها وقال بعض اهل الاشارة وخلق السموات اشارة
الى خلق الارواح واطوارها العالية وخلق الارض اشارة الى خلق نفوس البشرية وقرارها وتنقلها في مراكز الابدان واختلاف
الليل والنهار اشارة الى اختلاف ظلمة النفوس البشرية وانوار الروحانية فان هذه الامور ادلة واضحة على وجود الصانع
لاولى الالباب وهم الذين عبروا بقدم الذكر والفكر عن قشر الوجود الخلقي الظلماني الى لب الوجود الروحاني فشاهدوا بعيون
البصاير ونواظر الضماير ان لهم الها قديما قادرا حيا عليما سميعا بصيرا مستكملا حكيما له الاسماء الحسنى والصفات العليا وقال افمن
يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى لما ضرب الله مثلا للذين استجابوا لربهم استجابة حسنة وهم المؤمنون العالمون
العاملون والذين لم يستجيبوا له وهم الكافرون والجاهلون تارة بالماء وزبده وهو وضره ودرنه وتارة بالفلزات كالذهب

والفضة

والفضة والحديد والنحاس وزبدها وهو خبثها ودرنها واوضح الفرق بين الفريقين بان الاول بمنزلة الماء والفلزات
الخالصة التي تبقى في الارض وينتفع بها انتفاعا عظيما والثاني بمنزلة زبدها ودرنها يمحى به الماء والفلزات المذابة
انكر على من زعم التساوي بينهما بعد ضرب المثل ورد يضاح وبين انه لا مساواة بين من يعلم ان ما انزل اليك من ربك وهو القرآن
وما اشتمل عليه من التوحيد وصفات الواجب والاحكام واحوال الحشر والنشر والثواب والعقاب والامثال وغيرها حق
وصدق ويذعن بها اذعانا جازما ثابتا وبين من هو اعمى القلب فاقد البصيرة لا يهتدى الى الحق منكر له او جاهل به فان بينهما
مباينة تامة وبعد مفرط كبعد ما بين الماء والزبد والفلزات الخالصة واخباثها انما يتذكر اى ما يعلم ذلك ولا يتفكر
فيه الا اولوا الالباب واما الكفرة والجهلة الفاقدون للبصاير الذهنية والانوار العقلية والسالكون سبيل الغي والضلالة
فهم بمنزلة البهايم بل هم اضل قطع الذكر والتفكر منهم في المطالب العالية كقطعه من البهايم وقال امن هو قانت اى قائم بوظايف
الطاعات من القنوت وهو الطاعة والدعاء والقيام في قوله ع افضل الصلوة طول القنوت والمشهور الدعاء وقولهم دعاء القنوت
اضافة بيان كذا في المغرب وقال الجوهري القنوت الطاعة هذا هو الاصل ومنه قوله تع والقانتين والقانتات ثم سمي القيام
في الصلوة قنوتا وفي الحديث افضل الصلوة طول القنوت ومنه قنوت الوتر وقال ابن الاثير في النهاية قد تكرر ذكر القنوت
في الحديث ويرد بمعان متعددة كالطاعة والخشوع والصلوة والدعاء والعبادة والقيام وطول القيام والسكوت فيصرف
في كل واحد من هذه المعاني الى ما يحتمله لفظ الحديث الوارد فيه وقرا حمزه امن بتخفيف الميم بمعنى امن هو قانت كمن هو ليس بقانت والمقصود
نفي المساواة بينهما واثبات الفضل للاول وقرا الباقون بتشديد الميم واصله ام من ادغمت الميم في الميم وام متصلة معطوفة على
محذوف دخل عليه حرف الاستفهام تقديره االكافر خير امن هو قانت مثل قولك ازيد افضل ام عمرو او منقطعة بمعنى بل
والمعنى بل امن هو قانت كمن ليس كذلك قيل فيه دلالة على ان العمل الذي يتصف به الانسان بالكمال هو ما كان للانسان مع المواظبة عليه فان
القنوت عبارة عن كون الرجل قائما بما عليه من الطاعات والمواظبة فيه من الاعمال التي فيه كثير فايدة آناء الليل اى ساعاته وتخصيصها
بالذكر مع ان للعبادة في كل وقت فضيلة يتقرب بها العبد الى الله ويتميز بها عن غيره لوجوه اولها ان القلب في الليل فارغ عن المحسوسات
المانعة عن السير الى الله سبحانه فيتوجه الى ذكره ويشاهد اله ولصفاته الذاتية والفعلية وكمال قدرته وغلبته على جميع الممكنات
فيحصل له بذلك خوف وخشية بحيث لا يغفل عنه طرفة عين في هذه الحالة والطاعة الواقعة فيها افضل الطاعات
لان التفاوت في مراتب الطاعات بحسب تفاوت مراتب القلب في القرب والبعد وثانيها ان الليل وقت النوم والاستراحة فيكون القيام
فيه اشق فيكون الطاعة فيه افضل وقد دل على هذين الوجهين قوله تع ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا وثالثها ان
القيام في الليل لكونه اقرب من الخلوة ابعد من الريا افضل من القيام في النهار ورابعها ان النهوض في الليل للعبادة لما كان

بطلب المعاش ونحوه كان اكمل من النهوض في النهار وافضل ساجدا وقائما حالان من فاعل قانت انفة قراءتهما بالرفع على الخبرية
وتعدد بدون العطف جائز والواو للجمع بين الصفتين وتقديم السجود على القيام للاهتمام به لان السجود ارفع منازل العارفين
واعلى معارج العابدين كما نطقت به الاخبار عن الائمة الطاهرين يحذر الآخرة اى عذابها ويرجو رحمة ربه استيناف للتعليل كانه
قيل ما سبب قنوته وسجوده وقيامه فاجيب ببيان سببهما او في موضع النصب على الحال والطائر من نكتة في ايراد بعض الاحوال
مفردا وبعضها جملة فعلية ولعل النكتة فيه هو التنبيه على اعتبار استمرار الحذر والرجاء ووجود كل واحد منهما في زمان
وجود الآخر بخلاف السجود والقيام وانما اثر على الحذر على الخوف مع ان الخوف في مقابل الرجاء على ما هو المتعارف لان الحذر ابلغ
من الخوف لانه خوف مع الاحتراز عن المعاصي وانما اضاف الحذر الى الآخرة لا الى عذابه واضاف الرجاء الى رحمته للتنبيه على ان الرجاء
افضل وبحضرة الربوبية اليق ولذلك ايضا اضاف الرحمة الى الرب والرب الى الضمير مع ما فيه من الدلالة على الاستعطاف والاختصاص
ورجحان الرحمة على العذاب قل هل يستوي الذين يعلمون وهم القانتون الموصوفون المذكورة والذين لا يعلمون وهم التاركون
للقنوت وهذه الآية على هذا التفسير بيان لما سبق واشارة الى ان منشاء تلك الصفات هو العلم ومنشاء عدمها هو الجهل وتنبيه
على شرف العلم والفضيلة وفضل العلماء على الجهال ونفي الاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية كما ان في السابق نفى الاستواء بينهما باعتبار
القوة العملية للاشعار بان الحقيقة الانسانية انما تتم بالنباهة والجلال وتتصف بالفضيلة والكمال باعتبار العلم والعمل ومن
لم يتصف بهما فليس له من وصف الانسانية الا الاسم ولا من حقيقتها الا الرسم وانما اخر العلم عن العمل مع ان العمل تابع له وموقوف عليه
للتنبيه على ان العمل هو الغرض الاصلي من العلم حتى ان العالم اذا لم يعمل بعلمه كانت الحجة عليه اعظم والحسرة عليه ادوم او للدلالة
باختلاف الآثار الظاهرة اعني العبادة وعدمها على اختلاف مباديها الباطنة اعني العلم والجهل فكان من قبيل اثبات معقول
بمحسوس وقيل وجه الترتيب بين الاوصاف المذكورة ان الانسان عند قيامه بوظايف الطاعات ومواظبته عليها يكشف له في اول
الامر مقام القهر المقتضي للخوف والحذر ثم يكشف له بعده مقام الرحمة الباعث للرجاء ثم يحصل له بعده انواع العلوم والمكاشفات
فالعلم على هذا تابع للاوصاف المتقدمة ولذلك اخره عنها انما يتذكر اولوا الالباب يعني ان هذا التفاوت العظيم بين العالم
والجاهل وبين القانت وغيره لا يعرفه الا ذوو العقول الكاملة الخالصة عن غواشي الاوهام لانهم القادرون على التمييز بين الحق
والباطل بما لهم من بصيرة عقلية وقوة روحانية دون غيرهم ممن كان على ابصار عقولهم غشاوة وفي صفحات قلوبهم فساد وقد
روي عن الباقر ع انه قال في تفسير هذه الآية نحن الذين يعلمون وعدونا الذين لا يعلمون وشيعتنا اولوا الالباب وعن الصادق ع
ان الآية نزلت في علي ع وذم ابي الفصيل يعني ان عليا لكونه قانتا بالاوصاف المذكورة وعالما بان محمدا رسول الله ليس كغيره وهو
لا يقنت ولا يعلم ذلك ويقول له انه ساحر كذاب وما نقلنا معنى الحديث والحديث المذكور في كتاب الروضة قبل حديث الصيحة

وقال كتاب انزلناه اليك مبارك مبارك بالرفع على القراءة المشهورة صفة للكتاب او خبر بعد خبر وبالنصب على الحال في بعض
القراءة ومعناه نفاع من البركة وهي كثير الزيادة والنمو ليدبروا آياته فيعرفوا ما فيه من الشرايع والاحكام والمواعظ والنصايح
والعبر التي بها يتم نظام امورهم في الدارين ويصلح حالهم في النشأتين وليتذكر اولوا الالباب اي وليعلم ما فيه من الاسرار الالهية والمعارف
الربانية التي لا يهتدي اليها الا ذوو العقول الكاملة والاذهان الثاقبة وهم اهل العصمة عليهم السلام فان علوم الكتاب بعضها جلي
ياخذ بمعرفته اكثر العلماء بالتدبر والتامل فيه وبعضها خفي لا يصل اليه الا اولوا الالباب وذوو العقول الكاملة العارية عن
شوايب النقصان وقيل الكتاب الالهية بيان لما لا يعرف الا بالشرع وارشاد الى ما يستقل به العقل والتدبر للاول والتذكر
للثاني وقيل الكتاب يشتمل على اسرار عظيمة ومعارف لطيفة وفايدة انزاله ان يتدبر المتدبرون ويتفكر المتفكرون في آياته
والغرض الاصلي من التدبر والتفكر وهو النظر والتامل ان يحصل لهم التذكر اي المعرفة اليقينية بتلك الاسرار والمعارف والتدبر
لا يستلزم التذكر اذ رب متفكر لا ينتهي بفكره الى المطلوب فالتدبر غير مختص باولي الالباب بل يعمهم وغيرهم بخلاف التذكر فانه
مختص بهم فقد ثبت ان غاية انزاله ليس الا التذكر المختص باولي الالباب وهذا غاية المدح والتعظيم لهم وفيه ان ظاهر العطف
يقتضي ان كلا من التذكر والتدبر غاية مستقلة لانزاله ولقد آتينا موسى الهدى اي الدلالة على الدين او ما يهتدى به اليه
من المعجزات والصحف والشرايع واورثنا بني اسرائيل الكتاب اي التورية يعني تركناه بعده عليهم يتوارثونه ويأخذونه
بعضهم من بعض ويعملون به ويحفظون الفاظه ومدلولاته اللفظية ومعانيه الاولية واحكامه الظاهرية هدى وذكرى
مفعول له لقوله اورثنا او حال منه او علة او من الكتاب اي اورثنا لاجل الهداية والتذكير او هاديا ومذكرا لاولي الالباب
ون اي لذوي العقول الصحيحة السليمة وهم الراسخون في العلم العارفون بالله وصفاته وافعاله العالمون باحوال المبدا والمعاد وهم
لها بعيون البصاير المهتدون الى حقايقها الظاهرة والباطنة وتخصيصه ان غير اولي الالباب من اهل الكتاب بمنزلة الخدمة لهم يحفظون
الكتاب للائمة من بعدهم لطول الازمنة فيبقى محفوظا لهؤلاء الكاملين في العقل وهم انبياؤهم واوصياؤهم وعلماء امتهم الممدوحون غاية
المدح والتعظيم المقصودون من الثناء والتكريم وفيه تنبيه على انه سبحانه اورث القرآن في هذه الامة بعد نبينا صلى الله عليه وآله الهدى
وذكرى لاولي الالباب وهم العلماء الراسخون من امته والاوصياء المرضيون من عترته لا يفارقهم القرآن ولا يفارقونه حتى يردا
عليه يوم القيمة كما قال ص اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله عز وجل وعترتي اهل بيتي الا وهما الخليفتان من بعدي لن يفترقا حتى
يردا على الحوض وقال وذكر لما امر الله سبحانه نبيه محمدا ص بالتولي والاعراض عن مجادلة المشركين المنكرين لنبوته المصرين على
انكار دعوته الى ما فيه صلاحهم في الدارين وبين انه ليس بملوم على ذلك الاعراض لبذل جهده في التبليغ بقوله فتول عنهم فما انت
بملوم امره ثانيا بالتذكير والتعليم تسلية وبشارة له بقوله وذكر يعني لا تدع والموعظة الحسنة فان الذكرى تنفع المؤمنين اي

اى الذين يؤمنون بك ممن هو فى اصلاب الآباء وارحام الامهات الى يوم القيمة او الذين آمنوا بك فانها تنفعهم وتزكى بصيرتهم
وتحيى ارواحهم وتنور قلوبهم وتصقل اذهانهم كان المطرة الارض القابلة يوجب حيوتها وفى ذكر هذه الآية فى مقام مدح
اولى الالباب اشارة الى انهم هم المؤمنون بالايمان الحقيقى وهذا غاية المدح والتعظيم لهم باحث ان الله يقول فى كتابه ان فى ذلك
اى فيما ذكر من خلق السماء وبنائها بلا عمد وتزيينها بالكواكب ومد الارض والقاء الجبال الرواسى فيها وانبات انواع النبات الحسنة
البهيجة وتنزيل الامطار وانبات الزروع والاشجار والجنات الرايقات والنخيل الباسقات واحياء البلاد واهلاك بعض القرون
السابقة بسبب تكذيبهم رسلهم مثل قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب الايكة وقوم تبع وغير ذلك
من الامور المذكورة فى سورة ق لذكرى اى لتذكرة لمن كان له قلب اى عقل واطلاق القلب على العقل شايع لغة وعرفا وبذلك
فسره القراء ايضا فى هذه الآية ومن قال القلب ههنا بتفكره فى الحقايق اراد به ما قلنا لان التفكر من صفات العقل دون العضو المخصوص المتشكل
بشكل مخصوص صنوبرى لانه موجود فى الصبيان والمجانين مع عدم تحقق التذكر لهم وفيه دلالة واضحة على ان غاية ايجاد هذا العالم
وانزال المواعظ الربانية والنصايح القرآنية ليس الا اصحاب العقول الراسخة وهذا كمال المدح والتعظيم لهم وقال وقد آتينا لقمن
الحكمة قال الفهم والعقل الفهم العلم يقول فهمت اذا علمته والعقل الجوهر المجرد الذى يدرك المعانى الكلية والحقايق المعنوية من عقل البعير
اذا شده بالعقال سمى به لانه يمنع صاحبه عن ارتكاب ما لا ينبغى مثل العقال واطلاق الحكمة عليهما اذا كانت عبارة عما يمنع الجهل كما صرح
به فى المغرب وما يمنع من قبيح ويؤدى الى مكرمة كما صرح به ابن دريد ظاهر لانهما يمنعان صاحبهما عن الجهل والقبيح واطلاقها على الفهم ان
كانت عبارة عن العلم مطلقا كما صرح به بعض ارباب اللغة او عن العلم بالدين كما صرح به بعض العلماء او عن معرفة حقايق الاشياء واحوالها
والتحلى بالاخلاق الحسنة على قدر الطاقة البشرية كما هو المعروف فيها ظاهر وعلى العقل بمعنى العقل بالفعل من قبيل اطلاق الحال على المحل او
اطلاق الاثر على المبدأ والمؤثر او على اعتبار الاتحاد بين العقل والمعقول وقال القاضى لقمن هو ابن اخت ايوب او خالته وعاش حتى ادرك
داود واخذ منه العلم وكان يفتى قبل مبعثه وقال البعض كما نقل فى كتاب عين المعانى انه تولد فى عشر سنين من سلطنة داود
وعاش الى ان ادرك يونس وقيل انه عاش الف سنة واختلف فى نبوته فاكثر العلماء على انه لم يكن نبيا وقيل كان حبشيا اسود اللون
غليظ الشفتين وقيل ذكر النجاوندى نقلا عن اهل السير انه كان فى بيته وقت القيلولة اذ دخل جمع من الملئكة وسلموا عليه فاجابهم ولم يرى
اشخاصهم فقالوا يا لقمن نحن ملائكة الله نزلنا اليك لنجعلك خليفة فى الارض لتحكم بين الناس بالحق ان كان هذا امرا حتما فالسمع والطاعة
وارجو منه ان يوفقنى ويسددنى وان جعلنى مخيرا فانى اريد العافية لا التعرض للفتنة فاستحسنت الملئكة واحبه الله وزاده
فى الحكمة والمعرفة ومن حكمته انه صحب داود شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت وقال
الصمت حكمة وقليل فاعله فقال له داود بالك اصبحت فقال انى بيد غيرى من ترضى الطعنى وانه امره بذبح شاة وان يأتى

باطيب

باطيب مضغتين منها فاتى باللسان والقلب ثم بعد ايام امر بان يأتى باخبث مضغتين فاتى بهما ايضا فسأله عن ذلك فقال هما اطيب شئ اذا
طابا واخبث شئ اذا خبثا باحث ان اتمنى قال لابنه تواضع للحق تكن اعقل الناس التواضع التذلل من الوضع وهو خلاف
الرفع ويحصل ذلك بالاجتناب عن التكبر والافتخار وساير المنهيات والاتيان بالاوامر والمصالح وساير الخيرات والتمسك بحول الله
وقوته فى الحركات والسكنات ولا ريب ان هذه خصلة عظيمة دلت على ان صاحبها من اعقل الناس لان العقل هو الداعى اليها
ويمكن ان يكون المراد ان تواضعك سبب لصيرورتك من اعقل الناس ويؤيده ظاهر الشرط المقدر وتوجيه ذلك ان العقل
من افضل النعماء وشكرها التواضع وشكر النعمة يجلب الزيادة كما قال سبحانه ولئن شكرتم لازيدنكم فالتواضع سبب لازدياد
العقل وكماله وان الكيس لدى الحق يسير الكيس بفتح الكاف وتشديد الياء مع كسرها من دان نفسه وعمل لما بعد الموت
اى العاقل الذكى الحاذق فى الامور وحسن الفهم فيها وقد كاس يكيس كيسا وكياسة يعنى ان العاقل الذى يعمل بمقتضى عقله فى طلب
ثواب الله ورضاه بتسديد قوى فى العلم والعمل عند الحق قليل الظهور لان اكثر الناس تابع للنفس وهواها مشتغل بلذات الدنيا
كما نطق به الكتاب العزيز فى مواضع عديدة والسنة النبوية فى مواطن كثيرة وهذا الحكم وان كان ظاهرا لكن لما خلا فيه اوفى
بهذا الاعتبار محلا للانكار وفيه التأكيد ثم لا يبعد ان يكون الغرض من هذه الاخبار هو التنبيه على ان لا يغتر العاجز بكثرة الناس
اولى الجرائم والفرار عنهم احرى واسلم ويحتمل ان يكون الكيس بفتح الكاف وسكون الياء وهو العقل والذكاء وحسن التأنى فى
الامور واليسير ايضا بمعنى القليل يعنى ان عقل الرجل وذكاءه وحسن تأنيه وتدبره عند ظهور الحق سواء قليل كما هو المشاهد فى اكثر
الناس والعلوم بالنظر الى احوالهم وقيل اليسير ضد العسير ومعناه ان كياسة الانسان وهو عقله وفطانته سهل هين عند الحق
لا قدر له وانما الذى له قدر عند الله هو التواضع والمسكنة والخشوع والعجز والافتقار فكل علم وكمال لا يؤدى صاحبه الى مزيد خضوع
اليه سبحانه يصير وبالا عليه وكان الجهل والنقيصة اولى به ولذلك قيل غاية مجهود العابدين تصحيح جهة الامكان والفقر اليه فكل
عالم كيس يزعم ان له وجودا وكمالا غير ما هو رشحة من رشحات بحر وجوده وتفضله فهو فى غطاء شديد وحجاب عظيم عن ادراك الحقيقة
يا بنى ان الدنيا بحر عميق هذا تشبيه بليغ بحذف كلمة الاداة وحمل المشبه به على المشبه للمبالغة فى الاتحاد ووجه التشبيه تغيرها وانقلابها
واضطرابها وعدم ثبات ما فيها من صور الكاينات كتغير البحر وانقلابه واضطرابه بالامواج المتعاقبة واهلاك من دخل فيها وركن اليها
ومشى عليها بقدم الضلالة والطغيان واخذها بيد الجهالة والعصيان وهذا الوجه اظهر وكلما وجوده فى الاصل اتم كان احسن خلاف
وجوده فى الفرع واوضحه بقوله قد غرق اى هلك فيها عالم كثير لانهم كانوا غرقى لذاتها وانغمارهم فى زهراتها واشتغالهم بشهواتها و
بصيرتهم عن الآخرة واحوالها وتركهم ما يوجب النجاة عن عقباتها والخلاص من عقوباتها وجعلهم قوله فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم
بالله الغرور من زيادة ظهورهم ورونقهم باللذات الحاضرة الهالكة والمنافع الغروية الباطلة بغرورهم كانهم لم يسمعوا قوله سبحانه وعد الله

لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وانما خص العالم بالذكر لان الجاهل ليس
محل التعجب واما الجاهل فلا اعتناء به لعدم اتصافه بالحقيقة الانسانية واللطيفة الروحانية او لان حكمه يعلم بالاولوية وفي الكلام استعارة
تبعية لانه شبه الهلاك بالغرق واشتق منه فعل فوقع التشبيه في المشتق تبعية المصدر وهي تأكيد لتشبيه الدنيا بالبحر اعتبارا
انه اثبت للمشبه ما هو من خواص المشبه به ثم في تشبيه الدنيا بالبحر ايماء لطيف الى انه يجب لاهلها ان لا يقصدوا الاقامة فيها والركون اليها
بل يجب لهم ان يقصدوا المرور منها الى ساحلها اعني دار الآخرة كما ان راكب البحر لا يقصد الاقامة فيه والركون اليه بل غرضه الوصول
الى ساحله ولما شبه الدنيا بالبحر وكان سائر البحر يحتاج الى آلات النجاة منه والوصول الى الساحل سالما غانما كان السائر في الدنيا
ايضا محتاجا في المرور منها والوصول الى جنات الحق ونعيم الابد الى امور النجاة منها وقد بين هذه الامور وشبهها بتلك الآلات
فكونها اسباب النجاة بقوله فلتكن سفينتك فيها تقوى الله وهي ملكة التجنب عن المعاصي والتنزه عما يشغل السر عن الحق وانما شبهها
بالسفينة لان من اتصف بالتقوى وجلس فيها يطفو الدنيا ويامن من الرسوب فيها كما ان جالس السفينة يطفو البحر ويامن من الرسوب فيه
وحشوها الايمان بالله وبصفاته وافعاله وبجميع ما انزله الى رسوله وانما شبه الايمان بما في السفينة من المتاع وانواع ما يحتاج اليه
لانه حافظ للتقوى عن الانقلاب في الاضطراب مثل ما في السفينة او لانه ينتفع بعد الخروج من الدنيا كما ان ما في السفينة ينتفع بها
بعد الخروج من البحر اذ لو خلت سفينة التقوى عن الايمان بقي صاحبها بعد خروجه من الدنيا فقيرا مضطرا متحيرا في امره مستحقا العذاب
وشراعها التوكل شراع السفينة بالفارسية بادبان كذا في المغرب والشين مكسورة والتوكل اظهار العجز والاعتماد على الله والوثوق
به في جميع الامور وتفويضها اليه وهو درجة علية للعارفين ومنزلة رفيعة للسالكين من وصل اليها بطلت عنه قيود الهموم وتقشعت
عنه سحائب الغموم وارتفعت عنه بواعث الاضطراب وانقطعت عنه دواعي الاكتساب وسهلت عليه مؤن الاسى والحرمان
وجلس على موائد الرحمة والرضوان وارتوى من حياض الفيوضات الربانية وشبع من موائد الكرامات الرحمانية وانما شبهه بالشراع
لان سفينة التقوى المتحققة بالايمان لا تسير بدونه اذ من لم يعتقد ان الامور كلها تجري بامر الله والارزاق كلها بيد الله وانه
المتكفل لها يعتقد باسبابها ويشتغل بتحصيل تلك الاسباب فيمنعه ذلك عن السير الى المقامات العالية وطلب الوصول اليها
بالطاعات ويضعف اعتقاده بالمبدأ كما ان غير المتوكل من المسافرين في هذه الدنيا يشتغل بتحصيل الاسباب وينتظر وجود الفلك
والرفيق حذرا عن عدم القوت وخوفا عن قاطع الطريق فيبقى مقيما في وطنه مدة من الزمان منتظرا في مدة لحصول الاسباب واجتماع
الاخوان وقيمها العقل العقل جوهر قلبي قابل لمعرفة الصانع وما يتعلق به ومعرفة الآخرة وما يتعلق بها وهو سيد القوى
وبه ضبطها وحفظها وسيرها ونقل صاحبها الى الحضرة القدس وقرب الحق فهو بمنزلة قيم السفينة وربانها في اصلاحها وضبطها و
وحفظها من المفاسد والخلل الواردة عليها كما انه لو لم يكن للسفينة قيم لهلكت اهلها او بطلت اوضاعها وتعطلت احوالها

بحيث

بحيث لا يسع لقطع البحر الزاخر ويصير اهلها مشرفا بالهلاك كذلك لو لم يكن للمتقي عقل ينهدم اساس تقواه اذ لم يتميز عنده الحق
من الباطل والصحيح من الفاسد ومخاطرات الشيطان من الهامات الرحمن ودليلها العلم الدليل ما يهديك الى شيء سمي العلم دليلا لانه
يدل العقل على الطريق المستقيم ويهديه الى المنهج القويم كما ان دليل المسافرين يهديهم الى سواء السبيل والكواكب دليل قيم السفينة
وبه يهتدي الى الطريق بل النسبة بين العلم والعقل كالنسبة بين الكواكب والقيم اذ العقل لا ينفك عن العلم فان نسبته الى
العقل كنسبة النور الى السراج ونسبة الرؤية الى البصر وسكانها الصبر السكان ذنب السفينة لانها به تقوم وتسكن والصبر
في الاصل الحبس يقال صبرت نفسي على كذا اي حبستها ويطلق على حبسها على الطاعة بان يربطها عليها ليلا ونهارا او تقدم عليها
سرا وجهارا وعلى المصيبة بان لا يجزع ولا يشكو وعلى الفاقة والمسكنة بان يرضى بها ولا يسال غير الله سبحانه اصلا وعلى
الغنى بان لا يغتر به ولا يتكبر ويؤدي الحقوق المالية وعلى المجاهدات والرياضات الشديدة بان يقوم عليها طلبا للوصول
الى المقامات العالية وعلى الامراض والبلايا بان يرضى بها ويشكر لها وانما شبهه بالسكان لانه كما يتوقف سير السفينة وتقويمها
وتسديدها وتسكينها وثباتها بالسكان يعرف ذلك ربانها وقيمها بعلمه وتدبيره كذلك يتوقف سير سفينة التقوى الى حضرة القدس
وقرب الحق وتقويمها وتسديدها وتسكينها وثباتها بالصبر على الامور المذكورة لظهور ان ارتقاء النفس من حد النقص الى حد
الكمال ومن المنازل البشرية الى المنازل الالهية لا يتحقق الا بتحولات كثيرة وانتقالات عجيبة وانقلابات شديدة ومجاهدات عظيمة
في مدة طويلة مع النفس المائلة الى الراحة فيحتاج الى صبر كامل وعزم ثابت ولذلك امر الله سبحانه به اشرف الكاملين الصديقين
الراسخين بقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وتلك الامور سنة ضرورية للنجاة من العقوبة الدنيوية والاخروية والفوز
بالسعادة الدائمة الابدية باب ٤٣ ان لكل شيء وهو يطلق على الموجودات وعلى المعدومات ايضا عند المحققين دليلا وهو للموجودات
عبارة عما يقتضي وجودها والعلم بها من الاسباب والشرائط والآثار وانما سمي هذا دليلا لان الاشياء بسببه تنتقل من العدم الى الوجود
كما ان المسافر بالدليل ينتقل من بلد الى بلد واما المعدومات فدليلها اعدامها اعني عدم ما يقتضي وجودها فانه سبب لنقل العدم من آن الى
آن آخر ومن زمان الى زمان آخر ودليل العقل التفكر في ابواب المعارف واحوال المبدأ والمعاد وما يتبعهما وانما صار التفكر دليل
العقل لان العقل بسببه ينتقل من عالم الجهالة والسفاهة الذي هو منزلة الادبار والمسخ عند اصحاب الفطرة النورانية الى العالم الحقيقي
والعالم العلوي فيستريح من الناسوتية ويتحلى بالفضائل اللاهوتية وهذا هو المعبر عنه بالاقبال كما في بعض الاحاديث ودليل
التفكر الصمت اي السكوت عما لا يعني لان التفكر اعني حركة الروح النورانية القابلة للمطالب العالية من المبادي الى تلك المطالب
اعني في الاستدلال او ادراكهما معا اذ كانت لها رتبة الكاشفة يتوقف على سد طرق الحواس يحتاج الى المنع من دخول
الاغيار في القلب ليصح لا واولها ان يشرب القلب على ذلك النقد من ضيق جدا فلا يرد فيه من لطايف المعاني الا واحدا بعد واحد

دخول الغير من طرق الحواس بمنع ورودها فيه قطعا واما الثاني فلان العقل لغاية صفائه ونهاية ضيائه يتأثر سريعا من النقاش
تلك الاغيار واكدارها فلا ينطبع فيه صور هذه المطالب ومن جملة الحواس اللسان وهو اعظمها فانه تتناول كل موجود ومعدوم
ومعلوم وموهوم ويتعرض له بنفي واثبات وهذه الحالة لا توجد في غيره فان اليد لا تصل الا غير الاجسام والاذن لا تتصل
الى غير الاصوات وكذا القياس في البواقي فلذلك خص الصمت بالذكر تنبيها على اعتبار حال سائر الحواس ايضا فاذن الصمت مما يتوقف
عليه التفكر وهو دليله في انتقاله من القوة الى الفعل ولكل شي مطية ومطية العقل التواضع المطية الدابة التي تمطو في سيرها
اي تجد وتسرع والجمع المطايا والمطي والامطاء وفي النهاية هي الناقة التي يركب مطاها اي ظهرها يعني لكل شي في انتقاله من العدم الى الوجود
او من القوة الى الفعل او من حالة انقص وادنى الى حالة ارفع واعلى سبب هو كالمطية له وسبب انتقال العقل من القوة الذاتية الفطرية
الى العقل بالفعل ومن عالم الغواشي الجسمانية الى عالم المجردات هو التواضع لله سبحانه والتذلل له عند الوقوف على معارفه والعكوف
على نواهيه واوامره فمن ورد في مكان المعارف والاحكام ولم يتواضع له فقد فقد مطية الحركة اليه والنزول بين يديه
فيبقى تائها متحيرا في ذلك الزمان او يرجع مدبرا بتطاول الاعادي واغواء الشياطين وقيل تحقيق هذا الكلام ان لكل شي حركة طبيعية
متوجهة الى غايتها وله مادة حاملة لقوتها ومستعدة لنحو كمالها هي بمنزلة الراحلة ومادة العقل هي النفس وكل مادة
تستعد لكل صورة كمالية فانما تستعد لها لكونها في نفسها خالية عن الفعلية والوجود الذي من جنسها والانكسار قابلة فكذلك
النفس ما لم تصر موصوفة بصفة التواضع والفقد لم تصر مطية للعقل الذي هو الصورة الكمالية التي بها تصير شيئا معقولة
للاشياء فليتامل وفي صدر هذا الكلام استعارة تبعية وفي آخره تشبيه بليغ وكفى بك جهلا ان تركب ما نهيت عنه ارتكاب
المنهي عنه من آثار الجهل وعلاماته وقد شبه بالمركوب لان مرتكبه بسببه ينقلب في عالم اللذات الجسمية وينتقل الى اسفل السافلين
كما انه بالتواضع لله والانقياد لاحكامه والعمل بها ينقلب في عالم المجردات ويرتقي الى اعلى عليين ففي الكلام استعارة مصرحة و
ذكر الركوب ترشيح وقيل بيان هذا الكلام ان جميع المناهي امور محسوسة ولذات جسمانية واشتغال النفس بها يوجب تقيدها
بالصور الجسمانية فيحجب العقل عن درك الصور العقلية لانها تضاد تلك الصور وينبغي ان يعلم ان العقل اما مستقيم او داع
او سقيم والاستقامة بان يسير الى اسفل السافلين بمركبه المناهي والاقامة بان يقف في هذا العالم ويشتغل بالمباحات وهذا
وان كان مذموما من حيث انه يفوت المقصود لكن غير مذموم من حيث انه لم يشتغل بالمناهي وغير ممدوح من حيث انه لم يتصف
بالتواضع فلذا لم يذكره عليه السلام واقتصر على الاولين لان المدح والذم انما يتعلقان بهما وينبغي ان يعلم ايضا ان الجهل عند العترة
عليهم السلام هو ارتكاب المناهي وان كان المرتكب عالما بل هو عندهم في الحقيقة اجهل والذم المتعلق اشنع واكمل فمن ادعى كونه
عالما عاقلا واختار الدنيا وشهواتها واثر الزهرات الفانية ولذاتها فهو مفتون بالضلالة وملتبس بلباس الجهالة

ياهشام

ياهشام ما بعث الله انبياءه ورسله الى عباده الا ليعقلوا عن الله اي ليعرفوا العباد ويعلموا بتعليم الرسل وتفهيمهم من الله ما لا يعلمون
من عند انفسهم او ليؤدي الرسل عنه ما يلزمه من هداية عباده وارشادهم الى الدين الحق من عقلت عن فلان اذا اديت عنه
ما لزمه فاحسنهم استجابة اي احسن العباد او احسن الرسل استجابة لله بالطاعة والاجتهاد والصبر والانقياد وكذا
ضمير الجمع في الفقرات الاتية ويحتمل الامرين اذ كما ان درجات العباد متفاوتة كذلك درجات الرسل كما نطقت به الآيات والروايات
الكثيرة احسنهم معرفة بالله وآياته وغيرها من مصالح الدنيا والآخرة وذلك لان حسن الاستجابة تابع لحسن المعرفة فكلما ازداد
حسن الاستجابة ازداد حسن المعرفة واعلمهم بامر الله يعني احسنهم معرفة باحكامه وشرايعه احسنهم عقلا لان حسن العلم والمعرفة
تابع لحسن العقل واكملهم عقلا يعني احسنهم عقلا وانما عبر عنه بذلك للتفنن والتنبيه على ان حسن العقل بكماله في العلم بالموجودات
والاحاطة بالمعقولات ارفعهم درجة في الدنيا والآخرة لان تفاوت الدرجات فيهما غاية اخيرة للامور المذكورة وتفاوت الغاية
في الكمال والنقصان باعتبار تفاوت ذي الغاية فيهما وهذا الحديث على ما قررناه من باب القياس المفصل النتائج فينتج ان احسنهم
استجابة ارفعهم درجة في الدنيا والآخرة وفيه مدح عظيم للعقل حيث جعله اصلا لجميع الخيرات ومبدا للتفاضل في الدرجات
كما يظهر ذلك بادنى التامل لانه جعل كمال الدرجات في الدنيا والآخرة تابعا لكمال الاستجابة كما يقتضيه مضمون النتيجة وجعل كمال
الاستجابة تابعا لكمال المعرفة وكمال المعرفة تابعا لكمال العقل فيفهم منه ان العقل اصل لجميع الكمالات ومبدا للتفاضل في الدرجات
ياهشام ان لله على الناس حجتين دليلين حجة ظاهرة مشاهدة وحجة باطنة مستورة فاما الظاهرة فالرسل والانبياء
والائمة واما الباطنة فالعقول لما خلق الله جل شانه النفوس البشرية واسطة بين النجدين مستعدة لسلوك
الطريقين طريق الخير وطريق الشر قابلة للضدين من الصفات الشريفة والسمات الرذيلة مائلة الى الكمالات الحسنات مشوقة
الى اقتراف السيئات لما فيها من اللذة الحاضرة والمنفعة الظاهرة وايدها بالقوى الشهوية والغضبية وغيرها من القوى
الطبيعية الداعية الى الشر الناهية عن الخير كانت النفوس لذلك ولما يوحي اليها ابليس وجنوده من الشر اقرب ومن الخير
ابعد فالله سبحانه اعتنى بامرهم برحمته في تيه الضلالة بتبيين المنهج وتعيين الحجج فجعل عليهم حجتين احديهما ظاهرة والاخرى
باطنة اما الظاهرة فهم الانبياء والرسل والائمة عليهم السلام لانهم سلاطين في بلاده وبراهين ظاهرة في عباده يدعونهم الى سبيل
النجاة ويخرجونهم من غياهب الظلمات ويحركونهم من حضيض النقص والوبال الى اوج الفضل والكمال فمن تبعهم فقد اهتدى
ومن تخلف عنهم فقد غوى واما الباطنة فهي العقول لانها تميز الحق من الباطل والصواب من الخطا والسعادة من الشقاوة والحسن
من القبيح والخير من الشر وتامرهم في كل ذلك باتباع اشرف المناهج واقوم السبل واستماع ما يتلو عليهم الانبياء والرسل ويحكم بان
في ذلك صلاحهم ونجاتهم وسعادة خاتمتهم كل ذلك ليحيى من حي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة ياهشام ان العاقل الذي لا يشغل

من شغل الامن اشغل فانه لغة ردية والوصول خيران الحلال وهو كل ما يجوز التصرف فيه والانتفاع به شرعا وعقلا من الاموال
والازواج وغيرها شكره اى صرف اللسان فى مدح المنعم والثناء عليه او صرف جميع الجوارح فيما خلقن لاجله كصرف
اللسان فى الثناء والتعظيم وصرف البصر فى مطالعة المصنوعات ليستدل بها على وجود الصانع ووحدته وقدرته وحكمته وتدبيره
وصرف القلب فى التفكر فى ذات الله وصفاته ودقايق حكمته وآثار قدرته وبالجملة العاقل لا يمنعه كثرة نعم الله عليه وورود
اياديه لديه عن ذكر الله فى جميع الاحوال والازمان وعن الاقرار له بالعظمة والجود والاحسان وعن التذلل له والتخشع لديه
وطلب المزيد منه والتضرع اليه كما قال سبحانه يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك
هم الخاسرون ولا يغلب الحرام وهو كل ما لا يجوز التصرف فيه شرعا وعقلا صبره فى الفاقة والجوع والشدايد ولا يخرجه
التمكن من اكتساب الحرام عن سنن الشرايع واصول القواعد ولا ينقطع عند اصطباره شموس النفس وجموح الطبيعة بالردع تنبيه
بالمواعظ الحسنة ومقامع النصيحة ويرجو فى ذلك اجر الصابرين ومحبة رب العالمين كما قال سبحانه ان الله يحب الصابرين يا هشام
من سلط ثلاثا على ثلث فكانما اعان على هدم عقله كانما اصله ان دخلت عليه كاف التشبيه والحقت بها ما الكافة فلذلك
وقع بعده الفعل والهدم مصدر هدم البناء اى نقضه وكسره ففيه استعارة تمثيلية لتشبيه الصورة المعقولة بالصورة
المحسوسة لزيادة الايضاح والتقرير او استعارة مكنية لتشبيه العقل بالبيت فى انه يكن صاحبه ويصونه من المكاره واستعارة
تخييلية باثبات الهدم له وانما ادرج لفظ كان واعان ولم يقل فقد هدم عقله للتنبيه على ان تسليط الثلث على الثلث
انما يوجب هدم المسلط عليه حقيقة الا ان المسلط عليه لما كان من خصال العقل كما ستعرفه فى التفصيل كان هدمه هدما له
ويحتمل ان يكون كان هنا مستعملا للعلم بثبوت الخبر من غير قصد الى التشبيه ويؤيده قوله فى آخر التفصيل ومن هدم عقله
افسد عليه دينه ودنياه من اظلم نور تفكره فى احوال المبدا والمعاد والاضافة من باب لجين الماء لان التفكر يشبه النور فى الايصال
الى المطلوب او بتقدير اللام والمراد بالعلوم نور العلوم الحاصلة من التفكر بطول امله فيما لا ينبغى من المقتنيات الفانية
الموزنة لنسيان الآخرة وخمود التفكر وهو يعنى الظلام وذلك لان طول توقع الامور المحبوبة الدنيوية يوجب دوام
ملاحظتها الموجب لدوام اعراض النفس عن ملاحظة احوال الآخرة وهو يوجب انمحاء ما تصورته العقل من تلك الاحوال
وذلك معنى النسيان وخمود نور التفكر ولذلك قيل الدنيا والآخرة ضرتان فان محبة احديهما توجب الاضرار بالاخرى ومحا طرايف
حكمته عن لوح العقل والطرايف جمع طريفة الحكمة شىء يجعله الله فى القلب فينوره حتى يدرك به المشروعات والمحظورات ويعلم المعقولات
والمتخيلات كما ان البصر شىء يرى به المحسوسات وسمى ذلك الشىء المنور للقلب حكمة تشبيها له بحكمة اللجام وهى الحديدة المعترضة فى فم
الفرس فى منعها من الخروج عن طريق الصواب والطرايف جمع طريف وهو كل شىء مستحدث يعجبك ومن ثم المبالغة كما ... بعد قطعته

اولا

او لانه يراد بالطرايف العلوم والادراكات لان تلك النور بفضول كلامه الفضل الزيادة وقد غلب جمعه على ما لا خير فيه
حتى قيل شغل فضول وقيل لمن يشتغل بما لا يعنيه فضولى والتكلم بما لا يعنى سبب لمحو الحكمة وطرايفها لان اللسان ينبوع القلب فاذا
اعتاد التكلم باللغو وتقاطر منه ذلك فاض على القلب وهو يغسل الحكمة عنه ويمحوها ولان مشرب القلب ضيق كلما دخل فيه شىء
يخرج منه ضده ولو لم يخرجه بقى شىء مختلط من الحق والباطل وهذا ليس بحكمة كما ان قليلا من الماء اذا خالطه كثير لا يبقى على حاله
ما والكثر الشيء ابعد عن ذلك المختلط وايضا من اكثر الكلام فى مجالس العوام يجد لنفسه تاثيرا فى قلوبهم حلاوة ولذة فاذا دام على
ذلك يميل الطبيعة الخسيسة الى كل كلام مزخرف يروجونه وان كان باطلا ويتنفر عن كل كلام يستثقلونه وان كان حكمة فيصرف همته
الى ما يحرك قلوبهم ليعظم منزلته عندهم فلا محالة يمحى طرايف الحكمة عن قلبه لان الذى يؤثر فى قلوبهم ليس الا ما هو
وما هو ليس من الحكمة فى شىء واطفى نور عبرته بشهوات نفسه العبرة هى ملاحظة احوال الماضين وما وقعوا فيه بما كانوا فيه
من نعيم الدنيا ولذاتها والمباهاة بكثرة اسبابها ومقتنياتها ثم مفارقتهم لذلك كله بالموت الذى هو هادم اللذات وكاسر
الشهوات وبقاء الحسرة والندامة لهم حجابا حايلا بينهم وبين الرحمة الالهية وكل من اتصف بالعبرة ومارسها حتى صارت ملكة
يحصل فى قلبه نور يهديه الى الآخرة وما يوجب تعميرها من الاعمال الصالحة والصفات الفاضلة ومن تبع النفس الامارة بالسوء
وشهواتها ورتع فى مرتع ضلالتها ولذاتها حصل فى قلبه ظلمة شديدة وغشاوة عظيمة مانعة عن دخول نور الاعتبار ونور
ومن سلط هذه الخصال الثلث التى هى اتباع الهوى والجهل عليها اعنى طول الامل وفضول الكلام والشهوات النفسانية على الخصال الثلث التى هى للعقل
عليها اعنى نور التفكر وطرايف الحكمة ونور العبرة فكانما اعان هواه وهو ميل النفس الامارة بالسوء الى ما يقتضى طباعها من اللذات
الدنيوية الفانية الجالبة للخروج من حدود الشريعة على هدم عقله وهو نور يسلك به الانسان طريق الجنان وعبادة الرحمن فيصل الى
السعادة التامة الكبرى وهى مشاهدة الحضرة الربوبية ومجاورة الملأ الاعلى فى مقعد صدق عند مليك مقتدر وذلك
لظهور ان اتباع النفس الامارة بالسوء لميولها الطبيعية وسيرها فى سبيل هواها واشتغالها باستيفاء مقتضاها اشد مكيدة
على العقل واقوى ظلمة فى طمس نوره واكمل جاذب له عن طريق الحق واعظم صارف عن قصد الكمالات والترقى فى ملكوت السموات كما نقل
عن سيد المرسلين ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه ومن افسد عليه عقله افسد عليه دينه ودنياه اما
افساد الدين فلان استقامته انما هى بادراك احوال المبدا والمعاد والتصديق بهما والعلم بما ينبغى ان يفعل والانزجار عما ينبغى ان يترك
والمدرك لهذه الامور والدليل عليها والحاكم بحقيقتها انما هو العقل فاذا فسد العقل فسد الدين واما افساد الدنيا فلانه روى
عن على بن الحسين عن ابيه عن جده عليهم السلام قال وكل الرزق بالحمق ووكل الحرمان بالعقل وروى عن ابى عبد الله عليه السلام ان العقل
ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان وان الذى يتوسل به الى الاغراض الدنيوية بالمكر والحيل مثل ما فى معوية واضرابه فتلك

شبكة ونكرا وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل وتوجيهه امران الاول ان الدنيا المعتبرة عند اهل البيت عليهم السلام هي التي تكون
معتبرة يعتبر بها الى الآخرة كما دل عليه قولهم الدنيا مزرعة الآخرة فالدنيا عندهم ما يتوسل به المؤمن الى آخرته ويجعله وسيلة
الى تحصيل فوايدها وذريعة الى تكميل عوائدها والظاهر ان خدم الدنيا لا يمكن استقامتها ولا يتيسر استفادتها بدون
العقل اذ غير العاقل لا يأمن وقوعه في الشبهات وورود في المحرمات واستقراره في المهلكات الثاني ان كثرة الرزق وحصول الدنيا ان
كان منوطا بالبطالة والحماقة مربوطا بالجهالة والسفاهة لكن الاحمق لا يأمن وقوعه في اشنع المهالك وسلوكه في اقبح المسالك
وتورطه في اعظم الشدائد والمكاره الموجبة لهلاكه وفساد دنياه كما يشهد به التجربة **يا هشام** كيف يزكو اي كيف يطهر عن اعراض
الدنيا وشوائب النقصان او كيف يزيد وينمو عند الله عملك وقد شغلت قلبك عن امر ربك واطعت هواك على غلبة
عقلك بالتسليط المذكور في الكلام المتقدم يعني لا يكون عملك طاهرا مطهرا ناميا زاكيا عند الله وانت على هذه الصفة لانك
اذا فتنت بدنيه ولا يكون قلبك متوجها اليه بل يكون شاغلا عن امر الله وفارغا عن ذكر الله وغافلا عن عظمة الله وتاركا
لاحكام العقل ومقتضاها وتابعا للنفس الامارة وهواها كنت تعبد بحسب الظاهر الها وبحسب الحقيقة الها آخر لان اصل العبادة
هو الطاعة والانقياد ولذلك جعل الله سبحانه اتباع الهوى والانقياد له عبادة فقال جل شانه افرأيت من اتخذ الهه
هواه وجعل طاعة الشيطان عبادة له فقال الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان وفي بعض الروايات ان طاعة اهل
المعاصي عبادة لهم وان من اصغى الى ناطق فقد عبده فان كان الناطق يؤدي عن الله فقد عبد الله وان كان يؤدي عن الشيطان
فقد عبد الشيطان وهذا هو الشرك الخفي عند العارفين ولمن تنزل عن ذلك فلا شبهة في انه يفوتك حقيقة العبادة
وروحها الذي به تصعد العبادة الى الدرجة العليا والمرتبة العظمى من الشرف والقبول فلا يكون عبادتك مأمونة عن طريان البطلان
ولا مصونة عن شوائب النقصان ولا فائدة في الزيادة والنماء عند ما يأخذ العابد بواحدة عشرة امثالها او يزاد في يوم
الجزاء بذلك ايها العاقل ان تقتل هواك بسيف عقلك وتوجه قلبك الى امر ربك وتعبده كأنك تراه وهذه المرتبة
مقام المشاهدة وهي اعلى منازل العابدين وان لم يكن لك هذه المرتبة فلا اقل تعبده ورؤية قلبك انه يراك وهذه
المرتبة مقام المراقبة وهي اوسط منازل المقربين ومع ذلك تكون خائفا خاشعا متضرعا راجيا الى رحمته لعلك تكون من المفلحين
وفي هذا الكلام دلالة واضحة على ان قبول الاعمال وصلاحها وكمالها وطهارتها ونموها انما هو بالعقل الكامل المتنور بعظمة
الله وقدرته وسطوته وسلطنته وغلبته على جميع الممكنات واما الجاهل المغرور المطيع للنفس وهواها الغافل عن اوامر
ربه ومقتضاها فهو عبد لئيم وعمله ساقط هابط سقيم يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم **يا هشام**
الصبر على الوحدة علامة قوة العقل لان الانسان مدني بالطبع وله ميل الى بني نوعه في التالف والتودد والاستيناس بهم

ولانهم

والمشاركة معهم في طلب المعاش وسائر ما يحتاج اليه فاذا ترك ذلك كله لعلمه بانه يوجب منقصة في دينه وضعفا
في يقينه وآثر الوحدة على الكثرة ورجح الفرقة على الالفة للتحرز عن مشاركتهم في افعالهم الشنيعة واطوارهم
الدنية علم انه قوي في العقل والتدبير في امور الآخرة لان ذلك من آثار العقول الكاملة ومن عقل عن الله اي من عرف الله
وعرف ذاته وصفاته وما يجوز له وما يمتنع عليه واحكامه وشرايعه واحوال المعاد وشدة فاقة الناس وكثرة احتياجهم اليه
يوم القيمة الذي يشتغل فيه كل امرء بنفسه فضلا عن غيره اعتزل عن اهل الدنيا والراغبين فيها وهم الذين يؤثرون الدنيا
وزهراتها ويبذلون الجهد في اقتنائها وادخار ثمراتها كما هو المشاهد من ابناء الزمان والذين يجيبون دواعي النفس في منازل الطغيان
ويقتفون آثارها ويسعون في وساوس ابليس في مراحل العصيان ويطاؤن ادبارها كما هو المعلوم من ارباب الفسوق والكفران وفيه
دلالة على شيئين احدهما ان الاعتزال انما هو للعاقل العالم بمعالم دينه واما الجاهل فلا يتوجه له ان يعتزل الناس ويشتغل بطلب العلم
فان امكنه في بلده والا فليطلبه في بلد آخر كما قيل اطلبوا العلم ولو بالصين الثاني ان الاعتزال المطلوب عن اهل الدنيا واهل العصيان
لا عن اهل الآخرة فانهم اولياء الله وانصار دينه والتوسل بهم يوجب الاستنارة بنورهم والاستضاءة بضوئهم والتحظي بمجالستهم
من خيرات النبوة وانوار الالهية والاشراقات العقلية والابتهاجات الذوقية والترقيات الروحية الى غير ذلك مما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولا بأس ان نشير الى العزلة واقسامها وشيء من فوائدها ومنافعها اذ ذكر جميع فوائدها
متعذر لانها دقيقة حاصلة لارباب العزلة بعد الممارسة في مدة طويلة بمجاهدات شديدة فنقول العزلة اقسام
الاول وهو ادناها ان يكون بينهم ولا يكون معهم بل يكون وحيدا غريبا مستوحشا منهم ولا يجالسهم وان جالسهم ابغضهم
كما روي عن الصادق عليه السلام قال اذا ابتليت باهل النصب ومجالستهم فكن كانك على الرضف حتى تقوم فان الله يمقتهم ويلعنهم فاذا
رأيتهم يخوضون في ذكر امام من ائمتك فقم فان سخط الله ينزل هناك عليهم الثاني وهو اوسطها ان يسكن في بيته ولا يخرج اليهم
اصلا ولا يركن الى مجالستهم ومقاولتهم كما روي عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال يا ايها الناس طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس
طوبى لمن لزم بيته واكل قوته واشتغل بطاعة ربه وبكى على خطيئته وكما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه سأله عبد الله بن عامر
الجهني عن طريق النجاة انه قال له ليسعك بيتك واملك عليك لسانك وابك على خطيئتك الثالث ان يخرج الى الصحارى وقلل الجبال
وشعابها ويعبد الله ربه حتى يأتيه اليقين كما قيل له اي الناس افضل فقال رجل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره
وقال عليه السلام ان الله يحب العبد التقي النقي الخفي والاخبار الدالة على مدح العزلة بجميع طرقها وطرق العاملين اكثر من ان تحصى وفوائدها
كثيرة **منها** الفراغ لعبادة الله والذكر له والاستيناس بمناجاته والاستكشاف لاسراره في امور الدنيا والآخرة من ملكوت السموات والارض
ولذلك كان رسول الله يتعبد بجبل حرى ويعتزل به حتى اتته النبوة **ومنها** الاخلاص في العبادة وتبعيدها عن تطرق احتمال السمعة

والرياء كما روي عن الباقر عليه السلام لا يكون العبد عابدا لله حق عبادته حتى ينقطع عن الخلق كلهم اليه فحينئذ يقول هذا خالص لي فيقبله
بكرمه ومنها صرف القلب عن غير الله وهي نعمة عظيمة وفائدة جليلة كما قال الصادق عليه السلام ما انعم الله عز وجل على عبد اجل من ان لا يكون في قلبه
مع الله عز وجل غيره ومنها الامن من نزول العذاب عليه عند نزوله باهل الظلم كما روي عن ابي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام انه مر رجل
من اصحابنا على مجالسة خالد وهو من اهل الضلال فقال له اي شيء علي منه اذا لم اقل بما يقول فقال عليه السلام اما تخاف ان تنزل به نقمة فتصيبكم
جميعا اما سمعت بالذي كان من اصحاب موسى وكان ابوه من اصحاب فرعون فلما لحقت خيل فرعون موسى تخلف عنه ليعظ اباه
فلحقه بموسى فمضى ابوه وهو يراغمه حتى بلغا طرفا من البحر فغرقا جميعا فاتى موسى الخبر فقال هو في رحمة الله ولكن النقمة اذا
نزلت لم يكن لها عمن قارب المذنب دفاع ومنها الاتقاء عن مواضع التهمة والريبة كما روي عن الصادق عليه السلام قال لا تصحبوا اهل البدع ولا تجالسوهم
فتصيروا عند الناس كواحد منهم قال رسول الله صلى الله عليه وآله المرء على دين خليله وقرينه وعنه عليه السلام قال قال امير المؤمنين عليه السلام من كان يؤمن
بالله واليوم الآخر فلا يقوم مقام ريبة ومنها التخلص عن المعاصي اذ المخالط لا يخلو عنها غالبا كالغيبة والكذب والسب والسكوت
عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحوها ومنها الخلاص من شرهم فانهم كثيرا ما يؤذون جليسهم بالاستهزاء والغيبة والتهمة
والبهتان وافتراء الاقوال والاعمال عليه ومنها النجاة من خبث مشاهدة الثقلاء والحمقاء ومن ملاحظة اطوارهم واخلاقهم
قيل للاعمش لم اعمشت عينك قال من النظر اليك والى الثقلاء ولهذه الوجوه من الادلة والفوائد ذهب جماعة من المحققين
والعارفين الى ان العزلة افضل من المخالطة وذهب طائفة الى العكس لقوله ولا تفرقوا والف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا ولقوله من فارق الجماعة
قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وقوله لا هجرة فوق ثلث وقول الصادق عليه السلام لا خير في المهاجرة الى غير ذلك من الاخبار
الدالة على الامر بالتصافح والتعانق والتعاشر والاجتماع وعلى النهي عن المهاجرة وقطع الرحم والتباعد والافتراق ولكثرة
منافع المخالطة وفوائدها التي لا توجد في العزلة مثل التعليم والتعلم والتأديب والتأدب والنفع والانتفاع وحضور الجماعات
وفضيلة الجمعة والجماعة والزيارة والتبرك برؤية العلماء والصلحاء والعبرة بملاحظة الاحوال وكسب الاخلاق المرضية من اهلها
وثواب التأهل والنكاح وتكثير الاولاد الى غير ذلك من المنافع الدنيوية والاخروية وينبغي ان يعلم ان كلا الاحتجاجين
صحيح لكن ليست العزلة افضل من المخالطة مطلقا ولا المخالطة افضل من العزلة مطلقا بل كل في حق بعض الناس وفي بعض
الاوقات بحسب المصالح اذ لكل منهما مصالح وشرائط متفاوتة بحسب تفاوت الاشخاص والاوقات وقد مر ان من شرائط الاعتزال
ان يبلغ الانسان رتبة الكمال في القوة النظرية والعملية ويستغني عن مخالطة كثير من الناس فان بعض المتمكنين في الدنيا
الراغبين في حطامها السالكين لسبيل العصيان المعينين لوساوس الشيطان فلو لم يبلغ المعتزل تلك المرتبة او لم تكن الجماعة موصوفين
بالصفات المذكورة كانت المخالطة افضل والاجتماع لتحصيل المحبة والالفة اجدر واكمل وبالجملة النبي ومن يقوم مقامه عليهم السلام

وقد بينوا ما فيه صلاح الناس عاجلا وآجلا جليا وخفيا ولاجل تفاوته في افرادهم كما امروا بالنكاح تارة ونهوا عنه
تارة واباحوه تارة لتفاوت ذلك في افراد البشر صلاحا وفسادا فيجب ان يعرف مقاصدهم من اوامرهم ونواهيهم وتدبيراتهم
وتقديراتهم ينبغي ان يعلم ان مقاصد قوانين الاطباء ومقاصدهم من العبارات المطلقة فانه كما ان الاطباء معالجون للابدان
بانواع الادوية والعلاجات لغاية بقائها على صلاحها او رجوعها الى الصحة من الامراض البدنية كذلك النبي ومن يقوم مقامه
اطباء النفوس وهم مبعوثون لعلاج الناس من امراض النفسانية كالجهل والحقد والحسد والرياء وساير رذائل الاخلاق
بانواع الكلام من الآداب والنصائح والمواعظ والاوامر والنواهي والضرب والقتل والاعتزال والاختلاط وكما ان الطبيب
يقول ان الدواء الفلاني نافع من المرض الفلاني ولا يعني به في كل امزجة وفي كل الاوقات وفي كل البلاد بل في بعضها كذلك النبي
والقائم مقامه اذا اطلق القول في شيء انه نافع كالعزلة مثلا فانهم لا يريدون انه نافع لكل انسان وفي كل زمان وكما ان
الطبيب قد يصف لمريض دواء ويصف شفاءه فيه ويرى ان ذلك الدواء لمريض آخر كالسم القاتل ويعالجه بغيره كذلك
النبي والقائمون مقامه قد يرون ان بعض الامور دواء لبعض النفوس فيقصرون عليه ويامرون به كالعزلة وقد يرون
ان ذلك مضر لغير تلك النفوس فيأمرون بضده كذلك مثل المخالطة وان اردت اوضح من ذلك فنقول اما ان لا يكون في المخالطة
خير اصلا او يكون فيها خير والخير اما للطرفين او لاحدهما فهذه اربعة اقسام ثم الخير اما في الدنيا فقط او فيهما فينبعث منها
اقسام يرجح في بعضها المخالطة وفي بعضها العزلة ويتساوى في بعضها الامران فللعالم العاقل التدبر بان يختار منها ما يقتضيه عقله
وتدبيره والله اعلم بحقايق الامور وكان الله انسه في الوحشة الانس مصدر من قولك انست به انسا من باب علم وفي لغة من باب ضرب وهو
ضد الوحشة والمشهور فيه ضم الهمزة وسكون النون وقد جاء بكسر الهمزة قليلا وبفتح الهمزة والنون جميعا ويحمل على سبيل المبالغة
او الانس بمعنى الانيس ويؤيده انه نقله صاحب العدة بلفظ الانيس ويحتمل ان يقرأ آنسه على وزن الفاعل واصله آنس به اضيف
الى الضمير بعد حذف الجار من باب الحذف والايصال ومن الطلاق الانس عليه سبحانه كما قال امير المؤمنين عليه السلام في دعائه اللهم
انك آنس الآنسين لاوليائك والوحشة بمعنى الخلوة او بمعنى الهم والحزن الحاصلين له بسبب رفع الالفة بينه وبين بني نوعه وعشيرته
او بسبب الغربة والانفراد من جهة العزلة خصوصا في مباديها او بسبب عدم تعاهده لذلك المكان اذ غير المألوف من المكان يوجب الوحشة
كما يحكم به التجربة ومحصل معناه ان المعتزل لو حصلت له وحشة ما لاجل تركه صحبة بني نوعه وعشيرته وسلوكه طريق الحق بالمحبة
الواضحة والنية الصادقة والرغبة الكاملة كان الله انيسه الذي يرفع وحشته ويدفع عنه حزنه وكربته ويصرف وجه
قلبه الى شطر كعبة وجوده وبره ومطالعة انوار كبريائه ومشاهدة آيات جوده حتى يرى كل خير حاضرا وكل كمال ظاهرا من
كرمه بالفعل وبفضله يستزيد وبرحمته يستفيض كل ما يريد وصاحبه في الوحدة والله سبحانه وان كان صاحب الكل في كل الاوقات

كما قال الله ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا
لكن المقصود هنا افادة الاختصاص كما يفيده الاضافة ووجه ذلك ان الرجل اذا ترك متاع الدنيا وابناءه واعرض عن
الاستماع به واقتنائه واختار الوحدة والانفراد وتبرى عن الطاعة والانقياد واقبل بحسن الطوية اليها وحبس نفسه
بزمام الشنية عليها وفك عنه اغلال اللذات الدنيوية وقطع عنه انواع العلائق النفسانية والهيئات البدنية بحيث
لا يبقى معه شئ الا التفكر في ذاته وصفاته وما يوجب قربه يستقبله نور الحق كما قال من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا
وينزله على بساط العز والمناجاة ويشرفه بشرف الانس الكاملة ويكرمه بانواع التعظيم والمخاطبة حتى اذا ناداه اجابه
بلبيك واذا سكت ناداه يا عبدي انا مشتاق اليك لم سكت عن عرض الحالات والمقالات بعد الترخص لك بالنجوى والمناجات
وعند ذلك ينكشف عنه الحجاب ويكون فيه غريق الاضطراب ويزول عنه لواحق الوحشة والاغتراب فيقول لا اله الا انت
ولا اشرك بك احدا وتسيل عليه الكرامات الالهية والنفحات الربانية والكمالات النفسانية ما لم يكن يخطر بباله ابدا وغناه
في العيلة الغناء بالفتح والمد النفع وقيل الكفاية وبالكسر والقصر اليسار والحمل على سبيل المبالغة او المصدر بتاويل الفاعل
والعيلة بالفتح الفقر والفاقة يعني انه سبحانه نفى غناه واغناه في وقت حاجته وفقره لا غيره اذ عين افتقاره ثم الالتجاء
اليه وبداء اضطراره لا تحرك الا بين يديه ولا الجاء له سواه حتى يكله عليه والله اعلم ويحتمل ان يراد بالفقر والغناء ما هو المعروف
بين الناس وهو ان يجد من متاع الدنيا ما يعيش به ويسد خلله ويقيم امره ويكمل نظامه ويصون وجهه وان يفقد ذلك ويحتمل
ان يراد بهما الغنى والفقر الاخرويين وقد شاع اطلاقهما عليهما قال امير المؤمنين عليه السلم الغنى والفقر بعد العرض على الله سبحانه
يعني هما يتبينان يوم القيمة ويتحققان بعد العرض على الله سبحانه وبعد الفراغ من الحساب والفقير في ذلك اليوم من تحير في خسارة
نفسه وحرم من كرامة ربه والغني من تحلى نفسه بالاخلاق والكمالات واستحق الفوز بالسعادات والكرامات ونظر اليه ربه بعين
الرحمة والغفران وانزله اعلى درجات الفردوس واشرف منازل الجنان وهذا الاحتمال اقرب من الاول لان الفقر بمعنى الافلاس
في الدنيا سهل لانه ينقطع شدايده بالموت بخلاف الفقر والافلاس في الاخرة فانه يوجب الهلاك الدايم والشقاء الاخروي ومعزه
من غير عشيرة المعز من العز خلاف الذل وخلاف الضعف بمعنى القوة والشدة والمنعة وكان الله معزه في الاخرة بالثواب
الجزيل وفي الدنيا بالذكر الجميل والمدح الجليل وباضافة الاسرار الغيبية وكشف الحقائق العينية والتجلي انه يتعلق من غير
عشيرة لان العشيرة وهي القبيلة المتاكدة ينتهم العشرة والصحبة توجب العزة في الدنيا يا حق نصب لحق الطاعة له بنفسه
اما على النداء للمفعول الى فيم الحق يعني الدين بارسال الرسل وانزال الكتب لاجل طاعة الله في اوامره ونواهيه ولو ترك
الطاعة صار الحق موضوعا والدين مخفوضا وهو يوجب نفي الله بالكلية واما على النداء للفاعل لكن بحذف الفاعل واستناد

ى

اى اقام الله تعالى الحق يعني الدين لطاعته وهذا قريب مما ذكر بحسب المعنى او بحذف المفعول والمراد بالحق هو الله
اى اقام الله خلقا او دينا لطاعته في الاوامر والنواهي والاول على المصدر والمراد بالحق الدين كما في الاول اى اقامة
الدين الحق يحقق لطاعة الله بفعل ما امره وترك ما نهاه ولا نجاة الا بالطاعة اى لا نجاة من الشدايد الدنيوية
والعقوبات الاخروية على سبيل الحتم والجزم الا بطاعة الله وانقياده في اوامره ونواهيه او الحصر اضافي
بالنسبة الى المعصية وعلى التقديرين لا ينافي ذلك حصول النجاة في بعض الاحيان بالعفو والغفران كما دل عليه
بعض الاخبار وايات القران ويحتمل ان يراد انه لا نجاة للانسان من الظلمات البشرية والهويات الناسوتية
في عالم الاجسام وعالم الاشباح ولا يحصل لهم الترقي الى المشاهدة الانوار الربوبية والاسرار اللاهوتية
في عالم المجردات وعالم الارواح الا بالطاعة اذ هي مرقاة للانسان في البلوغ الى غاية مرامهم والوصول الى
نهاية مهامهم وهي التشبه بالروحانيين والدخول في زمرة المقربين واعلم ان الغرض من هاتين الفقرتين بيان ان
الطاعة اصل عظيم اذ بها يتحقق اقامة الدين والنجاة من العذاب المهين كما عرفت ثم بين انها متوقفة على العقل بتلك
مقدمات اتية على سبيل القياس المفصول النتايج ليظهر لك شرافة العقل واصالته بالنسبة الى جميع المقاصد
وهذا غاية المدح والتعظيم له ولمن اتصف به والطاعة بالعلم اى الطاعة متوقفة على العلم اذ هي عبارة عن فعل
المامور به وترك المنهي عنه وكسب الاخلاق المرضية والاطوار الحسنة للتقرب بالحق فلا بد من العلم بجنسه الامور
وبصفات الحق ما يجوز له وما يمتنع عليه وباحوال المعاد والعلم بالتعلم اى العلم بالامور المذكورة موقوف على
التعلم اما بلا واسطة بشر كما للانبياء والرسل ومعلمهم هو الله سبحانه او بواسطة بشر كما للامة فان معلمهم هم
الانبياء والرسل عليهم السلم بالارشاد والهداية واما مفيض العلوم والصور فليس الا هو ويحتمل ان يراد بالعلم
معناه على الاطلاق تصوريا كان او تصديقيا ضروريا كان او نظريا دينيا كان او غيره فان حصول كلها للبشر
متوقف على التعلم من العلم الحقيقي وهو الله سبحانه بالافاضة او الالهام او التعليم بواسطة او بدونها والتعلم
بالعقل يعتقد من اعتقد الشئ اذا اشتد وصلب ومن عقدت الحبل فانعقد والزيادة للمبالغة وفي
بعض النسخ يعتقل باللام من اعتقل الرجل اى حبس ومنع والظرف متعلق بيعتقد قدم للحصر او للاهتمام
يعني تعلم الاحكام والمعارف معقود بالعقل ومحكم به او محبوس عليه ملازم له لا يحصل بدونه لان العقل
هو القابل لجميع العلوم فلو لم يكن المتعلم عقل منفعل بالقوة قابل للفيضان من العلم بها بالفعل كان تعلمه بلا
فائدة وسعيه بلا اثر كالراقم على الماء ولا علم الا من عالم رباني في النهاية الرباني منسوب الى الرب بزيادة

للالف والنون للمبالغة وقيل هو من الرب بمعنى التربية كانوا يربون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها
والرباني العالم الراسخ في الدين او الذي يطلب بعلمه وجه الله وقيل العالم العامل المعلم وفي الصحاح والقاموس
الرباني المتاله العارف بالله وفي الكشاف الرباني هو شديد التمسك بدين الله وطاعته وفي مجمع البيان هو الذي
يرب امر الناس بتدبيره له واصلاحه اياه وهذه الجملة اعتراضية وقعت بين كلامين متصلين معنى
لنكتة وهي التنبيه على انه يجب على المتعلم ان ياخذ العلم من العالم الرباني دون غيره او ايغال لانه وقع
حقيقة في آخر الكلام لافادة نكتة يتم اصل المعنى بدونها وهو زيادة المبالغة والتاكيد لما يستفاد من قوله والعلم
بالتعلم فانه يفهم منه ان حصول العلم موقوف على التعلم من العالم الرباني اذ المراد بالعلم العلم الالهي وظاهر ان العلم الالهي
انما يستفاد من العالم الرباني وانما قلنا حقيقة لان ما بعدها نتيجة للسابق فكان الكلام قد تم قبل ذكره من غير حاجة
اليه ومعرفة العلم بالعقل هذه في الحقيقة نتيجة للكلام السابق وهو قوله والعلم بالتعلم والتعلم بالعقل فقد ثبت
مما ذكر ان العلم والطاعة مع كونهما اصلين للوصول الى الدرجة العظمى والبلوغ الى الرتبة القصوى يتوقفان
على العقل وفيه غاية التعظيم للعقل ونهاية التكريم لاهله ومن العجائب ان امة من السفهاء وزمرة من الحمقاء في
عصرنا هذا يعتقدون انهم الكبرى من الايجاد والتكوين ويجالسون العلماء والعقلاء بصفة المنافقين واذا
خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤون الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون يا هشام قليل
العمل من العالم مقبول مضاعف لان العالم يعرف ربه وما يليق به وما لا يليق وما منه من الكرامة والانعام الذي
يعجز عن ذكره اللسان ولا يحيط على وصفه البيان وما شرع من الاوامر والنواهي والاعمال والعبادات وشرايطها
ومحسناتها وما يتخلص به العبد عن مخالفته وكيفية التخلص منها وبالجملة يعرف حقيقة العمل ومصالحه وشرايطه وفوائده
ومفاسده ويكون لانوار تلك المعارف قلبه نقيا نفيا زكيا صافيا طاهرا مضيا ويكون عمله وان كان قليلا
خالصا كاملا مشتملا على جميع الامور المعتبرة في قوامه وكماله واعتباره وقبوله وتصاعده وتضاعفه فيكون
مقبولا مضاعفا لان الله سبحانه حكيم كريم لا يرد عملا صالحا وان كان قليلا اذ الكثرة ليست من شرايط القبول
كيف وقد مدحه في القرآن العزيز في مواضع عديدة ووعد الوفاء به مع الزيادة كما قال فمن يعمل مثقال ذرة
خيرا يره وقال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وكثير العمل من اهل الهوى والجهل لان الجاهل لا علم له بشيء من الامور
المذكورة بل ينظر اليها بعين عمياء فيخبط في كثير منها خبط عشواء وذلك لان الصلاح العمل طريقا واحدا لا يعرفه الا
فطنة ثاقبة وبصيرة كاملة وللفساد طرق متكثرة فمن اراد ان يسلك طريق العمل الصالح بلا بصيرة ولا دليل من فقيه

الجهل

الجهل والهوى النفسانية والوساوس الشيطانية ضل عنه وسلك احد هذه الطرق المضلة ثم كلما بالغ فيه واكثر
صار ابعد من الحق واقرب من الباطل وافسد عليه سعيه وعمله فيكون عمله مردودا عند الله اذ لا يصعد اليه
الا العمل الصالح ولو فرض ان عمله يشتمل على جميع الامور المعتبرة في صلاحه نادرا كان مثل الكثير لان الاتفاقيات
من الاعمال غير معتبرة بل لا يبعد من وقوعها على ايقان وتصديق هذا ولبعض الناظرين في هذا الكلام كلام طويل في
تفسيره وظني ان المقصود منه ليس ما ذكره وهو اعرف بما قال وحاصله بعد حذف الزوايد ان العلوم الحقيقية
والمعارف الالهية تطلب لذاتها لا للعمل ثم هي تصلح القلب وتصقله لان ينكشف جلال الله وعظمته في ذاته و
صفاته وافعاله والاعمال لما كانت وسيلة اليها معينة لها حافظة اياها تطلب لاجلها فتفضيل كل عمل انما هي
بقدر تاثيره في صفاء القلب وازالة الحجاب عنه فكل عمل كان تاثيره اكثر من غيره فهو افضل ومراتب الانسان
في ذلك مختلفة فرب انسان يكفيه قليل العمل في تاثير قلبه للطافة طبعه ورقة حجابه ورب انسان بخلافه
لغلظ طبعه وكثافته فربما يوثر كثير العمل فيه تاثيرا قليلا وبعد تقرير هذا يتبين معنى قوله عليه السلام قليل العمل من
العالم مقبول مضاعف لان معنى قوله مقبولا انه موثر في صفاء قلبه وازالة الحجاب عنه ومعنى كونه مضاعفا
ان تاثيره في قلبه اضعاف تاثيره في قلب غيره وذلك لان ارتفاع اكثر الحجب عنه بممارسة العلوم فان كل مسئلة
يحققها العالم يجلي قلبه ويصقله فاذا ترادفت المسائل والعلوم بلغ قلبه في الصفاء الى حد لا يحتاج الى كثير عمل
لكن ما دام الانسان في دار الغرور لا يستغني بالكلية عن عمل وكسب لاجل ابقاء اصل التصقيل الذي قد فعل بل تحفظه
عليه وحراسته من الآفات وهي مما يكفيه القليل من الاعمال ومعنى قوله عليه السلام وكثير العمل من اهل الهوى والجهل مردود انه لا
توثر الاعمال الكثيرة في تلطيف قلوبهم وازالة الحجاب الغشاوة عنها لان قلوبهم قاسية ونفوسهم جرمانية وسدهم
شديد يا هشام ان العاقل رضي بالدون من الدنيا مع الحكمة للنفس حيوتان وموتان بازاء كل حيوة موت الحيوة
الاولى للنفس تعلقها بهذا البدن وتصرفها بهذا النحو من التعلق والتصرف المعلومين وموتها اشتغالها عن هذا البدن
وانقطاع تعلقها وتصرفها فيه الحيوة الثانية ابتهاجها بكمالاتها وصفاتها واعمالها واخلاقها المرضية الموجبة
لقرب الحق جل شانه وموتها ضدها السلك الكمالات والاعمال والاخلاق وتغيرها في ظلمات اضدادها والعاقل يعلم
قطعا ان الحيوة الاولى حيوة مجازية لسرعة انتقال النفس عن البدن وقلة مدتها وان الاحتياج الى زهرات الدنيا
ومتاعها التي هي سبب هذه الحيوة انما هو بقدر بقائها في تلك المدة القليلة وان الزائد على ذلك وبال عليه
وتضييع للعمر فيما لا احتياج اليه ويعلم ان الحيوة الثانية حيوة حقيقية ابدية لعدم انصرامها ابد الابدين وان

وان سبب هذه الحيوة هي الحكمة وقد عرفت تفسيرها آنفا فيرضى مع الحكمة الموجبة للحيوة الابدية بالدون من
الدنيا والقليل منها الذي هو سبب للحيوة المجازية ولم يرض بالدون من الحكمة والقليل من العلم والمعرفة مع الدنيا الكثيرة
الزايدة التي لا يحتاج اليها في بقاء الحيوة الدنيوية فاولئك اشتروا الاشرف بالاخس والاعلى بالادنى حيث تنبهوا
الحكمة التي قال الله في وصفها ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا بما لا يحتاجون اليه من فضل الدنيا واختاروها
عليه فلذلك ربحت تجارتهم ضمير الجمع باعتبار ارادة الجماعة من الجنس واسناد الربح وهو الفضل على راس المال
الى التجارة وهي طلب الربح بالبيع والشرى اسناد مجازي لان الربح حقيقة للتاجر الا ان التجارة لما كانت متعلقة
بالتاجر ومتلبسة به وسببا للربح اسند الربح اليها اتساعا وفيه حث بليغ على الزهد في الدنيا وزهراتها الا القدر
الذي له مدخل في البلغة والحيوة فان زهراتها مع عدم الاحتياج اليها شاغلة للفكر مانعة للقلب عن التوجه
الى حضرة القدس باعثة لشدة الحساب مقربة الى العقاب محركة للآمال منسية للآجال مذهبة للعبادة ونحو
داعية للنفس الامارة الى شقاوتها وحث عظيم على طلب الحكمة فان السعادة في الدارين والتفاضل في النشأتين انما
تحصل بها بل هي عين السعادة العظمى والغاية القصوى والفضيلة الكبرى بها يتم نظام الدين ويحصل قرب رب
العالمين والوصول الى اعلى منازل المقربين ولذلك امر الله سبحانه حبيبه وصفيه بعد تشرفه بشرف الرسالة
وتحليه بلباس الكرامة فقال عز شانه وجل برهانه قل رب زدني علما ولو كان شيء اعظم من العلم لامره بطلب
زيادته يا هشام ان العقلاء تركوا فضول الدنيا وهي المباحات فكيف الذنوب الموبقة المورثة لخزي الوبال وشدة
النكال فانهم تركوها بالطريق الاولى واعلم ان امور الدنيا على كثرتها مندرجة تحت الاحكام الخمسة لانها اما حلال
او حرام والحلال اما واجب او مندوب او مكروه او مباح والمراد بالفضول هو الاخيران وبالذنوب هو الاول
واما الواجب فهو تحصيل القدر الضروري الذي لا يمكن التعيش في البقاء بدونه والمندوب وهو الزايد على ذلك
مما يتوسع به الرجل على نفسه وعياله على حد القانون الشرعي الذي يجوزونه كما فليس بمذموم بل هو واجب او حسن
عقلا ونقلا اذا تبين ذلك فنقول العقلاء تركوا فضول الدنيا لا لانها مذمومة اذ لا ذم فيها بل لغاية ترحمهم ونهاية
تقديسهم وكمال احتراسهم صرف العمر فيما يشغل القلب عن ذكر الله ومشاهدة عظمته وجلاله ومخافة ان يجر ذلك
الى الحرام كما قال صلعم لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا باس به مخافة ما به باس ومن ذلك الاجتناب عن التحدث
باحوال الناس لمخافة ان يجر ذلك الى الغيبة واذا تركوا الفضول لهذه الامور تركوا الذنوب الموجبة للعذاب
المهين والبعد من رحمة رب العالمين المحركة للنفس الى اسفل السافلين الداعية لها الى الخسران المبين وترك الدنيا

من

من الفضل وترك الذنوب من الفرض الجملة حالية وهي كالتاكيد للسابق والدليل عليه لان ترك فضول الدنيا اذا
كان من باب الفضل والكمال دون الفرض وترك الذنوب والاجتناب عنها من باب الفرض الذي يطلب به النجاة عن
عقوبات الدنيا والآخرة فهم اذا ارتكبوا ما ليس بفرض ارتكبوا ما هو فرض قطعا وانما قال وترك ولم يقل وترك
فضول الدنيا للتنبيه على ان غير الفضول وهو القدر الضروري ليس من الدنيا في شيء لان المقصود منه حفظ النفس
والاستعانة به على العمل للآخرة فطلبه عبادة كما روي الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله والعبادة لا تعد
من الدنيا يا هشام ان العاقل نظر بعين البصر والبصيرة الى الدنيا واهلها الطالبين لزهراتها الغارقين في
شهواتها الآملين الى لذاتها فعلم انها لا تنال الا بالمشقة لما راى من اهلها في تحصيلها من خوض اللجج وسفك المهج
وقطع البحار وطي القفار في التجارات وصرف الاعمار وقصر الافكار في الزراعات الى غير ذلك من اعمال الاسباب
وانواع الاكتساب وفي حفظها من دوام السهر ليلا ونهارا وجعلها نصب العين سرا وجهارا الى ان يموتوا او نقلوا
ذلا وصغارا ونظر بعين البصيرة الى الآخرة ومقاماتها الرفيعة ومنازلها الشريفة ومثوباتها الجزيلة ومنافعها
الجميلة وانما لم يقل هنا واهلها كما قال في قرينته للتنبيه على قلتهم بل على عدم وجودهم فعلم انها لا تنال الا بالاعمال
الحاصلة من صرف الفكر في المعارف الالهية والاحكام الربانية في جميع الاوقات وحبس النفس والجوارح على الطاعات
في اناء الليل واطراف النهار واشرف الساعات وعلم مع ذلك ان الدنيا والآخرة كضرتي انسان فان محبة احديهما
اسخاط للاخرى او مثل كفتي ميزان فان رفع احديهما وضع للاخرى فطلب بالمشقة ابقاهما لما جبلت النفوس عليه
من عدم تحمل المشاق الا لاجل المنافع والمنافع الاخروية اجل قدرا واعظم شانا وادوم زمانا من المنافع
الدنيوية بل لا نسبة بينهما اذ المتناهي لا يقاس بغير المتناهي كما قال عز شانه حكاية عن قوم حين شاهدوا اهوال
القيمة وعلموا طول زمانها وسئلوا عن كمية زمان تلبثهم في الدنيا قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فاسئل العادين
وقال امير المؤمنين عليه السلم لو كانت الدنيا من ذهب والآخرة من خزف لاختار العاقل الخزف الباقي على الذهب
الفاني كيف والامر على العكس هذا حال العاقل واما الجاهل فلكونه ضريرا يرى امر الدنيا عظيما وامر الآخرة حقيرا
وربما يخطر بباله لتلبيس ابليس بباله القاصر وذهنه الفاتر ان النقد خير من النسية فيختار الدنيا على الآخرة
ولا يعلم لعمى قلبه ونقصان بصيرته ان النقد خير من النسية اذا كان مماثلا لها في الكمية والكيفية
وليس الامر ههنا كذلك اذ هذا النقد لا قدر له اصلا ولا وزن له قطعا عند هذه النسية على ان اصحاب
الايمان وارباب العرفان لكثرة عبادتهم وشدة رياضتهم يجدون نقدا من الفيوضات الالهية

الربانية ما لا يرضون بعوض منها اخذ الدنيا وما فيها يا هشام ان العقلاء زهدوا في الدنيا واعرضوا عن حطامها وزهراتها
الفانية وطهروا ساحة قلوبهم عن طول الامل ولوث العوايق وقطعوا عن رقاب نفوسهم زمام التمني وحبل العلايق
ورغبوا في الاخرة وطلبوا ثوابها باستعمال العبادات واستكمال الطاعات واجتهدوا في الوصول الى اشرف المنازل وارفع
المقامات فتاهت ارواحهم في مطالعة الملك والملكوت وكشفت لهم حجب العزة والجبروت وخاضوا في بحر اليقين
وتنزهوا في رياض المتقين وركبوا سفينة التوكل واقلعوا بشراع التوسل وساروا بريح المحبة في جداول قرب العزة
وخطوا بشاطي الاخلاص حتى نزلوا في ساحة الجلال ومنزل الاختصاص لانهم علموا ان الدنيا طالبة لمن فيها التوصل
اليه ما عندها من رزقه المقدر وقوته المقرر مطلوبة يطلبها اهلها حرصا في جمع ما لا يحتاج اليه وذخر ما يكون
نفعه لغيره وضرره عليه والاخرة طالبة لمن في الدنيا لتوفيه ما عندها من وقته المقرر واجله المقدر اذ الاجل
مثل الرزق مكتوب مقدر ومطلوبة يطلبها اهلها للوصول الى اشرف درجاتها وارفع طبقاتها بالاعمال الصالحة والاخلاق
الفاضلة وفي ترك عطف مطلوبة على طالبة في الاول وعطفها في الثاني تنبيه على ان المتحقق من نسبة الطالبية والمطلوبية
للدنيا والواقع منهما في نفس الامر هو المطلوبية بناء على ان النفي والاثبات في الكلام راجعان الى القيد كما هو المقرر
في العربية ووجهه ظاهر لظهور ان الناس كلهم الا من شذ طالبون للدنيا بخلاف نسبتها الى الاخرة فان طالبيتها ايضا متحققة
في نفس الامر هذا ان جعلت مطلوبة صفة لطالبة وقيدا لها وان جعلت خبرا بعد خبر كما هو الانسب بالقرينة الثانية
فالوجه في ترك العطف هو الايماء الى كمال اتصال مطلوبية الدنيا بطالبيتها ونهاية ربطها بها وعدم افتراقها عنها
باعتبار ان الدنيا في الواقع مطلوبة للكل فلا حاجة هنا الى رابطة مستفادة من العطف بخلاف مطلوبية الاخرة
فانه لا اتصال بينها وبين طالبيتها لوقوع الافتراق بينهما باعتبار قلة طالب الاخرة فاحتيج في ربط احديهما الى الاخرى
الى العطف هكذا افهم ثم الطالبية والمطلوبية في كل واحد من الدنيا والاخرة يمكن ان تتصور على وجهين احدهما
ان كل واحد من الدنيا والاخرة متصفة بهما مع قطع النظر عن الاخرى وثانيهما ان كل واحد منهما طالبة عند كون
الاخرى مطلوبة ومطلوبة عند كون الاخرى طالبة والوجه الثاني هو المراد هنا كما يرشد اليه قوله عليه السلم فمن طلب الاخرة
وسعى لها سعيها لطلب المقامات العالية وانما قدم هنا طلبها على طلب الدنيا للاهتمام به والتنبيه على انه هو الذي
يجب رعايته وعكس في السابق باعتبار تقدم الدنيا على الاخرة وملاحظة وقوع طلبها في نفس الامر طلبته الدنيا حتى
يستوفي منها رزقه كما قال الله سبحانه وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم
تنطقون وقال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقال رسول الله صلعم الا ان الروح الامين نفث في روعي

انه

انه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها وقال الصادق عليه السلم لو كان العبد في جحر لاتاه الله برزقه وقال امير المؤمنين
عليه السلم الرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فان انت لم تاته اتاك وقال يا ابن آدم لا تحمل هم يومك
الذي لم ياتك على يومك الذي اتاك فانه ان يك من عمرك يات الله فيه برزقك وقيل لبعضهم كم تاكل فقال على قدر
السعر فقال لو كان وزن حبة من الطعام بمثقال من ذهب ما باليت فان علينا ان نعبده كما امرنا وعليه ان يرزقنا
كما وعدنا ومن ثم قيل اترك الدنيا وخذها فان تركها في اخذها واخذها في تركها ومن طلب الدنيا وسعى لها
سعيها وصرف عمره الذي هو راس ماله في ادخار متمنياتها طلبته الاخرة حتى يستوفي منها اجله فياتيه الموت
فتفسد عليه دنياه واخرته اما فساد دنياه فلانقطاعها عنه وعدم وفائها له وزوال تصرفه فيها وعود
ما جمعه الى غيره حتى كانه كان عبدا لذلك الغير واما فساد آخرته فلان صلاح الاخرة انما هو باكتساب الاعمال
المرضية وصرف الفكر في الاحكام النافعة الشرعية وهما انما يكونان قبل الموت وفي دار الدنيا وهو قد كان في الدنيا
عاملا للدنيا ومكتسبا لزخارفها ومتفكرا في منافعها وعبدا للغير فقد ظهر من الحديث ان طالب الاخرة له الدنيا
والاخرة وطالب الدنيا خاسر فيهما ونظيره قول امير المؤمنين عليه السلم الناس في الدنيا عاملان عامل في الدنيا للدنيا قد شغلته
دنياه عن آخرته يخشى على من يخلف الفقر ويامنه على نفسه فيفني عمره في منفعة غيره وعامل عمل في الدنيا لما بعدها فجاءه الذي
له من الدنيا بغير عمل فاحرز الحظين معا وملك الدارين جميعا فاصبح وجيها عند الله لا يسئل الله حاجة شيئا وفيه ترغيب
في تفويض الرزق الى الله والتوكل عليه وتنبيه على انه لا يبلغ هذه المرتبة الا العقلاء لانهم الذين اذا تاملوا بعقولهم
الصحيحة ونظروا الى الطاف الله في باب الارزاق وتفكروا في رزق الطيور والاجنة في بطون الامهات ورزق المجانين
وساير الحيوانات بلا تكلف في الحيلة علموا ان وصول الرزق منوط بالمشية الالهية وما قدر للشخص فهو ياتيه قطعا
ويطلبه جزما فيكون طلبه عبثا لا فائدة فيه وتضييعا للعمر فيما لا يعنيه وصرفوا عنان الهمة نحو الاخرة ساعين
عابدين خاشعين متضرعين لعلمهم بالاخرة ودرجاتها لا تنال الا بالاعمال الصالحة نسال الله الاقتدار باثارهم
والتمسك بمواردهم انه على ذلك قدير وبالاجابة جدير يا هشام من اراد الغنى بلا مال الغنى الدنيوي على وجهين
احدهما ما يدفع ضرورة الحاجة بحسب الاقتصاد والقناعة وثانيهما المفهوم المتعارف بين ارباب الدنيا جمع
المال وادخاره والاتساع به فوق الحاجة والغنى على الوجه الاول ممدوح عقلا ونقلا وعلى الوجه الثاني مذموم
والغنى الديني وهو ما يدفع النزول في عذاب الجحيم ويوجب الوصول الى جنات النعيم مع تفاوت مراتبه كله ممدوح
والانسب هنا هو الوجه الاول بقرينة التفريع الاتي والتنكير في قوله بلا مال للتكثير لان الاقتصاد والقناعة يحتاج

يحتاج الى القليل من المال وحمله على الغني اخيرا محتمل لكنه بعيد جدا وراحة القلب من الحسد رسم الحسد تارة بانه تمنى
الرجل زوال النعمة من ذي النعمة وعودها اليه واخرى بانه اغتمامه بخير يناله غيره من حيث لا مضرة عليه وتفق
ارباب القلوب على انه من اعظم ابواب الشيطان التي يدخل بها على القلب وعلى انه من اقبح العوارض الردية للقلب وسواله
من البخل والشرور يراد بالشر الشدة اذ الطمع بما بيد الناس واغتمامه بما يوافقهم وعلى انه مضر بالقلب والجسد اما بالقلب
فلانه يصرف فكره الى الاهتمام بامر المحسود والاعتماد بشانه حتى لا يفرغ للتصرف فيما يعود نفعه اليه وينسى
ما حصل له من الملكات الخيرية التي هي الحسنات المنقوشة في جوهره فتضمحل تلك الملكات على طول الحسد واشتغال
الفكرة بالمحسود وطول الحزن والحيرة في امره ويتضيق وقته ويتشوق عقله عن تحصيل الحسنات والخيرات ولذلك
قال امير المؤمنين عليه السلم لا تحاسدوا فان الحسد ياكل الايمان كما تاكل النار الحطب واما بالجسد فلانه يعرض له عند
حدوث حزن والاعراض الشنيعة والامراض الردية طول السهر وسوء الاغتذاء ويعقب ذلك رداءة اللون وسوء
السحنة وفساد المزاج والقوى والسلامة في الدين من الافات النفسانية والوساوس الشيطانية فليتضرع الى الله
عز وجل في مسئلته بان يكمل عقله اي عمله او جوهره المجرد القابل له وفيه دلالة على ان العقل موهبة الهية وعطية
ربانية لا يزداد ولا يكمل الا بعناية وعلى انه سبب للامور الثلثة المذكورة اما الثاني فلان العاقل الكامل يعلم ان الحسد
لا ينفعه بل يضره وانه صفة موجبة للمقت من الله جل شانه لعلمه بان الحاسد معاند لارادته لانه هو المتفضل لكل
وهو المفيض للخير الى كل احد بما يليق به ويصلح له فيعلم ان كلا من الاعطاء والمنع وقع على وفق الحكمة والمصلحة فيطمئن قلبه
بقسمة ربه واما الثالث فلان العاقل يعلم بنور عقله طريق الحق وكيفية سلوكه الى حضرة القدس ويعلم افات
الدين وكيفية اجتنابه عن تلك الافات ويعمل بمقتضى عقله الصريح وذهنه الصحيح فيتم له بالجدين العلم مع
العمل نظام الدين وكماله ويسلم عن مفاسده وآفاته واما الاول فلما اشار اليه بقوله ثم من عقل قنع بما يكفيه
لان العاقل اذا نظر الى جلال الله وآثار ملكه وملكوته والى احوال الاخرة وما فيها من المقامات العالية واللذات الروحانية
والى ما حصل له على الدوام من الانوار العقلية والفيوضات القلبية والان كماله ونظام النفس عن الشهوات ونزع القلب
عن الامانى والشبهات وترك ما يمنعه من التوجه الى الاخرة من الزهرات وخلو السر عن النظر الى الدنيا وما فيها من
المقتنيات استحقر الدنيا وما فيها ورجع بالكلية الى حضرة الحق وما في الاخرة من المقامات فيقنع من الدنيا بقدر
الكفاف وبما يقيم به بدنه وقواه ويقدر به على الاقامة بالطاعات اذ التعرض للزايد عليه لا لقصور العقل وضعف
اليقين وفتور النيات وخلو النفس عن المعارف النورانية والتهابها بالمحسوسات وانفتاح عينها الى الامور الدنيوية

والصور

والصور الوهمية واحتباسها في الظلمات وغفولها ان الدنيا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده
شيئا فيضيع سعيه ويزداد عليه الندامة والحسرات ومن قنع بما يكفيه استغنى بما يكفيه عن الزايد وبالاخرة
عن الدنيا او بالحق عن الخلق فان من رضي بالقوت وتوكل على الحي الذي لا يموت لم يفتقر الى غيره لاجل المسئلة ومن
لم يقنع بما يكفيه لم يدرك الغنا ابدا لان الغنا هو الكفاف فمن لم يكفه الكفاف فجميع ما في الارض لا يكفيه ولان طلب
الزيادة منوط بالحرص ومراتب الحرص غير محصورة فاذا حصلت له مرتبة من تلك المراتب طلب ما فوقها فلذلك قال عيسى ع
لاصحابه يا معشر الحواريين لانتم اغنى من الملوك قالوا وكيف يا روح الله وليس نملك شيئا قال انتم ليس عندكم شيء ولا تريدونه
وهم عندهم اشياء ولا يكفيهم يا هشام ان الله حكى عن قوم صالحين انهم قالوا ربنا لا تزغ اي لا تمل من الازاغة وهي
الامالة قلوبنا من الحق الى الباطل ومن الايمان الى الكفر ومن اليقظة الى الغفلة ومن العلم والهداية الى الجهل والغواية
وفي الصحاح الكشاف لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا الى الخيرات المذكورة وبعد نصب على الظرف
واذ في موضع الجر بالاضافة وقيل اذ هاهنا بمعنى ان ولما كان بين الرهبة والرغبة تلازم وقد حصل منهم الدعاء
بالنظر الى الاولى او لا حصل منهم الدعاء بالنظر الى الثانية ثانيا طلبا للزيادة الافضال والاحسان ورجاء لمزيد النعمة و
فقالوا وهب لنا من لدنك رحمة اي كرامة توجب قربنا منك والزلفى اليك والفوز بالفلاح لديك او توفيقا
للثبات على الحق والايمان ومغفرة للذنوب ثم قالوا للتاكيد رجائهم في اجابة دعائهم انك انت الوهاب في
النهاية الهبة العطية الخالية عن الاعواض فاذا كثرت سمي صاحبها وهابا وهو من ابنية المبالغة يعني انت الوهاب
لكل طلبة ومسئلة او لوجود كل شيء وحقيقته وماهيته وخواصه وآثاره وكماله من غير عوض وفيه دلالة
على ان السلامة من آفات الدنيا والهداية الى حضرة المولى والنجاة من الضلالة والعمى والاستقامة في سبيل الرشاد
من الله المتفضل برحمته على العباد حين علموا ظرف لقالوا ان القلوب تزيغ بفتح التاء من زاغ بمعنى مال اي تميل
عن طريق الصواب وتعود الى عماها اي جهلها يقال رجل عمي القلب اي جاهل واصل العمى ذهاب البصر فاذا اضيف
الى القلب يراد به ذهاب البصيرة وقد يجعل كناية عن الجهل ورداها اي هلاكها من ردي الدابة في البئر
اذا سقط فيها ومن ردي فلان في الارض اذا ذهب وتاه فيها ومن ردي فلان بالكسر يردى رديا اذا هلك
وفيه اشارة الى شيئين احدهما ان القلوب يعني النفوس البشرية كانت في مبدأ الفطرة جاهلة للمعارف الالهية
غافلة عن الانوار الربانية هالكة ساكنة في تيه الجهالة فاقدة لنور الهداية وظلمة الغواية كما يظهر ذلك لمن تفكر
في اطوار الايجاد والتكوين فانه يعلم انها كانت صورا جمادية وصورا نفسانية للخير والشر قابلة للهداية والضلالة

[illegible]

ثم حصلت لها بالترقيات الالهية والتوفيقات الربانية كما يرشد اليه قوله بعد اذ هديتنا جملة من العلوم وزمرة
من المعارف ونبذة من الاحوال والاعمال تخرجت بذلك من حد النقص على الاطلاق في ترقي العلم والعمل الى مرتبة
الكمال الثاني فان هذه المرتبة ليست لازمة للنفس ثابتة لها غير منفكة عنها لان النفس الحرون قد تقف
في ميدان العلم والعمل بل ترجع القهقرى الى حالتها الاولى وسر ذلك انها ما دامت في الدنيا متعلقة
بهذا البدن مائلة الى الهوى ودواعي الشيطان في الكرة لاصناف الباطل وانواع العصيان فربما اخذ بيد الشقاوة
زمامها وتسوقها الى ما هو طلبها ومرامها وتجذبها عما هي عليه من العلوم والاعمال الصالحة وتوردها في تيه الجهالة
والضلالة وقد روي عن ابي بصير وغيره قال قال الصادق عليه السلم ان القلب ليكون الساعة من الليل والنهار ما فيه كفر
ولا ايمان كالثوب الخلق قال ثم قال لي اما تجد ذلك من نفسك قال ثم تكون النكتة من الله في القلب بما شاء من ايمان او
كفر ولذلك خاف الصالحون ووجل المتقون وطلبوا بالتضرع والابتهال حسن العاقبة بقولهم ربنا لا تزغ قلوبنا
بعد اذ هديتنا والادعية المأثورة في هذا الباب اكثر من ان تحصى لا يقال بقاء النفس على كمالها العلمي والعملي دائما
في الدنيا وسكن الشياطين غير لازم بل ربما تعود الى عماها ورداها وتترك العمل وتنسى العلم والاخرة اراد ان يبين ان
ذلك فيمن لم يكن قلبه مستضيئا بنور الله وعقله مهتديا بهداية الله ولم ياخذ علمه من الله اما بلا واسطة كا
لانبياء والرسل او بواسطة كالمتمسكين بذيل عصمتهم والراجعين في كيفية العمل والعلم الى معدن
طهارتهم فاشار الى الاول بقوله انه لم يخف الله من لم يعقل عن الله لان من لم يكن علمه بذات الله
وصفاته وشرايعه واركان الاعمال وشرايطها واحوال الاخرة مستندا الى الله تعالى باحد الوجهين المذكورين كان علمه
اما تقليدا محضا كما في اكثر العوام واما رايا وقياسا كما في اكثر الناس واما ظنا وتخمينا وجدليا كما في اكثر المتكلمين
الذين وضعوا لانفسهم دلايل على هذه الامور واستحسنوها وكل ذلك لا يوجب الخوف من الله سبحانه
والخشية من عذابه اما التقليد فظاهر لانه لم يحصل لهم من الحقيقة الالهية الا الاسم ومن حقيقة الاحكام الشرعية
واركانها وشرايطها الا الرسم ومن احوال الاخرة وشدايد اهوالها الا اللفظ والخوف منوط بادراك حقايق
الامور واما القياس ونحوه فايضا ظاهر وكذا التخمين المتكلمين على ان اكثرهم القايلين بالفاعل ينكرون السببية في الممكنات
ويجوزون مغفرة الكافر الشقي ومعاقبة المولى السعيد فلا يحصل لهم خوف وخشية واذا انتفى الخوف انتفى العمل
والكماله والجد فيه واما العلماء الراسخون الاخذون علومهم من مشكوة النبوة فهم يعلمون الحقايق كما هي من صفات
الواجب وما يجوز له وما يمتنع عليه واحكام الدين واركانها وشرائطها واحوال الاخرة وشدايد اهوالها

كانهم

كانهم يشاهدونها ويعلمون ان الله لا يظلم احدا مثقال ذرة وان ما يرجع اليهم من الخير والشر فهو نتايج نفوسهم ولوازم
اخلاقهم وتبعات اعمالهم وافعالهم فيخافون من الله عز شانه غاية الخوف كما قال سبحانه انما يخشى الله من عباده العلماء فلا جرم
يعملون في الدنيا للاخرة ويسعون لها غاية السعي ويحصلون ما يوجب نجاتهم من النار وفوزهم بالجنة واشار الى الثاني بقوله
ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة تبصرها وتجد حقيقتها في قلبه يعني من لم ياخذ علمه من الله سبحانه
باحد الوجهين المذكورين لم يكن ايمانه ثابتا ولا علمه باقيا لانهما يزولان بادنى شبهة بخلاف من اخذ علمه منه تعالى
فان ايمانه ثابت وعلمه راسخ لا يزول بوجه من الوجوه كما قال العالم عليه السلم من اخذ دينه من كتاب الله وسنة نبيه
زالت الجبال قبل ان يزول ومن اخذ دينه من افواه الرجال ردته الرجال وقال عليه السلم من لم يعرف امرنا من القران
لم يتنكب الفتن ولا يكون احد كذلك اي يعقل عن الله ويعقد قلبه على معرفة ثابتة تبصرها وتجد حقيقتها في
قلبه الا من كان قوله لفعله مصدقا بان يكون عاملا بالمعروف امرا به وتاركا للمنكر ناهيا عنه فان العلم الحقيقي
والايمان الكامل لا يكونان بالتلازم بينهما وحمل القول هنا على الاعتقاد بعيد وسره لعلانيته موافقا بان يكون صفاته
وكمالاته الباطنة موافقة لصفاته وكمالاته الظاهرة مثل الاعمال الحسنة وحسن الخلق وطلاقة الوجه واكرام
المؤمن وامثال ذلك لان الله تبارك اسمه لم يدل على الباطن الخفي من العقل الا بظاهر منه وناطق عنه اي مخبر عنه
وشعبة هذا دليل على ما قيل ان الاستتار ممن كان قوله لفعله مصدقا وسره لعلانيته موافقا لحجة عاقلا
عن الله ثابتا على معرفته راسخا في ايمانه وعرفانه ويجد حقيقته وذلك في قلبه بيان ذلك ان العلم بخفيات الامور
والصفات القلوب ليس الا لعلام الغيوب لانه العليم بذات الصدور واما غيره فقد يعلم الباطن من الظاهر فكما يعلم من حمرة
الوجه وانتفاخ العروق وغلظ الصوت شدة الغضب وارادة الانتقام ومن اصفرار الوجه وتضايل البدن وتحرك
الفرايص شدة الخوف كل ذلك للتناسب بين الروح والبدن بحيث يصل اثر احدهما الى الاخر كذلك يعلم الصفات
النفسانية والكمالات والعلوم والعقايد الراسخة القلبية من الاعمال والافعال الصادرة من الاعضاء الظاهرة
مثلا يقال فلان عليم مومن راسخ في علمه وايمانه وكريم حليم رحيم اذا صدر منه الافعال التابعة للعلم والايمان
وافعال الكريم والحليم والرحيم مرارا كثيرة بعد اخرى على السرفة وذلك ان الصفات اسباب للافعال والاعمال لانه
ينبعث منها الشوق والارادة والعزم ويتحرك بسببها الاعضاء نحو المشتوق والمراد فيظهر منها الافعال
والاعمال ودلالة هذه الاعمال والافعال على تلك الصفات كدلالة الاثر على المؤثر وبالجملة ظاهر الرجل عنوان لباطنه
ومعرفة باطنه تابعة لمعرفة ظاهره فان كان جميع افعاله الظاهرة دائما مستقيمة واقعة على القوانين الشرعية

دال ذلك على ثبوت معرفته وايمانه وكمالهما ورسوخهما وان كان جميعها غير مستقيمة او كان القول مستقيما وغيره
من الافعال غير مستقيم او كان عكس ذلك دل ذلك على عدم ثبوت معرفته وايمانه وعدم كمالهما ومثل هذه المعرفة
والايمان في معرض الزوال الخامس كان امير المؤمنين عليه السلم يقول ما عبد الله بشيء افضل من العقل المقصود ان العقل افضل
ما يتقرب به العبد الى الله وكل ما يتقرب به سواه دونه في الفضل وهذا كمال المدح له ولاهله واعلم ان للعقل
اطلاقات والمشهور منها امران الاول القوة المهياة للعلوم الكلية ضرورية كانت او نظرية تصورية كانت
او تصديقية ولا نعني مجرد القوة والاستعداد بل نعني بها القوة الحاصلة معها كمالا بها بالفعل الثاني العلم والحكمة التي
هي ثمرته ويمكن حمله هنا على كل واحد منهما لان كل واحد منهما اصل يتوقف عليه غيره مما يتقرب به العبد الى الله
مثل الصلوة والصيام والحج والزكوة ونحوها فكل واحد منهما افضل مما عداه وهو المشار اليه بقوله صلى الله عليه
وآله لعلي عليه السلم يا علي اذا تقرب الناس الى خالقهم بابواب البر فتقرب انت بعقلك تسبقهم بالدرجات والزلفى عند الناس
في الدنيا وعند الله في الآخرة وما تم عقل امرء حتى يكون فيه خصال شتى الخصال بالكسر جمع الخصلة
بالفتح وهي المرة من الخصل وهو الغلبة في النضال والخصلة ايضا الخلة وهي المراد هنا وكانها منقولة عن الاولى
لجامع الغلبة والفضيلة فيهما وشتى جمع شتيت وهو المتفرق يقال ثغر شتيت اي مفلج وقوم شتى واشياء
شتى وجاؤوا اشتاتا اي متفرقين واحدهم شت وقد ذكر هنا اثنتي عشر خصلة الكفر والشر منه مأمونان
والناس آمنون من كفره وشره والكفر يطلق على خمسة معان كما يأتي في باب الكفر الاول انكار الرب الثاني انكار
الحق مع العلم بانه حق الثالث ترك ما امر الله به الرابع كفران النعم قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر ام اكفر
الخامس كفر البراءة قال كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء يعني تبرأنا منكم والشر يطلق على كل خبيث ونقيصة
كما يرشد اليه قول امير المؤمنين عليه السلم والشر جامع مساوي العيوب والحاصل انه امر كلي تحته افراد كثيرة كلها من العيوب
والخبائث وقد يقسم الى شر مطلق كعدم العقل مثلا والى شر مقيد كعدم كل واحد من الصفات المرضية والشرايع
النبوية ووجود اضدادها والرشد والخير منه مأمولان يعني العقلاء يأملون من رشده وهو ضد الغي والرشد
الهداية وخلاف الغي والخير لفظ جامع لجميع الامور الحسنة كما ان الشر جامع لجميع الامور القبيحة فهو ايضا مفهوم كلي
تحته افراد كثيرة وينقسم الى خير مطلق كوجود العقل والى خير مقيد كوجود كل واحد من الصفات المرضية والشرايع
النبوية ولعل المقصود ان من اتصف بالخير والرشد والهداية واجتنب سبيل الشر والغي والضلالة وكان جميع افعاله
واعماله بالفعل على الوجه المستقيم بحيث يأمل العقلاء منه خيرا في غابر عمره ويستنبطون منه ذلك في بقية دهره

فهو

فهو تام العقل ويجعل ذلك دليلا على كماله وانما قلنا المقصود ذلك لان كونه قابلا لمطلق الرشد والخير في حيز الاستعداد
وكونهما مأمولين منه بالقوة من جميع الوجوه لا يدل على تمام عقله وكماله لان العقل في المرتبة الهيولانية وفضل
ماله مبذول يحتمل ان يراد بالفضل ما زاد على القوت والكفاف وانما خص البذل بالفضل لان بذل الكفاف قد لا يطيب
به نفس اكثر العقلاء بل قد ورد النهي عنه في بعض الروايات ويدل عليه ايضا قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك
ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ويحتمل ان يراد به الصدقات المفروضة مثل الزكوة وغيرها وفي الخبر ان السخي
من ادى حق الله من ماله واعلم ان لبذل المال ومنعه غايات وبين غاياتهما تفاوت والفضل لغايات البذل والحاكم
بذلك هو العقل الصحيح والنقل الصريح اما غايات البذل فمنها الذكر الجميل بين الناس وهو مطلوب عقلا وشرعا لقوله تعالى
حكاية عن ابرهيم عليه السلم واجعل لي لسان صدق في الآخرين وقول امير المؤمنين ولسان صدق يجعله الله للمرء
في الناس خير له من المال يورثه غيره ومنها رعاية حال الفقراء الذين هم ودايع الله وعيال رسوله وجبر كسر قلوبهم و
مواساتهم وقد وقع الحث عليها في روايات متكثرة ومنها جلب قلوب الناس الى المحبة والمودة ومنها تحصيل رضا الله
وطلب الدرجات العالية في الآخرة ومنها انه يأخذ بدل واحد اضعافا كثيرة قال الله عز وجل من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا
فيضاعفه له اضعافا كثيرة وقال امير المؤمنين عليه السلم من يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة يعني من يعطي يسيرا يجزى
به كثيرا واليدان عبارتان عن النعمتين في طرق العامة قال ابوذر يا نبي الله ارايت الصدقة ماذا هي قال اضعاف
مضاعفة وعند الله المزيد قوله وعند الله المزيد هي الزيادة على الثواب المذكور بتمامه كما قال سبحانه للذين احسنوا
الحسنى وزيادة واما غايات المنع وترك البذل فيعرف مما ذكرنا بالمضادة وايضا المنع يورث البخل والشغل عن ذكر الله
ومحبة الدنيا الى غير ذلك من المفاسد فمن آثر البذل على الجمع مع ان الجمع من مقتضى النفوس البشرية والاوهام الشيطانية
فان الشيطان ابدا يأمر الانسان بالمنع والجمع ويعدهم بالفقر بسبب الاحسان والبذل علم ان ذلك من تمام عقله ومتانته
وكمال رايه ورزانته وفضل قوله مكفوف لان العاقل هو الذي يضع الاشياء مواضعها ومن جملة ذلك ان يتكلم بما يحتاج
اليه ويترك ما زاد عليه وهو المراد بالفضل ولانه يعلم ان الاكثار يوجب الهجر ومن ثمة قال من كثر كلامه كثر
سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه فالنار اولى به وان الكلام في وثاقه ما لم يتكلم به فاذا تكلم صار هو في
وثاق الكلام فلا يتكلم الا بالاحتياط ولذلك قيل لا تكلم بلسانك ما تكسر به اسنانك وان الجوارح مسؤولة يوم القيمة
فلا يتكلم الا بالحكمة والموعظة الحسنة وقال امير المؤمنين عليه السلم من علم ان كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه ونصيبه
من الدنيا القوت لان العاقل الكامل يعلم بعين الاعتبار والبصيرة ان المال مادة الشهوات وحبالة الشيطان فلا يطلبه

حذرا من الدخول فيها وان من اقتصر على القوت لا يفتقر ابدا وان من رضي به كان مستريحا في الدنيا ناجيا في الاخرة والى
الوجهين الاخيرين اشار امير المؤمنين عليه السلم بقوله لا مال اذهب للفاقة من الرضا بالقوت ومن اقتصر على بلغة الكفاف
فقد انتظم الراحة وتبوأ خفض الدعة يعني من قنع فقد الزم الراحة قلبه والوجوه وغيرها رضى العاقل بالقوت
وكف نفسه عن طلب الزايد عليه لا يشبع من العلم دهره دهره منصوب منصوب بنزع الخافض اي في دهره يعني
تمام عمره والمراد بالعلم العلم المتعلق باحوال المبدأ والمعاد وغير ذلك من الامور الدينية والاحكام الشرعية وهذا
العلم هو الذي يكسب به الانسان الطاعة في حيوته والذكر الجميل والثواب الجزيل بعد وفاته والى مدح هذا العلم
واهله اشار امير المؤمنين عليه السلم هلك خزان الاموال والعلماء باقون ما بقي الدهر يعني لتنور قلوبهم بانوار الهية
وفيوضات ربانية او لاشتهار صيتهم وانتشار فضلهم فيما بين فرق الانام الى يوم القيمة وفي قوله لا يشبع اشارة
الى ان العلم غذاء القلب وحيوته وبه يتغذى ويتقوى ويكمل كما ان الطعام غذاء البدن وحيوته وقوامه
وبالجملة شبه العلم بالغذاء اذ كما ان الغذاء سبب لبقاء البدن وحيوته في مدة العمر كذلك العلم سبب لبقاء النفس في
سعادتها في الدارين ولذلك يقال الجاهل ميت والسر في ان جوع العاقل في تحصيل العلم لا يسكن هو ان مراتب
شوقه غير متناهية وكذا مراتب العلم كما قال سبحانه وفوق كل ذي علم عليم فكلما وصل الى مرتبة من مراتب العلم واستضاء
قلبه بنور تلك المرتبة وكمل به واستشرف راى فوقها مرتبة اخرى اكمل منها وانور فيسوقه الشوق اليها
ويستضيء بنورها وهكذا الى ما شاء الله ومن ههنا ظهر ان للعاقل في كل آن ترقيات وفي كل زمان انتقالات
وابتهاجات وتلك الترقيات حقيق بان تسمى معارج النفوس الذل احب اليه مع الله من العز مع غيره لعل المراد
ان ذل نفسه وهضمه مع الله باخذ زمامها كيلا تتجاوز عن حده وذل الترفع احب اليه من عز نفسه ورفعه مع
غيره بارسال زمامها لكي تجري في ميدان مرامها فلا يرد انه اذا كان مع الله كان عزيزا لا ذليلا لقوله تع ولله
العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ويحتمل ان يراد بالعز والذل ما هو المتعارف عند الناس
اعني الرفعة فيما بينهم وعدمها يعني اذا كان المعاملة مع الناس موجبا للرفعة القدر فيما بينهم والسير في سبيل التمسك
بحبل الله موجبا للذل ووضع القدر عندهم فالعاقل هو الذي يحب الذل ويختاره على ذلك العز لعلمه بان
في هذه الرفعة مفاسد غير محصورة وانما رفعة دنيوية وذلك الذل رفعة اخروية والرفعة التي تحصل في الدنيا
داثرة داحضة بخلاف الرفعة الاخروية فانها باقية ابدا والتواضع احب اليه من الشرف التواضع التذلل
من الوضع وهو خلاف الرفع والشرف الترفع بالنسب او بالحسب والمعنى ان العاقل هو الذي يؤثر التواضع لله على الشرف

والرفعة

والرفعة لانه لما عرف عظمة الله ونظر الى جلال قدرته وكمال قدرته على جميع المقدورات وشدة استيلائه
على جميع الممكنات بالايجاد والافناء وغاص في بحار وجوده وكماله وقدرته وتفكر في قهره ومنعه وجوده احتقر نفسه
ووجوده وكماله وقدرته بل لا يرى لنفسه وجودا وكمالا وقدرة وانما يرى هذه الامور الجاهل الذي لم يخطر
بباله ذات الباري وصفاته فيرى لنفسه وجودا ولوجوده اثارا ونظيره ان الانسان من لم ير بحرا ابدا ثم راى جدولا
صغيرا فانه يستعظمه فاذا وقف هناك بقي له ذلك الاستعظام واما اذا جاوزه وراى نهرا عظيما فانه يزول
عنه ذلك الاستعظام ويستعظم هذا النهر ثم اذا جاوزه وراى بحرا زاخرا زال عنه استعظام ما سواه قطعا والى
ما ذكرنا اشار امير المؤمنين عليه السلم بقوله انه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله ان يتعظم فان رفعة الذين يعلمون ما عظمته
ان يتواضعوا له وفي هذا التعليل اشارة الى ان التواضع له سبحانه عين الرفعة وذلك لان الله سبحانه هو العظيم المطلق
وكل عظمة ورفعة فمستفادة من جوده والقرب منه فكما كانت العادة جارية من الملوك في حق من يتواضع لهم ويوقرهم
من الاجلال والاكرام وحسن الانقياد ان يرفعوه ويعظموه كذلك عادة مالك الملوك جل شانه يرشد الى ذلك رفعة
حال الانبياء والاوصياء والصالحين عليهم صلوات الله اجمعين ويدل عليه قول الصادق عليه السلم ان في السماء ملكين موكلين بالعباد
فمن تواضع لله رفعاه ومن تكبر وضعاه وقول امير المؤمنين عليه السلم ما احسن التواضع لله سبحانه واما التواضع للفقراء
والصالحين فمن شعب تواضعه تعالى شانه لان من احب احدا وتواضع له فانه يحب ان يحب محبوبيه ويتواضع لهم
على ان التواضع لهم يوجب ازدياد المودة وقال امير المؤمنين عليه السلم التودد نصف العقل ووجه ذلك بان العقل نصفان
نصف عقل المعاد ونصف عقل المعاش وقال الصادق عليه السلم من التواضع ان ترضى بالمجلس دون المجلس وان تسلم على
من تلقى وان تترك المراء وان كنت محقا ولا تحب ان تحمد على التقوى وفي حديث آخر التواضع درجات منها ان يعرف
المرء قدر نفسه فينزلها منزلتها بقلب سليم لا يحب ان ياتي الى احد الا مثل ما يوتى اليه ان راى سيئة درأها بالحسنة
كاظم الغيظ عاف عن الناس والله يحب المحسنين وينبغي ان يعلم ان الاعلى والاحسن بحال الفقراء ان يتركوا التواضع
للاغنياء ويعتزلوا عنهم ويتكلوا على الله سبحانه كما قال امير المؤمنين عليه السلم ما احسن تواضع الاغنياء للفقراء طلبا لما عند الله
واحسن منه تيه الفقراء على الاغنياء اتكالا على الله والتيه التكبر ولعل المراد به ما ذكرنا من الاعتزال عنهم وترك التواضع
لهم والا فالتكبر قبيح من كل احد لان الكبرياء انما يليق بالحق عز شانه اذ الخلق محل النقص فاذا تكبر تكلف ان يتصف بما
لا يليق به ومن ثم قيل هتك ستره من جاوز قدره يستكثر قليل المعروف من غيره العاقل يؤثر ذلك من وجوه الاول التشبه
بالباري جل شانه فانه يقبل قليل الحسنات من عباده ويضاعفه اضعافا كثيرة وفي الادعية الماثورة يا من يقبل القليل

ويعفو عن الكثير الثاني في استكثاره تعظيم للنعمة والنعم وكلاهما مطلوب واستقلاله تحقير لهما وهذا مذموم جدا
الثالث استكثاره نوع من الشكر وهو يوجب الزيادة لقوله تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم ولما رواه مسمع بن عبد الملك قال
كنا عند ابي عبد الله عليه السلام بمنى وبين ايدينا عنب نأكله فجاء سائل فسأله فامر بعنقود فاعطيه فقال السائل لا حاجة لي في
هذا ان كان درهم قال يسع الله عليك فذهب ثم رجع فقال ردوا العنقود فقال يسع الله لك ولم يعطه شيئا ثم جاء سائل
اخر فاخذ ابو عبد الله عليه السلام ثلث حبات عنب فناولها اياه فاخذ السائل من يده ثم قال الحمد لله رب العالمين الذي رزقني
فقال ابو عبد الله مكانك فحثى ملء كفيه عنبا فناولها اياه فاخذها السائل من يده ثم قال الحمد لله رب العالمين فقال
ابو عبد الله عليه السلام مكانك يا غلام اي شيء معك من الدراهم فاذا معه نحو من عشرين درهما فيما حزرناه او نحوها فناوله
اياها فاخذها ثم قال الحمد لله هذا منك وحدك لا شريك لك فقال ابو عبد الله عليه السلام مكانك فخلع قميصا كان
عليه فقال البس هذا فلبسه ثم قال الحمد لله الذي كساني وسترني يا عبد الله او قال جزاك الله خيرا لم يدع لابي عبد الله
عليه السلام الا بذا ثم انصرف فذهب فظننا انه لو لم يدع له لم يزل يعطيه لانه كلما كان يعطيه حمد الله اعطاه ويستقل
كثير المعروف من نفسه لان العاقل يعلم ان في استعظام ما اعطاه من المعروف مفاسد شتى منها انه يؤدي الى المن والاذية
يحبط الاجر لقوله تعالى قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غني حليم ومنها انه يوجب المن عليه والمن يهدم
اجره لقول الصادق عليه السلام المن يهدم الصدقة ومنها انه يستلزم البخل لانه لا يستعظم الا ما عظم عنده وكثر في نظره
فيشق عليه اخراجه ومن ثم قيل الجواد لا يستعظم ولو اعطى الدنيا بحذافيرها ومنها انه يوجب العجب والفخر وهما من الصفات الرذيلة
التي لا يرتكبها العاقل وايضا العاقل اذا شاهد نعم الله على الخلق ظاهرة وباطنة مما لا يعد ولا يحصى وعلم انه تعالى مع ذلك يستصغرها
ويخاطبهم يوم القيمة بالاعتذار ويقول يا عبادي ما منعتكم في الدنيا لهوانكم بل لاكرامي لكم في هذا اليوم وقاس معروفه
على نعماء الله لا يعده شيئا محضا فلا يخطر بالبال استعظام ذلك قطعا ثم الاستعظام بان يقول انا دللت عليك نعمة عظيمة
او اعطيتك مالا كثيرا او احييتك باعطائك كذا وكذا او اخذ هذا المال الكثير او يعد نعماءه ويكررها عليه او يعود الى ذلك
مما دل عليه صريحا او ضمنا او كناية ويرى الناس كلهم خيرا منه بحسن الظن بهم وعدم علمه بخفيات امورهم ولا اختباره
عن رذيلة العجب المانع من الترقي في الكمالات والتودد في الالتيام ولان هذا نوع من التواضع لله ولعباده والتواضع يوجب
السعادة في الدارين والرفعة في النشأتين ويحبهم اياه ولان الخيرية الحقيقية لكل احد باعتبار قربه بالمبدأ ولطف
المبدأ به ولا يعلم ذلك الا الله سبحانه ومراتبها مختلفة متفاوتة في الزيادة والنقصان والعاقل يجوز ان يكون القرب
واللطف في غيره اكمل فلذلك يراه خيرا منه وحكاية موسى عليه السلام مع الكلب مشهورة وفي الكتب مذكورة وانه شرهم

في

في نفسه لما فيه من التواضع والتذلل واهانة نفسه وعدم اكرامها وقال امير المؤمنين عليه السلام طوبى لمن ذل في نفسه ولا
العاقل عارف بعيوبه وعجزه وقصوره لا بعيوب غيره وهو تمام لما مر اي هذا اكثر خيرا وهو ان يرى العاقل انه شر الناس
في نفسه تمام العقل وكماله اذ به يحصل له الاستكانة والتضرع والخشوع لله والرجوع اليه بالكلية والتعري عن جلباب
الوجود والهوية المجازية والتوصل الى الفناء في الله والهوية الحقيقية ويحتمل ان يكون الضمير راجعا الى جميع ما تقدم
من الخصال المذكورة فهو بمنزلة اعادة ما افاده عليه السلام بقوله وما تم عقل امرء حتى يكون فيه خصال شتى ايضا ان
العاقل لا يكذب وان كان فيه هواه قريب منه قول امير المؤمنين عليه السلام علامة الايمان ان تؤثر الصدق على الكذب
حيث ينفعك قال في المغرب الهوى مصدر هويه اذا احبه واشتهاه ثم سمي به المهوي المشتهى محمودا كان او
مذموما ثم غلب غير المحمود فقيل فلان اتبع هواه اذا اريد ذمه وفي التنزيل ولا تتبع الهوى ولا تتبع اهواء قوم
ومنه فلان من اهل الاهواء اذا زاغ عن الطريقة المثلى من اهل القبلة كالجبرية والحشوية والخوارج والمعنى ان
العاقل لا يكذب فيما فيه هواه ونفعه تحرزا من الفضيحة ومن وقوع الناس في اعراضه عند ظهور خلافه ومن
عقوبة الله والبعد من رحمته فكيف اذا لم ينفعه الكذب ولا يهويه وفيه ترغيب في ايثار الصدق على الكذب
ومبالغة في ان العاقل لا يكذب قال بعض الحكماء الكذاب والميت سواء لان فضيلة الحي النطق فاذا لم يوثق بكلامه
بطلت حيوته ايضا لا دين لمن لا مروة له في المغرب المروة كمال الرجولية ومنها تجافوا عن عقوبة ذي المروة وقد مر
الرجل مروة وفي الصحاح المروة الانسانية ولا مروة لمن لا عقل له الظاهر ان النفي في المواضع الاربعة وارد على الحقيقة
كما يقتضيه وقوع النكرة في سياق النفي والمعنى لا يتحقق حقيقة الدين ولا توجد لمن ليس له حقيقة المروة ولا يتحقق
حقيقة العقل فينتج لا يتحقق حقيقة الدين لمن ليس له حقيقة العقل والمقدمتان ظاهرتان ضرورة ان من كان له مروة
في الجملة كان له دين في الجملة ومن كان له عقل في الجملة كان له مروة في الجملة ويحتمل ان يكون النفي فيهما واردا على الكمال كما هو الشائع
في استعمال نحو هذا الكلام والمعنى لا يتحقق كمال الدين لمن ليس له كمال المروة ولا يتحقق كمال المروة لمن ليس له العقل فينتج لا يتحقق
كمال الدين لمن ليس له كمال العقل والمقدمتان ايضا ظاهرتان ولا يجوز ان يراد في الاولى نفي الحقيقة وفي الثانية نفي الكمال او
بالعكس لفقد الارتباط حينئذ بين المقدمتين مع عدم الانتاج لعدم تكرر الاوسط وفي الاولى اشارة الى ان الدين مربوط بالمروة وفي الثانية الى انسب بما بعده ولما بين
عليه السلام ان المروة والانسانية بالعقل وكان كل واحد منهما مستورا لا يدركه الحواس وكانت ادلة على البواطن كما اشار الى
الذي يعرف ذلك بترك الدنيا وعدم الركون اليها والى ان مراتبه متفاوتة في الشدة والضعف بقوله وان اعظم
الناس قدرا الذي لا يرى الدنيا لنفسه خطرا الخطر الحظ والنصيب والقدر والمنزلة والسبق يتراهن عليه وقد

اخطر المال اى جعله خطرا بين المتراهنين في بحوزه اراده كل واحد منهما والمعاني هنا الاولان وظاهران لان قدر
الناس عند الله سبحانه في الدنيا والاخرة متفاوتة في الفضل والكمال والقرب والبعد واعظمهم قدرا من لا يرى
الدنيا حظا ونصيبا وقدرا ومنزلة لنفسه ولا يلتفت اليها اصلا لتنور قلبه بضوء عقله واشراق لبه بنور ربه
فغاد بحيث لا ينظر الا اليه ولا يرغب الا فيما لديه ولعلمه بان الدنيا والاخرة عدوان متفاوتان وسبيلان
مختلفان وهما بمنزلة المشرق والمغرب وان من احب الدنيا ولاها ابغض الاخرة وعاداها وان من مشى الى
احديهما بعد عن الاخرى وان مرارة الدنيا حلاوة الاخرة وحلاوة الدنيا مرارة وان الدنيا سوبقة زهراتها
موبقة مهلكة شهواتها باقية آفاتها دايمة كدوراتها حايلة بين المرء والطاعة لذاتها فلذلك ترك الدنيا
من وراء ظهره وصار الى حضرة المولى فصار عنده اعظم قدرا وارفع مكانا واعلى شانا ووجيها في الدنيا والاخرة
ومن المقربين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون واما الاخير فلان الناس في هذه النشأة بمنزلة اهل السباق
والرهان يتسابقون لاغراض مطلوبة وغايات مقصودة واعظمهم قدرا عند الله من شرق عقله وكمل علمه
فصار بحيث لا يرى الدنيا وزهراتها ولذاتها الزايلة ومقتنياتها الباطلة خطرا وسبقا لنفسه اصلا بل غرضه
من السباق وغايته من الاستباق هو الفلاح بالسعادات الاخروية والفوز بالمكاشفات الربوبية والدخول
في زمرة الابرار وفي جنات تجري من تحتها الانهار وبالجملة ترك الدنيا دل على كمال العقل والعلم وظاهر ان العالم الكامل العقل
اعظم قدرا عند الله من غيره واما ان ابدانكم ليس لها ثمن الا الجنة فيه تنبيه للغافلين في ايقاظهم من نوم غفلتهم و
ترغيب للسالكين في الزهادة عن الدنيا وتحريص للعاملين على تحمل المشقة والعنا بتوقع رفع المنزلة وعظيم الجزاء
بنوع من التشبيه والتمثيل وتلميح الى قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة اى اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة حيوة السرمدية بالاتقى ونعيمها الابدية بالاموال فالمشتري
هو الله تعالى والبايع هو النفوس البشرية والمبيع هو الابدان والثمن هو الجنة العالية الباقية والدنيا وان
التسليم فارتضوا بهذا البيع واستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وسلموا المبيع الى المشتري لتستفيدوا الربح العظيم
فان البايع اذا قصر في تسليم المبيع حتى هلك انفسخ البيع وبطل الربح قيل وفي جعل الجنة ثمن الابدان اشارة الى
ان ثمن النفوس المجردة هو الله تعالى فكانه عليه السلم قال الا ان ابدانكم ثمنها الجنة فلا تبيعوها بغيرها واما نفوسكم المجردة
والارواح القدسية فانما ثمنها هو الله سبحانه والفنا المطلق فيه وفي مشاهدة الوجه الكريم فلا تبيعوها بغيره وكان
البيع منوطا بالرضا وكان عليه السلم هو الناصح الامين رغبهم في هذا البيع لما فيه من المصالح الدنيوية والمنافع الاخروية

فنحم

ونهاهم عن بيع ابدانهم بالدنيا الفانية الزايلة الخاسرة الغرارة المكارة فلا تبيعوها بغيرها يعني يجب عليكم
ان لا تعاملوا الشيطان ولا تبيعوا الابدان بالدنيا وشهواتها فان من اثر متابعة الرحمن على متابعة الشيطان فاولئك
هم الرابحون ومن عكس فما ربحت تجارتهم واولئك هم الخاسرون وينبغي ان يعلم ان العبد في الدنيا تاجر وهو في
محل الخطر بنفسه وماله فلا بد ان لا يغفل لحظة من حاله فان الشيطان قاطع الطريق مترصد في اغتياله فينتهض
للفرصة في اضلاله والمشتري وهو الله تعالى عالم باحواله ولا يقبل الا السليم والجيد من اعماله واقواله وافعاله فيجب
عليه ان يتجهد ان لا يكون من الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين باب ثم ان
امير المؤمنين عليه السلم كان يقول من علامة العاقل علامة الشيء ما يعرف به ذلك الشيء وللعاقل علامات كثيرة كما
يظهر لمن تتبع احاديث هذا الكتاب وغيرها والمذكور هنا ثلثة كلها لتكميل الغير اثنان منها لتكميل العلم وواحد
لتكميل العمل او لتكميل العلم والعمل جميعا ان يكون فيه ثلث خصال يريد ان كل واحدة منها علامة بدليل ما بعده
يجيب اذا سئل لان الجواب على نهج الصواب عقيب السؤال دل على كمال المجيب لطهارة عقله ونضارة ذهنه ومهارة
طبعه في العلوم ولذلك قال امير المؤمنين عليه السلم تكلموا تعرفوا فان المرء مخبو تحت لسانه وقال ايضا قدر كل امرء ما يحسنه
فتكلموا في العلم تبين اقداركم ولان هذا الجواب ينفع السائل لانه تنور قلبه بالحكمة وايصال النفع من الصفات
الجليلة والسمات العلية للعاقل كما يرشد اليه قول امير المؤمنين عليه السلم خير القول ما نفع وقوله ايضا لا خير في علم لا ينفع
وقيل يعني لا ينفع صاحبه غيره بل فيه مضرة لقول النبي صلى الله عليه وآله من سئل عن علم علمه ثم كتمه الجم يوم القيمة بلجام من نار وهذا
يفيد وجوب الجواب عقيب السؤال ويستثنى من ذلك ما اذا كان الجواب موجبا للمضرة والترك مشتملا على مصلحة
كالتقية ونحوها يدل على ذلك ما رواه المصنف عن الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن الوشا قال سالت الرضا عليه السلم
فقلت له جعلت فداك فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فقال نحن اهل الذكر ونحن المسئولون قلت فانتم
المسئولون ونحن السائلون قال نعم قلت حقا علينا ان نسئلكم قال نعم قلت حقا عليكم ان تجيبونا قال لا ذاك الينا
ان شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل اما تسمع قول الله تعالى هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب وبالجملة العاقل
حكيم يجيب ان راى الجواب خيرا ويترك الجواب ان راى تركه خيرا وترك الجواب والصمت لمصلحة ايضا من علامات العاقل
وقد نقل بعض ارباب السير ان رجلا من اهل العراق حج بيت الله الحرام وغلبة النوم ليلة في المسجد الحرام فاعطي
في المنام تعبير الرؤيا فلما رجع الى بلده اشتهر بذلك حتى كان الناس ينقلون اليه من البلدان البعيدة لاستعلام
رؤياهم ويجيبهم ويعبرهم ولا يخطي اصلا ونقل من جملة تعبيراته حكايات مزخرفات ومنامات مفتريات

على سبيل السخرية والاستهزاء وكان ذلك الرجل ساكتا في كل ما يقول ولم يجبه اصلا فقال له الامير يعلى مالك
الكلام لا ينبغي ما تتكلم فقال ايها الامير نحن نتكلم اذا كان السائل مستفهما لا اما اذا كان مستهزيا ومتعنتا فاستحسن
عقله وتدبيره فعززه وقربه وينطق اذا عجز القوم عن الكلام بالحكمة الالهية والاسرار الربوبية والقوانين
الشرعية والاخلاق النبوية والسياسات المدنية وغيرها لشدة خوضه في العلوم والحقايق وكثرة غوصه
في بحار المعاني والدقايق اما بتعلم ومناظرة مع العلماء في مدة طويلة واوقات من الزمان او بمكاشفات والهامات
لكثرة افكار ورياضات تحصل له بذلك كمالات لازمة وسعادات دايمة وملكات ثابتة واحوالات راسخة
حتى يعرج بذلك الى مرتبة التعليم بعبارات لايقة ودرجة التفهيم بكلمات رايقة ومنزل التقويم بتقريرات
واضحة كما هو شان العلماء ودأب الحكماء وطرز العقلاء فدل ذلك على كماله في عقله وتفوقه في فضله وتقدمه
في جلال قدره وكمال نبله ومن ههنا يظهر ان امير المومنين عليه السلم مقدم على الثلثة المتخلين الخلافة لعجزهم
عن معرفة كثير من الاحكام ورجوعهم اليه في كثير من مسائل الحلال والحرام وتشير بالراي الذي يكون فيه صلاح
اهله لان ذلك يتوقف على التميز بين الحق والباطل والحسن والقبيح والصحيح والسقيم والخير والشر في الاقوال
والاعمال والاخلاق كلها ثم اختيار افضل هذه الامور للاخوان والاشارة اليه شفقة عليهم وكل ذلك من اثار
الفضل وعلامات العقل ولذلك قيل من اشار على اخيه بامر يعلم ان الرشد فيه فقد كمل عقله وفاق فضله وظهر عدله
وهذه الفقرة من الكلمات الجامعة لشمولها جميع انواع الخير مثل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والامر بالاخلاق
المرضية والترغيب في امر الاخرة والتزهيد عن الدنيا مما يتم به نظام الدارين ويكمل به سعادة الكونين وقيل الفقرة
الاولى ناظرة الى التفاوت في النقليات والشرعيات والثانية الى التحقيق في المعارف والعقليات والثالثة الى معرفة التدبيرات
والسياسات في العمليات فمن لم يكن فيه من هذه الخصال الثلث شيء يعني لم يقدر على الجواب عند السوال وعلى النطق
عند عجز القوم وعلى الاشارة بما فيه صلاح اهله فهو احمق ناقص العقل لفساد قوته النظرية والعملية المعبر عنهما
بالعقل النظري والعملي قال في المغرب الحمق نقصان العقل عن ابي فارس وعن الازهري فساد فيه وكساد ومنه احمق
الثوب اذا بلي وانحمقت السوق اذا كسدت وقد حمق حمقا فهو حمق وحمق حماقة فهو احمق [illegible]
تاكيد للسابق وتقرير له ولذلك ترك العاطف قال لا يجلس في صدر المجلس الا رجل فيه هذه الخصال الثلث
وهي من اعاظم اصول حاجات الناس او واحدة منهن لان صدر المجلس لاصحاب العلوم الراسخة وارباب العلوم
الكاملة في فنون العلم والعمل ليرجع اليهم الضعفاء ويلوذ بهم الفقراء في تحصيل الكمال وتكميل الاحوال ويعظموهم

يحق

يحق التعليم والارشاد ويوقروهم بحق التقدم في المعرفة والعلم باحوال المبدا والمعاد وهذا صريح في ان تفاوت الرجال
في المجالس باعتبار تفاوتهم في الفضل والكمال لا باعتبار تفاوتهم في النسب والمال ويدل على ذلك قوله عليه السلم قيمة
كل امرء ما يحسنه وقول الصادق عليه السلم اعرفوا منازل الناس على قدر رواياتهم عنا وبالجملة التقدم على الاطلاق لرسول الله
ثم بعده لعلي ابن ابي طالب واولاده الطاهرين عليهم السلم ثم بعدهم لشيعتهم على تفاوت مراتبهم في العلم والعمل فمن
لم يكن فيه شيء منهن فجلس فهو احمق لانه وضع نفسه في غير موضعها ووضعها موضع اراذل الناس لانه رذل
وان كان في النسب لقول النبي صلعم ما استرذل الله عبدا الا حظر عليه العلم والادب وقول امير المومنين عليه السلم اذا
ارذل الله عبدا حظر عليه العلم وقال الحسن بن علي عليهما السلم اذا طلبتم الحوايج فاطلبوها من اهلها يمكن ان يراد بالحوايج
الحوايج الدينية اعني اصول المعارف والاحكام وفروعها وان يراد بها الحوايج الدنياوية وقد دل العقل
والنقل على قبح الطلب وذم السوال في امور دنيوية لان فيه خساسة وذلا وانكسارا ودنية واراقة
ماء الوجه وهي اشد واصعب من منية ولذلك قال امير المومنين عليه السلم الكرم تغافل عن كل دنية وان اتاك
الى الرغايب هي جمع الرغيبة يعني العطاء الكثير وفي الخبر ايضا لان ياخذ احدكم حبلا فياتي بحزمة حطب على ظهره
فيبيعها فيكف بها وجهه خير له من ان يسال الناس اعطوه او منعوه وان اضطر فهو وليس كالاضطرار
الا لقلة البصيرة وضعف اليقين بالله لان من توكل على الله فهو حسبه فاطلبوها من اهلها لانه ان قضاها
قضاها بلا منة ولا استهانة وعلى وجه جزيل وان ردها ردها بوجه حسن وعلى وجه جميل ولا تطلبوها
من غير اهلها لان تلك دنية حاضرة وذلة ظاهرة وفوت الحوايج احرى واهون منها قيل يا ابن رسول الله
ومن اهلها قال الذين قص الله في كتابه وذكرهم فقال انما يتذكر اولوا الالباب قال هم اولوا العقول الخالصة
عن شوايب النفس والاوهام ان اريد بالحوايج الحوايج الدينية فالرجوع فيها الى اولي الالباب وطلبها منهم ظاهر لانهم
العارفون بالمعارف والاحكام وساير الناس فقراء يحتاجون الى السوال منهم والاخذ من خزاين عقولهم وكذا
ان اريد بها الحوايج الدنياوية لانهم بسبب كمال عقلهم وعلو طبعهم وشدة محبتهم ومودتهم بخلق الله انما يقضون حوايجهم
على الوجه الاحسن كما روي ان سايلا سأل الرضا عليه السلم فقال له اجلس رحمك الله فدخل الحجرة وبقي ساعة ثم
خرج ورد الباب واخرج يده من اعلى الباب وقال للسائل خذ هذه المايتي دينار واستعن بها على مؤنتك ونفقتك
وتبرك بها ثم خرج بعد ذهاب السائل فقيل له جعلت فداك لقد اجزلت ورحمت فلماذا سترت وجهك عنه
فقال لئلا ارى ذل السوال في وجهه لقضائي حاجته واما برده فهم على الوجه الاحسن حتى يرشد ويعلم

الى ما يحصل به قضاء حوايجهم كما روى ان رجلا اشتدت فاقته فقالت له امرأته لو اتيت رسول الله فسألته
فجاء ليسأله فلما رآه النبي صلى الله عليه وآله قال من سألنا اعطيناه ومن استغنى اغناه الله فقال الرجل ما يعني غيري فرجع
الى امرأته فاعلمها فقالت ان رسول الله بشر فاعلمه فاتاه فلما رآه قال من سألنا اعطيناه ومن استغنى اغناه الله
فقال الرجل ما يعني غيري فرجع الى امرأته فاعلمها فقالت ان رسول الله بشر فاعلمه فاتاه فلما رآه قال من سألنا
اعطيناه ومن استغنى اغناه الله حتى فعل ذلك ثلثا ثم ذهب الرجل واستعار معولا واشتغل بالاحتطاب
وابتاعه حتى اشترى بكرين وغلاما ثم اثرى حتى ايسر فجاء اليه صلى الله عليه وآله فاعلمه كيف جاء يسأله وما
سمع منه فقال صلعم قلت لك من سألنا اعطيناه ومن استغنى اغناه الله فانظر رحمك الله الى جلالة قدر
العقلاء ونبالة حالهم وعظمة شأنهم حيث جعلهم الله سبحانه منارا في بلاده بهم يعرفون معالم الدين
ويصعدون الى اعلى معارج اليقين وملاذ العباد بهم يتوسلون في تحصيل المطالب ويتمسكون في تيسير
المآرب تلك نعمة يمن بها على من يشاء من عباده وهو الحكيم العليم وقال علي بن الحسين عليهما السلم مجالسة الصالحين
داعية الى الصلاح لان كلامهم يعمر قلب الانس ويلين طبع الجليس ويخرجه من الغفلة والنسيان ويذكره ثواب
الابد ونعيم الجنان ويحببه بالموعظة العليا وسعادة العظمى والزهادة عن الدنيا حتى يصير تكونه كتكونهم
وتلونه كتلونهم فيرتقي بذلك على معارج القدس ويرتع في رياض الانس الا يرى ان من عقد خدمة النبي في وسط
روحه كيف فتح الله عليه ابواب فتوحه ومن قارن بيضاء سماء الولاية ولازم نير فلك الامامة واخذ
جواهر المعاني من زواهر كلماته واقتبس انوار الحقايق من ضوء مشكوته كيف نور الله بذلك بهجته وزاد
بهاءه وبهجته وقد يرشد الى ذلك قول امير المؤمنين عليه السلم قارن اهل الخير تكن منهم وباين اهل الشر
تبن عنهم اي تتميز عنهم وفيه حث عظيم على وجوب مفارقة الفاسقين والاجتناب عن الظالمين والفرار
عن اولياء الشياطين حتى كان تقاربهم موجبا للاتحاد بين الاثنين وذلك لان جليس اهل الشر يتخذ منهم
اعمال الشر بدارا كما ان الحديد بمجاورة النار يصير نارا اذ قد اجتمع على تلك الاعمال بواعث من الطبع
ووساوس من الشيطان وتدليسات من مردة الانس وتلبيسات من اهل الخذلان فيوحي بعضهم الى بعض
زخرف القول غرورا ويزين كل لصاحبه باطلا وزورا وآداب العلماء زيادة في العقل الاداب جمع ادب قال
في المغرب الادب ادب النفس والدرس وقد ادب فهو اديب وادبه غيره فتادب واستادب وتركيبه يدل
على الجمع والدعاء ومنه الادب لانه يادب الناس الى المحامد اي يدعوهم اليها عن الازهري وعن ابي زيد الادب

اسم

اسم يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الانسان في فضيلة من الفضايل والمقصود ان آداب العلماء موجبة لزيادة في
عقل من جالسهم وعروجه من حضيض النقص الى اوج الكمال والوجه في ذلك مع ظهوره ان عقول العلماء مشرقة
مضيئة في سماء الابدان كالشمس فانقشعت عنهم سحايب الحجب وظلمات الغشاوة الى ان شاهدوا العلوم
الالهية والحكمة الربانية واذا قابلت العقول الناقصة القابلة عقولهم استعدت بذلك لان تتنور
بنورها وتستضئ بضوئها كما ان القمر المقابل للشمس يتنور بنورها ويستضئ بضوئها وعلى حسب ذلك ينكشف
عنها الحجاب والعوايق ويحصل لها الترقي الى عالم العلوم والحقايق ولذلك قال ابو الحسن موسى بن جعفر
عليهما السلم محادثة العالم على المزابل خير من محادثة الجاهل على الزرابي وطاعة ولاة العدل تمام العز لما كان
الانسان اسير النفس الامارة بالشهوات والقوى الداعية الى اللذات وكانت اهواؤهم لذلك مختلفة وآراؤهم
متباعدة وقلوبهم متفرقة كانت استقامة نظام احوالهم في امر معاشهم ومعادهم محوجة الى سلطان قاهر وحاكم
زاجر تأتلف برهبته النفوس والاهواء وتجتمع بهيبته القلوب والآراء وتنكف بسطوته الايدي العادية
اذ في طباعهم من حب المغالبة على ما آثروه والقهر لمن عاندوه ما لا ينكفون عنه الا بمانع قوي ورادع ملي
وزاجر جلي وقد افصح المتنبي عن ذلك حيث قال لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم
والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا تظلم والعلة المانعة من الظلم عند الاستقراء ترجع الى امور اربعة
اما عقل زاجر او دين حاجز او عجز مانع او سلطان رادع والسلطان القاهر ابلغها نفعا واعظمها ردعا لان
العقل والدين ربما كانا مغلوبين بدواعي الهوى والعجز قد ينتفي كما هو المشاهد في الاكثر فتكون رهبة السلطان
اقوى ردعا واعم نفعا ثم السلطان الجائر وان كان رافعا للفتنة من بعض الجوانب لكنه جالب لها من جوانب
فلا خير فيه من جهة ما هو جائر فلا بد من ان يكون السلطان عادلا ليكون دافعا للفتنة بالكلية مانعا من وقوع
الهرج والمرج والذل والخسران في الخلق ولكثرة نفعه لهم امنوط بطاعتهم ومتابعتهم له فوجب عليهم الوفاء بذمامه
والاستماع الى كلامه والاتباع لافعاله واعماله واللزوم للالفة والتعاون عليها والتواصي بها والاجتناب
عن الفرقة وغيرها مما يكسر فقرتهم ويوهن قوتهم من تضاغن القلوب وتناجز الصدور وتدابر النفوس
وتخاذل الايدي ليحصل له قوة لدفع كيد المعاندين وشر الظالمين ومكر الحاسدين وطعن الملحدين عن حوزة المسلمين
وعرض المؤمنين فتحصل لهم العافية وتكمل لهم النعمة وتجري عليهم العزة والكرامة ويكونون من انصار المعزين
وارباب في الارضين وملوكا على رقاب العالمين ولو تركوا طاعته واختاروا فرقته وجانبوا الفته وجحدوا

كلمته وكسروا سوكته وتشعبوا مختلفين وتفرقوا متحاربين خلع الله عنهم لباس كرامته ووداع عزته
وغضارة نعمته فيستولى عليهم الاعداء ويتخذونهم عبيدا ويسومونهم سوء العذاب وهم متحيرون
في ذل الهلكة وقهر الغلبة لا يجدون حيلة في امتناع ولا سبيلا الى دفاع واستثمار المال تمام المروة اى
استثمار المال واستنماؤه بالتجارة وغيرها من انواع الاكتساب تمام الانسانية وكمال الرجلية لما فيه من الاستغناء
عن الناس والسعى للتوسعة على الاهل والتعطف على الجار والاقتدار على قضاء الحوائج والاتيان بساير ابواب
البر من مصالح الدنيا والاخرة وقال الصادق عليه السلم اصلاح المال من الايمان وقال ايضا عليك باصلاح المال فان فيه
منبهة للكريم واستغناء عن اللئيم والاخبار المرغبة في كسب الحلال والاستغناء عن الناس وجعله وسيلة الى السعادات
الاخروية والتقرب بالقربات الحسنة وصرفه في وجوه البر اكثر من ان تعد وتحصى وانما المذموم من جعل الدنيا
لنفسه استقرارا ورضى بها دارا واطمئن بها وركن اليها وجعلها آلة لشهوات الباطلة واللذات الزايلة وفي
الحايلة بينه وبين السعادة الابدية وقد روى ان الدنيا دنياان دنيا محمودة وهي ما يوجب التقرب من الله
ودنيا ملعونة وهي ما يوجب البعد عن رحمته ويحتمل ان يكون استثمار المال كناية عن اخراج الزكوة لان اخراج
الزكوة يوجب نمو المال ولذلك سمى المخرج من المال زكوة ويدل عليه قول امير المؤمنين عليه السلم ان الله وضع
الزكوة قوة للفقراء وتوفير الاموالكم وارشاد المستشير قضاء لحق النعمة الاستشارة امر مرغوب فيه شرعا
وعقلا والروايات المرغبة فيها متظافرة وقد امر الله تعالى بها سيد المرسلين وهو اعقل العاقلين فقال وشاورهم
في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله فمن اهتم بامر ولم يعلم ان الخيرة في فعله او في تركه فعليه ان يستشير بذى
الراى المتين فانه سبحانه يلهمه الخير والشر وعلى المستشار ان لا يخونه فان من خان مسلما فقد خان
رسول الله صلعم ومن خان رسول الله فقد خان الله ومن خان الله اخزاه الله في الدنيا والاخرة وسلب عنه
نعماءه ورحمته وعليه هدايته وارشاده الى ما هو خير له قضاء لحق النعمة اى نعمة المستشير عليه لان
تفويض المسلم امره الى اخيه واتكاله على رايه فيه نعمة عليه او المراد بالنعمة عقل المستشار لان العقل
من افضل نعماء الله على عباده او المراد بها اعم من ذلك وعلى التقادير ارشاده سبب لقضاء حقها واستبقاء لها
واضلاله سبب لفسادها ويرشد اليه قول امير المؤمنين عم ان لله عبادا يختصهم بالنعم لمنافع العباد فيقرها في ايديهم
ما بذلوها فاذا منعوها نزعها منهم ثم حولها الى غيرهم وكف الاذى من كمال العقل قال في المغرب الاذى ما يؤذيك
واصله المصدر وقال في المحيط هو اذى اى شىء مسعد وكانه يؤذى من يقرب به قذرة وكراهة والتاذى ان يؤثر فيه
الاذى

الاذى قول الاذى لفظ شامل لجميع انواع الخصال المذمومة مثل الضرب والشتم والهجو والغيبة والتهمة وغيرها
وغيرها وانما كان كف الاذى من كمال العقل لان العاقل يعلم ان الغرض الاصلى من الخلق هو الوصول الى جنات عزته
والطيران في حظاير قدسه باجنحة الكمال مع الملائكة المقربين وان ذلك كما يتوقف على عبادة الرحمن
كذلك يتوقف على كف الاذى من الاخوان فكما ان صرف الهمة في العبادة من كمال العقل كذلك صرف النفس عن الاذى
واما المؤذى فهو بمنزلة البهايم والسباع عار عن حلية العقل ويعلم ايضا ان ترك الاذى يوجب التعاون
والتعاطف والتراحم والتوصل والتناصر والتواخي والتالف والتودد والاجتماع وكل ذلك مما يقتضيه كمال
العقل ويعلم ايضا ان ترك الاذى يدل على حلمه واناته ورفقه واشفاقه وعلمه بعواقب الامور وهي من اثار العقل
ويعلم ايضا ان ايذاء المسلم نقصان في الدين وخروج منه لقوله عليه السلم المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه فلذلك
يتركه طلبا لكماله وانه من كمال العقل ولا تفاوت في هذا الحكم بين كف نفسه عن اذى الغير او كف غيره عن اذى احد وفيه
راحة البدن عاجلا واجلا لان الدنيا والاخرة دار المكافات فمن ترك الاذى سلم عن الافات اما الاخرة فلقوله
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقوله سيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون وقول
امير المؤمنين بئس الزاد الى المعاد العدوان على العباد وقوله يوم المظلوم على الظالم اشد من يوم الظالم على المظلوم
الى غير ذلك من الايات والروايات واما الدنيا فلقوله عليه السلم من سل سيف البغى قتل به ومن حفر بئرا لاخيه وقع
فيها ولان المظلوم ان كان في قوة فقد الحق المؤذى نفسه الى التهلكة وان لم يكن في قوة اضمر العداوة وتربص
الفرصة لايقاع المكروه به كما هو المعلوم من احوال ابناء الزمان وايضا قد يرفعه الدهر وليس ذلك من الدهر
ببعيد فالمؤذى دائما في معرض الهلاك وقد يقال الناس كاملون وناقصون والناقص نقصانه اما بحسب
الدنيا او بحسب الاخرة والنقصان بحسب الاخرة اما بحسب العمل او بحسب العلم والنقصان بحسب الدنيا اما في الجاه والعزة
او في المال والثروة والكامل من حقه ان ينفع غيره او يدفع الضرر عنه فصارت الاقسام ستة اربعة
من جهة النقص واثنان من جهة الكمال فقوله عليه السلم مجالسة الصالحين داعية الى الصلاح اشارة الى الناقص
من جهة العمل المفتقر الى من يدعوه الى الصلاح وقوله واداب العلماء زيادة في العقل اشارة الى الناقص في العلم
المفتقر الى التعلم وقوله وطاعة ولاة الامر تمام العز اشارة الى الناقص بحسب الدنيا من جهة العزة وقوله واستثمار
المال تمام المروة اشارة الى الناقص بحسب الدنيا من جهة المال فهذه اقسام الناقصين وعلاج جميعهم بالمعاشرة
والصحبة وقوله وارشاد المستشير قضاء لحق النعمة اشارة الى الكامل النافع لغيره وقوله وكف الاذى

تمام العقل اشارة الى الكامل الدافع للضرر عن الغير باهشام ان العاقل لا يحدث من يخاف تكذيبه لان العاقل لا يعين
غيره بالاثم والعدوان ولا يسعى على نفسه بالاستهانة والخذلان بل يحفظ قدره وشرفه ويجتنب عن تحديث
من يكذبه كما يجتنب عن الذنوب والعصيان او اشد اجتنابا لقول امير المؤمنين عليه السلام اشد الذنوب ما استهان به
صاحبه ولان المكذب للعاقل جاهل ورؤيته ومجالسته شوم فكيف تحديثه ومحاورته ولان تحديثه مع
احتمال تكذيبه ربما يجر الى الخصومة والجدال وقد ورد النهي عنهما ولا يسال من يخاف منعه لان اصل السوال والطمع
عما في ايدي الناس ذل والخيبة بالمنع وعدم الانجاح ذل آخر فالعاقل لا يسال غيره ما استطاع لقول امير المؤمنين
عليه السلام ان استطعت ان لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل فانك مدرك قسمك وآخذ سهمك
وان اليسير من الله سبحانه اكرم واعظم من الكثير من خلقه وان كان كل منه وان اضطر اليه ونظر الى ان
المال في ايدي العباد مال الله في الحقيقة قد ملكهم التصرف فيه وان هذا العالم عالم الاسباب فلا يسال
قطعا من يخاف منعه تحاشيا عن ذل في ذل وانكسار في انكسار واراقة ماء الوجه بلا منفعة اصلا و
تمسكا بقوله عليه السلام ماء وجهك جامد فانظر عند من تقطره وبقوله لقلع ضرس ونقل حبس ونزع
نفس ودواء سقم وحمل عار ونفخ نار وبيع دار بعشر فلس وقود قرد ونسج برد ودبغ جلد بغير شيء وقتل
غم وشرب دم وحمل غم ونقل رمس اهون من وقفة بباب تلقاك حجابها بعبس ولا يعد ما لا
يقدر عليه لان خلف الوعد من صفة النفاق وصنع اللئام وفيه مذلة حاضرة وخساسة ظاهرة
يستنكفها اصحاب العقول الخالصة وقد روي عن ابي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
ثلث من كن فيه كان منافقا وعد منها خلف الوعد ولاظهار شرف الوفاء به وسمو رتبته وعلو درجته
ذكره الله سبحانه في القرآن العزيز وقدمه على وصف الرسالة والنبوة وغيرهما من الصفات العالية مثل الامر
بالصلوة والزكوة فقال واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وقيل معناه ان العاقل
لا يعد احدا امرا من الامور حتى يعلم انه قادر على اتمامه والبلوغ الى نهايته وكانه قرا لا يعد بتشديد الدال من الاعداد
والظاهر انه تصحيف ولا يرجو ما يعنف برجائه التعنيف اللوم والتعيير والرجاء هي الصورة الحاصلة في النفس
من تقدير شي وتصويره فيها واكثره يستعمل فيما يتمنى بلا روية وفي النهاية الرجا التوقع والامل والمراد به هنا طلب
ما لا يستحقه ولا يليق بحاله كما هو من صنايع النوكى وشرائع الحمقى مثل ان يطلب الفقير حصول السلطنة والجاهل الغبي
التطلع بالاسرار اللاهوتية ويدعي المبتدي في العلم رتبة الاستادين الكاملين ورجا امثال ذلك من لوازم الجهالة ولوا

الغباوة

الغباوة لا من صفة العلماء وسمة العقلاء فان العاقل العالم لانارة قلبه واضاءة ذهنه وانفتاح عين بصيرته
له حاجز عن ذلك ونور يستبين به العواقب ويترك به القبايح ويجتنب عن رجاء ما لا يليق به وينزل نفسه في مكانها
ويطلب الاشياء في مظانها رحم الله عبدا عرف قدره فلم يتجاوز طوره ولا يتقدم على ما يخاف فوته بالعجز عنه قرا بعض
العلماء قوته بالقاف المضمومة وتشديد الواو وقال اي على قوته فالنصب على نزع الخافض والنسخ التي رايناها بالفاء
المفتوحة والواو الساكنة يعني ان العاقل لا يقدم على فعل يخاف فوته ولا يرتكبه تحرزا عن لحوق اللوم بسبب العجز
عنه واسائه بسبب العجز عن الاتيان به على وجه الكمال وكذا لا يقدم على قول وفعل في غير وقتهما لانه يعلم ان
الاشياء مرهونة باوقاتها ومن اقدم عليهما في غيرها عجز عنهما واذل نفسه وقال الصادق عليه السلام لا ينبغي للمؤمن ان
يذل نفسه قيل له وكيف يذل نفسه قال يتعرض لما لا يطيق وفي رواية اخرى عنه عليه السلام قال لا يدخل فيما يعتذر
منه علي بن محمد عن سهل بن زياد رفعه قال قال امير المؤمنين عليه السلام العقل غطاء ستير العقل جوهر مجرد له مراتب
متفاوتة في النقص والكمال باعتبار التفاوت في العلم والعمل والكشف حتى يبلغ غاية الكمال التي تختص بعقول
الانبياء والاوصياء عليهم السلام والمراد بالعقل هنا نوعه في ضمن اي صنف وجد غير الصنف الذي هو في غاية الكمال سواء كان
من جهة المكاشفة او من جهة الاكتسابات تجربية ان هذا الصنف لا يحصل الا بعد قتل شهوات النفس وهواها والغطاء
كالكساء ما يغطى به ويستر به مثل الثوب ونحوه وسمي العقل غطاء على سبيل التشبيه لانه يستر القبائح الظاهرة
والمفاسد الفاضحة والعيوب الباطنة بالمدافعة والممانعة ووصفه بستير بمعنى ساتر على سبيل الكشف والايضاح
او بمعنى مستور لان العقل جوهر مجرد مستور عن الحواس لا يشاهد الا من آثاره واحواله كما اشار اليه بقوله والفضل
جمال ظاهر والمراد بالفضل المجنود الاتية مثل الرافة والرحمة والعفة وامثالها ووجه ظهورها انها او ما
حصل له من العلوم الحقيقية والمعارف اليقينية والاخلاق النفسانية وظهورها اما لانه يظهر في بعض الاوقات التعليم
والتفهيم او لان اكثره يحصل من طرق الحواس ولما كان مقتضى العقل هو التقرب من الخالق وتحصيل المحبة والاتصال بالحق
وتكميل المودة ليتم له سعادة الدارين ونظام النشاتين ومقتضى النفس ضده اعني الميل الى انواع الشهوات وانواع
المستلذات ولو بالغلبة الموجبة لعداوة الخالق والمخلوق وكان بينهما تدافع وتعارض وكان كل منهما ممدة معين
اما معين العقل فهو العلوم والمعارف وما اعطاه من الاخلاق والاعمال المرضية وهي جنوده الاتية واما معين
النفس فهو ما قد لها من الاخلاق الرذيلة وهي جنودها الاتية واشتغال الحواس والقوى بتحصيل متمنياتها
وتكميل شهواتها اراد عليه السلام ان يبين لنا طريقا به يقطع التنازع بينهما ويحصل القوة للعقل ويغلب على النفس

ويصل الى مقصوده فقال فاستر خلل خلقك بفضلك ان كان خلقك بضم الخاء فالمراد بخلله رذايل الاخلاق النفسانية

كالغضب والحسد والجور ونحوها وان كان بفتحها فالمراد بها هذه والطرق الموصلة للصور الشهية المحسوسة

الى النفس اعني الحواس اليه يعني استر رذايل اخلاقك النفسانية وصور المحسوسات الشهوانية بعلمك وفضايل

صفاتك العقلية والمراد بسترها ومنعها بلطايف السياسات وظرايف التدبيرات فيقوى العقل بالفضل وتبقى النفس

مع المتمنيات وميلها الى اللذات بلا معين من خارج وداخل فتصير ضعيفة مغلوبة بحيث تقدر على قتلها بسيف

العقل ولذا اشار عليه السلم به حيث قال وقاتل بعد ما سترت عقلك قويا ونفسك ضعيفة هواك بعقلك

اي متمنيات نفسك ومهوياتها وذلك انما يتحقق بقتل النفس ويمكن ان يراد بالهوى مجازا من باب تسمية الشيء باسم

المسبب تسلم لك المودة وتظهر لك المحبة العقلان مجزومان بعد الامران سترت وقتلت تسلم لك مودتك

للخلق او مودة الخلق لك لخلوصك عما يوجب التباغض والتحاسد والتفارق وغيرها من منافرات الود والتئام

وتظهر لك محبة الله اياك او محبتك اياه او لعروجك بالعقل والفضل بلا معارض من النفس وهواها من رذايل الاخلاق

ووردها الى ساحة قدسه ومقام انسه في بعض النسخ وتظهر لك المحبة يعني وتظهر لك المحبة والغلبة بذلك على الخلق

فهم يقتفون آثارك واطوارك لحق رياستك ويتبعون افعالك واقوالك لحسن سياستك فيكمل لك منقبة الدنيا

وسعادة الآخرة هذا ما وصل اليه الفكر الفاتر والله اعلم بحقيقة كلامهم وليه عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد عن

علي بن حديد ضعفه الشيخ في كتابي الحديث وقال لا يعول على ما ينفرد بنقله وقال الكشي قال نصر بن الصباح انه

فطحي من اهل الكوفة وكان ادرك الرضا عليه السلم وروى عن ابي جعفر وابي الحسن عليهما السلم اما دل على مدحه وجواز الصلوة

خلفه والاخذ بقوله ولكن حكم بعض اصحابنا بضعف هذه الرواية عن سماعة بن مهران فطحي ثقة روى عن ابي عبد الله وابي

الحسن عليهما السلم وما قيل من انه مات في حيوة ابي عبد الله عليه السلم فهو غلط لانه يروي كثيرا عن ابي الحسن عليه السلم

قال كنت عند ابي عبد الله عليه السلم وعنده جماعة من مواليه فجرى ذكر العقل والجهل فقال ابو عبد الله عليه السلم اعرفوا

العقل وجنده الى اعوانه وانصاره وفيه مكنية وتخييلية والجهل وجنده تهتدوا مجزوم بالشرط المقدر ولعل

المراد بالمعرفة المعرفة مع اختيار جنود العقل لان الهداية لا تحصل الا بهما قال سماعة فقلت جعلت فداك الفداء

اذا كسر اوله يمد ويقصر واذا فتح فهو مقصور وعن المبرد الفداء ان تدفع رجلا وتاخذ رجلا والفدا ان

تشتريه وقيل هما بمعنى لا نعرف الا ما عرفتنا فقال ابو عبد الله عليه السلم ان الله خلق العقل وهو اول خلق من

الروحانيين الجار والمجرور ان كان خبرا بعد خبر اي هو اول خلق وهو من الروحانيين افاد الكلام ان العقل

يعني

١٣٢

يعني الجوهر المجرد الذي اول المبدعات ومقدم على غيره من الممكنات كلها في الفطرة والايجاد ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم

اول ما خلق الله العقل وان كان بيانا للخلق او صفة له او حال عنه افاد انه اول الخلق بالنسبة الى الروحانيين

واما انه خلق بالنسبة الى غيره من الممكنات كلها فلا الا اذا ثبت تقدم الروحانيين على ساير الممكنات في الايجاد

وثبوت ذلك خارج عن مفاد هذا الكلام فما قيل من ان فيه دلالة على ان العقل هو المبدع بالحقيقة وعلى الاطلاق

دون غيره من الممكنات لانها بتوسطه قد فوقه اما اولا فلانه لا دلالة فيه على تقدم العقل على غيره على الاطلاق

الا في بعض الاحتمال الذي هو ابعد الاحتمالات فلا يتم بذلك ما ادعاه واما ثانيا فلانه لا دلالة على ان غيره

العقل من الممكنات صدر منه لا بتوسط العقل وصرح بظاهر بل لا يبعد القول ببطلان ظاهر هذا الكلام لان بناء ظاهره

على تخليط الفلاسفة وهو ان ارسطو ومن تابعه من فلاسفة الاسلام كالفارابي وابن سينا قالوا ان البارئ

من حيث انه واجب الوجود يجب ان يكون واحدا ومن حيث انه واحد يجب ان لا يخلق الا واحدا اذ لو خلق

اثنين لكان ذلك باعتبار امرين مختلفين في ذاته وتلك كثرة تنافي ما وجب له من الوحدة وذلك الواحد

الصادر هو العقل ثم صدر عن ذلك العقل اربعة جواهر عقل ونفس وفلك مركب من جوهرين مادة وصورة

ثم صدر عن العقل الثاني اربعة جواهر ايضا ثم هكذا على الترتيب الى ان كملت عشرة عقول وتسع انفس

وتسعة افلاك ثم تحركت الافلاك فحدثت العناصر الاربعة التي هي الماء والهواء والنار والتراب

ثم تمازجت هذه العناصر فحدث العالم السفلي وهو ما تحت الفلك القمر عالم الكون والفساد وسموه

بذلك لان الاجسام العلوية اعني الافلاك العرية عن العناصر تركبت من المادة والصورة تركيبا لا يقبل

الخرق والانحلال والعالم السفلي تركبت من العناصر الاربعة تركيبا يقبل الانحلال فسموا ذلك التركيب والانحلال

كونا وفسادا ثم تركيب الموجودات في عالم الكون والفساد من آثار طبايع العناصر وآثار عالم الكون والفساد

قابلة لاختلاف الاشكال والصور وهي التي في العالم العلوي مناسبة غير قابلة لاختلاف الصور فالشمس

مثلا لا تقبل ان تكون على غير تلك الصورة وما يجري في العالم السفلي هو من آثار نفوس الافلاك وعقولها وكان اصل

الكثرة في الموجود الاول ان لا يخلق شيئا بالاختيار فايجاد العقل الاول انما هو بحسب الذات ايجاب العلة معلولها

فان العالم العلوي والسفلي لا يمتنع لوجودهما عندهم لان العلة والمعلول يوجدان معا وتقدم العلة على

المعلول انما هو بالذات لا بالوجود الى غير ذلك من المزخرفات القايلين هذا موضع استيفائها والاستدلال عليهم

على طريق البرهان واذا ضويقوا في المطالبة به قالوا لا تدرك هذه الامور بالبرهان فانما تدرك بالرياضة

او بالرياضيات فمن احكمها علم ذلك منزوتد و لا يخفى فساد هذا القول اما الرياضات فان الانبيا و الاوصيا لا يقدمون
في باب الرياضة و المكاشفة لم يخبروا بذلك و اما الرياضيات فعلى المحققون هذا اسخف لان الرياضيات كالهندسة
و الحساب و الهيئة و الموسيقى لا ارتباط بينها و بين المطلوب فان الهندسة تنظر في هيئة الجسم المتصل و الحساب
ينظر في الكم المنفصل و الهيئة تنظر في كيفية الاجسام و الموسيقى ينظر في ترتيب الالحان و تقطيعها على وجه معروف مخصوص
ثم انهم رضوا في القطعيات بالاعلام و الاظنا و الحق ان كل هذا باطل و الموجود الاول قديم وحده فاعل العقول و الاجسام
و الجواهر و الاعراض و لوازمها كلها بالاختيار على سبيل الحدوث لا بالايجاب و الى قدرته ينتسب الجميع خالق كل شيء لا اله
الا هو الواحد القهار و الروح يذكر و يونث و يجمع على الارواح و قد تكرر ذكره في القران و الحديث على معان
منها جبريل عليه السلام في قوله الروح الامين و روح القدس و منها سائر الملائكة و منها القوة التي تقوم بها الجسد
و تكون بها الحياة و منها القوة الناطقة الانسانية التي يعبر عنها الانسان بقوله انا و اختلف المتكلمون و الحكما و غيرهما
في حقيقته و قالوا فيه اقوالا كثيرة و ظنوا فيه ظنونا متقاربة صدرت عنهم عن غير بصيرة فانه لا يعلم حقيقته الا الله
سبحانه و من علمه من عباده كما قال جل شانه و يسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي و ما اوتيتم من العلم الا قليلا و هو مذهب
اكثر المتكلمين و ارباب المعاني و اهل الباطن و نقول في نسبة الواحد الروحاني و في نسبة جمع الروحانيين بضم الراء فيهما لانه من
النسب و زعم ابو عبيدة ان العرب تقول لكل شيء فيه روح و كان روحاني بالفتح اي طيب ثم الروحانيون
يطلق عليهم عالم المجردات و عالم الغيب و عالم الملكوت و عالم الامر كما يطلق على هذا العالم المحسوس عالم الماديات و عالم
الشهود و عالم الملك و عالم الخلق و قد يقال ان الروحانيين جواهر مجردة نورانية غير مفتقرة في وجودها الى محل
و جسمانيات فان كانت في فعلها و تصرفها مفتقرة اليها فهي نفس و الا فهي عقل او غيره و ان الانوار العقلية كلها حقيقة
واحدة لا تفاوت بينها في الماهية و عوارضها بل في الشدة و الضعف و الكمال و النقص في اصل النورية و الوجود و الله
اعلم بحقيقة الحال عن يمين العرش متعلق بخلق او حال عن الروحانيين و اليمين الجانب الاقوى و الاشرف خلاف الشمال
و العرش في اللغة سرير الملك و كونهم على يمين العرش كناية عن كرامتهم و علو منزلتهم و رفعة شانهم من بين المخلوقات لان من
علت منزلته تبوا من يمين الملك و في عرف الشرع يطلق على ثلثة امور احدها الفلك و ثانيها الجسم المحيط بسائر
الاجسام و هو الفلك التاسع و ثالثها العلم المحيط بجميع الاشيا و كل ذلك على سبيل التشبيه بسرير الملك و يمكن ارادة
كل واحد منها هنا اما الاول فلان الملك و هو عبارة عن جميع الكاينات له يمين و شمال و يمينه اي جانبه الاقوى
و اشرفه هو ما يلي المبدا الاول في ترتيب الايجاد فتقدمه فكل ما هو اقرب منه جل شانه في الايجاد فهو ايمن الى

الى ما بعده لكونه اقوى و اشرف و اما الثاني فلان في ذلك الجسم المحيط اذا سمي بالعرش كان له يمين و شمال كما كان لسرير الملك
ثم الكائن على يمينه من اهل الكرامة و المنزلة كالكائن عن يمين سرير الملك و اما الثالث فلمثل ما ذكرناه في الثاني او في الاول
باعتبار المعلومات لان العلم المتعلق باليمين يمين بالنسبة الى العلم المتعلق بما بعده و ان كان علمه بالاشيا و بسيطها
و المتكثرة انما هو في المعلومات و لا يبعد ان يقال يجوز ايضا اطلاق العرش على عالمين احدهما عالم الجسمانيات كلها و يسمى بالعرش
العقلاني و العرش الروحاني و يجوز ان يراد بالعرش هنا العرش الروحاني و يمينه اشرف جانبيه و هو ما يقرب من الحق
في سلسلة الايجاد و ان يقال يجوز ايضا ان يراد بالعرش القلب الانساني لانه عرش الرحمن و يمينه الجانب المايل الى الحق و شماله
الجانب البعيد عنه لانه قابل لسلوك الطريقين طريق الحق و طريق الباطل هذا و قيل المراد بالعرش هنا الجوهر المجرد الاول الذي
المسمى بالعقل و بالعرش العقلاني و هو بازاء الفلك التاسع المسمى بالعرش الجسماني و كل منهما في جانب يقابل الجانب الاخر و المراد
بيمينه مطلق جانبه و سمي يمينا للتشريف و التعظيم و قيل العرش جوهر متوسط بين العالم العاقل الثابت و بين
العالم المتغير المتجدد نفوسا كانت المتغيرات او اجساما و الله سبحانه اوجد الثابتات بنفس ذاته بلا واسطة
و اوجد المتغيرات بواسطة العرش و الثابت هو اليمين في سلسلة الايجاد لانه اقرب الى المبدا من نوره متعلق بخلق العقل
او خلقه من نور ذاته بلا واسطة و لا اعتبار مادة او حال عن العقل و الاضافة للتشريف و التكريم كما في عيسى روح الله
او حال عن الروحانيين بناء على ان الروحانيين كلهم نورانيون و العقل اولهم و افضلهم و على التقادير فيه اشارة
الى ان العقل نور رباني لانه يظهر به الحق عن الباطل و الصواب عن الخطا كما يظهر بالنور الاشيا المحتجبة بالظلام و ان
نورانيته مستفادة من نور ذاته سبحانه بلا توسط شيء نوراني غيره و لا تكدره بكدورة المواد الظلمانية و لذلك
اذا عري عن العوايق و انقطع عن العلايق اتصل بالخالق اتصالا لا انا ما و من ثم قيل لا منافاة في العالم الروحاني و يحتمل ان يراد
بالنور العدل و اطلاق النور على العدل استعمال شايع كما صرح به الغاو غيره في تفسير قوله و اشرقت الارض بنور
ربها و المعنى ان الله سبحانه خلق العقل خلقا ناشيا من عدله اذ لولا العقل لبطل الغرض من الايجاد لان الانسان فعدله اقتضى خلق
هذا النوع من المخلوق لئلا يفوت الغرض فقال له ادبر عن المنهيات و انزل الى العالم السفلي و المنازل الجسمية التي هي
في نهاية البعد عن العوالم الربوبية فادبر و اطاع امره عز شانه و انقاد لحكمه من غير ان يفارق نوريته و تجرده
و انما كان ادباره بمجرد اشراقات نوره في العالم الجسماني ثم قال له اقبل الى الطاعات و ما يوجب التزول في ساحة
لو احسنته من القربات او اقبل من مكاسل المواد الجسمية و منازل الظلمات البشرية و مظاهر الجهات الطبيعية الى عالم
المجردات النورية و منازل الشواهد الربوبية فاقبل طبعا لامره منقادا لحكمه تاركا لمعصيته مندرجا في الصعود

من طور الى طور حتى صار عقلا فعالا او ترقى حتى بلغ مرتبة عين اليقين وهناك رجع الى ما نزل منه وانتهى الى
ما بدا منه وقد مر مثل هذا الحديث وشرحه في صدر كتاب العقل الا ان بينهما مغايرة في الجملة لان ثمة امر بالاقبال
في السابق مقدم على الامر بالادبار وهنا بالعكس فان كانت القضية في الحالتين متعددة فالامر واضح والا ففيه اشكال
اللهم الا ان يقال كان في الواقع امر بالاقبال ثم امر بالادبار ثم امر بالاقبال ففي الحديث السابق لم يذكر الامر بالاقبال
قبل الامر بالادبار ومن مجموعهما يستفاد ما كان في الواقع فليتامل فقال الله تعظيما وتكريما له وحثا له على اداء شكر
هذه النعمة الجليلة خلقتك خلقا عظيما العظيم الحقيقي ليس الا هو الله سبحانه واما غيره فعظمته باعتبار قربه
منه والطاعة لامره وقد تحقق هذان الوجهان في العقل وكرمتك اي شرفتك وفضلتك ومنه ان
اكرمكم عند الله اتقيكم على جميع خلقي فيه ان العظمة والشرافة والفضيلة من باب التفضل منه من غير اشتراط
القابلية والاستعداد وان العقل اشرف من الملائكة المقربين قال ثم خلق الجهل ليس المراد بالجهل هنا الجهل المركب
اعني الصور العلمية الغير المطابقة للواقع ولا الجهل البسيط اعني عدم العلم عما من شانه العلم لان الطاعة والعصيان
غير متصورة فيهما ولا يلائم قوله فان عصيت بعد ذلك اخرجتك وجندك من رحمتي ولان الجهل بهذين المعنيين
من جنود الجهل المذكور هنا وجند الشيء غيره ولان الجهل بالمعنى الثاني امر عدمي والاعدام غير مخلوقة سواء كانت
سلوبا محضة او ملكات بل المراد به مبدا الشرور والقبائح كما ان المراد بالعقل مبدا الخيرات والمحاسن ويمكن
ان يراد بهذين المبدأين صفة النفس المسماة بالقوة الجاهلة وصفتها المسماة بالقوة العاقلة وان يراد بهما
ذات النفس اي الجوهر المجرد المدبر للبدن المحتاج في فعله وتصرفه اليه وذات الجوهر المستغني عن البدن في وجوده
وفعله الذي اذا حصل لغيره واشرق نوره فيه كان ذلك الغير عاقلا به واذا لم يحصل له وقام بذاته كان عقلا
وعاقلا ومعقولا وتسمية النفس بالجهل من باب المجاز لانها محل الجهل المركب والبسيط بل يمكن ان يقال انها من باب الحقيقة
لان النفس وان كانت مبدأ للجهالات ومنشأ للشرور كلها ومصدرا للصور الوهمية الكاذبة الباطلة و
مقتضيات القوى الشهوية والغضبية والبهيمية وسائر القوى البدنية لكن اذا تمكنت فيها هذه الرذائل
ورسخت فيها صارت جهلا محضا وشيطانا صرفا بعيدا عن الحق جل شانه وكلما ازداد التمكن في الرسوخ ازدادت
جهالتها وشيطنتها واحتجابها عن الحق حتى بلغت النهاية في الجهالة والغاية في الضلالة وصارت مقتدى [illegible]
وامام المتكبرين من البحر اجاج ظلمانيا الاجاج اي ملح مر ظلمانيا حال عن الجهل او عن البحر اجاج والمراد به
الاهي لانه مركز الطمع والرابعة على مذاق الشارحين وشام العارفين او المراد به مجموع الصفات النفسانية

١٢٦

التي بعضها حق وبعضها قبيح لتخمير النفس بها وهذا المجموع من حيث هو بمنزلة ماء البحر ممتزج بغبار الملكات الدنية
ومرارة الصفات الشنيعة وملوحة قبائح الآثار وخشونة فضائح الاطوار وعبر عنه بالبحر لدلالته على تراكم
تلك الصفات وكثرتها ووصفه بالظلمة لسترها انوار العقول حائلا بينها وبين بصيرتها او المراد به المواد البدنية
الهيولانية التي هي محض استعداد وعلة قابلية لتعلق النفس بها وتشخصها وعبر عنها بالبحر الظلماني لتراكم مياه الشرور
والصفات المتغايرة المتضادة فيها ولنسبتها اليها كنسبة البحر الى الامواج فقال له ادبر فادبر امره بالهبوط من عالم
الملكوت والنور الى عالم الظلمات والشرور والتوجه الى ما يلائمه من الشهوات والنظر الى ما فيه هواه من المستلذات
فهبط لما في ذلك من مصلحة وهي ابتلاء العباد ونظام البلاد وعمارة الارض اذ لولا ذلك لكان الناس بمنزلة الملائكة
عارين عن حلية التناكح والتناسل والزراعة وتعمير الارض وبطل الغرض المطلوب من هذا النوع من الخلق وبطل خلافة
الارض ولزم من ذلك بطلان الثواب والعقاب وعدم انكشاف صفات الباري وانجلاء حقائقها واثارها مثل العدالة
والانتقام والجبارية والقهارية والعفو والغفران وغيرها ثم قال له اقبل فلم يقبل امره بعد الادبار بالاقبال
اليه والرجوع الى ما هو اللائق به من المقامات العلية والكرامات الرفيعة التي لا يتيسر الوصول اليها الا بالانتقال من طور
اخس الى طور اشرف ومن حالة ادنى الى حالة اعلى من نشأة فانية الى نشأة باقية وهكذا من حال الى حال ومن كمال
الى كمال حتى يبلغ الغاية مشاهدة جلال الله ونهاية ملاحظة انوار الله ويرتع في جنة عالية قطوفها دانية
فابى السلوك في سبيل الرشاد والتقيد بربقة الانقياد والتمسك بلوازم الوعظ والنصيحة والانقلاع عن الافعال
القبيحة كل ذلك لشدة احتجابه بحجاب الظلمة وانغماسه في بحار ذمائم الصفات لتوهمه ان تلك الذمائم الخاسرة
والصفات الظاهرة والشهوات الحاضرة كمال له فاغتر بها وافتخر واخذها بضاعة له واستكبر فقال له استكبرت
فلعنه الاستفهام للتوبيخ والتعيير واللعن الطرد والابعاد من الخير يعني تركت امري [illegible] استكبارا
وجعلت الامتثال به مذلة وافتقارا واستبدلت الذي هو ادنى بالذي هو خير لجهلك بما يوجب غزارة العين
والسرور واختيارك تقيد الجهالة والشرور فلا جرم انت بعيد من الرحمة والسلامة مطرود عن مقام العز والكرامة
فان قلت من لعنه الله فهو مقيد بقيد العصيان مقيم بمقام الخذلان محروم عن الرحمة والجنان ابدا فما وجه قوله فان
عصيت بعد ذلك اخرجتك وجندك من رحمتي قلت اللعنة مشروطة بالاستكبار فان دام دامت وان زال بالتوبة
والانابة زالت لان الله يحب المفتن التواب ثم جعل للعقل خمسة وسبعين جندا في المغرب الجند جمع معد
للحرب وجمعه اجناد وجنود وفي الصحاح الجند الاعوان والانصار وفي عد كل واحد من الامور المذكورة

جندا باعتبار تكثر افراده وشعبه ولما كان الطريق الى الله مخوفا وفي كل قدم منه شعبة وعلى كل شعبة منه عدو
مقاتل وخصم مجادل يقود سالكه الى مهاوي الضلالة ومساوي الجهالة احتاج سلطان العقل في قطع هذا الطريق
الى اعوان وانصار يستعين بهم في دفع الاعداء والمحاربة معهم فاعطاه الله سبحانه بفضل رحمته وكمال رافته جنودا
تعينه في مواضع الجدال ومواطن القتال وتوصله على السلامة الى منازل القرب والكرامة وهي الجنود خمسة
وسبعون على ما في العنوان والمذكورة في التفصيل ثمانية وسبعون ولا منافاة بينهما اذ ليس في العنوان ما يفيد الحصر
الا مفهوم العدد وهو ليس بمعتبر كما بيناه في اصول الفقه وقال شيخ بهاء الملة والدين رحمه الله على ما نقل عنه لعل الثلثة
الزائدة احدى فقرتي الرجاء والطمع واحدى فقرتي الفهم واحدى فقرتي السلامة والعافية لجمع الناسخون
بين البدلين غافلين عن البدلية وسنشير الى توضيح ذلك في مواضعه ان شاء الله فلما راى الجهل ما اكرم الله به العقل
من تصفيته بنورانية الذات وتقويته بكثرة الجنود وشرائف الصفات التي يتضاعف بها اشراق قلوب العارفين بانوارها
وتضيء صدور السالكين باضائتها يسيرون الى اعلى المقامات وينالون اشرف الكرامات اضمر له العداوة بين العقل
والجهل تضاد بحسب الذات لان العقل جوهر نوراني والجهل كدر ظلماني وهذا يصلح ان يكون منشاء العداوة
ولذلك كانت العداوة بين العاقل والجاهل والمؤمن والكافر قائمة الى قيام الساعة كما قال سبحانه وبدا بيننا
وبينكم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة ولكن لما كان النور والظلمة متساويان في الغلبة والتدافع كان لم يحصل
للجهل من هذه الجهة عداوة وانما حصلت العداوة من جهة اكرام العقل بالجنود وتقويته بالفضائل والكمالات الموجبة
لغلبته على الجهل فلذلك اضمر الجهل عداوة له حسدا عليه ولم يظهرها لعدم القدرة على امضاء اثارها بل طلب لنفسه
مثل جنوده في القوة والعدد كما اشار اليه بقوله فقال الجهل يا رب هذا خلق مثلي اي مثلي في كونه مخلوقا ومثلي
بحسب الذات ولا مزية له علي في المحاسن الذاتية وهذا القول منه على وجه غير موجه واغترار بنفسه كما هو شان
الجاهل حيث يعد نفسه مماثلا للعاقل وهو غافل عن التفاوت الفاحش بين النور والظلمة او عالم به لكنه قال
ذلك لشدة عناده واستنكافه لانحطاط ذاته عن ذات العقل والا فاين المماثلة بحسب الذات بين المخلوق من ماء الرحمة
والنور الرباني وبين المخلوق من نار الغضب والبحر الاجاج الظلماني ولعدم الفرق بينهما استكبر الشيطان لعنه الله
وابى ان يسجد لادم عليه السلام وتمسك بقوله خلقتني من نار وخلقته من طين وهو لقصر نظره لاحظ طينية آدم
وغفل عن نورانيته ولو علم ذلك لعلم بطلان قياسه خلقته وكرمته وقويته يعني خلقته من نورك وكرمته
على جميع خلقك وقويته بجنود يتقوى بها في الحركة الى العالم الاعلى والانتقال الى عالم القدس وانا ضده ولا قوة لي

به

به في المضادة والمقابلة والانتقال الى ما هو غاية مرامي ونهاية مقاصدي في الذات التي هي غاية ثباتهما والحركة الى اقصى
مدارجها فاعطني من الجند مثل ما اعطيته في العدد والقوة طلب ذلك ليحصل له قوة بسبب جنوده على معارضة
العقل وجنوده ليتيسر له الوصول الى غاية منيته ونهاية بغيته فقال نعم اعطيك مثل جنود العقل اختبارا
وامتحانا لك وتكميلا للحجة عليك باعطاء سؤالك وانتظارا لرجعتك الى درجة رفيعة ومنزلة شريفة فان
المطيع مع العجز وفقد الادوات ليس مثل المطيع مع القدرة على المخالفة بل اولئك اعظم درجة وارفع منزلة ولذلك
كانت عبادة الشبان وانابتهم واخباتهم احسن واشرف من عبادة الشيوخ وانابتهم واخباتهم فان عصيت بعد
ذلك اي بعد ذلك العصيان بترك الاقبال او بعد ان اعطيك جنودا وانصارا مقابلة لجنود العقل وانصاره اخرجتك
وجندك من رحمتي المعدة للمطيعين فتشقى بذلك وتدخل في زمرة الاشرار وتستحق الدخول في الدرك الاسفل من
النار والوجه لكون معصيته مع الجنود موجبا للخروج من الرحمة دون معصيته الاولى ان النفس اذا كانت ضعيفة
فاقدة للانصار كانت افعالها ناقصة فلم تكن شقاوتها شديدة موجبة للخروج من الرحمة بخلاف ما اذا كانت قوية
واجدة للانصار والاعوان فان سلوكها في طريق الشقاوة وسيرها في منهج الضلالة اتم واكتسابها للاخلاق
الذميمة والرذائل وانغماسها في ظلمات الغي والغوائل اعظم فيكون تباعدها عن الرحمة الالهية والالطاف
الربانية اكثر واقوى ودخولها في دركات الجحيم واستحقاقها للعذاب الاليم اقرب واولى قال رضيت رضي
عن الحق باجابة سؤاله او رضي بالخروج عن الرحمة على تقدير المعصية والنفس اذا كانت مايلة الى الالفة عليه
بامراض تلك الصفات ووجدانها كل ذلك لا يسلب عنها الاختيار ولا يوجب صدور القبايح عنها على سبيل الاضطرار
بل يمكن لها تحصيل الصحة والسلامة عن الوساوس الشيطانية بالادوية والعلاج المقررة لدفع الامراض النفسانية
وبالجملة النفس بعد تقويتها بالجنود والصفات التي هي بمنزلة العلل والامراض لها اختيار في اعمالها وقدرة على افعالها
وليس صدور تلك الاعمال والافعال عنها على سبيل الالجاء والاضطرار فلها ان تترك مقتضيات تلك الصفات وترقى
الى اعلى مدارج الكمالات الابدية حتى تستحق ان يقال لها يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية
ولها ان تمضي تلك المقتضيات وتسرح في مراعي هذه الصفات حتى ترتد الى اسفل السافلين وتبعد عن رحمة رب
العالمين فاعطاه خمسة وسبعين جندا في مقابلة ما اعطاه العقل وكانهما متقابلان لكن جنودهما متقابلان
ليحصل التكافؤ في الايجاد ويتحقق التعاند والتضاد وتبقى العداوة بينهما الى يوم التناد وذلك لمصلحة ظاهرة
يعلمها اولو الالباب وخفية لا يعلمها الا علام الغيوب ينبغي ان يعلم ان اجناس الفضائل باتفاق الحكماء اربعة

الاول الحكمة الثاني الشجاعة الثالث العفة الرابع العدالة وذلك لان للانسان قوى ثلثة متباينة هي مبادي
لاثار مختلفة مع مشاركة الاخر واذا غلبت احديها على البواقي صارت البواقي مغلوبة او مفقودة وتلك القوى
اوليها قوة ناطقة وتسمى نفسا ملكية وهي مبدا الفكر في المعقولات والنظر في حقايق الامور وثانيها القوة الغضبية
وتسمى نفسا سبعية وهي مبدا الغضب والاقدام على الاهوال والتسلط والترفع على الغير وثالثها القوة الشهوية
وتسمى نفسا بهيمية وهي مبدا الشهوة وطلب الغذاء والشوق الى الالتذاذ بالمآكل والمشارب والمناكح واذا تحركت
القوة الناطقة بالاعتدال في ذاتها واكتسبت المعارف اليقينية حصل فضيلة العلم والحكمة واذا تحركت القوة
الغضبية بالاعتدال وانقادت للقوة العاقلة فيما تعطيه حظا ونصيبا لها ولم تتجاوز عن حكمها حصلت فضيلة
الحلم والشجاعة واذا تحركت القوة الشهوية بالاعتدال وانقادت للقوة العاقلة واقتصرت على ما تعطيه العاقلة
نصيبا لها ولم تخالفها في حكمها حصلت فضيلة العفة والسخاء واذا تركبت هذه الفضايل الثلثة وتمازجت حصلت
حالة متشابهة هي فضيلة العدالة ثم انه يندرج تحت هذه الاجناس الاربعة انواع غير محصورة من الفضايل اما الحكمة
فالمشهور من انواعها سبعة الذكاء وسرعة الفهم وصفاء الذهن وسهولة التعلم وحسن التعقل والتحفظ والتذكر
واما الشجاعة فالمشهور من انواعها احد عشر كبر النفس والنجدة والهمة والثبات والحلم والسكون والشهامة
والتحمل والتواضع والحمية والرقة واما العفة فالمشهور من انواعها اثنا عشر الحياء والرفق وحسن الهدى
والمسالمة والدعة والصبر والقناعة والوقار والورع والانتظام والحرية والسخاء نوع يندرج تحته
اصناف كثيرة من الفضائل والمشهور منها ثمانية الكرم والايثار والعفو والمروة والنبل والمواساة والسماحة
والمسامحة واما العدالة فالمشهور من انواعها اثنا عشر الصداقة والالفة والوفاء والشفقة وصلة الرحم والمكافاة
وحسن الشركة وحسن القضاء والتودد والتسليم والتوكل والعبادة وكذا ينبغي ان يعلم ان اجناس الرذايل ايضا
اربعة بازاء كل جنس من الفضيلة جنس من الرذيلة الاول الجهل وهو ضد الحكمة الثاني الجبن وهو ضد الشجاعة
الثالث الشره وهو ضد العفة الرابع الجور وهو ضد العدالة هذا بحسب بادي النظر واما بعد التامل فاجناس الرذايل
ثمانية لان كل فضيلة لها حد معين اذا جاوزته في طرف الافراط او في طرف التفريط تنتهي الى رذيلة فالفضيلة
بمثابة الوسط والرذيلة بمثابة الاطراف فيكون اجناس الرذايل ثمانية السفه والبله وهما في طرفي الحكمة السفه
في طرف الافراط والبله في طرف التفريط والتهور والجبن وهما في طرفي الشجاعة والشره وخمود الشهوة وهما في طرفي
العفة والظلم والانظلام وهما في طرفي العدالة وكان لكل جنس من الفضائل جنسين من الرذايل كذلك لكل نوع من الفضائل

نوعين

من الرذايل احدهما في جانب الافراط والاخر في جانب التفريط ولبعض تلك الانواع اسم خاص دون بعضها وقد عرفت
ان انواع الحكمة سبعة فانواع ضدها اربعة عشر الخبث والبلادة وهما في طرفي الذكاء الخبث في طرف الافراط
والبلادة في طرف التفريط وسرعة التخيل والابطاء وهما في طرفي سرعة الفهم وظلمة الذهن المانعة من ادراك
المطالب والتهابه المانع من الاقامة على المطلوب وهما في طرفي صفاء الذهن والمبادرة المانعة من استثبات الصور
والتعصب المودي الى التعذر وهما في طرفي سهولة التعلم وصرف الفكرة في ادراك ما هو زايد على تعقل المطلوب وصرفه
في ادراك ما هو ناقص عنه وهما في طرفي حسن التعقل وضبط ما هو مهم وهما في طرفي التحفظ وتذكر ما يوجب تضييع
الاوقات والنسيان الموجب لاهمال مراعاة الواجبات وهما في طرفي التذكر وقس عليه انواع بواقي الاجناس
وربما يكون لبعض الانواع اسم مشهور كالوقاحة والخرق وهما في طرفي الحياء والاسراف والبخل وهما في طرفي
السخاء والتكبر والتذلل وهما في طرفي التواضع والفسق والتحرج وهما في طرفي العبادة اذا عرفت هذا فنقول
ما ذكره عليه السلم في هذا الحديث من الفضائل والرذايل بعضه من الاجناس وبعضه من الانواع وبعضه من
الاصناف وبعضه من الجزئيات كما لا يخفى على المتامل وسيجي تفسير بعض هذه الامور ان شاء الله فكان مما
اعطى العقل من الخمسة وسبعين الجند الخير من الاولى للتبعيض وما موصولة ومن الثانية للبيان والظرف
خبر كان قدم على اسمه وهو الجند الخير والخير للتشويق الى ذكره قال القرطبي قيل الخير شي من اعمال القلب نفيس
زايد على الايمان وغيره من الصفات المرضية يدل على ذلك ما في حديث انس يخرج من النار من قال لا اله الا الله
وكان في قلبه من الخير ما يزن مثقال ذرة انتهى وقيل الخير هو الوجود واطلاقه على غيره انما هو بالعرض وهو
ينقسم الى خير مطلق كوجود العقل لانه خير محض لا يشوبه شر والى خير مقيد كوجود غيره من الذوات والصفات
اقول الحق ان الخير كلما يندرج تحته جميع الاعمال الصالحة كما يدل عليه قول امير المؤمنين عليه السلم افعلوا الخير
ولا تحقروا منه شيئا فان صغيره كبير وقليله كثير ويؤيده ما في طرق العامة يخرج منها اي من جهنم قوم لم يعملوا
خيرا قط وهؤلاء الذين ليس معهم الا الايمان وهو وزير العقل الوزر الحمل الثقيل يقال وزره اذا حمله ومنه
الوزير لانه يحمل عن الامير وزره اي ثقله والوزارة على قسمين تفويض وتنفيذ والاول ان يستوزر الامير
من يفوض تدبير الامور الى رايه وامضائها الى اجتهاده بدون مراجعة اليه في كل قضية والثاني ان يكون
النظر في الامور مقصورا على راي الامير وتدبيره والوزير يتوسط بينه وبين رعيته ويرشده الى المصالح ويؤدي
عنه ما امر وينفذ له ما ذكر ويعينه في الامور وهذا هو المراد هنا لان الخير ان كان عبارة عن الكل المندرج

تحته المصالح كلها فحكمه يجري في جزئياته وهو يتوسط بينها وبين العقل في جريان حكم العقل ونفاذ تدبيره فيها وان كان
عبارة عن العمل القلبي النوراني الذي ذكره القرطبي او عن وجود العقل فهو يتوسط بين العقل وبين سائر ما يصدر عنه
من الاعمال المرضية التي هي في الحقيقة انوار الهية تستضئ بها القلوب والجوارح ويرشدها الى الكمال كما يرشد الوزير الامير
الى الامور الملكية ومصالحها وجعل ضده الشر وهو وزير الجهل لما كان الشر ضد الخير كان مقابلا له في المعاني
الثلثة المذكورة فهو اما شئ ظلماني من اعمال القلب زايد على الكفر وغيره من الصفات الذميمة او عدم منقسم الى شر
مطلق كعدم العقل والى شر مقيد لعدم غيره من الصفات الكمالية او كل ما يندرج تحته جميع القبايح ويؤيده
قول امير المؤمنين عليه السلم الشر جامع لمساوي العيوب ووزارته للجهل تظهر فيما ذكرناه في وزارة الخير للعقل ويمكن
ان يراد بالخير نورية العقل وضياء ذاته اذ كل ما يصدر عنه بتوسطها من الافعال كان على نهج الصواب فهي
وزير له في الدلالة على المحاسن والمصالح وبالشر ظلمة الجهل وكدورة ذاته اذ كل ما يصدر عنه بتوسطها من الاقوال
والافعال كان على نهج الخطا فهي وزير له في الدلالة على المفاسد والقبايح والايمان وضده الكفر الايمان
هو الاعتقاد الثابت الجازم باحوال المبدأ والمعاد والملائكة وكتبه ورسله وما جاء به رسوله الذي من جملته
الوصاية والامامة على سبيل الاجمال وهو روح العلوم الحقيقية والتصديق اليقينية على سبيل التفصيل كما اشار
اليه قول امير المؤمنين عليه السلم وبالايمان يعمر العلم والحق ان الاعمال غير داخلة في حقيقته لقوله عليه السلم
بالايمان يستدل على الصالحات وبالصالحات يستدل على الايمان يريد بالاول الاستدلال من المؤثر على الاثر
وبالثاني عكس ذلك واما قوله عليه السلم الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان ومثله قول علي بن
موسى الرضا عليهما السلم فالجمع يقتضي انه تعريف للايمان الكامل وقد شاع في لسان الشرع اطلاق اسم
الايمان عليه والكفر الذي هو ضده عدم الاعتقاد بالامور المذكورة او انكار شئ منها وهو روح
الجهالات والداعي الى ذمايم الصفات وقيل الايمان نور من انوار الله فايض منه على قلب من يشاء من عباده
به يرى الاشياء كما هي وهو المسمى تارة بالحكمة النظرية يعني ملكة يقتدر بها الانسان على احضار المعلومات
المعقولة متى شاء من غير تجشم كسب جديد وتارة بكمال العقل النظري او القوة وتارة بالعقل بالفعل وتارة
بالعقل البسيط الاجمالي والكفر الذي ضده ملكة ظلمانية حاصلة في النفس من كثرة الاغلوطات وتراكم
الشبهات وتزاحم الوهميات ورسوخها فتصير تلك الملكة الظلمانية حجابا عن ادراك حق وعمى في عين قلب
عن كل ستر وصمما في اذن عقل عن سماع كل كلام صادق والذي يدل على ان الايمان نور والكفر ظلمة قوله

الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى
الظلمات وفيه اولا ان تفسير الايمان بما ذكر غير معروف وثانيا ان الاية لا تدل على ما قال بل تدل على
ان الايمان سبب للنور ووسيلة اليه والكفر سبب للظلمة وذريعة اليها فليتامل والتصديق وضده
الجحود اي تصديق الصادقين فيما قالوه او التصديق بالمسايل اليقينية والمعارف الحقيقية على سبيل التفصيل و
الركون اليها بايراد الدلايل والبراهين عليها والتفاوت بين الايمان والتصديق على ما ذكرنا مثل التفاوت
بين العلم الاجمالي والتفصيلي والجحود الذي هو ضده انكار الصادقين او انكار تلك المسايل والمعارف والركون
الى الشهوات والشبهات والميل الى الجهالات والرجوع في المعضلات الى نفسه والتعويل في المبهمات على رايه فما
انكرته النفس كان هو المنكر وما عرفته كان هو المعروف فهو تارك لرواسم الشريعة تابع لاهوائها مائلة
الى رايها والرجاء وضده القنوط الرجاء بالمد مصدر بمعنى التوقع وكذلك تقول رجوته ارجوه رجوا
ورجاء ورجاوة وهمزته منقلبة عن واو بدليل ظهورها في رجاوة وقد جاء فيها رجاة وبدل الرجاء
يعني توقع ثواب الله واحسانه واكرامه وانعامه معرفته وملاحظة غناه عن العالمين في اعتبار اسبابه
ظاهرة وباطنة جلية وخفية ضرورية كالات التغذية والتنمية وغير ضرورية كنفوس الحاجبين في اختلاف
الوان العينين الى غير ذلك من الالطاف الالهية والفيوضات الربانية التي صدرت منه قبل الاستحقاق والاعمال
وبعد الاستحقاق والاستعمال فانه اذا تفكر العقل في هذه الامور وتامل فيها وفي غيرها اشتغل رجاؤه بالله سبحانه
والقنوط هو اليأس من رحمته وعفوه وهو من صفات الخاسرين الجاهلين وسمات الضالين الغافلين عن سعة
رحمته واحاطة مغفرته قال سبحانه ورحمتي وسعت كل شئ ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح
الله الا القوم الخاسرون وقال لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم
وقال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون فمن وقع في شر وقنط من رحمته ازداد جهلا على جهل وترقى من
باطل الى باطل وهو جاهل بالله العظيم واما العاقل فيستغفره ويرجع اليه ويتضرع بين يديه ويكون عقله
برجاء غفرانه اوثق وقلبه بشمول العناية له اعلق فانه لا ييأس من روح الله الا الذين عميت ابصار
بصايرهم عن اسرار الله فهم في طغيانهم يعمهون فاولئك هم الخاسرون واعلم ان الرجاء بثواب الله والفوز
بالسعادات الاخروية مقام شريف مستلزم لمقامات عالية لانه يستلزم الصبر على المكاره وفعل الطاعات العمليات
الجنة محفوفة بالمكاره ومقام الصبر يؤدي الى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله ودوام الفكر فيه وتمام

المجاهدة يؤدي الى مقام كمال المعرفة المؤدي الى مقام الانس المؤدي الى مقام المحبة المستلزم لمقام الرضا والتوكل اذ من
ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب وتفويض نفسه وامره اليه والوثوق بعنايته ولذلك مثل الرجاء لا ينفك
عن الاعمال الصالحة وقيل الرجاء مادة الاستمرار بلزوم الطاعة ويدل عليه ما روي عن الصادق عليه السلام قيل له ان
قوما من مواليك يلمون بالمعاصي ويقولون نرجوا فقال كذبوا ليسوا لنا بموال اولئك قوم ترجحت بهم الاماني
من رجا شيئا عمل له ومن خاف من شيء هرب منه ومن ثم قالوا الرجاء من الفضائل اذا قارنه خوف لان كل واحد منهما
بدون الآخر من الملكات الردية المهلكة كما يرشد اليه ايضا قوله تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا وقول الباقر عليه السلام
انه ليس من عبد مؤمن الا وفي قلبه نوران نور خيفة ونور رجاء لو وزن هذا لم يزد على هذا ولو وزن هذا
لم يزد على هذا ومن هيهنا ظهر ان الخوف غير القنوط فان القنوط ضد الرجاء لا يجامعه بخلاف الخوف ثم قيل
ان بين الخوف والرجاء تفاوتا في الدوام وعدمه وذلك لان الخوف ليس من الفضائل العقلية الباقية في النشاة
الآخرة وانما هو من الامور النافعة للنفس في فعل الطاعات والهرب عن المعاصي ما دامت في دار الدنيا التي هي دار
العمل واما عند حلول الاجل والخروج منها فلا فائدة فيه بخلاف الرجاء فانه باق ابدا الى النشاة الآخرة
لا ينقطع لانه كلما نال العبد من رحمة الله اكثر كان رجاؤه فيما عند الله اشد واوفر لان خزائن رحمته غير
متناهية والعدل وضده الجور العدل هي الملكة الحاصلة من التحلي بالاوساط الفاضلة في باب العقايد كالتوحيد
بين التعطيل والتشبيه والتعويل على الامر المتوسط بين الجبر والتفويض وفي باب الاعمال كاداء الواجبات والسنن
بين الكسالة والترهب التام والاعطاء المتوسط بين القبض بالكلية والبسط التام وفي باب الاخلاق كالحكمة بين
السفاهة والبلاهة في القوة العقلية والشجاعة بين التهور والجبن في القوة الغضبية والعفة بين الشره
وخمود الشهوة في القوة الشهوية واذا حصلت هذه الاوساط وصارت ملكات حصلت حالة اخرى متشابهة
من تمازجها واختلاطها وهي المسماة بالعدل وكما ان كل واحد من تلك الاوساط محيطة بانواع متكثرة من الفضائل ومحاطة
بنوعين من الرذائل اعني الظلم والانظلام الظلم في طرف الافراط والانظلام في طرف التفريط ويعبر عنهما بالجور لان
جور الجائر اعم من ان يكون ظلما على نفسه وعلى غيره ومن هيهنا ظهر ان العدل امر وسيط يتوقف حصوله على الاوساط
المذكورة ورئيس شريف يتبع له الحكمة كثير من الفضائل العقلية وامير كبير ينتظم به سلطنة العقل في مملكة
العقل بل هو طريق قويم وصراط مستقيم يسير فيه العقل من العالم الجسماني الى العالم الروحاني فيشاهد عجائب الملك
والملكوت في هذه النشاة ويدخل جنات النعيم مع مرافقة الاخيار في النشاة الآخرة كما ان الجور الذي هو

هو الفرار عن هذه الاوساط والاستقرار في طرف التفريط والافراط وهو من اعاظم امراء الجهل واكابر رؤسائه
ويندرج في حكمه كثير من جنوده طريق سقيم وصراط غير مستقيم يبعد سالكه في هذه النشاة عن حضرة الجبار ويدخله
في النشاة الآخرة في عذاب النار وقد شبهوا تلك الصورة الباطنة الواقعة في الوسط المسماة بالعدالة لزيادة
الايضاح والتقرير تارة بالصورة الظاهرة المحسوسة وكما ان لتلك الصورة الظاهرة اركانا مثل العين والانف والفم
والخد واليد والرجل الى غير ذلك من الاعضاء الظاهرة ولا توصف تلك الصورة بالحسن ما لم يحسن جميع تلك الاعضاء
ولم تتوسط بين الافراط والتفريط كتوسط العين بين زيادة غورها وزيادة بروزها وبين زيادة الصغر وزيادة الكبر
وتوسط الانف بين زيادة الطول وزيادة القصر وبين صغر حجمه وكبره وعلى هذا القياس في ساير الاعضاء كذلك لتلك الصورة
الباطنة التي هي صورة القلب اركان مثل القوة الناطقة والقوة الغضبية والقوة الشهوية ولا يوصف تلك
الصورة بالحسن والقبول ما لم يحسن جميع هذه الاركان ولم يتوسط بين الافراط والتفريط على ما ذكرنا وتارة اخرى
بالمزاج فان تلك الصورة الباطنة بالنسبة الى القلب كالمزاج بالنسبة الى البدن فكما ان اعتدال المزاج واستقامته
اعني الصحة والسلامة يتوقف على زوال الامراض البدنية كذلك اعتدال تلك الصورة واستقامتها تتوقف
على زوال الامراض القلبية التي هي الاخلاق الذميمة الواقعة في طرفي الافراط والتفريط لان الاخلاق علة سارية
يجر بعضها الى بعض والنجاة في النشاتين وحسن القبول في الدارين والتعشق عند الباري جل شانه وتسخير عالم الملك
والملكوت لا تحصل الا بزوالها جميعا ومن هيهنا ظهر سر قولهم خير الامور اوسطها والرضا وضده السخط
باب الرضا بقضاء الله تعالى اخبار كثيرة فعن امير المؤمنين عليه السلام انه قال نعم القرين الرضا بقضاء الله وعن
ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال اوحى الله الى موسى انك لن تتقرب الي بشيء احب الي من الرضا بقضائي
وفي الحديث القدسي من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر على نعمائي فليعبد ربا سوائي وليخرج من
ارضي وسمائي واختلفوا في تفسيره فقيل هو رفع الاختيار وقيل هو سكون النفس تحت مجاري القدر وقيل
هو السرور بمر القضاء وقال الآخر اني عرفت طرفا من الرضا لو ادخلني النار كنت به راضيا وقيل هو سكون
القلب الى احكام الله وموافقة الضمير بما رضي واختار وقيل هو فرح القلب وسروره بنزول الاحكام في الحلو
والمر قال بعض الاعلام الاولان تعريف لبدايته والثالث تعريف لمنتهاه وفي الرابع نظر والخامس يرجع الى الثالث والسادس
قريب من الثالث وقال في الفاخر صاحب العدة رحمه الله سأل النبي صلى الله عليه وآله جبرئيل عن تفسير الرضا
فقال الراضي هو الذي لا يسخط على سيده اصاب من الدنيا او لم يصب ولا يرضى من نفسه باليسير واعلم ايها

ان الرضا من اعلى منازل المقربين واقصى مراتب السالكين فانه ثمرة المحبة وهي ثمرة الانس بالله وهو ثمرة كمال المعرفة
وهو ثمرة دوام المجاهدة مع التفكر فيما مر والتجرد لذكر الله ودوام الفكر فيه وهو ثمرة الصبر على فعل الطاعات
وترك المنهيات وتحمل المشاق والمكاره وهو ثمرة الخوف من الله والرجا بكرامه وثوابه وانعامه والخوف له
تاثير في الاعضاء الباطنة بمنعها من الرذايل النفسانية مثل الكبر والحسد والحقد والعداوة والبخل وغيرها
وفي الاعضاء الظاهرة فيكفها عن المنهيات ويقيدها بالطاعات ولعلو منزلة الرضا رفعه الله سبحانه فوق جنات
عدن وجعله اكبر من نعيمها فقال عز من قايل وعد الله المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم فهو فوق نعيم الجنان وغاية
مطلب سكانها واذا رضي العبد عن الله رضي الله عنه كما قال رضي الله عنهم ورضوا عنه واذا عرفت حال الرضا
وشرف منزلته فاعرف حال ضده الذي هو السخط بالقضا فان كل ما ذكرنا في الرضا يجري ضده في السخط واورد
عليه بان المستفاد من هذا الحديث وغيره ان العبد يجب عليه ان يرضى بقضاء الله سبحانه خيرا كان كالايمان والطاعة
او شرا كالكفر والمعصية لكن الرضا بالكفر كفر وبالمعصية فسق كما ورد في الحديث فكيف التوفيق والجواب
المشهور هو انه فرق بين القضا والمقضي وانه يجب الرضا بالقضاء دون المقضي والكفر ونحوه من جملة المقضي ورده
بعض المحققين بان القضا عبارة عن الحكم بوقوع شي في الخارج وهو امر نسبي اضافي تحته وفيه وخيره وشره
انما هو بحسب ما اضاف اليه لان نفس الاضافة لا توصف بشي الا باعتبار المضاف اليه فالتناقض بحاله ثم اجاب
عن اصل الاشكال بان المقضي بالذات لا يكون الا خيرا والشر مقضي بالعرض لا بالذات والذي يجب الرضا به هو
او المقضي بالذات والذي يجب عدم الرضا به هو الرضا والمقضي بالعرض كالكفر والظلم ونحوهما وقال بعض
الافاضل لدفع الرد المذكور عن الجواب المشهور القضا كالعلم ليس مجرد اضافة ونسبة بل هو صورة عقلية
ذات اضافة فان القضاء الالهي كما حقق عبارة عن وجود صور جميع الموجودات الخارجية وجودا عقليا
اجماليا على وجه اشرف واعلى لكل ما كان او سيكون له وجود في عالم علمه علما مقدسا منزها من التغير
والقصور والنقص والشر واما المقضي فهو الصور الكاينة والمواد على وفق ما جرى في القضا فالقضا نحو
من الوجود والمقضي نحو آخر من الوجود قد يتطرق اليه النقص والآفة والشر والفسا والصورة العقلية للكفر
والمعاصي ليست كفرا ولا معصية وانما هي كذلك بحسب وقوعها في الخارج فمن قال القضا لا يكون الا خيرا
يجب الرضا به دون المقضي لعله اراد بالقضا صورها في علم الله سبحانه المجرد النسبة وبالمقضي وجودها الكون

الخارجيه التي قد يكون شرا وكفرا فظهر الفرق وارتفع التناقض والشكر وضده الكفران الشكر حالة نفسانية
تنشا من العلم بالمشكور وصفاته وانعامه وتثمر العمل بالقلب واللسان والاركان وهم بالنظر الى تلك الثمرة
عرفوه بانه فعل دال على تعظيم المنعم سواء كان بالجنان او باللسان او بالاركان وتوضيحه ان الشكر على النعمة
لا يتحقق الا بان تعرف المنعم الحقيقي وصفاته ونعمه وان تعرف ان النعم كلها منه وان الاوساط الموصلة
لنعمه والتي لها مدخل في ايصالها او تكميلها مثل السماء والارض والشمس والقمر والنجوم والسحاب والعباد وغيرها
كلها منقادة لامره مضطرة لحكمه كانقياد تبعة الملك له في انفاذ امره وايصال عطاياه فتعرف ان لا منعم
في الحقيقة الا هو وهذه المعرفة تورث حالة نفسانية هي التذلل والانقياد للمنعم والسرور بنعمه لا من حيث انها
موافقة لغرض نفسك اذ في ذلك متابعة في هواها واقتصار همة في رضاها بل من حيث انها دالة على عنايته
بك بمجرد احسانه وافضاله من غير سبق استحقاق واستيهال ووسيلة الى التقرب برعاية حقوقه وعلامة
ذلك ان لا تفرح من الدنيا الا بما يوجب التقرب منه في الدنيا والآخرة وهذه الحالة شكر في الحقيقة وهي تورث
العمل لانها اذا حصلت في النفس وتمكنت فيها حصل لها نشاط للعمل الموجب للتقرب منه وهذا العمل ايضا شكر
وهو يتعلق بالقلب واللسان والاركان اما عمل القلب فهو القصد الى تعظيمه وتحميده وتمجيده وتهليله والتفكر في
مصنوعاته وافعاله وآثاره وانعامه وايصال الخير الى كافة خلقه الى غير ذلك من الاعمال القلبية واما عمل اللسان
فهو اظهار ذلك المقصود بالتحميد والتمجيد والتسبيح والتهليل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها واما عمل
الاركان فهو استعمال نعمه الظاهرة والباطنة في طاعته وعبادته والتوقي من الاستعانة بها في معصيته
ومخالفته كاستعمال العين في مطالعة مصنوعاته واستعمال الاذن في استماع براهينه واياته وهكذا حكم ساير
الجوارح واذا عرفت الشكر فقد عرفت الكفران الذي هو ضده بالمقايسة فانه ايضا حالة نفسانية العتو و
الطغى بالمنعم والتباعد منه والسرور بالنعمة من حيث انها موافقة للاغراض الفاسدة النفسانية وهذه الحالة
تنشا من عدم معرفة المنعم الحقيقي على ما ينبغي وتورث العمل بالقلب كالقصد الى معصيته والعزم على مخالفته
وباللسان كالافترا والشكاية والمذمة وغيرها من الاقاويل الباطلة وبالجوارح كترك النظر فيما يعنيه وصرفه فيما
لا يعنيه وبالجملة صرف الجوارح في غير ما خلقت لاجله والطمع وضده الياس هذا تكرار للرجا وضده ولذلك
قال الشيخ بهاء الملة والدين رحمه الله لعل احدهما كان بدلا عن الآخر فجمع بينهما الناسخ غافلا عن البدلية ويمكن ان
يقال التكرار انما يلزم ان اريد بالرجا اعني الطمع في ثواب الله والامور الاخروية مطلقا اما ان اريد به توقع

الامور الاخروية من غير سبق استحقاق وخص الرجا بتوقعهما مع البشر واريد به توقع الامور الدنيوية مما يحتاج
اليه من الضروريات وغيرها واريد به توقعهما في ايدي الناس وجعل الطمع من جنود الجهل واليأس من جنود العقل
على خلاف ما وقع في سائر نظائره من تقدم جند العقل فلا تكرار وهذه الوجوه وان كانت بعيدة لكن القول بالتكرار
وتخطئة الناسخ ابعد منهما والتوكل وضده الحرص معنى توكل العبد على الله هو صرف اموره اليه والاعتماد فيها
عليه يقال وكل فلان فلانا اذا استكفاه امره ثقة بكفايته او عجزا عن القيام بامر نفسه ومن اسمائه الوكيل
وهو القيم بارزاق العباد وبالجملة التوكل حالة فاضلة للقلب توجب تفويض الامور الى الحق والانقطاع عما سواه
وله مبدء واثر مترتب عليه ومبدؤه العلم بانه تعالى واحد لا شريك له وانه قادر على جميع المقدورات وانه
حكيم لا يجوز في حكمه وانه رؤوف بعباده ولا بد بعد ذلك من الرضا بقضاء الله اذ بالعلم الاول يعلم انه لا كفيل
لمهماته الا هو وبالعلم الثاني يعلم انه لا يخفى عليه شيء من مهماته وبالعلم الثالث يعلم ان السموات والارضين وما بينهما
وما فيهما من الروحانيات والحيوانات والنباتات والجمادات والامور الكائنة مسخرات بامره فيعلم انه لا يعجز
عن امضاء مهماته وانجاح مطالبه ومراداته وبالعلم الرابع يعلم انه لا يكون بخل في نفاذ اموره وبالعلم الخامس يعلم
انه يفعل كل ما يصلح له وبالسادس يسهل عليه جريان مصاعب الامور فاذا اتفق هذه الامور واستناد قلبه بانوار
تلك المعارف ولم يعارضه الوهم والجبن في ضعف البصيرة مع ذلك تامل في حال بعض الحيوانات الذي لا حيلة له في تحصيل
اموره وادخار قوته كالطيور وامثالها بل في حال نفسه حين كان جنينا في بطن امه وكان مضطرا الى الرزق
وكان رزقه ياتيه بغير حيلة له من حيث لا يدري وفقا نوقنا حصلت له حالة شريفة هي وثوقه في اموره بالله
سبحانه وانقطاعه عن غيره من الاسباب والوسائط بل عن نفسه ايضا لانه يسلب الحول والقوة عنها ويحكم بانه
لا قوة الا بالله ويرى حاله معه مثل حال الموكل مع وكيله في الثقة به والاتكال عليه او مثل حال الطفل مع امه لاحول
في الركون اليها او مثل حال الشمعة مع المصور في انها مقهورة تحت يده وقدرته يصورها ويشكلها كيف يشاء وهذه
الحالة هي المسماة بالتوكل وهي مقام عال من مقامات السالكين ودرجة عظيمة من درجات المقربين ومنزلة رفيعة من
منازل المتقين لا يصل اليها الا من اطمأن قلبه بالايمان بالله القاهر فوق عباده ثم ان هذه الحالة تتفاوت كمالا ونقصا
بحسب تفاوت العلوم المذكورة وصفاء القلب ونورانيته فلها اقسام اولها الثقة بالله وبكفالته وكفايته وعنايته
مع ملاحظة ان العادة جرت على ربط المسببات باسبابها فيتمسك بالاسباب على قدر الحاجة والاثر المترتب عليه
هو الاعتقاد بان حصول المطلوب وسببه من توفيق الله وعنايته فيكتسب ويغلق من الابواب الرزق ويتحصن من العدو وثانيها

ويثق

ويثق بان الرزق والحفظ منه ولا يتكل على السبب وانما اتخذه جريا على العادة وهو راض عن ربه وشاكر له ان لم
يحصل المسبب بناء على انه لا يدري في اي شيء الخيرة ويحافظ مع اشتغاله بالسبب لاوقات الصلوات وغيرها من العبادات
وبالجملة يكون مقصوده هو الكفيل الحق وخيرته ومنظوره هو التشبث بذيل عنايته وارادته والاكتساب على
هذا الوجه لا ينافي التوكل لان رسول الله صلعم كان ابو المتوكلين وقد توارى من العدو وخندق على نفسه وظاهر
بين درعين وادخر قوت عياله سنة ولتواتر الروايات عن الائمة الطاهرين عليهم السلم على هذا المعنى ولقوله ع
تجارة لا تلهيهم تجارة ولذا قيل من طعن في الكسب طعن في السنة ومن طعن في تركه طعن في التوحيد والكسب الغير المنافي ان كان
على قدر الحاجة وحده بعض المنفرد بقوت الاربعين واختلف في ادخار قوت الاربعين فقيل يخرج عن التوكل وقيل
لا يخرج بما زاد على الاربعين هذا كله ما لم يتشوش خاطره فان تشوش فالادخار في حقه افضل بل قيل الحبس ضيعة
يكفيه دخلها كان ادخل لان المقصود تفريغ القلب للعبادة وحده للمعيل بقوت عام تطمينا للقلب وقد علم الله الفعل
النبي صلعم ذلك ولم يفعله لطيبه وانما فعله ليدل على الجواز وقيل ادخار قوت عليه في مقام يتوهم غلبة العدو
لا ينافيه لعدم الامن بالغلبة والاظهر ان ادخار القوت مطلقا لا ينافيه اذا كان اعتماده على الله لا على القوت
المدخر وبالجملة التمسك بالاسباب مع الاعتماد على الله لا عليها لا ينافيه وثانيها الثقة بالله وبكفالته مع الخرق
حجاب الاسباب والتسبب عنده ولكن لم يعود نفسه بالصبر على الجوع والعطش اسبوعا واكثر او اقل ولا اعتاد
نفسه على اكل غير المانوس من الاطعمة والاشربة والاثر المترتب عليه انه لا يجوز له ترك الاكتساب ولا الخروج
من المعمورة والسكون في البادية ولا السفر بلا زاد ولا ماء لان القاء النفس في التهلكة لا يجوز عقلا ونقلا
والمقام في المعمورة مظنة اتيان الرزق وثالثها مثل الثاني الا انه عود نفسه على ما ذكر والاثر المترتب عليه
انه يجوز له ترك الاكتساب والسكون في البادية والسفر بلا زاد ولا ماء في مدة يعلم انه يتحمل الرياضة ولا يجوع
له ولا للثاني ترك الاكتساب الضرورية كمد اليد للطعام وابتلاعه ولا الانقطاع عنهما في شعب لا ماء فيه ولا
كلاء ولا اقامتهما في سبيل ماء او تحت جدار مايل ولا عدم دفاعهما عنهما سبعا ولو فعلا ذلك خرجا من التوكل فيهما خلافا
لبعض في معنى التوكل وفي اعتقادهما ان الاسباب الضرورية تنافيه وكان بعض المتوكلين لا يفارق الابرة والمقراض
والركوة والحبل لملاحظة انه قد يتخرق ثوبه او لا يوجد الماء بوجه الارض ثم انهما ان تفارغا للعبادة ولم يطمعا
ما في ايدي الناس لم يتشوش اليهما في العبادة واذاقهما على الجوع وصبرا صبرا جميلا في كل حال يأتيهما الرزق
لا محالة لان اصل وجودهما يجلب الرزق وغيره من ضروريات الوجود وقد قيل لامير المؤمنين عليه السلم

لو سد على رجل باب بيته وترك فيه من اين كان يأتيه رزقه فقال عليه السلام من حيث يأتيه اجله وهذا التوكل
وترك الكسب انما هو للمنفرد واما المعيل فالمناسب له هو القسم الاول لانه ليس له ان يكلف عيال الله بالصبر على
الجوع وقد رجح جماعة القسم الاول على الثاني وقالوا مطلقا للامر ولغيره من الاخبار الواردة في الحث على طلب
المعيشة ويمكن ان يقال ان في ذلك باعتبار ان القسم الاول اسهل والاخير في غاية الصعوبة وهم علموا الاحكام ان يحملوا
الناس على ما لا يصعب عليهم كثيرا واما ضد التوكل فالمشهور في النسخ العليا والمضبوطة في النسخ المعتبرة هو الحرص بالصاد
المهملة قال سيد الحكماء الالهيين هو الحرض بالحاء المهملة اولا والضاد المعجمة اخيرا والراء في الوسط والتحريك
واما الحرص بالصاد المهملة فتصحيف لانه ضد القناعة كما سيجيء ولو جعل ضد التوكل ايضا لزم ان يكون جند الجهل اقل
من ثلثة وسبعين على خلاف عدد جند العقل وانه باطل لانه خلاف قول الامام عليه السلام بل هو وهم فاسد
في نفسه لانه ضد القناعة في نفس الامر لا ضد التوكل لان ضد التوكل هو الهم بالشيء والحزن له والوجد عليه وصرف
الفكر في التوسل اليه والتبالغ في تحصيل البغية وتهيج الاسباب المودية اليها وتحريكها وتحرّيها وتحريها او الغم في ابطاء
نيلها وبطوء نجاحها وذلك كله معنى الحرض بالضاد المعجمة وهو والحَرَب بمعنى هذا او محصل كلامه ويمكن دفعه
بان الحرص بالصاد المهملة حالة نفسانية تنشأ من الجهل بالامور المذكورة المعتبرة في تحقق التوكل ومن ضعف القلب لاستيلاء
مرض الوهم عليه فان الوهم كثيرا ما يعارض اليقين كمن تراه لا يبيت وحده مع ميت وهو يبيت مع جماد
مع علمه بان الميت ايضا جماد وتبعث تلك الحالة على السعي التام في الاكتساب وشدة الاهتمام بجمع الاسباب وصرف العمر
والفكر في جمع المال في جميع الاوان كما هو دأب اهل العصر وشان ابناء الزمان ولا فارق ان تلك تقوية الاعتماد على الكسب والطلب
وعدم الاعتماد على الله سبحانه فالحرص متضمن لامرين احدهما المبالغة في الاكتساب والثاني عدم الاعتماد والوثوق بالله
سبحانه فباعتبار الامر الاول جعل ضد القنوع وباعتبار الامر الثاني جعل ضد التوكل فلا يكون جند الجهل اقل من جند العقل
اذ الحرص في الموضعين ليس بمعنى واحد ولا يلزم خلاف قول الامام عليه السلام ولا يرد انه ليس ضد التوكل في نفس الامر
وضدها القسوة قال المازري القسوة ضد الليِّن والغلظة ضد الرافة وكأنه غفل عن معنى القسوة قال الجوهري
فني قلبه قسوة وقساوة وقساء بالفتح والمد وهو غلظة القلب وشدته والرافة حالة نورانية للقلب داعية
الى الخير وحسن الخلق ورقة الوجه وطهارة اللسان وكثرة الحياء والتلطف بالخلق والاجتناب عن المناهي وضدها
حالة ظلمانية له داعية الى الشر وسوء الخلق وغلظة الوجه وخباثة اللسان وقلة الحياء وايذاء الخلق وركوب
المحارم وكشف الاستار والوثوب على الناس في الخصومات وكل واحدة منهما اما طبيعية واما كسبية تحصل

بممارسة

بممارسة العلوم والاعمال الصالحة والثانية بمزاولة الجهل والاعمال القبيحة والمراد هنا هو القسم الثاني والرحمة وضدها
الغضب الرحمة حالة للقلب يثمرها العلم بقباحة الطغيان وشناعة العدوان وسوء عاقبتهما وثمرتها الشفقة
على الخلق والتلطف بهم والترحم عليهم والفرق بينها وبين الرافة كالفرق بين المسبب والسبب فان الرافة لينة القلب
الموجبة الى التلطف والشفقة والرحمة نفس هذا الميل وقد خفي هذا الفرق على بعضهم فحكم بان هاتين الفقرتين
متحدتان في المعنى ولم يدر ان الرافة ليست نفس الرحمة والقسوة ليست نفس الغضب وان الاول منهما بمنزلة
السبب للثاني وان الاصل عدم التكرار عند الجمع بينهما مثل ان الله لرؤف رحيم واطلاقهما على الله سبحانه
باعتبار الاثار وهي الطافه واحسانه بمن اطاعه وانكاره على من عصاه وسخطه عليه واعراضه عنه
ومعاقبته له والغضب من المخلوقين قد يكون ممدوحا وقد يكون مذموما والمحمود ما كان في جانب الدين
والحق والمذموم ما كان في خلافه وهذا هو المراد هنا وهو ايضا حالة للقلب يثمرها الجهل بما ذكر وتسويل
النفس الامارة كالافراط في المواخذة وتزيينه وثمرتها الطغيان على الخلق باليد واللسان والتعدي عليهم بالظلم
والعدوان ومن علاماته احمرار الوجه والعينين وانتفاخ العروق وسر ذلك ان القوة الغضبية اذا
تحركت نحو الانتقام واشتعلت نارها في الباطن يغلي به دم القلب كغلي الحميم فينبعث منه الدخان ويرتفع الى
اعالي البدن كما يرتفع في القدر ويصبغ الوجه والعينين والعروق فيحمر الوجه والعينان وتنتفخ العروق ويحل
الدماغ الذي هو معدن الفكرة المحسوسات وينتفي نور عقله كما ينتفي ضوء السراج في البيت باستيلاء الدخان عليه
فيظلم بصره وبصيرته بحيث لا يرى شيئا ويسود عليه الدنيا وما فيها ولا يميز بين الحق والباطل والحسن والقبيح
ولا يوثر فيه وعظ ونصيحة بل قد يبلغ الى حد يحرق جميع ما يقبل الاحتراق ويفني الرطوبة التي بها بقاء الحيوة
فيموت صاحبه غيظا وهذه الخصلة من اعظم الخصال الذميمة ولذا قال امير المؤمنين عليه السلام واحذر الغضب
فانه جند عظيم من جنود ابليس وقال الباقر عليه السلام ان الرجل ليغضب فما يرضى ابدا حتى يدخل النار فايما رجل غضب
على قوم وهو قائم فليجلس من فوره ذلك فانه سيذهب عنه رجز الشيطان وايما رجل غضب على ذي رحم فليدن
منه وليمسه فان الرحم اذا مست سكنت وقال الصادق عليه السلام الغضب مفتاح كل شر والعلم وضده الجهل هما معان
متقابلان او نعتان متضادان للعقل والجهل اللذين كانا من جنودهما لانك قد عرفت ان المراد بالعقل اما القوة
العاقلة او النفس من حيث استعدادها لسلوك طريق الحق وكل واحدة منهما مبدأ للعلوم وبالجهل اما القوة الجاهلة
او النفس من حيث استعدادها لسلوك طريق الباطل وكل واحدة منهما مبدأ للجهل المقابل للعلم اعني عدمه ثم العلم

مراتب الاول الاعتبار فاعتبروا يا اولي الابصار واليه اشار امير المؤمنين عليه السلم بقوله من اعتبر ابصر الثاني التجاوز
وينكشف اللثام الثالث الادراك مطلقا الرابع الادراك المطابق لما في نفس الامر كالاعتقاد بالمعارف الالهية و
الاحكام الشرعية وهذا القسم قد يجب على الجميع وقد يختلف باختلاف الاشخاص فالذي يجب على الجميع هو العلم
بان الله واحد حي قديم ازلي الى غير ذلك من اصول العقايد والعلم بالصلوة والصوم والوضوء والغسل وشرايطها وفاسدها
الى غير ذلك مما يشترك فيه جميع المكلفين والذي يجب على البعض هو العلم باحكام الحج والزكوة للغني والعلم باحكام العقود
للتاجر وكذا كل من عمل عملا وجب عليه العلم بذلك العمل والعلم من حيث انه علم ومتعلق بالحق طريق واحد والجهل المقابل له
طرق متعددة واذا وقعت المحاربة بين العقل والجهل في ساحة القلوب واستظهر الجهل بهذا الجهل الذي من جنوده استظهر
العقل بالعلم فيغلبه ويهزمه كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين والفهم وضده الحمق
الفهم هنا بمعنى العقل كما قيل او صفة فاضلة للذهن هي ملكة الانتقال من الملزومات الى اللوازم بحيث لا يحتاج في ذلك الى تامل
مكث وتامل كذا عرفه المحقق الطوسي وعده نوعا من الفضائل المندرجة تحت جنس الحكمة وانما قلنا هنا لان الفهم فيما
سياتي من قوله عليه السلم والفهم وضده الغباوة بمعنى الفطنة وهي شدة الحدس وجودة الذهن وقوته المعدة
لاكتساب العلوم او بمعنى الذكاء وهو نوع اخر من جنس الحكمة فوق النوع المذكور وعرفه المحقق بانه ملكة حاصلة
من كثرة مزاولة المقدمات المنتجة وممارستها موجبة لسرعة انتاج القضايا وسهولة استخراج النتايج على سبيل
البرق الخاطف ومنهم من لم يفرق بين الفهمين وظن انهما بمعنى واحد فحكم بان احد الفقرتين كانت بدلا عن الاخرى فجمع
بينهما الناسخ غافلا عن البدلية ومنهم من جوز ان يكون الفهم هنا بالقاف ودفع التكرار من قهم بالقاف كفرح قل
شهوته للطعام واقهمت النفس عن الطعام اغمض وعنه كرهه ومن الطعام لم يشتهه وهذا الاخير نقله سيد الحكماء عن بعض
ولم يصرح باسم القايل ثم قال هذا اعجوبة الاعاجيب فاين انتم يا معشر المتعجبين فاذا عرفت الفهم فقد عرفت ان الحمق
بالمقابلة هو ما ضاد العقل على ما قيل او بطوء الانتقال من الملزومات الى اللوازم ويسمى ذلك بالبلادة المفرطة
وهو نوع من جنس رذيلة الجهل المقابلة لفضيلة الحكمة ومنشا ذلك نقصان الذهن وكساده من حمق الثوب اذا بلي
وانحمقت السوق اذا كسدت والحمق القمر اذا زال نوره وقد عد الحمق اعظم الفقر واكبره لكونه اشد بلاء واكثر
ابتلاء من الفقر المعروف بين الناس فان الاحمق يفقد الدين اذ الاحمق يفقد الدين والكمال الذي هو اشرف من المال
والدليل عليه قول امير المؤمنين عليه السلم واكبر الفقر هو الحمق ويعلم منه بحكم المقابلة ان اعظم الغنى الفهم ذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم والعفة وضدها الهتك لما كان بقاء النوع والشخص متعذرا الا بالتناكح

والتنا

١٥٣

والتناسل وتناول الغذاء والتلذذ بالماكل والمشارب لان الحرارة الغريبة الخارجة والغريزية الداخلة اعدى عدو
للرطوبة الغريزية التي في طينة الانسان فلا تزال تلك الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها وتفنيها فلولا تبدل
بالرطوبة بدل من الغذاء جبرا لما تحلل لفسد المزاج وبطل التركيب في اسرع زمان خلق الله سبحانه بمقتضى الحكمة
البالغة قوة شهوية هي مبدا الشوق الى طلب الغذاء والالتذاذ بالماكل والمشارب والمناكح والناس في تلك القوة
على ثلث درجات لان تلك القوة كما بينا انفا ان تحركت بالاعتدال واستقرت في الوسط مثل المركز بان لا تتعدى
عما اذن له العقل والشرع من الاغذية والاشربة والانكحة وغيرها بل طلبا وعدت فيما عداه حظا ونصيبا لها
واقتصرت عليه وتركت هواها حصلت فضيلة العفة وهي جند عظيم من جنود العقل منقادة لحكمه تابعة
لامره ونهيه وان تحركت نحو الافراط وجاوزت عن حكم العقل والشرع وارتكبت من اللذات ما لم ياذنا لها
حصلت رذيلة الهتك وخرق الاستار وهي مسماة بالشره والفجور ايضا وهي معدودة من جنود الجهل
لانقياده لحكمه واتباع امره ونهيه وخروجه عن سلطان العقل وان تحركت نحو التفريط واثرت ترك
طلب اللذات الضرورية التي اذن لها العقل والشرع واختارت البلية والمشقة التي تورث الهلاك حصلت
رذيلة خمود الشهوة وهي ايضا من اضداد العفة وانما اقتصر على الهتك الذي هو في طرف الافراط لان
رذالته اشهر وضديته اظهر والزهد وضده الرغبة الزهد جعل القلب حيا بمشاهدة احوال الاخرة
وعدم الغفلة عنها ومباعدته عن طمع الدنيا وزخارفها وبعبارة اخرى هو اعراض النفس عن الدنيا وزهراتها
وقطع الالتفات الى ما سوى الله تعالى وبعبارة اقصر هو حذف موانع الالتفات اليه سبحانه ولا يتحقق ذلك
الا بحذف الموانع الداخلة النفسية عن النفس مثل محبة غير الله تعالى والميل الى ما سواه وحذف الموانع
الخارجة مثل متاع الدنيا وزهراتها واليه يشير قول بعض الاكابر الزهد ثلثة احرف زاء وهاء و
دال فالزاء ترك الزينة والهاء ترك الهوى والدال ترك الدنيا ومما يبعث على سلوك هذه الطريقة
هو تلاوة القرآن الكريم والتدبر في آياته فانها تثمر محبة الحق والتوجه الى الاخرة وتغسل عن لوح
القلب رين الوساوس وخبث الرذايل ودرن الميل الى الدنيا ثم مطالعة احوال الماضين وتفهم
ما كانوا عليه من الدنيا وزخارفها وانقطاع ايديهم عنها واستقرارهم في القبور ثم التامل في احوال
الانبياء والاوصياء عليهم السلم مع كمال تمكنهم من الاستمتاع من الدنيا وتركهم لها طوعا ورغبة في ثواب
الله ومقام القرب منه وذلك دليل على ذم الدنيا وعيبها وكثرة مساويها فانظر الى حال كليم الله

موسى بن عمران عليه السلام اذ يقول رب اني لما انزلت الي من خير فقير ما ساله الا خبزا ياكله لانه كان ياكل بقلة الارض حتى كانت
خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه والحال داود عليه السلام فانه كان يعمل سفائف الخوص بيده ويقول
لجلسائه ايكم يكفيني بيعها وياكل قرص الشعير من ثمنها والحال عيسى بن مريم عليه السلام فانه كان يتوسد
الحجر ويلبس الخشن وكان ادامه الجوع وسراجه بالليل القمر وظلاله في الشتاء مشارق الارض ومغاربها
وفاكهته ما تنبت الارض للبهائم ولم تكن له زوجة تفتنه ولا ولد يحزنه ولا مال يلفته ولا طمع
يذله دابته رجلاه وخادمه يداه والحال نبيك الاطيب الاطهر صلى الله عليه وآله وفيه اسوة
لمن تاسى وعزاء لمن تعزى واحب الاعمال الى الله المتاسي به والاقتفاء لاثره فانه قضم الدنيا قضما ولم
يعرها طرفا واهضم اهل الدنيا كشحا واخمصهم بطنا وعرضت عليه الدنيا وخزائنها فابى ان يقبلها
وقد كان صلى الله عليه وآله ياكل على الارض ويجلس جلسة ويخصف بيده نعله ويرقع بيده ثوبه ويركب
الحمار العاري ويردف خلفه ويكون الستر على باب بعض زوجاته ويكون فيه التصاوير فيقول
لها غيبيه عني فاني اذا نظرت اليه ذكرت الدنيا وزخارفها فاعرض عن الدنيا بقلبه وامات ذكرها من نفسه
واحب ان تغيب زينتها عن عينه لكيلا يتخذ منها رياشا وتجملا ولا يعتقدها قرارا ولا يرجو فيها مقاما
فاخرجها من النفس وشخصها عن القلب وغيبها عن البصر وكذلك من ابغض شيئا ابغض ان ينظر اليه وان يذكر
عنده وقد كان فيه صلى الله عليه وآله ما يدلك على مساوي الدنيا وعيوبها اذ جاع فيها مع خاصته
وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته فانظر بنور عقلك اكرمه الله بذلك ام اهانه فان قلت اهانه
فقد كذبت واتيت بالافك العظيم وان قلت اكرمه فاعلم ان الله قد اهان غيره حيث بسط الدنيا له وزواها
عن اقرب الناس منه والحال وصي نبيك امير المؤمنين عليه السلام فانه قال لقد رقعت مدرعتي هذه حتى
استحييت من راقعها ولقد قال لي قائل الا تنبذها فقلت اعزب عني فعند الصباح يحمد القوم السرى
قوله عليه السلام فعند الصباح الى آخره مثل يضرب لتحمل المشقة ليصل الى الراحة واصله ان القوم يسيرون
بالليل فيحمدون عاقبة ذلك لقرب المنزل اذا اصبحوا ومطابقة الصباح لمفارقة النفس البدن ولاعراضها
واتصالها بالعالم الاعلى بسبب تلك الرياضة الكاملة والزهد عن الدنيا وترك لذاتها ومعاناة الزهد عنها
مطابقة ظاهرة واقعة موقعها وقد روي انه سئل عليه السلام لم رقعت قميصك فقال يخشع له القلب
ويقتدي به المؤمنون ومما نقل في زهده عليه السلام ما رواه احمد في مسنده عن ابي النور بالكوفة قال جاء

علي بن ابي طالب عليه السلام الى السوق ومعه غلام له وهو خليفة فاشترى مني قميصين وقال للغلام اختر ايهما شئت
فاخذ احدهما واخذ علي عليه السلام الآخر ثم لبسه ومد يده فوجد كمه فاضلا فقال اقطع الفاضل فقطعه ثم كفه
وذهب وقريب من هذا موجود في روايات اصحابنا رضوان الله عليهم فتاسّ بهم واقتف آثارهم ولج مولجهم
لتامن من الهلكة فان الله سبحانه جعلهم اعلاما للعباد واطلعهم على قبايح الدنيا واحوال الآخرة فاذا علمت
معنى الزهد فقس عليه الرغبة التي هي ضده وهي الركون الى الدنيا والميل الى اسبابها المانعة عن خلوص ذكر
الله ومشاهدة احوال الآخرة وقال بعض العارفين الرغبة في الدنيا تجر الى مساوي الاخلاق وارتكاب
المنكرات الحاجبة للمروات اذ الغريق في بحر الدنيا قلما ينفك عن الكبر والفخر والخيلاء والظلم وسوء الخلق
واستصغار النعم وكفرانها الى غير ذلك من الصفات الرذيلة المهلكة ولو فرض خلوه عن جميع تلك الصفات واتصافه
بجميع الصفات الحميدة كما يفرض المحال والممتنع لكان في غاية الخطر من زلة القدم في كل حركة وتصرف بخلاف
اهل القشف الذين اقتصروا من الدنيا على مقدار الضرورة والله ولي التوفيق والرفق وضده الخرق
قال سيد الحكماء الخرق بالخاء المعجمة والقاف من جانبي الراء بالتحريك مصدر الاخرق وهو ضد الرفق
وقد خَرِقَ يَخْرَقُ خَرَقاً والاسم الخُرق بالضم اقول هذا هو المستفاد من الصحاح حيث قال الخرق
بالتحريك الدهش من الخوف او الحيا والخرق ايضا مصدر الاخرق وهو ضد الرفق وقد خرق بالكسر
يخرق خرقا والاسم الخرق واما المستفاد من المغرب حيث قال الخُرق بالضم خلاف الرفق ورجل اخرق
اي احمق وامراة خرقاء ومن النهاية الاثيرية حيث قال فيه يعني في الحديث الرفق يمن والخرق شوم الخرق
بالضم الجهل والحمق وقد خرق يخرق خرقا فهو اخرق والاسم الخُرق بالضم ان ضد الرفق هو الخرق
بالضم والمستفاد من القاموس جواز الامرين اعني التحريك والضم فيه حيث قال والخرق بالضم وبالتحريك
ضد الرفق وان لا يحسن الرجل العمل والتصرف في الامور اذا عرفت هذا فنقول الرفق اللين والتلطف والخرق
العنف والعجلة والخشونة وترك التلطف لان هذه الامور من آثار الحمق والجهل ومن الرفق رفق الرجل بصديقه
وعدوه لان ذلك يوجب ازدياد الصداقة ورفع العداوة ومنه رفقه لجلسائه بالمساواة بينهم في اللحظة
والنظرة والاشارة والتحية والتكلم لكيلا يورث العداوة بينهم ومنه رفق الامير برعيته لانه ادخل في جلب
قلوبهم وانقيادهم لحكمه واطاعتهم لامره ونهيه كما قال امير المؤمنين عليه السلام لبعض عماله واخفض للرعية
جناحك والن لهم جانبك وفي الخبر ان افضل العباد عند الله منزلة يوم القيمة امام عادل رفيق وان

شر الناس منزلة يوم القيامة امام جائر خرق وفيه ان الرفق لا يوضع في شيء الا زانه ولا ينزع من شيء الا شانه
ثم الرفق انما يكون من جنود العقل اذا علم انه اصلح واصوب من الخرق والا فالرفق ح خرق كما قال امير المؤمنين
اذا كان الرفق خرقا كان الخرق رفقا يعني اذا كان الرفق في امر غير نافع فعليك بالخرق وهو العنف والعجلة
واذا كان الخرق غير نافع فعليك بالرفق والمراد به الحث على استعمال كل واحد منهما في موضعه كما هو شان العاقل
الحكيم فان الرفق اذا استعمل في غير موضعه كان خرقا والخرق اذا استعمل في غير موضعه كان رفقا وقريب من
هذا المعنى قوله عليه السلم ربما كان الداء دواء والدواء داء وقوله عليه السلم وارفق ما كان الرفق ارفق يعني اصلح و
اصوب واعتزم بالشدة حين لا يغني عنك الا الشدة وقوله عليه السلم ردوا الحجر من حيث جاء فان الشر لا يدفعه
الا الشر فقد رخص عليه السلم لمن اراد الغير بالضرب والرمي والقتل ان يدافعه بمثل ذلك اذا علم ان لا دفع الا
به فان ذلك جائز حسن عقلا ونقلا فان ادى الى هلاك الظالم فلا شيء على الدافع اذا لم يتعد والرهبة
وضدها الجراة الرهبة وهي الخوف على ثلثة اضرب خوف من الحق وخوف من الخلق وخوف من النفس كل ذلك من ثمرة
الحكمة والعلم بالله واياته وصفاته ومخاطرات النفس وتسويلاتها ومحاسن امور الدنيا والاخرة ومقابحها وفضائل
الاخلاق والخلائق ومنافعها اما الخوف من الحق فيورث القرب منه كما ورد في الخبر اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت
عنه ذنوبه كما تتحات من الشجرة ورقها ومن البين ان ذلك يوجب القرب منه واما الخوف من الخلق فيورث البعد عنهم
كما ورد في الخبر خالط الناس تخبرهم ومتى تخبرهم تقلهم ومن البين ان من يخاف لصا او سبعا يفر منه واما الخوف من النفس
فيورث تهذيبها لان العبد اذا خاف منها يحاربها في جميع حركاتها وسكناتها فيدفع عنها سيئاتها ويكرهها ويبعد
عما دعتها وذلك يوجب تهذيب الظاهر والباطن ومن ثم قال بعض اهل العرفان الخوف نار تحرق الوساوس
والهواجس في القلب الطاهر المبادر هنا هو الخوف من الله تعالى وهو قد يكون لامور مكروهة لذاتها وقد يكون
لامور مكروهة لادائها الى ما هو مكروه لذاته والثاني له اقسام كثيرة كخوف الموت قبل التوبة او خوف نقض
التوبة او خوف عدم قبولها او خوف الاغترار عن الفضل في عبادة الله تعالى او خوف ابتلاء القوة الغضبية او القوة
بحسب مجرى العادة في ارتكاب الانتقام واستعمال الشهوات المالوفة او خوف سوء الخاتمة او خوف الشقاوة في العلم الازلي
واعلى هذه الاقسام بحسب الرتبة عند الخائفين خوف الخاتمة فان الامر فيها خطير بل اعلاها واولها عند اكمل
المعرفة خوف الشقاوة السابقة في العلم الازلي لكون الخاتمة تابعة لها ومظهرة لما سبق في اللوح المحفوظ وقد مثل
من له خوف السابقة ومن له خوف الخاتمة برجلين وقع لهما ملك بتوقيع يحتمل ان يكون لهما فيه غنا او هلاك

فيتعلق

فيتعلق قلب احدهما بحال نشر التوقيع وما يظهر فيه من خير او شر ويتعلق قلب الاخر بما يحضر للملك حال التوقيع وما
ظهر له من رحمة او غضب وهذا التفات الى السبب فكان اولى واعلى فكذلك الالتفات الى القضاء الازلي
جرى بتوقيعه القلم الازلي في اللوح المحفوظ من اعلى الالتفات الى الابد واليه يشير ما في الحديث السعيد سعيد
في بطن امه والشقي شقي في بطن امه ومن طرق العامة السعيد من سعد بقضاء الله وكذا الاول اقسام كثيرة
كالخوف من سكرات الموت وشدائده او من سؤال منكر ونكير او من عذاب القبر او من اهوال الموقف بين يدي الله
عز وجل او من كشف الستر او من السؤال عن النقير والقطمير او من الصراط وحدته وكيفية العبور عليه او من
النار واغلالها وسلاسلها او من حرمان الجنة او من نقصان الدرجات فيها او من الحجاب من الله سبحانه وكل هذه
الامور مكروهة لذاتها ويختلف حال السالكين الى الله فيها واعلاها رتبة هو الاخير اعني خوف الفراق والحجاب
وهو خوف العارفين الناظرين الى انوار عظمته وجلاله الغائصين في بحار لطفه وفضله وكماله الذين اضاءت
ساحة قلوبهم بمصباح الهداية الربانية واشرقت مرآتهم بانوار المعارف الالهية كما قال سبحانه انما يخشى الله
من عباده العلماء واما ما قبله فهو خوف العابدين والصالحين والزاهدين ومن لم يكمل معرفته بعد واذا عرفت
الخوف ودرجاته فقس عليه ضده وهو الجراة ودرجاته لان ضد كل درجة من الخوف درجة من الجراة والاول
من اعوان العقل وجنوده والثاني من اعوان الجهل وجنوده فاذا وقع المطاردة بينهما في ساحة القلوب
وميدان الابدان واستظهر الجهل بالجراة استظهر العقل بالخوف فغلبه ويهزمه بان في الله الا ان حزب الله
هم الغالبون لا يقال المعروف في مقابل الرهبة يعني الخوف هو الرجاء دون الجراة لان الرجاء ليس ضدا حقيقيا
للخوف ولا الخوف ضدا حقيقيا للرجاء لانهما قد يجتمعان في قلب المؤمن بل افتراق احدهما عن الاخر مذموم واجتماعهما
ممدوح كما يدل عليه قوله تعالى في وصف العابدين ويدعوننا رغبا ورهبا وانما الضد الحقيقي للرهبة هو
الجراة والضد الحقيقي للرجاء هو القنوط كما مر لعدم امكان اجتماعهما في قلب واحد والتواضع وضده الكبر
من اعاظم جنود العقل ومكارم الاخلاق الانسانية ومحاسن الاوصاف النفسانية التي يرتقي بها الانسان
الى اعلى مدارج القرب والكمال ويصعد الى اقصى معارج العز والجلال التواضع لله ولعباده المؤمنين كما ان
الكبر من اعاظم جنود الجهل ومساوي الاخلاق ومذام الاوصاف التي يبعد بها الانسان عن قرب رب العالمين ويهوي به
الى اسفل السافلين التكبر على الله وعلى عباده المسلمين ولكل واحد من المتواضع والمتكبر تعزز وتذلل والتعزز
للمتواضع عند الله والتذلل عند نفسه وللمتكبر بالعكس ولا بد هنا من التكلم اولا في حقيقتهما وثانيا

فبما هو سبب لحصول تلك الحقيقة وثالثها فيما يلزمها ورابعها في المدائح والمذام الواردة فيهما اما حقيقة التواضع
فهي هيئة نفسانية تحصل من تصور الانسان نفسه اذل من غيره واخس رتبة منه ثم الاذعان به اذعانا جازما
لا يشوبه شيء من الشكوك والاوهام واما اسبابه فهي معرفة عظمة الله وجلاله وكبريائه وقهره وغلبته
على جميع الممكنات ومعرفة نفسه وشدة احتياجه وكمال افتقاره اليه في جميع الاحوال ويكفي في حصول تلك المعرفة
التامل في قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة
فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين
ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيمة تبعثون ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين
فانه اذا تفكر فيه علم انه كان في الازل عدما صرفا لم يكن له في الوجود خبر ولا في العين اثر ولم يكن شيئا مذكورا
ثم خلقه الله سبحانه من اخس الاشياء وهو التراب ثم من اخبثها وهو النطفة كما كان في الكتاب مسطورا ثم
بدله من حال الى حال ومن طور الى طور ومن نشاة الى نشاة حتى جعله ذا صورة محصلة وقوة ناطقة
وروح باصرة وآلات سامعة ولامسة الى غير ذلك مما له دخل في استكمال تلك الصورة ثم نقله من رحم الام
الى رحم الدنيا ورباه صغيرا وكبيرا وجعله سقيما وصحيحا وغنيا وفقيرا وقويا وضعيفا الى غير ذلك من الاحوال
المتبادلة والصفات المتضادة التي هي خارجة عن قدرة البشر ثم يميته ويقبره ويصيره جيفة منتنة
يهرب منه الحيوان ويتنفر منه اوثق الاخوان فتبلى اعضاؤه وتتفرق اجزاؤه حتى يصير ترابا كما كان
اول مرة ثم اذا شاء انشره فيقوم من مرقده ناظرا الى احوال موحشة وارض مبدلة ونجوم منكدرة وشمس
منكسفة وجبال سائرة وكتب طائرة وصراط وميزان وحساب وملائكة غلاظ شداد الى غير ذلك من
احوال القيمة وعقباتها وعقوباتها التي يطير من هولها قلوب العارفين واذا عرف هذه الامور حق المعرفة
علم انه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا وانه مضطر ذليل عبد مملوك لا يقدر
على شيء وانه متلبس بالعجز والانكسار ومتصف بالمسكنة والافتقار وانه بعيد عن الاتصاف بالبطر والكبرياء
والفخر والخيلاء لعلمه بان الكبرياء لا يليق الا بذاته لان الكبرياء تابع لكمال الذات وكمال صفاتها وافعالها
وجميع ذلك حاصل له اما الاول فلان كمال الذات عبارة عن كمال وجودها ووجوده اتم الوجودات واشرفها لاقتضاء
الذات اياه واما الثاني فلان جميع صفاته حاصلة له بالفعل بحيث لا يكون له وصف منتظر ازلا وابدا واما الثالث
فلانه يصدر عنه وجود كل موجود عداه بلا شفقة ولا حركة ولا آلة فاذن علم ان المستحق للعظمة والكبرياء بالذات

هو

هو وهذا معنى التواضع وحقيقته واما لوازمها فهي كثيرة جدا لان تلك الحقيقة اذا انبعث من القلب وجرى في
جداول الاعضاء والجوارح ترشحاتها تنبت منها انواع اثمار الفضائل منها العبادات القلبية والبدنية
كالذكر والصوم والصلوة ونحوها ومنها مجالسة الفقراء ومحبتهم ومواكلتهم وتقديمهم في الطرق والمجالس
ومنها لين القول وحسن المعاشرة والرفق بذوي الحاجات ومنها الشكر عند حدوث النعمة ودفع النقمة ومنها الابتداء
بالسلام وترك المراء واما المدائح الواردة فيه فهي كثيرة في القران والسنة كقوله لسيد المرسلين واشرف الاولين
والاخرين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقوله تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا
في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقال النبي صلعم ان التواضع يزيد صاحبه رفعة فتواضعوا يرفعكم الله
واما حقيقة التكبر فهي هيئة نفسانية تنشا من تصور الانسان نفسه اكمل من غيره واعلى رتبة منه وتلك الهيئة
تعود الى ما يحصل للنفس من ذلك التصور من النفخ والهزة والتعزز والتعظم والركون الى ما يتصوره من كماله وشرفه
على الغير ولذلك قال رسول الله صلعم اعوذ بك من نفخة الكبر وهي رذيلة تحت الفجور تقابل التواضع وان تصور الانسان
فضيلته عن الغير مع قطع النظر عن قياس نفسه الى من يتكبر عليه وعن اضافة تلك الفضيلة الى الله تعالى باعتبار انها
منه ولم يكن خائفا من زوالها بل كان ساكنا اليها مطمئنا فذلك هو العجب فاذن العجب هيئة نفسانية تنشا من
تصور الانسان فضله واستطاعته من النعمة والركون اليه والفرح به مع الغفلة عن قياس نفسه الى الغير
بكونه افضل منه وبهذا القيد يمتاز عن الكبر اذ لا بد فيه ان يرى الانسان لنفسه مرتبة وللغير مرتبة ثم يرى
مرتبته فوق مرتبة غيره وان تصور فضيلته على الغير واضافها الى الله سبحانه باعتبار انها منه فهو نوع من الحمد
كما يدل عليه قوله تعالى ولقد اتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين واما اسباب
الكبر فهي اضداد اسباب التواضع اعني عدم العلم بعظمة الله عز وجلاله وكبريائه وقهره على جميع الممكنات
وعدم معرفة نفسه وشدة احتياجه وافتقاره اليه سبحانه في جميع الاحوال ولست اعني بعدم العلم بهذه الامور
عدم تصورها والغفلة عنها بالمرة فان كثيرا من الجبابرة والمتكبرين ينسون انفسهم عن العلم بها بل اعني عدم استقراره
وتمكنه في قلوبهم وعدم لصوقها بها كعدم لصوق الماء بريش الاوز والبط واما لوازمه وآفاته وثمراته من الاعمال
والتروك فهي ايضا كثيرة جدا فان هذا الخلق الاجاج اذا انبع في القلب وجرى في الاعضاء والجوارح نبت منها
اعمال ردية وتروك مردية اما الاعمال فمنها باطنة كتحقير الغير وازدرائه واعتقاده انه لا يصلح للمجالسة
والمجانسة والموانسة والمواكلة واعتقاده انه ينبغي ان يكون ماثلا بين يديه او ماشيا من خلفه الى غير ذلك

من العقايد الفاسدة الموجبة لاستخفاف الغير ومنها ظاهرة كالتقدم عليه في الطرق والارتفاع عليه
في المجالس وابعاده عن مجالسته وزجره عن مواكلته والعنف عن رد قوله والغلظة على التعليم وذوي الحاجات
واذلالهم وغيبتهم والتطاول عليهم في القول واما التروك فكترك التواضع وترك معاشرة الفقراء وترك
الرفق بالناس ونحوها واما المذام الواردة فيه فهي ايضا كثيرة من القران والسنة كقوله كذلك يطبع الله على كل قلب
متكبر جبار وقوله صلعم يقول الله عز وجل الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني في واحد منهما القيته
في جهنم وقول الباقر والصادق عليهما السلم لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر قيل وانما صار الكبر حجابا عن
دخول الجنة لانه يحول بين العبد والفضايل التي هي ابواب الجنة اذ الكبر يغلق تلك الابواب كلها فلا يقدر
العبد ومعه شيء من الكبر ان يحب للمؤمن ما يحب لنفسه ولا يمكن من ترك الرذايل التي توجب الدخول في النار وفعل
اضدادها من الفضايل كالتواضع وكظم الغيظ وحب الفقراء والمساكين وحب معاشرتهم ومجالستهم وقبول
الحق والرفق وبالجملة ما من خلق ذميم الا وصاحب العز والكبر مضطر اليه ليحفظ به عزه وعظمته وما من
خلق فاضل الا وهو عاجز عنه خوفا ان يفوته عزه وعظمته لان الاخلاق الذميمة متلازمة يستلزم
بعضها بعضا فلذلك لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر والتؤدة وضده التسرع التؤدة
بضم التاء وفتح الهمزة وسكونها الرزانة والتأني والتثبت يقال اتأد فيه وتأدد اي تأنى وتثبت وهو
افتعل وتفعل والتاء في اتأد بدل من الواو والتؤدة تابعة للسكون والحلم اللذين من انواع الاعتدال في القوة
الغضبية فان حصولها يتوقف عليهما اما على السكون فلانه عبارة عن ثقل النفس وعدم خفتها في الخصومات
بحيث لا يحركها الغضب بسرعة وسهولة واذا حصلت للنفس هاتان الصفتان امكن لها التثبت والتاني وعدم
العجلة والبطش في الضرب والشتم الى غير ذلك من الجفا والمواخذة وضد التؤدة التسرع بالسين المهملة في
النسخ التي رايناها وفي لسيد الحكما ضدها التشرع بتائين مثناتين من فوق وتشديد الراء قال في الصحاح
تسرع اليه بالشر تسرعا وهو رجل تسرع اي سريع الى الشر والغضب انتهى والتسرع يعني العجلة في الامور وعدم التاني
في الاخذ من فروع التهور الذي في جانب الافراط من القوة الغضبية ومنشاه الجهل بحسن السياسة وخفة النفس
المقتضية لحركتها واضطرابها بادنى سبب والحلم وضده السفه الحلم هيئة حاصلة للنفس من اعتدال القوة
الغضبية المسماة بالنفس السبعية التي من شانها الاقدام على الاهوال وشوق التسلط والترفع والغلبة على الاقران
واعتدال تلك انما يحصل بانقيادها للعقل فيما يامر به حظا ونصيبا لها وعدم تجاوزها عن حكمه ويعتبر في حصول

تلك

تلك الهيئة عدم انفعال النفس عن الواردات المكروهة الموذية هذا في حق الانسان واما في حق الله سبحانه
فالحلم عبارة عن عدم انفعاله عن مخالفة عبيده لاوامره ونواهيه وعدم استفزاز الغضب له مشاهدة
المنكرات وعدم حمل قدرته الكاملة على المسارعة الى الانتقام والفرق بينه وبين العبد في هذا الوصف ان سلب
الانفعال عنه سلب مطلق وسلبه عن العبد سلب عما من شانه ان يكون له ذلك الانفعال ويكون عدم الانفعال
عنه اتم وابلغ من عدمه عن العبد وبذلك الاعتبار يكون حلمه اعظم ثم للحلم اثار غير محصورة منها كبر النفس
ويعرف ذلك بعدم صدور حركات غير منتظمة منها ومنها علو همتها ويعرف ذلك بعدم جزعها عند الامور الهايلة
حتى لا يبالي من احوال الموت وشدايده ومنها سكونها ويعرف ذلك بعدم طيشها في المواخذة ومنها تواضعها
ويعرف ذلك بالتخشع والتذلل للغير وعدم اظهار مزيتها عليه ومنها حميتها ويعرف ذلك بعدم تهاونها في محافظة
ما يجب حفظه شرعا وعقلا ومنها رقتها ويعرف ذلك بظهور تالمها عند تالم احد من المومنين وكذا له منافع غير
معدودة في الدنيا والاخرة اما في الاخرة فيكفي في الدلالة ما روي ان الرجل ليدرك بالحلم درجة الصايم القايم
واما في الدنيا فيكفي قول امير المومنين عليه السلم الحلم عشيرة يعني ان الرجل كما يتمتع بالعشيرة يتمتع بالحلم ويتوقر لاجله
ومن ثم قيل الحلم الكتاب المدح من الملوك والثنا من المملوك والسفه الذي ضده وطرف الافراط من القوة
المذكورة عبارة عن خفة النفس وحركتها الى ما لا يليق من الامور التي يقتضيها طغيان تلك القوة مثل الضرب والقتل
والشتم والبطش والترفع والتسلط والغلبة والظلم ومفاسده كثيرة وقد يطلق السفه على الجهل وسخافة
راي ونقصان عقل ومنه قوله تعالى حكاية عن الكفار انؤمن كما امن السفهاء وهذا المعنى ليس يراد هنا لانه ضد العلم
والحكمة التابعين لحركة القوة الناطقة بالاعتدال في العلوم والمعارف والصمت وضده الهذر صمت صمتا
وصموتا وصماتا اطال السكوت ومنه الصامت خلاف الناطق وهذر في نطقه يهذر هذرا والاسم الهذر
بالتحريك هو الهذيان والهذر من خواص الجاهلين وافعال الناقصين كما ان الصمت عما يضر ولا يهم من خصال
المرسلين وآداب العاقلين واخلاق الكاملين ومنافعه كثيرة جدا فانه يورث القلب فكرا في المعارف العقلية
والنقلية ويزينه بالحكمة النظرية والعملية لان الصمت دليل التفكر وقايد الحكمة ويورث السلامة عن
الآفات والمعاصي لان آفات الكلام ومعاصي اللسان كثيرة فعن معاذ بن جبل قال قلت يا رسول الله انواخذ
بالقول فقال ثكلتك امك وهل يكب الناس على مناخرهم الا حصايد السنتهم ويورث الهيبة لصاحبه
فان من راه يخيل اليه ان له شانا فيهيبه ويوقره بخلاف النطق بما لا يعني فانه يهين مكارم العاقل ويبدي

مساوي الجاهل ويصغرها في اعين الناس كما قال امير المؤمنين عليه السلم بكثرة الصمت تكون الهيبة وقال المرء مخبوء
تحت لسانه يعني ان الرجل اذا تكلم يظهر كونه فصيحا او عجما عالما او جاهلا خيرا او شرا وان لم ينطق كان جميع ذلك
مستورا عليه عند العامة ثم الظاهر ان السكون عما يشعر بضعف الراي وقبح العقايد من شعب الاعتدال في القوة
الفكرية وعما يشعر بالميل الى الترفع والغلبة والذم في اعراض الناس من شعب الاعتدال في القوة الغضبية وعما يشعر
بالميل الى المستلذات والمشتهيات من شعب الاعتدال في القوة الشهوية والهذر المقابل له من شعب الانحراف في هذه
القوى والاستسلام وضده الاستكبار الظاهر ان الاستسلام وهو الطاعة والانقياد على سبيل المبالغة
في متابعة الحق من فروع الحكمة الواقعة في حاق الوسط من القوة الناطقة ويحتمل ان يكون من فروع العدالة الحاصلة
من توسط هذه القوة والقوة الغضبية والشهوية جميعا لان الاستسلام كما يكون في مقتضى القوة الناطقة كذلك
يكون في مقتضى هاتين القوتين والاستكبار وهو التمرد عن الحق وترك الطاعة والانقياد له من فروع الجهل المقابل
للحكمة او من فروع الجور المقابل للعدالة والفرق بينه وبين الكبر ان الكبر كما ذكرنا هيئة نفسانية ناشئة
من تصور الانسان نفسه اكمل واشرف من غيره والاستكبار عبارة عن اظهار تلك الهيئة فهو كبر مع زيادة
كما يدل عليه زيادة البناء والتسليم وضده الشك التسليم بذل الرضا بقبول قول الله وفعله وقول الرسول
واوصيائه وافعالهم عليهم السلم وتلقيها بالبشر وطلاقة الوجه وان لم يكن موافقا للطبع ولم يعلم وجه المصلحة
وهو من فروع العدالة وعلامة الايمان قال الصادق عليه السلم لو ان عبدوا الله وحده لا شريك له واقاموا الصلوة
واتوا الزكوة وحجوا البيت وصاموا شهر رمضان ثم قالوا لشي صنعه الله او صنعه رسول الله صلعم الا صنع خلاف
الذي صنع او وجدوا ذلك في قلوبهم لكانوا بذلك مشركين ثم تلا هذه الاية فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك
فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما والشك هو عدم قبول ما ذكر ويسمى شكا
لانه من اثار الشك في الله وصفاته وفي الرسول واوصيائه واقوالهم وافعالهم وقيل المراد بالتسليم هنا
الاذعان والتصديق القلبي وفيه ان التسليم بهذا المعنى هو العلم وقد مر ذكره سابقا وعلى ما ذكرنا لا اقتضى
فيه اصلا لان هنا ثلثة اشياء مترتبة الاول العلم بصدق قول الله وقول الرسول الثاني ما ينشأ من هذا العلم
وهو الرضا بقولهما الثالث ما ينشأ من الرضا وهو قبول قولهما والصبر وضده الجزع الانسان ما دام
في هذه النشأة كان موردا للمصائب والآفات ومحلا للنوائب والعاهات ومكلفا بفعل الطاعات وترك المنهيات
والمشتهيات وكل ذلك ثقيل على النفس بشع في مذاقها وهي تنفر منه نفارا وتتباعد منه فرارا فلا بد ان

يكون

يكون فيه قوة ثابتة وملكة راسخة بها يقدر على حبس النفس على هذه الامور الشاقة والوقوف معها بحسن الادب وعدم
الاعتراض على المقدر باظهار الشكوى وتلك القوة وما يترتب عليها اعني حبس النفس على تلك الامور وعدم منعها
لمواجهها تسمى بالصبر وهو نوع من انواع العفة وباب من ابواب الجنة ومقام عال من مقامات السالك
الى الله وبناؤه على اربع قواعد الشوق والاشفاق والزهد والترقب للموت فمن اشتاق الى الجنة سلا عن
الشهوات وطيب نفسه عن ترك جميع المشتهيات ومن اشفق من النار اجتنب المحرمات ومن زهد في الدنيا استخف
بالمصيبات ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات والايات والروايات الواردة في مدحه كثيرة جدا ويكفي
في معرفة علو قدره قوله تعالى والله مع الصابرين وقوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب والجزع وهو حمل
النفس على الشكاية وفعل ما يدل على عدم رضاها بصنع الله وهو نقيض الصبر ومن جند الجهل ومنشأه عمى البصيرة
وتكدر السريرة فيتوهم عند نزول البلاء ان الجزع والاضطراب ينفعه فيتمسك به ويتمسك العقل ح بالصبر
ويقع بينهما قتال وجدال ومعركة هذا القتال قلب العبد وساحة الجوارح والله يؤيد بنصره من يشاء وهو على
كل شيء قدير والصفح وضده الانتقام صفح فلان عن فلان اذا اعرض عن ذنبه وعفى عن عقوبته وحقيقته
ولاه صفحة وجهه وهو من فروع الحلم وشعب الاعتدال في القوة الغضبية وهو من صفات الانبياء والاوصياء وشأن
الحكماء والعقلاء ومفاخر العلماء والكرماء اذ الحكيم يتغافل ويتدبر والعاقل يتسامح ويتفكر والكريم يغفر اذا قدر
وقد وقع الترغيب فيه في مواضع عديدة من القران والسنة قال الله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله
يحب المحسنين وقال النبي صلعم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا وفوائده غير
محصورة منها انه يوجب زيادة لا نقصا ولا هوان ومنها انه يوجب الذكر الجميل بين الاخوان والعقب
في غابر الزمان كما قيل فعفوك في الايام كالمسك فائح وصفحك في الاسلام كالنجم ظاهر والانتقام وهو المعاقبة
بالذنوب والاثام والمواخذة بالزلل والجرائم من فروع التهور وشعب الانحراف في القوة المذكورة ومن خصائل
ورذائل السفهاء ومنشأه عدم سكون النفس وثباتها فان تلك القوة تحركها ح بسهولة الى التشفي وارادة
الانتقام ويحدث بحركتها حرارة في القلب فيثور دمه ويغلي وينتشر الى الجوارح فتتحرك هذه الجوارح بعضها
الى الشتم وبعضها الى الضرب وبعضها الى غير ذلك من انحاء المواخذة ومضاره غير معدودة لانه يجر الى
استمرار العداوة وغلظتها واستيناف الخصومة وشدتها وقد يؤدي الى الظلم والعدوان ويبعث على البغي
والطغيان لتجاوزه عن القدر الجائز ولذلك كان الصفح احسن من الانتقام هذا اذا علم ان الصفح لا يضر ولا يؤدي

المراة والمخصم والالف الانتقام بالغدر والجابر احسن وعلى هذا الجمل قول امير المؤمنين عليه السلم الشريف من عند النشر وقوله
ردوا الحجر من حيث جاء والغنا وضده الفقر في القاموس الغنى كالى ضد الفقر واذا فتح مد والاسم الغنية بالضم
والكسر والغنوة والغنيان مضمومتين ككساء من الصوت ما طرب به وكسماء رمل وهذه الفقرة يحتمل وجوها
الاول الغنا والفقر الاخرويان وهو الذي اشار اليه صلعم بقوله اتدرون ما المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم
له ولا متاع فقال ان المفلس من امتي من يأتي يوم القيمة بصلوة وصيام وزكوة ويأتي قد شتم هذا او اكل
مال هذا او سفك دم هذا او ضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان
يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار وهذا حقيقة الفقر والافلاس واما من ليس له مال
ومن قل ماله فالناس يسمونه فقيرا ومفلسا وليس هو حقيقة الفقير والمفلس لان هذا امر يزول وينقطع بموته
وربما ينقطع بغنى ويسار يحصل له بعد ذلك في حيوته بخلاف ذلك الفقير المفلس فانه يهلك بالهلاك الابدي
واشار اليه سيد الوصيين بقوله الغنى والفقر بعد العرض على الله سبحانه الثاني غنى القلب بالاخلاق وفقره
بعدمها وهذا قريب من قوله عليه السلم ليس البلية في ايامنا عجبا ان السلامة فيها اعجب العجب ليس الجمال
باثواب تزيننا ان الجمال جمال العلم والادب ليس اليتيم الذي قد مات والده ان اليتيم يتيم العقل والحسب
الثالث اظهار الغنى مع كمال المسكنة ورياضة النفس بالقناعة بما فضل له والرضا بالموجود والصبر على المفقود
والاعراض عن الدنيا والعقبى والاقبال على المولى وقطع الامال وترك القيل والقال كما يرشد اليه قوله تعالى يحسبهم
الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا واظهار الفقر والطمع عما في ايدي الناس وهذا
قريب من قوله صلعم حين قيل له ما الغنى قال الياس عما في ايدي الناس ومن قول بعضهم كان بر عليك باليأس من الناس
ان غنى نفسك في اليأس الرابع الغنى الحقيقي جل شانه عما سواه من الاسباب والوسايل والفقر التمسك بالسوى
والاستعانة به والغنى بهذا المعنى من جنود العقل واعوانه اذ به يترقى العقل من حضيض الذلة الى اوج
الكمال في الانسان كما ان الفقر الذي هو ضده من جنود الجهل وانصاره اذ به يستولي الجهل على ممالك الوجود
والطغيان والتذكر وضده السهو التذكر من انواع العلم وفروع الاعتدال في القوة العاقلة والسهو
من انواع الجهل المقابل للعلم وفروع الانحراف في هذه القوة وهذه الفقرة ايضا يحتمل وجوها الاول ان يكون
المراد بالتذكر تذكر احوال القيمة وعقباتها وشدايدها فان من تذكرها وراها بعين البصيرة يتقي من نار
الرب ويأخذ عنان الطبيعة عن يد النفس الامارة ويعلل نفسه بما ينجيه من الهلاك الابدي الثاني تذكر الموت

وسكراته

وسكراته وما يتبعه من احوال البرزخ وكيفية النجاة واسبابها الثالث تذكر الصور المخزونة في القوة الحافظة
بعد زوالها عن القوة المدركة واستحضارها ثانيا الرابع تذكر الصور العقلية المخزونة في المبادي العالية
باقبال النفس اليها وارتباطها بها الخامس تذكر حالاته من بدو الوجود الى كمال نشوه وكيفية انتقاله من حال
الى حال وارتحاله من طور الى طور وانقلابه من وضع الى وضع على ما يقتضيه القدرة القاهرة والسهو مقابل
للتذكر بهذه المعاني وكون التذكر من جنود العقل والسهو من جنود الجهل ظاهر لان التذكر نوع من العلم والسهو
نوع من الجهل فالاول يعين العقل في السير الى الله والثاني يعين الجهل في الميل الى الضلالة والحفظ وضده النسيان
الحفظ ايضا من انواع العلم والنسيان من انواع الجهل المقابل للعلم ولعل المراد بالاول حفظ الميثاق الذي اخذه الله
من العباد حين كونهم في صورة الذر او حفظ ما يجب حفظه مطلقا او حفظ الصور الحسية في خزانتها او حفظ
الصور العقلية بان يحصل للذهن ملكة يشاهد بها تلك الصور من المبادي العالية من غير حاجة الى تجشم كسب
والنسيان عبارة عن نبذ الميثاق والغفلة عنه بالمرة او عن زوال الصور عما يجب حفظه او عن القوة المدركة او عن
زوال الصور الحسية عن الخزانة والقوة المدركة جميعا او عن زوال الصور العقلية بفقد ملكة المشاهدة
والتعطف وضده القطيعة العطف الميل ومنه عطفت عليه بمعنى اشفقت عليه ورحمته لان في الاشفاق
والرحمة ميلا وانعطافا الى المرحوم والعطاف الرداء وتعطفت بالعطاف اي ارتديت به والمتعطف بالواحد
كانه ضمه الى نفسه بمنزلة الرداء والقطيعة مصدر يقال قطع رحمه قطعا وقطيعة فهو قطع كصرد
وهمزة هجرها وعقها وبينهما رحم قطعاء اذا لم توصل والتعطف من انواع العدالة وضده من انواع الظلم
وعليكم ايها الاخوان ان تكونوا اخوانا متعاطفين متباذلين متواصلين من الفئين بالنسبة الى كل احد من المسلمين
وان لا تفرقوا بين الغني والفقير والقوي والضعيف والكبير والصغير وقد صدر الترغيب فيه من القرآن الكريم
قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة وقال واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وقال رسول الله صلعم لا يحل لمسلم ان يهجر
اخاه فوق ثلث وهذه الفضيلة فضيلة شريفة من فضايل الاخلاق لا يتصف بها الا من امتحن الله قلبه بالتقوى
وطهره من الكبر والرين ونزهه من الحقد والغش ويندرج تحتها كثير من المكارم مثل خفض الجناح ولين الجانب
والرفق في الاقوال والافعال وعدم الغلظة والجفاوة في جميع الاحوال وبسط الوجه وطلاقته من غير تقطيب
وعبوس والمواساة بينهم في جليل الامور وحقيرها وقليلها وكثيرها بقدر الامكان فان جميع ذلك من
توابع الشفقة والرحمة ولوازمها ولها منافع غير محصورة ويكفي في هذا المقام قول امير المؤمنين عليه السلم

من لان جانبه كثر اعوانه وقوله من رفع عن الناس يدا واحدة رفعت عنه ايد كثيرة ثم ان التعاطف والتواصل
من حقوق العشرة والصحبة اذا كانا في جانب الدين والا فهجرة اهل الاهواء والبدع دائمة على كل الاوقات
ما لم يظهر منهم التوبة والرجوع الى الحق ولذلك لما خاف صلعم على كعب بن مالك واصحابه النفاق لتخلفهم عن
غزوة تبوك امر بهجرانهم خمسين يوما والقنوع وضده الحرص القنوع بالضم هنا مصدر بمعنى القناعة
بالكسر وهي الرضى باليسير من متاع الدنيا والاقتصار على قدر الكفاف بل على ما دونه لو تعذر عليه
وقد روي عن النبي صلعم قال قلت يا جبرئيل ما تفسير القناعة قال يقنع بما يصيب من الدنيا يقنع بالقليل ويشكر
باليسير وفسرها المحقق الطوسي بعد ما عدها من الانواع المندرجة تحت العفة الحاصلة من اعتدال في
القوة الشهوية بانها رضاء النفس في المآكل والمشارب والملابس وغيرها بما يسد الخلل من اي جنس اتفق
وقد وقع الحث عليها في القرآن والسنة ويكفي في ذلك قوله تعالى لنبيه صلعم ولا تعجبك اموالهم ولا اولادهم
وقوله ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا وقول الباقر والصادق عليهما السلم
من قنع بما رزقه الله فهو اغنى الناس وقول امير المؤمنين عليه السلم القناعة مال لا ينفد ولا يفنى ومن طرق العامة
القناعة كنز لا ينفد يعني بذلك ان الانفاق منها لا ينقطع كلما تعذر عليه شيء من امور الدنيا قنع بما دونه
ورضي وقوله عليه السلم كفى بالقناعة ملكا يعني ان القناعة منجية عن مهلكة الالتماس كالملك وان جل عن
ذلك شيء فانظر الى عيش الانبياء والاوصياء والاولياء والصلحاء من قبلك وقد بلغك حال نبيك الاطهر انه
انما كان قوته الشعير ولم يشبع منه وحلواه التمر وثوبه الخشن وفقده السعف اذا وجده واما ضدها
وهو الحرص في طلب زهرات الدنيا والانهماك في لذاتها وجمع مشتهياتها زايدا على القدر الضروري الذي يجوزه
العقل والنقل فهو من شعب الانحراف في القوة الشهوية وطرف الافراط فيها وصاحبه مع عدم خلوه من الشقاوة
لا يامن من الوقوع في الشبهات وارتكابه للمحرمات ولذلك قال امير المؤمنين عليه السلم والرغبة مفتاح النصب
ومطية التعب وقال والحرص داع الى التقحم في الذنوب وقال ابن آدم ان كنت تريد من الدنيا ما يكفيك
فان ايسر ما فيها يكفيك وان كنت تريد ما لا يكفيك فان كل ما فيها لا يكفيك ووجه ذلك ظاهر لان الحريص
في جمع المال وزخارفها بعدم رضاه على الرضا بما قدر الله له وتتبع حرصه وامله ومراتب الحرص غير محصورة
ودرجات الامل غير معدودة فلو فرض انه جمع له تسعة اعشار الدنيا لطلب عشرها الباقي ثم بعده يطلب الدنيا
مرتين وعلى هذا حتى يموت فهذا حكم طلب القدر الزايد واما طلب القدر الضروري له ولعياله فليس من الحرص

في شيء

في شيء بل هو من العبادة قال رسول الله صلعم الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله فلو ترك ذلك كان مذموما ونبينا
ذلك من جنود الشهوة الذي هو طرف التفريط من القوة المذكورة والمواساة وضده المنع في الغريب آسيته بمالي
اي جعلته اسوتي اقتدي به ويقتدي هو بي وواسيته لغة ضعيفة وفي النهاية الاسوة بكسر الهمزة
وضمها القدوة والمواساة المشاركة والمساهمة في المعاش والرزق واصلها الهمزة فقلبت واوا تخفيفا على
ان المواساة يعني معاونة ذوي الارحام والاقربين وساير الناس من الفقراء والمساكين في المعيشة وايثارهم
في القوت والمال من شعب السخاء المعدود من انواع العفة ومن كمال الصالحين وخصال العاقلين اذ العاقل الكامل يعلم
بنور عقله ان مدخلة الفقراء ومواساة الضعفاء واعطائهم ما ينتظم به احوالهم من فضل المال يوجب ذكرا جميلا
في الدنيا كما قال امير المؤمنين عليه السلم ولسان الصدق يجعله الله للمرء في الناس خير له من المال يورثه غيره وثوابا
جزيلا في الآخرة كما وعد الله سبحانه اهل الانفاق بقوله الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون
ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وبقوله من ذا الذي يقرض الله
قرضا حسنا فيضاعفه له وله اجر كريم ويعلم ان الفضل الزايد في ماله على القدر الذي يدفع ضرورته
ليست زيادته معتبرة في صلاح حاله ولا نقصانه معتبرة في فسادها فلا يزيده اذن ابقاؤه ولا ينقصه
انفاقه واعطاؤه فيسهل عليه انفاقه على ذوي الحاجات توقعا لما يترتب عليه من رفع الدرجات واما
المنع يعني عدم اعطاء الفقراء وترك مشاركتهم ومساهمتهم في فضل المال فهو من شعب البخل ومن صفات الجاهلين
وعلامات الغافلين اذ الجاهل الغافل مع جهله بما يترتب على الانفاق من الثناء الجميل عاجلا والثواب الجزيل اجلا
يظن انه ان انفقه يصير فقيرا فيمسكه لنفسه وذلك لسوء ظنه بالله الرزاق وعدم ايمانه برب الارباب
وضعف اذعانه بيوم الحساب فيستحق بذلك الشقاء العظيم والعذاب الاليم كما قال العزيز العليم والذين يكنزون
الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم والمودة وضدها العداوة المودة المحبة
تقول وددت الرجل اوده ودا اذا احببته والود بالحركات الثلث المودة ولما كان الانسان محتاجا
في تعيشه الى التمدن وهو اجتماعه مع بني نوعه للتعاون والتشارك في تحصيل اللوازم والحاجات اذ لا يمكن
للانسان الواحد القيام بجميع ما يحتاج اليه من المصالح والضروريات التي لا بقاء له بدونها وذلك التعاون
والتشارك لا يتم الا بايتلاف ومعاملة واختلاط ومصاحبة ولا ينتظم ذلك الا بتحقق الروابط بينهم احتاجوا
الى تلك الروابط واعظمها المودة التي هي من فروع الاعتدال في القوة الغضبية وهي من جبلة نفوس الكاملين

وصفات العاقلين اذ العاقل الكامل يعلم ان مودته للناس مستلزمة لمودتهم ومودة اتباعهم وخدمهم وحواشيهم
له فيجلب لنفسه من مودة واحد مودة اشخاص كثيرة له وذلك مستلزم لنفعهم له وعدم مضرتهم اياه
وميل قلوبهم اليه وانسهم به وتعاونهم له ودفعهم عنه وبذلك يتم نظامهم وصلاح حالهم في الدنيا
والاخرة ولذلك قال امير المومنين عليه السلام التودد نصف العقل واما ضدها اعني العداوة التي من فروع رذائل
القوة المذكورة فهي من جملة نعوت الناقصين وصفات الجاهلين اذ الجاهل لغفلته عن سوء العاقبة وخاتمتها
يظن ان عداوة الناس خير له ويغفل عن حصول لها فيهم بالنسبة اليه ايضا وعن بعدهم منه ونفارهم
عنه المستلزمين لفساد نظامه وعدم حصول مرامه وتضييق ماله وتغير حاله في الدنيا والاخرة والوفاء
وضده الغدر وفى بعهده واوفى به وفاء وهو وفي اذا قام به واتمه وهو فضيلة مندرجة تحت
العدالة كما ان الغدر الذي هو ضده يعني نقض العهد رذيلة مندرجة تحت الفجور وبه يشعر قول امير المومنين
عليه السلام كل غدرة فجرة وكل فجرة كفرة هذا اشرف الضروب من الشكل الاول ينتج كل غدرة كفرة والوجه
في لزوم الكفر للغادر ان استحل الغدر ظاهر والا فالمراد بالكفر كفر نعم الله وسترها باظهار المعصية و
المخالفة كما هو المفهوم اللغوي من لفظ الكفر ثم للوفاء مراتب الاولى الوفاء بكلمتي الشهادة وثمرته حفظ
النفس والمال والثانية الوفاء بالعبادات المفروضة والمندوبة وثمرته الثواب الجزيل والجميل
في الاخرة والثالثة الوفاء بترك الكبائر والاجتناب عن الصغائر وثمرته النجاة من الجحيم والتخلص من
العذاب الاليم والرابعة الوفاء بالفضائل النفسانية والاجتناب عن رذائلها وثمرته الترقي الى
عالم الروحانيين والتشبه بالملائكة المقربين والخامسة الوفاء بعهود الناس ومواثيقهم الموافقة
للقوانين الشرعية وثمرته استبقاء نظامهم واستكمال مقاصدهم ومرامهم والسادسة وهي اعلى
المراتب واسناها التعري عن الاغطية البشرية بالتجريد والاستضاءة بالانوار الربوبية والاستغراق
في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره وثمرته الفوز بالكرامة في دار المقامة والاستبشار
باللقاء الدائم كما قال سبحانه وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ولعل حذف معمول الوفاء للدلالة
على تعميمه وشموله لهذه المراتب كلها والغدر كلها وللغدر ايضا مراتب تعلم بالمقايسة والمرتبة الخامسة
من الوفاء انما تطلب وتمدح اذا كان المعاهد عليه باقيا على عهده وشرطه والا فالوفاء غير
ممدوح بل هو مذموم كما اشار اليه امير المومنين عليه السلام بقوله الوفاء لاهل الغدر غدر عند الله

والغدر

والغدر باهل الغدر وفاء عند الله يعني ان ابقاء العهد والعمل بمقتضاه لاهل الغدر ترك العهد ونقضه
في حكم الله ويترتب عليه اثره والغدر في حقهم وفاء وذلك اذا كان الغادر على الحق لان الموفي حينئذ يمدهم
على المعصية والغادر لا والطاعة وضدها المعصية الطوع والطاعة الاذعان والانقياد يقال عصاه
يعصيه عصيا ومعصية وعصيانا اذا خالفه والمراد ان طاعة الله وطاعة الرسول صلعم وطاعة اولي الامر
من جنود العقل اذ العقل بها يصعد الى منازل الابرار ويسعد لمرافقة الاخيار كما قال الله تعالى يا ايها الذين
امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم وقال ومن يطع الله ورسوله فاولئك مع الذين
انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ولم يذكر طاعة
اولي الامر في هذه الاية لان طاعتهم طاعة الرسول كما يرشد اليه عطفهم على الرسول في الاية السابقة
من غير اعادة الامر بطاعتهم ثم ان النافع مجموع هذه الطاعات دون بعضها كما يرشد اليه قول الصادق
وصل الله طاعة ولي امره بطاعة رسوله وطاعة رسوله بطاعته فمن ترك طاعة ولاة الامر لم يطع الله
ولا رسوله فالمعصية المقابلة للطاعة هي ترك هذا المجموع سواء كان تركه بترك جميع اجزائه او بترك
بعضها وهي رذيلة مندرجة تحت الجور موجبة للدخول في النار كما قال سبحانه ومن يعص الله ورسوله
ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين والخضوع وضده التطاول في الصحاح
الخضوع التطامن والتواضع وفي الكشاف الخضوع اللين والانقياد والتطاول اظهار حصول الطول
بالفتح يعني الفضل والعلو وسر كون الاول من صفات العاقل والثاني من صفات الجاهل ان العاقل يعرف
بنور بصيرته ان له تعالى شانه العلو المطلق لافتقار كل شي اليه وله اعلام الوجود لدلالة كل شي عليه
وله العزة لكون كل موجود سواه مقهورا في تصريف قدرته وموصوفا بالعجز في جريان حكمه ومشيته وله
خشوع جميع الممكنات وخضوعها في رق الحاجة والامكان لانفعالها عن سطوته وله قوام جميع الموجودات
وقيامها التذللها من عظمته ويعرف ان اليه فزع كل ملهوف ومنه غنى كل فقير وعز كل ذليل وقوة كل
ضعيف فيوصله تلك المعارف والكمالات الى اعلى الفضائل واشرف المقامات وهو مقام الفزع الى الله
بالتخشع والتخضع والتذلل والتواضع وتطييب القلب وتليين السر فيحصل له حينئذ قلب خاضع وذهن واله ودمع
منهمل وعقل متخل ويؤثر ذلك في جوارحه اذ هي تابعة للقلب ومنه يظهر سر ما روي من ان لسان
المومن من وراء قلبه فيصدر حينئذ من جميع اعضائه الظاهرة والباطنة افعال متناسبة في الخشوع واعمال

مناسبة في الخضوع وفي ذلك مراتب متفاوتة ودرجات متصاعدة ارفعها الوصول الى ساحة الحق والفناء
المطلق والطيران في حظاير القدس باجنحة الكمال مع الملائكة المقربين بخلاف الجاهل فانه لخلوه عن تلك
الحالات وغفلته عن تلك المعارف والكمالات محبوس في ظلمات الطبيعة بعيد عن التشرف بشرف تلك الفضيلة
اذ قلبه في واد وجوارحه في واد آخر فلذلك اعماله غير منتظمة بروابط الخضوع وافعاله غير متعلقة
بعلائق الخشوع وهو مع ذلك يعتقد لنفسه فضيلة كاملة ورفعة بالغة ورتبة فائقة وهذا معنى التطاول
وحقيقة التفاضل كما هو المشاهد من الجهلة والمعلوم من السفلة وينبغي ان يعلم ان الخضوع والخشوع والتواضع
وان كانت متقاربة في المعنى لكن بينها فرقا لان الاذعان واللين اذا حصلا في القلب فمن حيث انهما يوجبان
انكسارا وافتقارا وتذللا خضوع ومن حيث انهما يوجبان الخوف والخشية والعمل خشوع ومن حيث انهما
يوجبان انحطاط رتبته عن الغير وتعظيم ذلك الغير تواضع وقد يفرق بين الخضوع والخشوع بان الخضوع
بالقلب والخشوع بالجوارح وبين الخضوع والتواضع بان التواضع عدم اعتقاد المزية بالنسبة الى الغير
في الجاه والمنزلة والخضوع اعم او مختص بالنسبة الى الاعلى والسلامة وضدها البلاء ليس المراد من الامراض
البدنية والابتلاء بها لما روي عن الصادق عليه السلام ان اشد الناس ابتلاء الانبياء ثم الذين يلونهم ثم الامثل فالامثل
ولا السلامة من الفقر والابتلاء به لما روي عنه عليه السلام قال الله تعالى يا موسى اذا رأيت الفقر مقبلا فقل
مرحبا بشعار الصالحين واذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته اللهم الا ان يخصص بنوع من الفقر
بما يوجب كسر الظهر والفتنة في الدين فانه قد نقل الاستعاذة منهما عن اهل العصمة عليهم السلام بل المراد السلامة
عن ايذاء المسلمين والابتلاء به كما روي المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه او السلامة من الامراض النفسانية
والادواء الفاسدة والعقائد الباطلة مثل الكفر والكبر والحقد والحسد والنفاق وغيرها والابتلاء
بها فان الاول من جنود العقل وانصاره لكونه من شعب العدالة الواقعة في حاق الوسط والثاني من جنود
الجهل لكونه من فروع الجور الواقع في طرفي الافراط والتفريط والحب وضده البغض الحب بالضم والكسر والمحبة ميل القلب
الى ما يلايمه والبغض المقت وقد بغض الرجل بغاضة اي صار بغيضا وبغضه الله الى الناس تبغيضا فابغضوه
اي مقتوه ولعل المراد ان حب الخلق بعضهم بعضا من جنود العقل وبغضهم من جنود الجهل لان العاقل يعلم ان نظام
الدنيا والدين لا يتم الا بالمحبة فلذلك يختارها ويحترز عما يلزم البغض من التقاطع المستلزم لتطاول الحاسدين
وتسلط المعاندين من التنازع المستتبع لعدم الثبات والقرار والمؤدي بالآخرة الى الهلاك والبوار وان

اردت

اردت ان تعرف انك تحب احدا فاجعل نفسك ميزانا فيما بينه وبينك فان كنت تحب له ما تحب لنفسك
وتكره له ما تكره لنفسك فانت تحبه وهو حبيبك والا فلا بخلاف الجاهل فانه لظلمة بصيرته غافل
عن حسن عاقبة المحبة وسوء عاقبة البغض فيظن ان البغض خير له في تحصيل مقاصده وتجارته ويسوق
سفينة البغاضة في بحر الغواية بريح الغباوة الى ان يدركه الغرق من حيث لا يعلم وينبغي ان يكون اعظم محبتنا
لعباد الله تعالى محبتنا لرسول الله صلى الله عليه وآله وعترته الطاهرين صلوات الله عليهم اجمعين لشرافة ذواتهم
وجريان نعمائهم ظاهرا وباطنا علينا ووصول احسانهم جليا وخفيا الينا وبالجملة محبة الشيء اما لحسنه
في الظاهر كالصور الجميلة او في الباطن كحسن بواطن الصالحين وشرافة نفوسهم او لاحسانه بجلب نفع او دفع
ضر كاحسان الناس بعضهم بعضا او لاعظامه كاعظام الولد والده او لترحمه وشفقته بحسب الجبلة
والشاكلة كترحم الوالد على ولده وقد اجتمع الجميع فيهم عليهم السلام لما فيهم من جمال الظاهر والباطن واحسانهم
الينا بالهداية والشفاعة وعظمة شانهم وانافة قدرهم على كل والد وولد ومحبتهم لنا فلذلك تجب
علينا محبتهم على اكمل الوجوه واتمها ومن محبتهم الذب عن سنتهم ونصر شيعتهم والتمسك بطريقتهم
وبذل النفس والمال دون محبتهم والوقوف عند حدودهم واعانة اهل محبتهم او المراد ان حب العباد
لله من جنود العقل وبغضه من جنود الجهل لان محبة العبد له تعالى انما هي على قدر معرفته بجلاله سبحانه
وكمال اوصافه وتنزيهه عن النقص والعاقل هو الذي يعرف جماله وجلاله وكماله وقدرته وعظمته
واحسانه فعند شروق انوار هذه المعارف على مرآة سره وبروق آثار الاعمال الصالحة في مشارق
قلبه يمطر الله عليه امطار الحب ويكشف عنه الحجاب ويجذبه العناية الازلية الى بساط القرب ويسقيه
من ماء المحبة وتنجيه من هذا السراب واما الجاهل فانه لا يعرف من هذه المعارف اسما ولا من هذه الاعمال
رسما ولا من هذه دعوى علما لحدا فكيف له الوصول الى مرتبة المحبة التي هي مرتبة العليا للسالكين والدرجة
العظمى للعاقلين والمنزلة الكبرى للزاهدين بل هو بطبعه هارب عن عالم النور مستقبل لدار الغرور
وهذا معنى بغض العبد له تعالى اعاذنا الله من ذلك واعلم ان الفرق بين الحب والمودة وبين البغض والعداوة
دقيق جدا حتى انه قد ظن رجوع هذه الفقرة الى قوله عليه السلام والمودة وضدها العداوة وان احدهما
كانت بدلا عن الاخرى جمع بينهما في الكتابة قلم الناسخ ولكن ظاهر قوله تعالى والقينا بينهم العداوة والبغضاء
يفيد المغايرة ويمكن القول بتحقق المغايرة بان المودة ميل ظاهر القلب والمحبة ميل ظاهره وباطنه

وبه يشعر قوله تعالى قد شغفها حبا فالمحبة اعظم من المودة او بان المودة والعداوة من الامور القلبية و من الكيفيات
النفسانية مع قطع النظر عن ظهور اثارهما من الجوارح والمحبة والبغض من هذه الامور والكيفيات
مع اعتبار ظهور اثارهما منها ويؤيده قول القاضي في تفسير الاية المذكورة فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق
اقوالهم فليتامل والصدق وضده الكذب صدق الخبر مطابقته حكمه للواقع وكذبه بعدم مطابقته
له لا بمطابقته لاعتقاد المخبر وعدمها كما ذهب اليه النظام ولا بمطابقته لهما وعدمها كما ذهب اليه الجاحظ
لان العلماء يصفون كل خبر علموا انه ليس مطابقا للواقع بانه كاذب وان لم يعلموا اعتقاد المخبر والمسلمين
يصفون اليهود والنصارى بالكذب على الله وان كان اكثرهم لا يعلم انه كاذب بل يعتقد انه صادق واورد
عليه اولا بان قول القايل محمد صلعم ومسيلمة صادقان خبر وليس مطابقا للواقع ولا غير مطابق له واجيب
بانه كاذب باعتبار اضافة الصدق اليهما لانه غير مطابق وقد يجاب بانه كاذب لانه يفيد صدق احدهما
في حال صدق الاخر ورد بان التثنية لا تفيد المصاحبة وثانيا بان قول القايل كل كلامي في هذا اليوم كاذب
ولم يوجد منه سوى هذا الكلام ليس مطابقا للواقع والا لكان غير مطابق فيجتمع النقيضان واجيب بان
الصدق والكذب انما يعرضان الخبر مغاير للمخبر عنه حتى يتصور فيه المطابقة فيحكم بصدقه وعدمها
فيحكم بكذبه وهنا قد اتحد فلا يدخله الصدق والكذب وللبحث فيه مجال واسع واستدل النظام
بقوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون فانه تعالى شانه اخبر بانهم كاذبون في قولهم انك لرسول الله مع انه مطابق للواقع فلو كان
الصدق عبارة عن المطابقة للواقع لما صح فالتكذيب ليس باعتبار انه مطابق للواقع بل باعتبار انه غير مطابق
لاعتقادهم واجيب بان المعنى والله يشهد انهم لكاذبون في قولهم انك لرسول الله من عند انفسهم لان
هذا الخبر كاذب غير مطابق للواقع عندهم او انهم لكاذبون في لازم فايدة هذا الخبر وهو كونهم عالمين
بمضمونه او انهم لكاذبون في نشهد باعتبار تضمنه خبرا كاذبا وهو ان شهادتنا هذه من صميم القلب وخلوص
الاعتقاد بحيث في الحالات فيه قلوبنا السنتنا كما يشعر به ان واللام واسمية الجملة فكذبهم الله تعالى
لعله بعدم المواطاة بين قولهم وقلبهم او انهم لكاذبون في دعوى الاستمرار المستفاد من نشهد او انهم
لكاذبون في حلفهم على عدم التفوه بالنفاق على فقراء المهاجرين او انهم لكاذبون يعني ان شانهم الكذب فالتكذيب
ليس في هذا الخبر بخصوصه فكانه قيل انهم وان صدقوا في هذا الخبر لكن صدقهم فيه لا يخرجهم من زمرة الكاذبين

فان

فان الكذوب قد يصدق واستدل الجاحظ بقوله تعالى حكاية عن المشركين افترى على الله كذبا ام به جنة فانهم
حصروا اخبار النبي بالحشر والنشر والتوحيد في كونه كاذبا او كلام مجنون ولا شك ان المراد بالثاني غير الكذب
لانه قسيمه وقسيم الشيء يجب ان يكون مباينا له وغير الصدق لاعتقادهم عدمه ولعدم دلالة الثاني عليه
فقد اثبتوا بين الصدق والكذب واسطتين احديهما عدم مطابقة خبر النبي صلعم للواقع مع الشك في المطابقة
والاخرى عدم مطابقته له مع اعتقاد المطابقة بان يكون اعتقادهم الفاسد ان عدم مطابقة هذا
الخبر بلغ بمرتبة لا يخفى على من له شايبة عقل فالشك في المطابقة لا يكون من مجنون فكيف اعتقاد المطابقة
ولا شك ان الواسطة انما تكون اذا اعتبر في الصدق والكذب مطابقة الخبر للواقع والاعتقاد جميعا
وعدمها لهما اذ لا واسطة عند اعتبار المطابقة للواقع وعدمها ولا عند اعتبار المطابقة للاعتقاد
وعدمها واجيب بان ترديدهم الخبر صلعم ليس بين الكذب المطلق والاخبار حالة الجنون بل انما هو بين
الافتراء وهو الكذب عن عمد وعدمه يعني قوله ام به جنة ام لم يفتر فعبر والغرض عدم الافتراء بالجنة كناية
لان المجنون لا يفتري فقد جعلوا قسيم الكذب عن عمد الكذب لا عن عمد فيكون مقصودهم حصر خبره الكاذب
في نوعيه ولما كان هنا فوايد جمة وفروع متكثرة لا يتيسر القول بها الا بتحقيق معنى الصدق والكذب
المبنا القول فيه ومن تلك الفوايد لو اخبرك احد بشيء فقلت ان كنت صادقا فلله علي كذا فان كان مطابقا
للواقع فقط لزمك الوفاء به على الاول دون الاخيرين وان كان مطابقا للاعتقاد فقط لزمك الوفاء به على الثاني
دون الاخيرين وان كان مطابقا لهما لزمك الوفاء عند الجميع ومنها لو شهد عليك رجل فقلت هو صادق
فهو اقرار على الاول والاخير دون الثاني ومنها لو حلف رجل ان لا يكذب ثم اخبر بما لم يكن مطابقا للواقع
فقط او للاعتقاد فقط او لهما فانه في الاول يحنث على المذهب الاول دون الاخيرين وفي الثاني يحنث
على المذهب الثاني دون الباقيين وفي الثالث يحنث عند الجميع ومنها الحلف ان لا يتكلم اليوم بكلام صادق
او كاذب فانه يحنث اذا تكلم على الاول ولا يحنث على الاخيرين فان فيه من الفراغ الصدق والكذب ومنها الحلف
ان لا يعطي كاذبا فانه يختلف فيه الحكم ايضا كما لا يخفى وامثال ذلك كثيرة واعلم ان الصدق فضيلة عظيمة
داخلة تحت فضيلة العفة وقد وقع مدحه ومدح المتصف به في مواضع من القران والاخبار وكفى في ذلك
قوله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم والكذب رذيلة داخلة تحت الفجور وقد نطقت الايات والاخبار
على ذمه وذم المتصف به قال رسول الله صلى الله عليه وآله الكذب راس النفاق وهو مفسدة عظيمة

في الدنيا والدين والوجدان شاهد عدل بان الكذب يسود لوح النفس ويمنعه ان ينتقش بصورة الحق
ويفسد الملكات والكمالات ويودي الى خراب الدنيا وقتل النفوس وانواع الظلم والفساد ولذلك
اتفق اهل العلم من ارباب الملل وغيرهم على تحريمه وادعى المعتزلة قبحه بالضرورة والحق وضده الباطل
هذا والسابق عليه متقاربان لان الخبر والاعتقاد اذا طابقا الواقع كان الواقع ايضا مطابقا لهما لان
المفاعلة من الطرفين فمن حيث انهما مطابقان او غير مطابقين له بالكسر يسميان صدقا وكذبا ومن حيث
انهما مطابقان او غير مطابقين له بالفتح يسميان حقا وباطلا والمقصود ان اختيارهما من جنود العقل والجهل
ويحتمل ان يراد بالحق الدين الحق المسمى بالصراط المستقيم وبالباطل الدين الباطل الداعي الى سواء الجحيم وان
يراد بالحق الاقبال على الله وبالباطل الادبار عنه ولا واسطة بينهما فوجود كل واحد مستلزم لعدم الاخر
وعدم كل واحد مستلزم لوجود الاخر والامانة وضدها الخيانة وضد الامانة مصدر امن الرجل امانة
فهو امين اذا صار كذلك برعاية ما ائتمن عليه من حقوق الحق والخلق وادائه في وقته كما هو وهي تدخل
في افعال الاعضاء والجوارح كلها لان القلب اذا استضاء بنور البصيرة يهتدي كل عضو الى امانته
ويسعى في حمايتها وحفظها وادائها على ما ينبغي كما تدخل الخيانة وهي مصدر خانه اذا ترك الحفظ في تلك
الافعال ومنه قوله تعالى يعلم خائنة الاعين اي سارقتها وكثيرا ما يطلق الامانة على ما تمن به صاحبك مجازا
على سبيل المبالغة ومنه قوله تعالى والذينهم لاماناتهم وعهدهم راعون اي لما يؤتمنون عليه من جهة الحق او الخلق
وقوله تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وفي روايات متكثرة تصريح بان المراد باهل الامانة
في هذه الاية الامام عليه السلام وان الله امر الامام الاول ان يدفع الى الامام الذي بعده كل شيء عنده من
امر الامامة وقوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها
وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا وعن الصادق عليه السلام ان المراد بالامانة ولاية امير المؤمنين عليه السلم
وقيل المراد بها العبادة والطاعة المطلوبة من الانسان وسماها امانة من حيث انها يجب حفظها واداؤها في وقتها
وآباء الاجرام المذكورة يعود الى امتناع قبولها خوفا واشفاقا بلسان الحال لقصورها وعدم صلاحيتها لها
بحسب الطبع او الى الفرض والتقدير كانه قيل لو كانت هذه الاجرام عاقلة ثم عرضناها عليها لابين ان يحملنها
خوفا واشفاقا من وخامة عاقبتها وانما جيء بلفظ الواقع لانه ابلغ او الى انه تعالى خلق فيها عقلا وفهما ثم عرض عليها
على سبيل التخيير فابين اباء عجز واحتقار وخوف وانكسار لا اباء استكبار للخضوع عما تحت ذل الحاجة اليه
غ

ثم خلق الانسان وعرضها عليه فقبلها وحملها مع ضعف بنيته ورخاوة قوته انه كان ظلوما لنفسه لعدم محافظته
لها وتقصيره في اداء حقوقها جهولا باسرارها وبما يستلزم حفظها وفعلها وتركها من المثوبات والعقوبات
والخلوص وضده الشوب الشوب الخلط وهو مصدر شبت الشيء اشوبه شوبا فهو مشوب اذا خلط
بغيره والخلوص مصدر خلص الشيء بالفتح يخلص خلوصا اي صار خالصا صافيا غير ممتزج بغيره والعمل الخالص
في العرف ما تجرد قصد التقرب فيه عن جميع الشوائب وهذا التجريد يسمى اخلاصا وقد عرفه بعض اصحاب
القلوب بتعريفات اخر فقيل هو تنزيه العمل عن ان يكون لغير الله فيه نصيب وقيل هو اخراج الخلق عن معاملة
الحق وقيل هو ستر العمل عن الخلائق وتصفيته عن العلائق وقيل ان لا يريد عامله عوضا في الدارين وهذه
درجة علية قل من يبلغها وقد اشار اليها امير المؤمنين عليه السلم بقوله ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا
في جنتك ولكن وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك ولو قصد العبد في عبادته مجرد وجه الله تعالى
والطاعة امره والتقرب اليه يرتقي باجنحة القبول الى منازل القرب وحظائر القدس قطعا ولو قصد مجرد غير الله والبسه
لباس الذل وابعده عن ساحة رحمته وبساط قربه جزما واما لو قصده تعالى وقصد غيره ايضا فهو في خطر عظيم
وللمسلمين فيه كلام طويل تركناه خوفا للاطناب ونذكر ما اظنه حقا والله تعالى هو المستعان فنقول الضميمة اما
قصد الثواب والتحرز عن العقاب او قصد الرياء او قصد الامور اللازمة للعبادة كقصد التخلص من النفقة
بعتق العبد في الكفارة وغيرها وقصد التبرد بالوضوء اما الاول فالظاهر صحة العبادة لقول الصادق عليه السلم
العباد ثلثة قوم عبدوا الله عز وجل خوفا فتلك عبادة العبيد وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلب الثواب
فتلك عبادة الاجراء وقوم عبدوا الله عز وجل حبا له فتلك عبادة الاحرار وهي افضل العبادة فان صيغة
افضل تفيد وجود الفضل في الاولين وهو المطلوب وقول الباقر عليه السلم من بلغه ثواب من الله على عمل فعمل ذلك
العمل التماس ذلك الثواب اوتيه وان لم يكن الحديث كما بلغه ولغير ذلك من ظواهر الايات والاخبار واما
الثاني فالظاهر بطلانها لقوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وقول
الصادق عليه السلم لعباد البصري يا عباد اياك والرياء فانه من عمل لغير الله وكله الله الى من عمل له ولغير ذلك
من الايات والروايات واما الثالث فالقول بالتفصيل وهو ان العبادة صحيحة ان كانت هي المقصودة بالذات
والضميمة مقصودة تبعا وباطلة ان انعكس الامر او تساويا غير بعيد وان لم نجد عليه دليلا نقليا والاخبار
في الجميع ظاهر وبعض الافاضل حكم بالتفصيل في الاقسام الثلثة وهو بعيد جدا سيما في الرياء لدلالة الايات والاخبار

على بطلان العبادة لاجل انضمام الريا اليها والظاهر انه لاخلاف فيه من اصحابنا قال المحقق الشيخ على ضم الريا
الى القربة يبطل العبادة قولا واحدا الا ما يحكى عن المرتضى انه يسقط الطلب عن المكلف ولا يستحق بها ثوابا ولا يخفى
والخلوص من جنود العقل وانصاره والشوب من جنود الجهل واعوانه وميدان مجادلتهما ومعارضتهما ساحة
القلب في ذلك لان العقل ميله الصعود الى عالم القدس وقصده تسخير عالم الملك والملكوت وخلوص العمل يعينه
على ذلك والجهل ميله الهبوط الى عالم الحس ومنازل النسيان وقصده النزول في محل البعد ومحط الخذلان وشوب
العمل بالريا وغيره من التدليسات النفسانية والتلبيسات الشيطانية والخاطرات الوهمية يعينه على ذلك والشهامة
وضدها البلادة عند المحقق الطوسي الشهامة من انواع الشجاعة الحاصلة من الاعتدال في القوة الغضبية
وفسرها بانها حرص النفس على اقتناء الامور العظام توقعا للذكر الجميل وهذه ليست بمرادة هنا لان البلادة
ليست بضدها وليس لضدها ايضا اسم مشهور بل المراد بها ذكاء الفؤاد يقال شهم بالضم شهامة فهو شهم
اي جلد ذكي الفؤاد فهي من توابع الاعتدال في القوة العاقلة والبلادة وهي ضد الذكاء يقال بلد بالضم فهو بليد
والبليد اي يتردد متحيرا من خروج التفريط والنقصان في القوة المذكورة ونعني بهذه والبلادة ما كان منهما بسوء الاختيار
لا ما كان من اصل الخلقة لان المقصود هو الترغيب في تحصيل الاول وترك الثاني وذلك لا يتصور الا فيما كان فعله
وتركه مقدورا ثم كون الاول من جنود العقل والثاني من جنود الجهل ظاهر لان الذكاء سبب لعروج العقل الى
افق المدارج من معارج المعارف الربانية وضده سبب لنزول النفس في اسفل الدركات من مهالك الشبهات
الظلمانية والفهم وضده الغباوة قال بعض المحققين لعل هذه الفقرة كانت في الاصل بدلا من تعقله عليه السلم
فيما مضى والفهم وضده الحمق والناسخون جمعوا بينهما في الكتابة غافلين عن البدلية والمعنى واحد ويمكن ان
يقال المراد بالفهم هنا الفطنة وهي جودة تهيؤ الذهن لاكتساب العلوم وبعبارة اخرى هي ادراك المقصود من الخطاب
بسهولة والغباوة كون ذهن بليدا وفي كتب اللغة يعني عدم فهم المقصود من الخطاب بسهولة وهذا المعنى
غير المعنى المقصود من الفهم والحمق كما اشرنا اليه سابقا واما على الذكاء الذي هو فوق الفهم المذكور سابقا
كما اشرنا اليه هناك وان كان ممكنا ويحصل به المغايرة بين الفهمين لكن يعني هذه الفقرة ح يرجع الى الفقرة السابقة
عليها اعني تعقله والشهامة وضدها البلادة اذ مالهما واحد والمعرفة وضدها الانكار المعرفة سراج القلب
يبصر بها خيره وشره ونافعه وضاره وكل قلب لا معرفة له فهو مظلم والمراد بها اما معرفة الربوبية وفضلهم
وعلومهم وشئونهم وهي من اكمل فضائل العاقل لانه يعرف بنور معرفته انهم دعائم الاسلام وولايج الاعتصام و الهداة

الى نور الدين وان طلب العلم والفضيلة والوصول الى انوار الحكمة واسرار الشريعة لا يتيسر الا بوساطتهم ولا يحصل
الا بمتابعتهم وانهم الذين عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية لا عقل سماع ورواية ولا يخالفون الحق ابدا ولا
يتجاوزونه الى ذيله لا افراطا ولا تفريطا قطعا وانكار شيء من ذلك او عدم معرفته من اخس رذائل الجاهل المغرور
برايه السقيم الراجع عن الصراط المستقيم او المراد بها معرفة الرب بصفاته وآثاره وافعاله وكلام المخبرين
بالاسباب اشتهر من ان المعرفة ادراك الشيء ثانيا بعد الغفلة عن ادراكه اولا وذلك ان الله سبحانه اخذ الميثاق
على عباده بانه ربهم ومحمدا صلى الله عليه واله عبده ورسوله وعليا عليه السلم امير المؤمنين واوصياءه من بعده ولاة
امره وخزان علمه ثم نسوا بعد ما فوقدهم في مراقد اصلاب الآباء ومهاد ارحام الامهات وانغمارهم في بحار العوائق
الجسمية واستتارهم بحجب العلائق البشرية تلك المواثيق القديمة والعهود الوكيدة فمن ايقظته صيحة
المواعظ الالهية عن نوم الغفلة وجذبته ايدي الهداية الربانية عن تيه الظلمة وتنور قلبه بنور الهداية
والارشاد واستشرف ذهنه بضوء الاطاعة والانقياد توجه الى مولاه وتقداه بعد النسيان وحصل له
بعد الغفلة فضيلة المعرفة وشرف الترقي الى مقام اهل العرفان ومن غرق في بحار الشهوات ونام في مراقد
الغفلات حتى صار بمنزلة الجمادات او آل الى التشابه بالاموات ولم يؤثر فيه تلك المواعظ والنصايح ولم يحصل
له التميز بين المحاسن والقبائح فهو غريق الغفلة والنسيان واسير الغي والطغيان لا ينزجر عن الباطل انزجارا ولا يتوجه
الى الحق الا جهلا وانكارا ويترك عنان الطبيعة في يد الهوى ويعرض عن ذكر المولى وهو غافل عن قوله ومن
اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا
قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى والمداراة وضدها المكاشفة المداراة في حسن الخلق
من فروع الاعتدال في القوة الغضبية تهمز ولا تهمز يقال داراته ودارية اذا اتقيته ولاينته
والمقصود ان مداراة الخلق وترك مجادلتهم ومنافقتهم صديقا كان او عدوا او جاهلا من صفات العاقل
كما يظهر ذلك بالاعتبار في حال الانبياء والاوصياء والاولياء ثم لا شك في الاشك على تفاوت مقاماتهم وتفاضل
درجاتهم هذا اذا قصروا في حقوقه واما اذا قصروا في حقوق الله فوجب تقويمهم واسترجاعهم بالحكمة والموعظة
الحسنة من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وان افتقر الى الغلظة جاز على قدر الضرورة ومن المواعظ
الحسنة في استجلاب طباع الجهال الى الحق وتانيسهم بها ان لا يحمله عليهم دفعة فان ذلك مما يوجب نفارهم عنه
وفساد نظام احوالهم بل ينبغي ان يحمله ويلقيه اليهم على التدريج قليلا قليلا وبما لم يمكنه تانيسهم به

اما الغموضة بالنسبة الى اخفا مهم او لقوة اعتقادهم في ضده فينبغي ان يجد عمهم عن ذلك ويبلغهم اليه
ما يقتضيه الحكمة وربما يحتاج الى اظهار الحق بصورة الباطل كما استدلال ابرهيم ع بافول الكواكب بعد قوله
هذا ربي على نقيضها النافي لالهيتها والكاشفة من رذايل الاخلاق للجاهل وهي فرع من فروع افراط القوة
المذكورة وهي الخشونة والمناقشة واظهار العداوة واعلانها المودي الى المخاصمة والمجادلة والمقاتلة في
الى غير ذلك من المفاسد والشدايد الموجبة لفساد احوالهم وبطلان نظامهم وسلامة الغيب وضدها
المماكرة الغيب ما غاب عن العيون وان كان محصلا في نفسه وكان المراد به هنا القلب او رجل غايب في المكر والاحتيال
والخديعة والمقصود ان سلامة القلب وخلوصه من الغش والاحتيال والخديعة في المعاملة مع الاخوان
والمعاشرة مع الخلان وغيرهم او سلامة كل من غاب من صفات العاقل لصفا طينته وخلوص عقيدته وعلمه
بان المومنين كنفس واحدة فلا يرضى لهم الا ما يرضى لنفسه وبان الكريم مكر بنفسه حقيقة كما قال
سبحانه ولا يحيق المكر السيء الا باهله بخلاف الجاهل المنغمس في هذه الكثيف في ظلمة الجهالة فانه لكدرة طينته
وفساد عقيدته يجد المكر نجحا للمطالبة وسلما للمارب وهو غافل عن سوء ماله عاجلا واجلا وعن
اختلال حاله ظاهرا وباطنا والكتمان وضده الافشاء من شان العاقل كتمان سره بوضعه في صندوق
جنانه وعدم فتحه بمفتاح لسانه وتحريز ابرازه على اوثق اخوانه فانك اذا لم تكتم سرك فكيف تتوقع
ذلك من غيرك ولذلك قال امير المومنين عليه السلم المرء احفظ لسره وفي الايضاح من كتم سره كان الخيرة بيده
وقال ابو الحسن عليه السلم ان كان في يدك هذه شيء فان استطعت ان لا تعلم هذه فافعل وكان عنده اناس فتذاكروا
الاذاعة فقال احفظ لسانك تعز ولا تمكن الناس من قياد رقبتك فتذل وان كنت في علو فعليك بصدق التي
قد جربته مرارا وعملت حفظ لك سرا وجهارا كما قال امير المومنين عليه السلم الطمانينة الى كل احد قبل الاختبار
عجز ومن اشعاره عليه السلم لا تودع السر الا عند ذي كرم والسر عند كرام الناس مكتوم والسر عندي في بيت
له غلق قد ضاع مفتاحه والباب مختوم ويندرج فيه كتمان عيبه ومعاصيه والكرامات التي اودعها الله
فيه فان افشاءها قد يوجب فيه الهلاك وكتمان دينه اذا توهم الضرر باظهاره قال الصادق عليه السلم لسليمان بن
خالد يا سليمان انكم على دين من كتمه اعزه الله ومن اذاعه اذله الله امره بكتمان امره من غير اهله ومن لا
يعرف حاله وكتمان عيب اخيه وسره لان المومنين اخوة بل هم من معدن واحد وكنفس واحدة فمن اذاع
منهم سر احدهم او عيبه كان كمن اذاع سر نفسه او عيبه وقد وردت الايات والروايات المتكثرة على

على الغيبة قال الله ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا وقال ان الذين يحبون ان تشيع
الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة والله يعلم وانتم لا تعلمون وقال رسول الله ص
من اذاع فاحشة كان كمبتديها وان اودعك اخوك سرا فعليك ان لا تخبر به احدا وان كان صديقك
لان للصديق ايضا صديقا وقال لعمار قال له ابو عبد الله عليه السلم اخبرت بما اخبرتك به احدا قلت لا الا سليمان
بن خالد قال احسنت اما سمعت قول الشاعر فلا يعدون سري وسرك ثالثا الا كل سر جاوز اثنين شايع
قوله عليه السلم احسنت للتقريع كما هو الشايع في استعمال هذا الكلام في المحاورات ويدل عليه ما بعده وقيل
لرجل كيف تحفظ السر فقال اجحد المخبر واحلف للمستخبر وجحده وان كان كذبا لكن الكذب مطلوب في بعض
المواضع وكذا الحلف والتورية فيها احسن ونقل ان رجلا افشى سره الى اخيه فقال له احفظت فقال بل نسيت
ومن شان الجاهل افشاء السر والعيب لعدم علمه بوخامة عاقبته وسوء خاتمته وانما ذلك لظلمة جنانه وضعف
ايمانه ورخاوة لسانه واعتياده بالايذاء وللاضرار فربما يفشي منه في تعب وبلاء وغيره منه في نصب
وعناء والصلوة وضدها الاضاعة اقامة الصلوة بحدودها وشرايطها من اكمل فضايل العقل ولوازمه واضاعتها
من اعظم رذايل الجهل ونقايصه وذلك لان الصلوة الكاملة الموجبة للمحو عن الهويات البشرية والاتصاف
بالصفات الملكية والعروج الى المقامات اللاهوتية كما يعتبر في تحققها اعمال بدنية مثل الطهارة وستر العورة
والاستقبال الى بيت الله والتكبير والقراءة والاذكار والركوع والسجود والتشهد والتسليم وكذلك يعتبر في
تحققها افعال قلبية بازاء تلك الاعمال وتلك الاعمال بمنزلة الجسد وهذه الافعال بمنزلة الروح اما
طهارة القلب فتخليته عما سوى الله وتنزيهه عما عداه واما ستره فستر عيوبه عن الروحانيين بالتوبة والانابة
للتاهل القابلية محاورته ومناجاته والدخول في ساحة عزته ومشاهدة كمالاته واما استقباله الى الله
فمطالعة جلاله وجماله وقدرته وكماله واما قيامه بين يديه فاذعانه بانه عبد ذليل عاجز فقير
ماثل بين يدي رب جليل واما تكبيره فبان يعتقد انه تع اكبر من ان يصفه الواصفون وينعته الناعتون
ويا تي بحق عبادته العابدون واما قراءته فبان يتعمق في بواطن ما نطق به اللسان الظاهر ويتذكر انه تع
هو المستحق للحمد والثناء الجامع للكمالات كلها في ضمن حركة سما وانه رب كل شيء يعطيه ما يليق به من حاله
انا فانا ويبلغه الى الغاية كماله شيئا فشيئا فكل شيء سواه في رق الحاجة اليه مفتقر اليه في وجوده بين
يديه وانه المنعم في الدنيا والاخرة ينعم كل احد بما يليق بحاله وانه المالك في يوم الجزاء بالاستحقاق ولا

ولا مالك فيه غيره على الاطلاق وانه المعبود المستحق للعبادة وغاية الخضوع دون غيره وانه المستعان في جميع
المهمات وفي ادار العبادات وانه الهادي الى الدين القويم والصراط المستقيم صراط امير المؤمنين و الائمة المعصومين
وانه الموفق للميل عن صراط الضالين المضلين واما ركوعه فبان يتواضع ويتخشع ويعترف بانه يتصف بالعظمة
والكبرياء ويستحق بان يتذلل له الاشياء بالانحناء واما سجوده فبان يرى كل شي عند كمال عظمته موضوعا
وكل قدر عند جلال رفعته مخفوضا ويتواضع له زايدا على ما سبق ويلقي نفسه على تراب المسكنة والافتقار
ويضع جبهته على غبار العجز والانكسار واما تشهده فبان يشاهد بعين البصيرة تفرده بالالهية وتوحده
بالربوبية وتنزهه عن ان يشاركه احد في العبادة واما تسليمه فبان يقصد انه قطع المراحل الناسوتية
وبلغ المنازل اللاهوتية وراى عند ابوابها الملائكة المقربين والانبياء المرسلين و عباد الله الصالحين خاشعين
لهيبته فيسلم عليهم تحية لهم وتانيسا بهم وبالجملة المقصود الاصلي من الصلوة تطويع النفس الامارة للعقل وتزيينها
على موافقته وهو لا يحصل بدون حضور القلب وافعاله المذكورة والتفاته الى مشارق انوار الحق ومطالع
اسراره وتجرده عن جلابيب العوائق البشرية وسيره في عالم التوحيد والصلوة بهذا الوجه اعني المشتملة على
الاعمال البدنية والافعال القلبية من اكمل فضايل العاقل العارف بالله واياته وهي التي ورد في وصفها والحث عليها قوله تعالى
ان الصلوة تنهى عن الفحشاء وقوله قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون وقوله صلى الله عليه الصلوة عمود الدين وقوله
الصلوة مفتاح الجنة وقوله من صلى ركعتين ولم يحدث نفسه فيهما بشي من الدنيا غفر الله ذنوبه وقوله قرة عيني
في الصلوة وقوله الصلوة قربان كل تقي واما اضاعتها من جنود الجهل وصفات الجاهل وهي عبارة عن تركها بالمرة او الاتيان
بالاعمال البدنية مجردة عن الافعال القلبية لان الاضاعة تختلف باختلاف الجهل ورسوخه فرب جاهل يبلغ
جهله الى حد يتركها بالكلية لسواد قلبه وزوال بصيرته واعتقاده ورب جاهل يصلي ولا يخطر بباله انه يصلي
الى آخر الصلوة لتسلط النفس والشيطان عليه واشتغال قلبه بغير الله والتفاته الى ما سواه ويشملها الذم
في قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ورب جاهل يصلي وهو
يعلم انه يصلي في بعض الاوقات دون بعض ويخطر قلبه في الافعال دون بعض وهذا فعله مختلط وعمله
ممتزج يقرب من الخير تارة ويبعد اخرى والذي يقتضيه النظر انه في خطر عظيم ولكن دل بعض الروايات
المعتبرة انه يقبل من صلوته بقدر ما يعقله وهذا دل على صحة صلوته وخروجه عن عهدة التكليف في الفضل الله
والله ذو الفضل العظيم والصوم وضده الافطار ليس المراد بالصوم هنا مجرد الامساك عن الطعم والشراب

وغيرهما

وغيرهما من الامور المذكورة في كتب الفقهاء بل المراد به الامساك عنها وعن جميع ما يوجب البعد عنه تعالى ولا يتحقق
ذلك الا بصوم جميع الجوارح والاعضاء الظاهرة والباطنة وامساكها عما يكره او يحرم وذلك بان يجتنب
عن اذى الخادم وغيره وعن ضربه وشتمه ويحفظ البصر عن النظر الى ما لا ينبغي النظر اليه والقلب عن ذكر غير الله والسمع
عن استماع ما لا يجوز واللسان عن الكذب والهذيان والغيبة والبهتان والحلف والمراء وانشاد الشعر في الليل
والنهار ويعف البطن والفرج عن تناول الشبهات والمحرمات واكثار الحلال من الاطعمة والاشربة وتناول
انواع المستلذات وقت الافطار وقس على ذلك ساير الاعضاء ومع جميع ذلك يقوم بين الخوف والرجاء في
رده لتجويز التقصير فيه وقبوله لملاحظة لطف الله وكرمه ولا ريب في ان الصوم بهذا المعنى من افضل خصال
العقل واعظم جنوده التي يستعين بها في جهاد النفس الامارة بالسوء وكسر قوتها وشهواتها وان الافطار يعني
ترك الامساك عن جميع ما ذكر او عن بعضه من اكمل رذايل الجهل واعوانه في اطاعة المهويات النفسانية وتناول
الشهوات الشيطانية والملذات الجسمانية الموجبة للبعد عن نيل رحمة رب العالمين والقرب من اسفل السافلين
نعوذ بالله من مخاطرات الجهل وهمزات الشياطين والجهاد وضده النكول الجهاد بالكسر مصدر جاهدت العدو
اذا قابلته في تحمل الجهد او كل واحد من المتخاصمين بذل طاقته وتحمل مشقته في دفع صاحبه والنكول الجبن يقال
نكل عن العدو وينكل بالضم اي جبن والناكل الجبان الضعيف ثم الجهاد على خمسة اصناف جهاد مع العدو الظاهر وهو
الكافر قال الله تعالى انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله وجهاد مع العدو الخفي قال الله تعالى
ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وجهاد مع اصحاب الباطل بالعلم والحجة قال الله تعالى وجادلهم بالتي هي احسن
وجهاد مع الفاسق من اهل الايمان بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال الله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض
يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وجهاد مع النفس الامارة بالسوء قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا وهذا الصنف اشق واعظم من الجميع كما دلت عليه التجربة ودل عليه ما روي عن ابي عبد الله عليه السلم
ان النبي ص بعث بسرية فلما رجعوا قال مرحبا بقوم قضوا الجهاد الاصغر وبقي الجهاد الاكبر قيل يا رسول الله ما الجهاد
الاكبر قال جهاد النفس ومن نظر في هذا الخبر الذي نحن في صدد شرحه حق النظر وتامل في كثرة جنود الجهل
وشوكتها وغلبتها في الاكثر حق التامل عرف سر كون هذا الجهاد اعظم واكبر ونحن نذكر حقيقته وكيفيته
ووجه كونه اعظم في كتاب الجهاد ان شاء الله ولا يبعد ان يراد بالجهاد هنا جميع هذه الاصناف لان كل واحد منها
من صفات العقلاء وخواص الاولياء والصابرين في الباساء والضراء الذين غاية مناهم تخليص نفوسهم

ونفوس عباد الله عن قيود الهلكات واغلال الشبهات وسلاسل الزلات وانتزاعها من ايدى هذه الدنيا الغدارة
ولا بالسنة الكاذبة وسياقها الى بساط الحق وساحة رحمته ومحل كرامته وفناء جنته فيدخلون فيها اخوانا
على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين واما النكول عن الجهاد والقاعد منه فهو من سمات الغافلين
وصفات الجاهلين الذين يسلكون مسالك النفوس الامارة ويختارون راحتها على مشاقها وهم عن شناعة العاقبة
جاهلون ويؤثرون الحيوة الدنيا على الاخرة وهم عنها غافلون والحج وضده نبذ الميثاق الحج بالفتح القصد
وقد غلب على قصد الكعبة للنسك المعروف وبالكسر الاسم والميثاق العهد ونبذه نقضه من نبذ الشيء من
يده طرحه ورمى به لان نقض العهد طرح له والمقصود ان حج بيت الله من صفات العاقل الذي شانه الوفاء بالعهد
والميثاق وتركه من صفات الجاهل الذي شانه نقض العهد والميثاق وذلك لان الله تعالى لما اراد ان ياخذ المواثيق
من العباد اخذها في ذلك المكان وامر الحجر وهو ملك بهذه الصورة يسمع ويرى فالتقمها فيوتاه وجعل له اقرار
يشهد له بالموافاة يوم القيمة ومن لم يأت فهو ناقض العهد وناسيه فيشهد عليه بالكفر والانكار ونقض
العهد يدل على ذلك روايات متكثرة ويحتمل ان يراد بالميثاق ما اجابوا عند نداء ابرهيم عليه السلم
وطلبه اياهم الى الحج وهم في اصلاب الاباء وارحام الامهات بقولهم لبيك اللهم لبيك ويحتمل ايضا
ان يراد بالحج القصد الى الائمة الطاهرين عليهم السلم والعكوف في ابواب علومهم ومعارفهم والسؤال عنهم لان الله تعالى
اخذ ميثاق ذلك على العباد ونبذ الميثاق تركهم والرجوع الى اصحاب الاهواء الباطلة وارباب الاراء الفاسدة
ومن الافاضل لما راى ان عدد الجنود زايد على الخمسة والسبعين تكلف بان حكم بان هذه الفقرات الاربع
اعنى الصلوة وضدها الى آخر الاربع ترجع الى فقرة واحدة اعنى العبادة وضدها الاضاعة والله اعلم
وصون الحديث وضده النميمة نم الحديث ينمه وينمه بالضم والكسر نما اى قته وكلاهما سم النميمة والرجل
نام ونم ونمام اى قتات للمبالغة والقتات من قت الحديث اذا سمعه وجمعه وكذلك فعل النمام
وقال في النهاية النميمة نقل الحديث من قوم الى قوم على جهة الافساد والشر وقال المازرى وعلى هذا فهو
النقل واخص من الكتمان كما ان الكتمان اعم من صون الحديث وغيره وكونه افشاء اعم من نقل الحديث وغيره وقال
الغزالي النميمة كشف ما يكره كشفه من قول او فعل كرهه المنقول عنه او اليه او ثالث وعلى المنقول اليه
ان لا يصدق الناقل لانه فاسق وان ينهاه لان نهيه من النصيحة وان يبغضه لانه مبغض عند الله
ويجب بغض من يبغضه الله سبحانه وان لا يظن بالمنقول عنه شرا وان لا يجسس عليه ولا يحكي ما نقل عنه

لانه

لانه يصير نماما وحكمها الحرمة لتضمنها مفسدة عظيمة من التباغض والتباعد والتفارق وكسر عرض المؤمن وقد يؤدي الى
سفك الدماء ونهب الاموال ونحوها الا ان تتضمن مصلحة شرعية فلا تمنع كاخبار الامام عمن يريد ان يوقع فسادا
واخبار الرجل عمن يريد يفتك به او باهله او بماله وقد يجب في ذلك بحسب المواطن الا انها حينئذ ليست نميمة وقد
ورد الروايات على ذم النمام منها ما روى عن ابى جعفر عليه السلم قال محرمة الجنة على القتاتين المشائين بالنميمة وبر الوالدين
وضده العقوق قال في النهاية البر بالكسر الاحسان ومنه الحديث في بر الوالدين وهو في حقهما وحق الاقربين من الاهل
ضد العقوق وهو الاساءة والتضييع لحقهم يقال بر يبر فهو بار وجمعه بررة وجمع البر ابرار وهو كثيرا ما يخص
بالاولياء والزهاد والعباد وعق والده يعقه عقوقا فهو عاق اذا اذاه وعصاه وخرج عليه واصله من العق
وهو الشق والقطع وقد ورد من طرق الخاصة والعامة ان عقوق الوالدين من كبائر الذنوب فالبر بحكم التضاد
من عظائم الحسنات ومن برك بهما ان تحسن صحبتهما وتقضى ديونهما وتعينهما على فعل الخيرات وتفعل ما يسرهما وتترحم
عليهما وتوصل ما امكن من الخير اليهما ولا تكلفهما بسؤال شيء مما يحتاجان اليه ولا تقول لهما اف ان اضجراك ولا
تنهرهما ان ضرباك ولا تملأ النظر اليهما ان اغضباك ولا ترفع صوتك فوق اصواتهما ولا يدك فوق ايديهما
ولا تتقدمهما ولا تسبهما بان تسب اباء غيرك وامه فيسب اباك وامك ولا تفعل ما يؤذى نفسك وصديقهما
فان ذلك يؤذيهما ولا تعينهما على الظلم فان الاعانة عليه خلاف البر ولا تسافر الا باذنهما وان كان الى الجهاد لان
انسهما بك يوما وليلة خير من جهاد سنة ثم لا فرق في وجوب برهما بين ان يكونا حيين او ميتين لرواية محمد بن
عمران عن الصادق عليه السلم ورواية محمد بن مسلم عن ابى جعفر عليه السلم قال ان العبد ليكون بارا بوالديه في حيوتهما
ثم يموتان فلا يقضى عنهما دينهما ولا يستغفر لهما فيكتبه الله عز وجل عاقا وانه ليكون عاقا لهما في حيوتهما
غير بار بهما فاذا ماتا قضى دينهما واستغفر لهما فيكتبه الله عز وجل بارا وكذا لا فرق بين ان يكونا برين او فاجرين
لما رواه عنبسة بن مصعب عن ابى جعفر عليه السلم قال ثلث لم يجعل الله عز وجل لاحد فيهن رخصة اداء الامانة
الى البر والفاجر والوفاء للعهد للبر والفاجر وبر الوالدين برين كانا او فاجرين ولا بين ان يكونا مؤمنين او
مخالفين او كافرين لروايات متكثرة منها رواية جابر عن ابى عبد الله عليه السلم ورواية زكريا بن ابرهيم عنه
عليه السلم والحقيقة وضدها الرياء لكل شيء حقيقة وحقيقة العمل هي الخلوص يعني صرفه الى الله تعالى لطلب رضاه
والرياء وهو القصد بالطاعة الى التقرب بالمخلوقين وطلب المنزلة في قلوبهم والميل الى اعطائهم له وتوقيرهم
اياه وتسخيرهم لقضاء حوائجه والقيام بمهماته الى غير ذلك من الاغراض الفاسدة النفسانية والتسويلات

الكاسدة الشيطانية مناف لتلك الحقيقة وضد لها لاجتماعها معها اصلا كما اشرنا اليه سابقا بخلاف الشوب في قوله
عليه السلم والاخلاص وضده الشوب فان بعض افراده وهو ما اذا ضم بالعبادة قصد تحصيل الثواب او التحرز عن العقاب
او قصد التبرد والتسخن غير مناف لحقيقة الاخلاص وانما مناف لكماله فلذلك لم يجعل الشوب ضد الحقيقة مثل الريا
اذا عرفت هذا فنقول ان خصصنا الريا في هذه الفقرة بالريا الخالص وعممنا الشوب في الفقرة السابقة لشوب الريا
وغيره او خصصنا الشوب بشوب غير الريا وعممنا الريا هنا بالريا الخالص والريا المنضم كان بينهما تباين في التحقق قطعا
وفي الحكم ايضا على التاويل الاول دون الثاني لان الريا مبطل للحقيقة مطلقا والشوب على الثاني غير مبطل للحقيقة بل لكمالها
بعض وعلى الاول اعم من ان يكون مبطلا او غير مبطل وان عممنا الشوب والريا كليهما كان بينهما عموم من وجه في
التحقق وعموم مطلق في الحكم والمعروف وضده المنكر اي الاتيان بهما والكلام هنا في سبعة اشياء الاول
في حد المعروف وهو في اللغة اسم لكل ما اتصف بحال يوجب كونه معلوما ومنه يقال فلان معروف اذا اتصف
بوصف يوجب شهرته بين الناس وفي الشرع اسم لجميع ما يتقرب به العبد الى الله واجبا كان او ندبا مثل الصلوة والزكوة
وبر الناس واعطاء فضل المال الى الغير ذلك من مكارم الاعمال ومحاسن الافعال ولا يبعد تخصيصه هنا
بما سوى الواجبات مما يتعلق بالحقوق المالية لقول الصادق عليه السلم المعروف شيء سوى الزكوة فتقربوا الى الله عز
وجل بالبر وصلة الارحام والمنكر التي المتغير عن حاله ووصفه حتى نكر وجهل ومنه النكرة ضد المعرفة فان
المعرفة اذا غيرت عن وصف التعريف تصير نكرة مجهولة الثاني في باعثه وعلته قال الصادق عليه السلم وليس كل من يحب
ان يصنع المعروف الى الناس يصنعه وليس كل من يرغب فيه يقدر عليه ولا كل من يقدر عليه يؤذن له فيه فاذا
اجتمعت الرغبة والقدرة والاذن فهنالك تمت السعادة للطالب والمطلوب اليه الثالث في ثمرته وفوائده
وفوائده غير محصورة منها ما اشار اليه الباقر عليه السلم قال قال رسول الله صلعم اول من يدخل الجنة المعروف واهله
واول من يرد على الحوض ومنها ما اشار اليه الصادق عليه السلم بقوله صنايع المعروف تقي مصارع السوء الرابع في خصال
اهله قال الصادق عليه السلم رايت المعروف لا يصلح الا بثلث خصال تصغيره وستره وتعجيله فانك اذا صغرته
عظمته عند من تصنعه اليه واذا سترته تممته واذا عجلته هنأته وان كان غير ذلك محقته ونكدته
الخامس في وضعه موضعه قال الصادق عليه السلم للمفضل بن عمر اذا اردت ان تعرف الى خير يصير الرجل ام الى شر فانظر
الى اين يضع معروفه فان كان يضع معروفه عند اهله فاعلم انه يصير الى الخير وان كان يضع معروفه عند غير
اهله فاعلم انه ليس له في الاخرة من خلاق وقال جابر سمعت ابا عبد الله عليه السلم يقول لو ان الناس اخذوا ما امرهم الله

به فانفقوه فيما نهاهم الله عنه ما قبله منهم ولو اخذوا ما نهاهم الله عنه فانفقوه فيما امرهم الله به ما قبله
منهم حتى ياخذوه من حق وينفقوه في حق السادس في ادابه وهي اختيار التوسط بين الافراط والتفريط قال الله عز وجل
ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا وقال ابو الحسن عليه السلم لا تبذل
لاخوانك من نفسك ما ضرره عليك اكثر من منفعته لهم السابع عدم كفران الطالب للمعروف قال ابو عبد الله
عليه السلم لعن الله قاطعي سبيل المعروف قيل وما قاطعوا سبيل المعروف قال الرجل يصنع اليه المعروف فيكفره فيمنع
صاحبه من ان يصنع ذلك الى غيره وقال عليه السلم قال رسول الله صلى الله عليه وآله من اتى اليه معروف فليكاف به
فان عجز فليثن عليه فان لم يفعل فقد كفر النعمة واذا عرفت المعروف واقسامه واحكامه عرفت المنكر واقسامه
واحكامه بالتضاد والاول من صفات العاقل العارف المستيقن بالله وباليوم الاخر المشفق بعباد الله والثاني من صفات
الجاهل المغرور بالدنيا المفتون بزهراتها والستر وضده التبرج الستر بالفتح مصدر سترت الشيء استره
اذا غطيته فاستتر هو وتستر اي تغطى والرجل ستير اي عفيف والجارية ستيرة واما الستر بالكسر فهو ما يستر
به كالسترة بالضم يعني ان من جنود العقل وصفات العاقل ستر الذنوب بالتوبة او سترها عن الناس لقوله صلعم
المذيع بالسيئة مخذول والمستتر بها مغفور له او ستر زلات المؤمنين وعوراتهم ومعايبهم او ستر الحلي
والزينة ومواضعها عن الاجانب مثل السوار للزند والخلخال للساق والدملج للعضد والقلادة للعنق والقرط
للاذن والوشاح للعاتق والكشح وهذا اظهر الاحتمالات بقرينة ضده اذ الظاهر ان التبرج اظهار المراة زينتها
ومحاسنها للاجانب وهو حرام عليها قال الله ولا يبدين زينتهن الاية وقال ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى
واذا حرم اظهارها حرم اظهار مواضعها بالطريق الاولى وهو متفق عليه بين العامة والخاصة ومن التبرج تطيبها
وتجمير ثوبها وتزينها باثواب فاخرة وخروجها من بيتها وتعرض نفسها للرجال فيطمع الذي في قلبه مرض
قال رسول الله صلعم اية امراة تطيبت وخرجت من بيتها فهي تلعن حتى ترجع الى بيتها متى رجعت وقال ابو عبد الله
عليه السلم لا ينبغي للمراة ان تجمر ثوبها اذا خرجت من بيتها ومنه اظهار صوت حليها للاجانب قال الله ولا يضربن
بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن والتقية وضدها الاذاعة في الصحاح اتقى يتقي اصله اوتقى على افتعل
قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها وابدلت منها التاء وادغمت فلما كثر استعماله في لفظ الافتعال توهموا ان
التاء من نفس الحرف يعني من نفس حروف الكلمة واصولها فجعلوه اتقى يتقي بفتح التاء فيهما مخففة ثم لم يجدوا
له مثالا في كلامهم يلحقونه به فقالوا تقى يتقي مثل قضى يقضي وفي المغرب الوقاية والوقاء كل ما وقيت به شيئا

والتقية اسم من الاتقاء وتاؤها بدل من الواو لانها فعيلة من وقيت وهي ان يقي نفسه من اللائمة او العقوبة
وان كان على خلاف ما يضمر وفي القاموس اتقيت الشيء وتقيته اتقيه واتقيه تقى وتقية وتقاء
ككساء حذرته والاذاعة افعال من الذيع يقال ذاع الخبر يذيع ذيعا اذا انتشر واذاعه غيره اي
افشاه والمذياع الذي لا يكتم السر اذا عرفت هذا فنقول التقية جائزة الى يوم القيمة نقله المغربي عن الحسن
ايضا وهي دين الله في عبادة وسنة الله في بلاده وجنة المؤمن يدفع بها سيوف مكر الماكرين ويرد
به سهام كيد الكائدين وحصنه يأوي اليه لدفع تعدي الظالمين ومن صفات العاقل الفاضل الذي يعلم
حقيتها وحقيقتها ومواضع استعمالها وموارد الحاجة اليها فيقول ويفعل عند الضرورة والحاجة خلاف
ما يعتقده حفظ النفس وماله وغيره من المسلمين عن التورط في المهالك ويجري صحبته وشرار تحرزا من غشومهم
وتحرزا من مواخذتهم وقد روي ان رجلا استاذن على رسول الله صلعم فقال بئس اخو العشيرة فاذن له
فلما دخل عليه اقبل عليه رسول الله صلعم بوجهه وبشره يحدثه حتى فرغ وخرج من عنده فقيل له يا رسول الله
انت تذكر هذا الرجل بما ذكرته واقبلت عليه بوجهك وبشرك فقال عليه السلم ان من شر عباد الله من يكره
مجالسته لفحشه وتقية الائمة عليهم السلم من اهل الجور مشهورة وفي الكتب مسطورة وفي الايات والروايات
الكثيرة دلالة على جوازها بل على وجوبها قال الله الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان نزل في عمار بن ياسر حين
اكرهه اهل مكة وقال اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا قال الصادق عليه السلم بما صبروا على التقية
وقال ويدرؤن بالحسنة السيئة قال عليه السلم الحسنة التقية والسيئة الاذاعة وبالجملة التقية ترس
العاقل وحرزه وجنده واما ضدها وهو الاذاعة فمن صفات الجاهل الذي يقصر نظره عن ملاحظة
سوء عاقبتها وقبح مآلها فانه قد يفعل شيئا او يتكلم بكلام او يروي حديثا يورث قتله او ضربه او حبسه
او شتمه او غصب امواله او سبي ذراريه او كل ذلك او غيره من المسلمين وقد دلت الايات والروايات الكثيرة
على ذمها قال الله تعالى واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به وقد عبر عنهم بالاذاعة فاياك والاذاعة
وقال الصادق عليه السلم ما قتلنا من اذاع حديثنا قتل خطاء ولكن قتلنا قتل عمد والانصاف وضده الحمية
الانصاف العدل والتسوية يقال القاضي انصف بين الخصمين اي عدل وسوى بينهما في المجلس وغيره وان ينصف
الناس من نفسه اذا رضي لهم ما رضي لنفسه وكره لهم ما كره لنفسه وحكم على نفسه لو كان الحق لهم
ومن الصادق عليه السلم سيد الاعمال ثلثة وعد منها انصاف الناس من نفسك حتى لا ترضى لها بشيء الا رضيت
لهم

لهم مثله منه والانصاف في المعاملة وهو ان لا ياخذ من صاحبه من المنافع الا مثل ما يعطيه ولا ينيله من المضار
الا مثل ما ينال منه وهو من اكمل فضائل العقل لان العاقل يعلم ان من انصف زاده الله عزا في الدنيا والاخرة وهو
في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله والحمية الانفة يعني استنكاف الرجل من دخول العار عليه وهو سبب الحمية وحمايته
وغايتها ان يدفع عن قومه ظلما وجورا وان ادى دفعه الى ظلم وجور اشنع واقبح من ذلك او يرتكب لدفعه ما هو
خلاف الاولى عن نفسه او عن قومه ضررا عظيما الغيرة او يرى شرار قومه خيرا من خيار قوم آخرين او نحوها
مما هو شريعة الجهلاء وطريقة السفهاء لقسوة قلوبهم وغلظة طبايعهم حتى انهم يستعملون لسوط واحد
سيوفا ويحدثون لحتف واحد حتوفا ويقيمون حمية الجاهلية ولا يعلمون ويظنون ان في ذلك مماثلة للانصاف
بل افضل واولى فلا يجدون الى الانصاف سبيلا اولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا قال رسول الله صلعم من
تعصب او تعصب له فقد خلع ربقة الايمان من عنقه قال من كان في قلبه حبة من خردل من عصبية بعثه
الله تعالى يوم القيمة مع اعراب الجاهلية وينبغي ان يعلم ان تعصب الرجل وحميته في الدين ومحبته لقومه
واعانته لهم لا على الظلم ليست من الحمية المذمومة قال علي بن الحسين عليهما السلم لم تدخل الجنة حمية حمزة بن عبد المطلب
وذلك حين اسلم غضبا للنبي صلعم في حديث السلا الذي القي على النبي وقال عليه السلم ليس من العصبية ان الرجل قومه
ولكن من العصبية ان يعين قومه على الظلم والتهيئة وضدها البغي التهيئة اما بمعنى الموافقة يقال تهايؤا اي
توافقوا او بمعنى الاصلاح تقول هيأت الشيء اذا اصلحته او بمعنى تهيئة النفس واستعدادها للحركة نحو الفضائل
والاعراض عن الرذائل او بمعنى ما يتبع ذلك الاستعداد من هيئة حسنة راسخة موجبة لعدم ظهور رذيلة
منها وبقائها على حالة واحدة واستمرارها عليها وهي في الحقيقة مبدا لتحصيل الكمالات قال المغربي هي الهيئة
هي الحالة الظاهرة للمتهيئ للشيء وقوله عليه السلم اقيلوا ذوي الهيئات على عثراتهم قال الشافعي والهيئة من لم يظهر
منه ريبة والبغي بمعنى طلب الشر يقال بغى احدهما صاحبه في شيء اي طلب له شرا واراده له وبمعنى التعدي
والاستطالة والظلم وكل مجاوزة الحد وافراط على المقدار الذي هو حد الشرع ولعل المقصود والله يعلم ان الموافقة
بين الناس وبين الامام والرعية او اصلاح النفس من رذيلتها وصقلها من كدورة شرارتها واستعدادها نحو الكمالات
التابعة لذلك الاستعداد الموجبة لعدم ظهور رذيلة منها وبقائها على حالة واحدة مع استمرارها على تلك
الحالة وعدم خروجها منها من صفات العقل وجنوده والبغي بالمعاني المذكورة من صفات الجهل هذا وقراها سيد الحكماء
بالبهشة وفي البهشة بالباء الموحدة قبل الهاء وقبل الشين المعجمة الارتياح لذي فضل وللمعروف واجابه

والميل اليه وضدها البغي عليه والنظافة وضدها القذرة في الصحاح النظافة النقاوة وقد نظف الشيء بالضم
فهو نظيف ونظفته انا تنظيفا اي نقيته والتنظف تكلف النظافة وفي النهاية فيه ان الله تعالى نظيف يحب النظافة
نظافة الله كناية عن تنزهه من سمات الحدوث في صفاته وتعاليه في ذاته عن كل نقص وحبه النظافة من
غيره كناية عن خلوص العقيدة ونفي الشرك ومجانبة الاهواء ثم نظافة القلب عن الغل والحقد والحسد
وامثالها ثم نظافة المطعم والملبس عن الحرام والشبهة ثم نظافة الظاهر بملابسة العبادات ومنه الحديث
نظفوا افواهكم فانها طرق القران اي صونوها عن اللغو والفحش والغيبة والنميمة والكذب وامثالها وعن اكل
الحرام والقاذورات والحث على تطهيرها من النجاسات والسواك والحاصل ان طهارة الباطن والظاهر وتنزيههما
عن جميع ما لا ينبغي اتصاف الانسان به ظاهرا وباطنا من اسباب العقل في الترقي الى عالم القدس كما يرشد اليه
قوله تعالى وثيابك فطهر والرجز فاهجر وقذارتهما من اعوان الجهل في التباعد عن ذلك العالم لان عالم القدس طاهر
لا يسكن فيه الا الطاهرون وينبغي ان يعلم ان طهارة الباطن يستلزم طهارة الظاهر وكذا نجاسة الباطن يستلزم
نجاسة الظاهر لان ما في الباطن يترشح الى الظاهر فلا جرم ان الحالة الباطنة سبب الحالة الظاهرة ومن ثم يستدلون بالظواهر
على البواطن والحياء وضده الخلع قيل الحياء انكسار يصيب الحي تارة وقيل هو تغير يلحق من فعل او ترك ما يذم
به وقيل هو خلق يمنع من القبيح ومن التقصير في الحقوق وهو غريزة في الاكثر وقد يحصل بالاكتساب لان من يحمل عليه
ربما يلتزم الحقوق ويتمسك بالشرائع ويعتاد بها على كر الدهور ومر الازمان فيحصل له ملكة الاجتناب عن القبائح
ومبدأ الانقباض عن المحارم وهي الحياء وله مراتب متفاوتة وافراد متفاضلة اكملها وافضلها ما يزجر به الجوارح
الظاهرة والباطنة كلها عن ارتكاب ما لا ينبغي ودون ذلك درجات فان قلت قد يكون في الانسان ما يمنعه من حقوق
الله تعالى فهل هو حياء حقيقة ام لا قلت لا وانما هو خور ومهانة وحمق واطلاق الحياء عليه احيانا وتقسيم النبي وقوله
صلعم الحياء حياءان حياء عقل وحياء حمق فحياء العقل هو العلم وحياء الحمق هو الجهل وفيما نقل عن الحكماء ان الحياء
منه سكينة ووقار ومنه ضعف وفيما نقل عنهم في باب الاخلاق ان كل فضيلة نفسانية وسط بين طرفيها الـ
المذمومين طرف الافراط وطرف التفريط فالحياء الممدوح وسط بين طرفي افراطه وهو الخور اعني الاستحياء
من كل شيء وهذا مذموم لانه يؤدي الى ترك الواجبات كالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيره وطرف تفريطه
وهو الخلاعة اعني عدم الاستحياء من بعض الوجوه وهذا ايضا مذموم لانه يؤدي الى ارتكاب بعض المحظورات
لا يدل على ان اطلاق الحياء على ما يمنع من حقوقه على سبيل الحقيقة لان الاستعمال اعم من الحقيقة والمجاز ان

يكون

يكون محمولا على معناه الحقيقي ويؤيده ما قلنا ما رواه مسلم عن عمران بن حصين ان رسول الله صلعم قال الحياء لا يأتي
الا بخير والحياء كله خير وحمل هذا على الايجاب الجزئي لا وجه له على ان اصطلاح الحكماء ليس بحجة علينا ولذلك
لما سمع بشير بن كعب عن عمران ما نقله عارضه بقول الحكماء فقال عمران احدثك عن رسول الله وتحدثني عن
صحيفة الحكماء فانكار عمران دل على ان لا وجه لمعارضة السنة بقول الحكماء ويؤيده ايضا قول المحقق الطوسي حيث
عد الحياء من انواع العفة الحاصلة من الاعتدال في القوة الشهوية وعرفه بانه انحصار النفس عن ارتكاب القبائح
احترازا عن استحقاق المذمة فانه صريح في ان انحصار النفس عن ارتكاب المحاسن ليس من الحياء فان قلت
قد ينسب الحياء الى الله فيقال انه حيي فما معناه قلت معناه انه سبحانه يعامل معاملة من له حياء يعني لا يصدر عنه
القبائح وذلك لانه اذا انتسب اليه تعالى مبادي الآثار ولا يصح عقلا وشرعا ارادة تلك المبادي يراد منها
تلك الآثار مجازا والخلع الذي هو ضده اما بالجيم وهو قلة الحياء قال في الصحاح جلعت المرأة بالكسر فهي جلعة
وجالعة ايضا اي قليلة الحياء تتكلم بالفحش وكذلك الرجل جلع وجالع ومجالعة القوم مجاوبتهم بالفحش
وتنازعهم عند الشرب والقمار واما بالخاء المعجمة وهو النزع يقال خلع ثوبه عن بدنه اذا نزعه ووجه
كونه ضد الحياء ظاهر لان الحياء بمنزلة اللباس يستر جميع الاعضاء ويمنع ظهور معايبها وصدور قبائحها
وضده هو خلع ذلك اللباس وكشف تلك المعايب والقبائح وانما كان الحياء من جنود العقل وضده من جنود
الجهل لان الانسان متوسط بين العالمين عالم الهداية وعالم الغواية وعالم القدس وعالم الطبيعة والعقل
يدعوه الى الاول والجهل يدعوه الى الثاني فاذا البس الحياء الزاجر له عن ارتكاب القبائح يجذبه العقل الى غاية مناه
بسهولة لان الجذب بلا مانع اشد واسهل من الجذب معه واذا خلع منه ذلك اللباس وظهر منه انواع القبائح
واصناف المعايب يجذبه الجهل الى نهاية مناه بسهولة لما عرفت فمن له حياء كامل قريب من الحق بالغ الى اقصى
مدارج الهداية ومن له خلع كامل بعيد عن الحق بالغ الى اعلى معارج الغواية والمتوسط بين الامرين متوسط
بين العالمين متردد يقرب من كل منهما تارة ويبعد اخرى حتى يؤل امره الى ما شاء الله والله يهدي من يشاء الى
سواء السبيل والقصد وضده العدوان القصد بالشيء ارادة الاتيان به والقصد ايضا العدل وهو التوسط
في الامور بين الافراط والتفريط ولعل المقصود انه من جنود العقل ارادة الخيرات كما روي ان نية المؤمن خير من عمله
وان من قصد برا ولم يقدر عليه كتب الله له اجر مثل ما يكتب له لو عمله او المقصود انه من جنوده التوسط بين
الطرفين في الاقوال والافعال والعقائد كالتوسط في المشي بين الدبيب والاسراع قال الله تعالى واقصد في مشيك

ان سرعة المشي يذهب بها البهاء المؤمن والتوسط في الانفاق بين التبذير والتقتير قال الله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا
ولم يقتروا والتوسط في العبادة بحيث لا يلحق البدن مشقة شديدة تنفر الطبع عنها ولا يتركها قال رسول الله
يا علي ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة ربك فان المنبت يعني المفرط لا ظهرا ابقى
ولا ارضا قطع فاعمل عمل من يرجوان يموت هرما واحذر حذر من يخاف ان يموت غدا والتوسط في جميع الاخلاق
بين الافراط والتفريط والتوسط في معرفة الله بين التعطيل والتشبيه والتوسط في معرفة الرسول والائمة عليهم السلام
بين الربوبية والتكذيب كالغلاة والتوسط في الكسب بين الكسالة والجد المانع من الراحة البدنية او الحقوق
الدينية وبالجملة التوسط في جميع الامور الا الذنوب مطلوب ممدوح والعدوان بمعنى التجاوز
عن الاوساط الى طرف التفريط والافراط كما هو شان الجاهل الهارب عن الصراط المستقيم مذموم والراحة وضدها
التعب يعني ان الراحة الروحانية والجسمانية واختيار ما يوجبها من فضايل العقل وجنوده لعلمه بحقارة
الدنيا وزهراتها وانصرام زخارفها ولذاتها وانقضاء مصايبها وافاتها فيرفض الشواغل الدنياوية وينفض
الوساوس النفسانية ويترك اللذات الجسمانية فلا يغتم بفوات الاموال والاسباب ولا يهتم بتحصيل المقتنيات
والاكتساب ولا يقتحم بعثرة التزلزل والاضطراب والحسد ولا يبغض ولا يجادل ولا يماري فهو دايما فارغ
البال مرفه الحال لا نفسه منه في تعب ولا روحه منه في نصب واما الجاهل فهو دايما في تعب ومشقة وابدا
في محنة وبلية لاهتمامه بتحصيل المقتنيات وحفظه للرسوم والعادات واغتمامه بفوات المشتهيات من المطعومات
والملبوسات وارتكابه لامور شديدة صعبة من المعاملات واحتماله من الاشغال الدنياوية والاثقال الزايلة
الفانية ما يعجز نفسه من تحملها او يعجز والتجاذب في ذلك الى التحاسد والتباغض مع بني نوعه من ابناء الزمان
الى غير ذلك من الامور المورثة للحزن والغم والهم والتعب كما هو المعروف من جملة افراد الانسان ومنشا ذلك
استعظام الدنيا واستحقار الاخرة وهم لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة غافلون
فقد ظهر مما ذكرنا ان الراحة من صفات العقل والتعب من صفات الجهل واما ان ابنه كل صاحب فظاهرة لانه نجي
المخفون وهلك المثقلون والسهولة وضدها الصعوبة السهولة الي [illegible] والذل بالكسر يعني سرعة
الانقياد يعني سهولة الطبع في [illegible] وتبرؤه في قبول الصفات المرضية و[illegible]
وذلك وانقياده في الدين [illegible] قال وعلوها الايمان كما ورد من طرق العامة والخاصة المؤمنون هينون
لينون وصعوبة الطبع يعني اضداد هذه الامور من صفات الجاهل الحامد الذي تباعد ذهنه من الحق الزاجر

ويرق

١٩٠

ويرق طبعه من غرض الصدق الى جانب الحق ولا يطيع لقايده الى منازل العرفان والكمال بل يغلبه مثل الجموح
عن دين الحق سريعا في سبل الضلال وهكذا شانه دايما في سرعة السير الا ان يقع في اسفل السافلين والحرص
الصبر والبركة وضدها المحق البركة النماء والزيادة ويحتمل ان يراد بها الدوام والثبات من برك
البعير اذا استناخ ولزم وثبت في موضع واحد والمحق النقصان وذهاب البركة وقيل هو ان يذهب
الشيء كله حتى لا يرى منه اثر ومنه يمحق الله الربا اي يستاصله ويذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل
فيه ولعل المقصود ان الزيادة في فعل الخيرات والمبالغة والمبالغة في المبرات والثبات والدوام عليها من صفات
العقل وكمال العقلاء كما روي من استوى يوماه فهو مغبون وروي ايضا ما من شيء احب الى الله عز وجل من عمل
يداوم عليه وان قل والنقصان في العمل وعدم الدوام والثبات عليه من صفات الجاهل الجهلاء بمنافع العقل وغفلته
عن جزيل الثواب ونسيانه حظه ونصيبه يوم الحساب وقيل المراد ان العاقل يحصل المال من الوجه الذي يحل له
ويصرف فيما ينبغي الصرف فيه فينمو ويزيد ويبقى ويدوم له والجاهل يحصل من غير وجهه ويصرفه في غير وجهه
فيبطل ماله ويذهب بركته وقيل المراد ان البركة من صفات العقل لارتفاعه عن عالم التغير والافة والنقص
والنقص من صفات الجهل المتعلقة بعالم الافات والزوال والشرور والعافية وضدها البلاء يقال عافاه الله
معافاة وعافية اذا سلمه من الافات وبلاه وابتلاه بلاء اذا جربه واختبره وامتحنه ويمكن ان يراد بالبلاء
والبلاء فيهما السلامة من ايذاء المسلمين او من الامراض النفسانية كما اشرنا اليه او من العيوب كالامراض البدنية
كما قيل ان السلامة من هذه الامور من صفات العاقل اذ العاقل لا يؤذي مسلما ويتخلص من امراض النفسانية كما انه
من العيوب والافات حيث يعرفها ويعرف طريق التخلص والجاهل بخلافها ويقع فيها من حيث لا يدري وان
يراد بالعافية والبلاء هنا العافية والسلامة من الاعمال الظاهرة الفاسدة او من العقوبات الاخروية او من الجهل
بالتخرز عن موجباتها او مما يوجب سقوط المنزلة عند الله او من المكاره الناشية من الاخوان او من زوال النعمة
فان السلامة من هذه الامور من صفات العاقل لانه يحترز مما يوجب فساد العمل وثبوت العقوبة وسقوط المنزلة
ويعفو عن بني نوعه و[illegible] عن الجهلة عن مكارههم ويشكر النعم فيجلب النعمة ويامن من زوال الالاء
تلو بهذه الامور من صفات الجاهل وعلى ما ذكرنا يتحقق [illegible] المفترقين في الكافي كلها ونقل
عن الشيخ بهاء الملة والدين انهما بمعنى واحد وان احديهما [illegible] زخرف جمع بينهما الناسخ غافلا
عن البدلية وقال سيد الحكماء البلاء ضد العافية بمعنى البلوى والبلية والبلاء ضد السلامة بمعنى

والاختبار ومن توهم انهما بمعنى واحد يلزمه ان لا يكون جند الجهل ثلثة وسبعين وهو على خلاف قول الامام عليه السلام
وعلى خلاف جند العقل وفيه اولا ان الامتحان والاختبار ايضا بلية وثانيا ان من توهم اتحاد البلاء في الموضعين
توهم اتحاد العافية والسلامة ايضا فلا يلزمه ان يكون جند الجهل على خلاف جند العقل واقل منه ولا يلزمه
ايضا ان يكون جند الجهل اقل من ثلثة وسبعين لان تفصيل الجنود زايد على ثلثة وسبعين بثلثة والغرض التوهم
ان يرجع بعضها الى بعض حتى يعود الجميع الى ثلثة وسبعين كما اشرنا اليه في اول الحديث والقوام وضده المكاثرة
القوام بالفتح العدل قال الله وكان بين ذلك قواما وقوام الامر بالكسر ما يقوم به امره ويتم به نظامه يقال فلان
قوام من العيش اي ما يقوم بحاجته الضرورية والمكاثرة من الكثرة وهي نقيض القلة وكثيرا ما تستعمل في المغالبة
يقال كاثرناهم فكثرناهم اي غلبناهم بالكثرة في المال والعدة يعني من صفات العاقل التوسط في تحصيل المعاش والاقتصار
بقدر الكفاف وهو القدر الذي يحتاج اليه في بقاء شخصه ويتقوى به في عبادة ربه غير متجاوز عن ذلك الحد
لعلمه بحقارة الدنيا ومفارقته لها الى دار القرار ووقوفه للحساب بين يدي الملك الجبار فيبعثه ذلك الى اعداد
زاد الاخرة والانقطاع عن حبل العلايق وصرف العمر في طلب الحقايق والاجتناب عن زوايا الدنيا والاختيار
في طريق المعاش احسن الطرايق وهو طريق التوسط ومن صفات الجاهل صرف العمر في تحصيل ما لا احتياج اليه من حطام
الدنيا وزخارفها الموجبة للخسران وهو في استكثار الاموال والاكتساب للغلبة على غيره من ابناء الزمان وذلك
يوجب فراغ طبعه السقيم عن ادراك معالم الدين حتى ياتيه الموت بغتة وهو من الهالكين والحكمة وضدها
الهوى الحكمة ما يمنع من الجهل والحكيم يمنعه عقله منه اخذت من حكمة الدابة وهي حديدة في اللجام لانها تمنع
عن الجموح والمراد بها العلم والعمل النافعين في الاخرة واتباع ما هو الاصلح والانفع فيهما الا انها اشتهرت في العلم بحقايق
الاشياء والتصديق باحوالها والعمل بما يقتضيه العلم اذ هو شامل للحكمة النظرية باقسامها اعني علم ما بعد الطبيعة
وعلم الرياضي وعلم الطبيعي وللحكمة العملية باقسامها اعني تهذيب الاخلاق وتدبير المنازل وسياسات
المدن والظاهر انه لا مدخل لاصول الرياضي في الدين والشارع لا يرغب فيها وهي علم الهندسة في المقادير
واحكامها ولواحقها وعلم الحساب الباحث عن احوال العدد وخواصه وعلم النجوم الباحث عن اختلاف اوضاع
الاجرام العلوية بنسبة بعضها الى بعض وبالنسبة الى الاجرام السفلية وعن مقادير تلك الاجرام وابعادها
وعلم التاليف الباحث عن الاحوال المؤلفة وعلم الموسيقي الباحث عن تناسب الاصوات بعضها ببعض وكمية
زمان سكناتها وحركاتها وكيفية عن مواضعها وكذا لا مدخل الفروع عما فيه مثل علم المناظر والمرايا وعلم الجبر

والمقابلة

والمقابلة وعلم جر الاثقال وكذا لا مدخل فيه لاصول الطبيعي الباحثة عن الزمان والمكان والحركة والسكون والنهاية
واللانهاية وعن الاجسام البسيطة والمركبة وكيفية حدوث الحوادث الهوائية والارضية وعللها مثل
الصاعقة والرعد والبرق والزلزلة وامثالها وكذا لا مدخل لفروعها فيه مثل الطب والفلاحة وغيرهما
والهوى مصدر هويه اذا احبه واشتهاه ثم سمي به المهوي المشتهى محمودا كان او مذموما ثم غلب على المذموم
والمراد به هنا المعنى المصدري اعني اتباع المهويات الذميمة واقتفاء المشتهيات القبيحة ووجه كون الحكمة من
جنود العقل واعوانه والهوى من جنود الجهل وانصاره ظاهر اذ بالحكمة يتنور قلب العاقل حتى يفهم المشروعات
والمحظورات ويعلم المعقولات والمتخيلات ويبصر المقاصد الشرعية ويهتدي الى وجوه المصالح الدنيوية
والاخروية ويحصل له بذلك من القول والفعل والعقد حالة وثيقة وملكة شريفة لا يرد عليها الانتقاض
ولا يعتريه الانتقاض الى ان يرد في ساحة الحق والجاهل لما كان قلبه مظلما بحيث لا يجد الى معارف الحق سبيلا ولا
الى منازل القدس سبيلا اذا اتبع الهوى وارتكب المحظورات واستمر على المحرمات وانهمك في المشتهيات ازدادت
ظلمته وغلبت كدورته فهو في بيداء الجهالة طاير وفي ظلمات بعضها فوق بعض حاير حتى يطلع صبح يوم القيمة من
افق الموت واي يوم يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا
وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون والوقار وضده الخفة الوقار بالفتح الرزانة والمتانة وقد وقر
الرجل يقر وقارا فهو وقور اي رزين متين اذا كانت نفسه مطمئنة في تحصيل المطالب مستقيمة في الوصول
الى المآرب بحيث لا يحركها الغضب ولا يهزه المكاره بسهولة ولا يتجاوز عن الحد اللايق به عقلا وشرعا وهو
من جنود العقل في نفسه وعده من المنازل السافلة الى المقامات العالية في الدنيا والاخرة لان عدم انفعال النفس
بورود المكاره وعدم اضطرابها بنزول المصايب وعدم تزلزلها بمشاهدة النوايب راحة حاضرة ومنفعة
ظاهرة والعفو عن جرايم الناس والصفح عنها وعدم الغلظة عليهم بتسكين ثوران الغضب واطفاء نيران الغيظ
والغضب وترك ما يوجب الفرقة من التصاغر والتشاجر والتقاطع والتخاذل والتنازع والتشاتم والطيش
والعجلة من مكارم الاخلاق ومحاسن الافعال ومحامد الامور التي يوصف بها اهل المجد والشرف والنجدة والرزانة
ويوجب الرفعة عند الخالق والخلايق ويجلب محبتهم ومودتهم والخفة وهي الطيش والعجلة والجزع لفوات
قليل والفرح لطلب كثير والاضطراب لامر يسير والتزلزل لشي حقير من صفات الجاهل لان غلبه سخف وعقله خفيف
ولبه في تيه الجهالة حاير كانه موضوع على جناح طاير فيتحرك ويضطرب ابدا وذلك يثير الفتنة العظمى

والبلية الكبرى في تسويه سوء العذاب ويورده في مورد العقاب ويخلع عنه لباس الكرامة ويجره الى ذل
المهانة في الدنيا والاخرة والسعادة وضدها الشقاوة قال الله فمنهم شقي وسعيد فاما الذين شقوا ففي
النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك واما الذين سعدوا
ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ والسعيد الحقيقي من
امن وصدق بالله وملئكته ورسله ايمانا لا يفوته عمل ولا يشوبه دغل ولا ينوبه زلل ولا يعرضه خلل
وتصديقا يقوى به عقله على التحرز من المكايد الشيطانية والوساوس النفسانية واللذات الجسمانية ويستعد
به ذهنه لشروق انوار المعارف الالهية وبروق مكارم الاخلاق الربانية بحيث ينظر بعين التفكر في ملك
الارضين وملكوت السموات ويرى الحق بعين البصيرة في عجائب المخلوقات وبدائع المصنوعات ويرتوي من
زلال عيون الكمالات ويخلع عن نفسه لباس الشهوات ويجتنب عن هموم الدنيا وعلائق حال الانسان ويتوجه
الى امر الاخرة وشواهق مقاماتها فيصير نورا في نفسه ومصباحا لغيره ذلك فضل الله سبحانه على عباده المرتضين
ولايته الطاهرين ومن اقتفى اثارهم من العباد الصالحين والشقي الحقيقي من كفر بالامور المذكورة ووقع
في مهاوي الضلالة ومهالك الغواية وبينهما مراتب متفاوتة ومنازل متباعدة يجتمع فيها اسم السعادة
والشقاوة بالاضافة فرب سعيد من وجه شقي من وجه آخر ومن غلبت سعادته فهو في جنات النعيم ومن
غلبت شقاوته فهو في عذاب الجحيم ومن استوى فيه الامران فهو في خطر عظيم ورحمة الله قدامه وهو الغفور
الرحيم والتوبة وضدها الاصرار التوبة في الشرع ترك الذنب لقبحه ومنعه من الوصول الى الحق والندم
على ما فرط والعزم على ترك المعاودة وتدارك ما امكنه ان يتدارك من الاعمال ورد المظلمة الى صاحبها او
تحصيل البراءة منه ومتى اجتمعت هذه الامور تحققت حقيقة التوبة وكملت شرائطها وتاب الى الله وهي
من اهم قواعد الاسلام واول مقامات سالكي الاخرة وقد اتفق اهل الاسلام على وجوبها فورا ومنافعها كثيرة
منها انها تخلع ثوب الذنوب وتقطع عرق الخبث ومنها انها تورث محبة الرب ورضوانه والدخول في جنانه قال الله تعالى
ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وفيه فضل عظيم وشرف جسيم للتائب حيث ينال المحبة التي هي
اعلى مقاصد السالكين بعد ما كان في زمرة الهالكين وقال الباقر عليه السلام ان الله اشد فرحا بتوبة عبده
من رجل اضل راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها فالله اشد فرحا بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته
حين وجدها فانظر ايها اللبيب الى هذا الحديث وعلو مضمونه تجده كافيا في الترغيب الى التوبة والتحريض عليها

لولم



١٩٤

لو لم يكن غيره والآيات الكريمة والروايات الشريفة في باب التوبة وبيان فضلها اكثر من ان تحصى ومن صفات
العاقل واجتهاده لان العاقل قصده لقاء الله دائما وهمه النزول في ساحة عزه وهو يجوز ذلك في كل
آن ويترقبه في كل زمان فاكبر مقاصده واعظم مطالبه ان يطهر نفسه بالتوبة والندامة على ما يوجب البعد
عنه من رجس الآثام قبل انتهاء وقت التكليف بالموت وانقضاء مدة العمل بالفوت بخلاف الجاهل فان من صفته الاصرار
على الذنوب والمعاصي والاقامة على الآثام والمناهي اذ هو لعمى بصيرته وفقدان سريرته ونقصان عقيدته محجوب
عن درك الاخرة وحالاتها ومن نيل عناية الحق ومقاماتها فيظن ان غاية خلقه ونهاية وصوله هذه اللذات الحاضرة
والمنافع الداثرة فيستمر عليها ويستبشر بها وهو من الغافلين او يظن بالاخرة ظنا ضعيفا يستعد به لقبول ما يتلو عليه الشيطان
من تسويف التوبة غدا بعد غد الى ان يموت وهو من الخاسرين ثم الاصرار بالذنب اعم من فعله على الاستمرار وفعله مرة
مع عدم عزمه بالتوبة والاستغفار وما روي عن ابي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل ولم يصروا على ما فعلوا وهم
يعلمون قال الاصرار هو ان يذنب الذنب فلا يستغفر ولا يحدث نفسه بتوبة فذلك الاصرار يحتمل الامرين
والظاهر منه هو الثاني ومن فسر الاصرار بتكرار ذنب واحد وبايجاد حقيقة الذنب في ضمن انواع مختلفة من الذنوب
بحيث يشعر بقلة المبالاة فقد غفل عن تحقق معنى الاصرار في ذنب واحد مع عدم التوبة والاستغفار وضده الاغترار
الاستغفار من الغفر وهو الستر والاغترار من الغرة بالكسر وهي الغفلة والجراءة واعلم ان والي البدن كثيرا ما يطغى في
الامارة ويخرج في الولاية ويعصي السلطان الاعظم في ارادته ويستعمل الجوارح الظاهرة والباطنة كلها او بعضها
في غير طاعته ثم انه قد يشعر بتقصيره وعصيانه وخيانته وطغيانه فيخاف ان يعاقب في الدنيا وينكشف مساويه
عند المقربين فيقبل بالطوع والاختيار ويتمسك بذيل الاقالة والاستغفار طالبا الغفران الذنوب وسترها عن
الكرام لئلا يفتضح بها عندهم يوم القيمة ولعفوها باللطف العظيم والكرم العميم لئلا يعذب بالسلاسل والاغلال
وليمحوها من لوح نفسه وصفحة الجنان لئلا يخجل بذكرها بعد دخول الجنة وروضة الجنان ويستعد لاستكمال
الفوز بالرحمة في الدنيا بانزال البركات وفي الاخرة برفع الدرجات والشاهد العدل على ذلك قوله تعالى فقلت استغفروا
ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا وقد يرفع الله تعالى بالاستغفار محض العذاب الدنيوي عن جماعة من
العصاة كما روي ان الله تعالى يقول لاهم باهل الارض عذابا فاذا نظرت الى عمار بيوتي والمتحابين فيّ والمستغفرين بالاسحار
صرفته عنهم ثم الاستغفار لا يتحقق معناه بمجرد هذا اللفظ بل لا بد في تحققه من امور لا يتلقاها الا الصابرون
المجاهدون كما يرشد اليها قول امير المؤمنين عليه السلام لقائل قال بحضرته استغفر الله فقال عليه السلام ثكلتك امك

اتدري ما الاستغفار ان الاستغفار درجة العليين وهو اسم واقع على ستة معان اولها الندم على ما مضى والثاني
العزم على ترك العود اليه ابدا والثالث ان تؤدي الى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله املس ليس عليك تبعة والرابع ان تعمد
الى كل فريضة ضيعتها فتؤدي حقها والخامس ان تعمد الى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالاحزان حتى يلصق الجلد
بالعظم وينشا بينهما لحم جديد والسادس ان تذيق الجسم الم الطاعة كما اذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول
استغفر الله واذا عرفت هذا عرفت ان الاستغفار من جنود العقل واعوانه في العود الى الحق والقرب منه والاغترار
يعني الغفلة عن الحق والجراة عليه والانخداع من النفس والشيطان الموجب للاصرار على المعاصي والاستمرار على الطغيان
من جنود الجهل واعوانه في البعد منه والاستحقاق لمزيد الخذلان وانا استغفر الله واتقي كما قال الشاعر لو لم
ترد نيل ما ارجو واطلبه من جود كفيك ما علمتني الطلبا اراد بذلك قوله تعالى استغفروا ربكم انه كان غفارا
والمحافظة وضدها التهاون الحفظ الحراسة والتحفظ التيقظ والمحافظة المراقبة والاستهانة والتهاون
الاستحقار والاستخفاف يقال استهان به وتهاون به اذا استحقره واستخفه ولم يبال والمراد ان حراسة النفس
وتيقظها ومراقبتها في السير الى الله سبحانه او حراسة ما فعله من الصالحات وما اتى به من الخيرات ومراقبتها من ان
يتطرق الشبهات الباطلة والعقايد الفاسدة او كالريا والسمعة ونحوهما او حراسة الطاعات والعبادات
بالاتيان بها في اوقاتها مع شرايطها وحراسة المومنين ومراقبة احوالهم ومحافظة بالامر بالمعروف والنهي
عن المنكر من خصايص العاقل لانه يعلم بنور عقله ان له في كل مقدم يرفعها الى الله عز من الشيطان مترصد الاغوائه
وفي كل منزل عدو من الغيلان منتظر الاضلاله وان الله سبحانه لا يقبل من الاعمال الا ما هو خالص من المفاسد مقرون
مع الشرايط واقع في اوقاتها وان المومنين كنفس واحدة وهو لكماله في العقل بمنزلة راعيهم وحافظهم فلا يغفل
عن المحارسة ولا يغفل من المراقبة ابدا بخلاف الجاهل فانه دايما غافل عن الحراس بعيد عن الحفاظ مستحقر لذلك العدو
غير مبال به مع كمال قوته وكثرة مكيدته مستخف بالطاعات متهاون بالعبادات مضيع للاوقات حتى يرده الشيطان
الى اسفل السافلين الا ان ذلك هو الخسران المبين والدعاء وضده الاستنكاف الدعاء في اللغة النداء
والصيحة تقول دعوت فلانا اذا ناديته وصحت به وفي العرف طلب الرحمة والفيض من الله سبحانه على وجه الخضوع
والاستكانة وهو من اجل مقامات الموحدين وافضل درجات السالكين لكونه مشعرا بالذل والانكسار واقرارا
بصفة العجز والافتقار ومظهر التعلق بغيره لحاجته وقبة الامكان واعترافا بانغماس الممكن في غمرة المسكنة
والنقصان وقد وردت الايات المتكاثرة والروايات المتواترة من طريق الخاصة والعامة في الترغيب فيه

والحث

والحث عليه حتى صار شرعه من ضروريات الدين وهو من شعار الصالحين والصديقين وادب الانبيا والمرسلين
فان حكاية دعاء ادم ونوح وذي النون وموسى وايوب وداود وسليمان وعيسى وغيرهم ودعا خاتم
النبيين وسيد الوصيين واولاده الطاهرين وكمال تضرعهم وخشوعهم في القران العظيم مذكورة وفي كتب
السير مسطورة وفي دفاتر المتقدمين والمتاخرين مزبورة وفي السنة الخواص والعوام مشهورة بحيث لا مساغ
للرد والانكار ولا مجال للعناد والاستنكار وما خالج بعض الاذهان من ان المطلوب بالدعا اما ان يكون معلوم الوقوع
لله تعالى او معلوم اللاوقوع وعلى التقديرين لا فايدة فيه لان الاول واجب والثاني ممتنع وبعبارة اخرى اما
ان يكون وقوعه مصلحة للداعي او لا يكون فعلى الاول يقع وان لم يطلب لان الله يفعل ما هو صالح
العباد قطعا وعلى الثاني لا يقع وان طلب فطلبه على التقديرين عبث وايضا اعظم مقامات العارفين الرضا بالقضا
والدعا ينافي ذلك فالجواب عن الاول ان كل كاين وفاسد موقوف في كونه وفساده على شرايط واسباب
كما علم في موضعه ودل عليه ايضا ما روي من ان الله يابى الا ان يجري الاشيا باسبابها واذا كان كذلك فلعل الدعا
من شرايط وجود المطلوب ومصالحه كما ان شرب الدوا من شرايط صحة المريض واسبابه فالمطلوب مع الدعا معلوم
الوقوع ومصلحة وبدونه معلوم اللاوقوع وغير مصلحة وبالجملة هذا العالم عالم الاسباب ولا شيء يجري باسبابها
والعبد لعدم كونه عالما بكيفية علم الله تعالى بالاشيا وقضائه ابدا يكون بين الخوف والرجا ويجوز كون
المعلوم والمقضي مقيدا بالدعا ويتاكد ذلك بقوله تعالى ادعوني استجب لكم فلذلك لا يترك الدعا في الباسا والضرا
على ان لنا ان نقول الدعا لا يخلو من فايدة عظيمة ومنفعة جليلة لانه ان كان من شرايط وجود المطالب
واسبابه ففايدته وان لم يكن كذلك سوا كان المطلوب مصلحة في نفسه من غير شرطية الدعا وسببيته
او لم يكن مصلحة اصلا كان الدعا عبادة مستقلة بل هو من افضل العبادات كما دل عليه الروايات المعتبرة
فيورث ثوابا جزيلا واجرا جميلا في الاخرة والجواب عن الثاني ان العبد اذا دعا كان دعاؤه من جملة القضا فكيف
يكون منافيا له والحاصل ان الرضا بالقضا لا يجامعه والقضا اذا تعلق بشيء مقيد بشرط وسبب لا يكون
ذلك السبب والشرط منافيين له وما روي ان الدعا يرد القضا قد ابرم ابراما فمعناه والله اعلم ان الدعا
يوجب اختيار احد الفردين من القضا التخييري مثلا اذا تعلق القضا بموت هذا المريض بشرط عدم طلب
صحته وبقائه بشرط طلبهما كان هذا القضا متعلقا بامرين متضادين مشروطين بشرطين متقابلين
واختيار احدهما موكول الى العبد فايهما اختار فقد رضي بالقضا واذا عرفت ان الدعا من اشرف

مقامات السالكين عرفت ان ضده وهو الاستنكاف يعني الانفة والكراهة والترفع والعدول عن الدعاء الموجب للبعد
عن الحق من اخص صفات الجاهلين الهالكين قال الله ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين
والعبادة هي الدعاء والنشاط وضد الكسل النشاط في العبادة من كمال المراتب الانسانية وهو ينبعث من عدم
النقص اللاحق للنفس بسبب كلال بعض القوى الطبيعية عن افعالها وعدم وقوف الاعضاء وفتورها عن اعمالها
بسبب تحلل الروح وضعفه ورجوعه الى الاستراحة ولا شبهة في ذلك من صفات العاقل الذي فك عنه بالهمة
الصادقة قيود الاغلال البشرية ودفع عنه بالنية الخالصة اوزار الاثقال البدنية وانار بنور عقله اعضاء
الظاهرة حتى يرى شخصه في هذا العالم وروحه لخفته ونورانيته في عالم الروحانيين يطير مع الملائكة
المقربين فله من النشاط في العبادة ما لا يدخله سامة من جهد ودؤوب لا اعياء من كد ولغوب لا انقصان من
تطرق قصور ولا استحسار من طريان فتور كما قال سبحانه في وصف الملائكة وله من في السموات والارض ومن عنده
لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون والكسل يعني التثاقل في العبادة
من صفات الجاهل المحبوس في سجن الطبيعة البشرية والمغلول باغلال لواحق القوة الشهوية والمصفود بصفاد
عوارض القوى البدنية فهو ثقيل لا يحركه ريح النشاط من مركزه الى الدرجة العليا ولا شوق العبادة عن موضعه
الى المرتبة القصوى فيرضى وهو كسلان بالدون من الحيوة الدنيا والفرح وضده الحزن الفرح السرور يقال
فرح به اى سر وافرحه تفريحا اذا سره والفرح ايضا البطر والاشر وهذا ليس يراد هنا لانه من صفات
الجاهل لقوله تعالى ان الله لا يحب الفرحين والحزن والحزن خلاف السرور يقال حزن الرجل بالكسر فهو حزن
وحزين واحزنه غيره وحزنه وهذه الفقرة تحتمل معنيين الاول ان يكون الفرح كناية عن البشاشة وطلاقة
الوجه للاخوان والحزن كناية عن الكلوح والعبوس الثاني وهو الظاهر ان العاقل لكونه عارفا بالمعارف
الالهية وعالما بالحكم الربانية ومستشرقا لانوار الحق بابصار الهداية ومقبلا على عبادة ربه معرضا عما سواه مسرور
مبتهج فرح ابدا في الدنيا والاخرة بما اتاه الله من الفضيلتين العلمية والعملية اذ لا لذة اعظم منهما ولو نظر
الى ما يوجب السرور في دار الغرور والتفت اليها ما الاسباب جذبه الامور بسبب شيطان قاده اليها ومن نفس حرقته
عليها اخذت بضبعيه الانوار العقلية وتوقظه من رقدة الغفلة في المراقد الطبيعية وجذبته العناية
الالهية من ورطة الهلكة الابدية وايدته على ابليس وجنوده فيجتهد في مقاومته ويتخلص من مصايده
ويترصد لدفع حيله ويثبت في دفع مكايده فيحصل له بذلك ابتهاج وسرور ايضا الغلبة على عدوه

واما

واما الجاهل الفاقد لهاتين الفضيلتين فهو المهموم في اسر ذلك العدو فهو حزين في الدارين اذ لا الم اعظم من
ذلك في الدنيا والاخرة اما في الاخرة فظاهر لان الالام الاخروية التي توجب القهر والعجز والحزن بمشاهدة
السلاسل والاغلال ومعاينة الشدائد والاهوال الظاهرة غير محتاجة الى البيان واما في الدنيا فلان المعرض
عنه سبحانه والاشتغال بما سواه كما هو وصف الجاهل الم نفساني ومرض روحاني يوجبهما وغما وحزنا في
نفس الامر ولا يقدح فيه غفلته وتوهمه ان ذلك نافع له كما ان السم الم مهلك وان توهم شاربه انه نافع
له على انه قد يصدق على مقتضى عقله الفطري بان الاولى به ولا نفع له حرمان الاخرة سيما عند معاينة
الموت فيحصل له الم شديد وحزن طويل ولكن لا ينفعه ذلك لما بقي على حاله كما ان الخائن المعذب بسبب الخيانة
بعد قيامه كان الاولى به ترك ويحزن ولا ينفعه ذلك والالفة وضدها الفرقة الالفة توافق الارادة
والعقائد في تدبير المعاش والمعاد وهي فضيلة مندرجة تحت العدالة التي هي الاستقامة في القوى الفكرية
والغضبية والشهوية ومتوقفة على كثير من الفضائل النفسانية مثل التحمل والتواضع والرقة والحياء والرفق والصبر
والوقار والورع والعفو والمروة والسماحة والمسامحة والصداقة والوفاء والشفقة والتودد الى غير ذلك
من الامور المعلومة لمن تأمل في فضائل النفس وكونها من صفات العاقل ظاهر لان هذه الامور المذكورة لا يتصف بها
الا عاقل راض نفسه في ميدان المجاهدة ولانه يعلم بشروق عقله انه يحتاج في غذائه ولباسه ومسكنه ودفع
اعدائه وتحصيل امر الاخرة وترويج الشريعة الى التناصر والتعاون والتعاضد وكل ذلك متوقف على الالفة
والفرقة من اخص صفات الجاهل لاتصافه برذائل نفسانية موذية اليها ولانه لظلمة قلبه لا يراعي حقوق الاخوة
ومدى نظره انما هو جلب منفعة حاضرة ودفع كل ما هو عائق عنها ولو بسفك الدماء كما هو المشاهد من ابناء الزمان
ولا ريب ان ذلك موجب للمعاندة والمفارقة ويحتمل ان يراد بالالفة الالفة باهل البيت عليهم السلام وبالفرقة
التباعد عنهم وقيل الوجه في كون الالفة من صفات العقل ان العقل جوهر مرتفع الذات عن الجسم والجسمانيات
وعالمه عالم الوحدة والجمعية والجهل صفة النفوس المتعلقة بالاجسام وصورها التي وجودها عين قبول
الانقسام والافتراق ووحدتها عين كثرة ووصلتها عين انفصال ومباينة فكل واحد من ذوي النفوس الجزئية
قبل ان يستكمل ذاته عقلا بالفعل لا يحب الا نفسه بل يعادي غيره ويحسده على ما اتاه الله من فضله فاذا احب
بعضهم بعضا فانما احبه ليتوسل به الى اهوائه وشهوته فما احب الا نفسه ولذلك اذا ارتفعت الاغراض
والاعواض بينهم كما في الاخرة رجعوا الى ما كانوا عليه من الفرقة والعداوة كما في قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم

بعقوعد والا المتقين والسخاء وضده البخل السخاء في اللغة الجود يقال سخا يسخو اذا جاد بماله وسخو الرجل بالكسر يسخى
سخاوة اي صار سخيا وفي الاصطلاح ملكة توجب انفاق الاموال وساير المقتنيات في موضعه على قدر لايق به بسهولة
ومن شرايطه ان ياخذ الشيء من موضعه ويضعه في موضعه فلو صرف الحرام في المستحقين او صرف الحلال في غيرهم
لايكون سخيا ولا يستحق بذلك ثوابا وتلك الملكة خلقية في الاكثر وقد تكون كسبية حاصلة بكثرة الاعطاء وبذل
الجود فان غير الطبيعي قد يكون طبيعيا بالممارسة وهي فضيلة نفسانية مندرجة تحت العفة التي هي الاعتدال
في القوة الشهوية ويندرج تحت السخاء كثير من الملكات والفضايل منها الكرم وهو ان يسهل على النفس انفاق الكثير
فيما نفعه عام على وجه يقتضيه المصلحة ومنها الايثار وهو ان يسهل عليها صرف ما يحتاج اليه في الفقراء والمساكين
ومنها المواساة وهي ان يسهل عليها تشريك المستحقين في ماله واسبابه ومنها المسامحة وهي ان يسهل عليها ترك
ما لا يجب عليها تركه ومنها العفو وهو ان يسهل عليها ترك المجازاة بالظلم مع القدرة ومنها المروة وهي ان يكون لها
رغبة صادقة على التحلي بحلية البذل واعطاء ما ينبغي ومنها النبل وهو ان يكون لها ابتهاج بمداومة الافعال
الحسنة والخصال المرضية ومنها الصداقة وهي ان يكون لها اهتمام على تحصيل اسباب صديقه بقدر الامكان ومنها
الالفة وهي ان يكون لها اعتناء بتدبير معاش الخلطاء ومنها الوفاء وهو ان تلتزم طريق المساواة والمعاونة ومنها
الشفقة وهي ان يكون لها همة صادقة على ازالة المكروه عن الغير ومنها المكافات وهي ان تقابل الاحسان بمثله او
زايد عليه ومنها حسن الشركة وهو ان تراعي الاعتدال في المعاملات ومنها التودد وهو اظهار المحبة للاقران
واهل الفضل وتلقيهم بطلاقة الوجه وحسن البشر ومنها صلة الرحم وهي تراعي حقوق الاقرباء وتشاركهم في الخيرات
الدنيوية والاخروية ومنها التوكل وهو تفويض امرها الى الله سبحانه ومنها الصبر وهو ان لا تجزع من فوات الملايم
ومنها القناعة وهي ان لا تحرص على جمع ما لا يحتاج اليه ومنها الوقار وهو ان تكون ساكنة في تحصيل غير مضطربة
ومنها الورع وهو ان تجتنب عن الافعال القبيحة ومنها الحرية وهي ان تقتصر على اكتساب المال من الطريق الجميل ولذلك
كانت السخاوة والجود من صفات الانبياء والمرسلين والصديقين ومن اقتفى اثارهم من الصالحين الذين امنوا بالله وكتبه
ورسله ووعده ووعيده في الحشر والنشر والثواب والعقاب وواعوا بصدق الهمة احوال الفقراء والمساكين
والايتام والارامل والمستحقين وقصد والخلوص النية رفع الحوايج عنهم لا يريدون منهم جزاء ولا شكورا وفيه
دلالة العقل والنقل على شرافة تلك الفضيلة وعلى ان لها ما العقل فان عباد الله عياله ومن قام بقضاء حوايج عيال
احد في حال حضوره وغيبته ووطن نفسه على رعاية حقوقهم ونظر بعين التلطف والشفقة اليهم كان عند صاحب

العيال

العيال مكرما معززا محبوبا سيما اذا كان كريما قادرا على جميع الخيرات والاكرام والله سبحانه لم يجعل احدا فقيرا لاجل
الهوان ولا غنيا لاجل استحقاقه بالفضل والاحسان بل انما فعل ذلك لاجل المصلحة والامتحان فمن نظر الى الفقراء
والمحتاجين بعين الحقارة وخطر بباله انهم لا يستحقون الكرامة من الله سبحانه والا لاعطاهم ورفع حاجتهم فهو جاهل
بالمصالح الالهية وكافر بالحكم الربانية ويتوجه اليه الذم في قوله تعالى واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا
للذين امنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه ان انتم الا في ضلال مبين واما النقل فلقوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه
مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا فوقيهم الله
شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا وقول النبي صلى الله عليه وآله السخي قريب من الله
قريب من الجنة قريب من الناس السخاء شجرة في الجنة من تعلق بغصن من اغصانها دخل الجنة الى غير ذلك من الايات
الكريمة والروايات الصحيحة وهي اكثر من ان تحصى والبخل وعدم بذل المال سيما فضله في وجوه الفقراء والقرباء
من صفات الجاهل ومبداه حب الدنيا والرغبة عن الاخرة وخوف الفقر وسوء الظن بالله وبمواعيده الصادقة
وبعده عن التوكل والزهد والشفقة والرقة والرحمة والعطف لغلظة طبعه ورداءة نفسه وسوء خلقه
وشرارته فيبعثه ذلك على استملاك المال عن نفسه فضلا عن غيره ولذا قال سيد الوصيين عجبت للبخيل الذي يستعجل الفقر
الذي منه هرب ويفوته الغنى الذي اياه طلب فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الاخرة حساب الاغنياء ومن
العجب انه اختار البخل خوفا من الفقر وضنك العيش يوما ما مع انه يدخل في الفقر وضنك العيش باعتبار انه
لا ينفق على نفسه ولا على عياله ولا على غيره وبالجملة البخيل عار في نفسه جامع لمساوي العيوب وهو زمام يقاد به
الى كل سوء وكفاك شاهدا قوله في قصة قارون وامثاله وقوله تعالى ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه وقول امير المؤمنين عليه السلام
اذا لم يكن لله في عبد حاجة ابتلاه بالبخل وامثال ذلك من الروايات والروايات اكثر من ان تحصى ولا يجمع هذه الخصال
كلها من اجناد العقل التي بها يقاتل الجهل وجنوده في ملك الابدان وساحة القلوب وعدة الخصال من حيث ان بها
يتحقق التناسل والتسابق الى الخيرات يسمى خصالا ومن حيث عروضها تسمى صفات ومن حيث عدم رسوخها
بعد تسمى احوالا ومن حيث رسوخها بالتمرين والتدريب تسمى اخلاقا وملكات ومن حيث اطاعتها للعقل وعدم
خروجها عن حكمه تسمى خوادم ومن حيث كونها محفوظة بحفظ العقل وحراسته عن الافات تسمى رعايا وما ورد
في بعض الاخبار من الامر بمراعاة الراعي لرعيته يندرج فيه هذا ايضا ومن حيث انها اعوان للعقل في
محاربته للجهل تسمى اجنادا الا في نبي او وصي نبي او مؤمن قد امتحن الله قلبه للايمان اي اختبره بالشدايد والمحن

والرياء والفسق لتحقق الايمان له او لتحقق الايمان الكامل وصقله وجلائه من كدر الادناس وطهارته ونقائه من دنس الاخباث من محنت البئر محنا اذا اخرجت ترابها وطينها واما سائر ذلك المذكور من موالينا جمع المولى وهو يطلق على المعتق بالكسر والفتح وعلى ابن العم والعصبة كلها ومنه قوله تعالى واني خفت الموالي وعلى الولي والمالك ومنه قوله تعالى ثم ردوا الى الله مولاهم الحق وقوله عليه السلام ايما امراة نكحت بغير اذن مولاها وعلى الناصر والمحب ومنه قوله تعالى ذلك بان الله مولى الذين امنوا والمراد به هنا هو الاخيران فان احدهم لا يخلوا من ان يكون فيه بعض هذه الجنود وذلك ظاهر فان شيعة اهل البيت عليهم السلام هم الذين امنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فيهم بعض الخصال المذكورة من جنود العقل قطعا وبحسب ما يوجد منها فيهم يتنور قلوبهم ويصفوا اذهانهم و يرتفع درجتهم وذلك متفاوت في الكم والكيف والعدد على تفاوت انحاء التراكيب الغير المحصورة المتصورة فيها ولذلك لا تجد اثنين منهم متفقين في خصلة واحدة لا توجد فيها تفاوت وانما قال من موالينا فان غيرهم قد يخلو من جميع هذه الخصال ويكون قلبه معسكر الجهل وجنوده كلها وفي اطرافه وثغوره حراس بحيث لا يجد العقل اليه دليلا ولا الى استطلاع حاله سبيلا كما قال الله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب اليم وقد يوجد في بعضهم بعض جنود العقل كالسخاء ونحوه ولكن لا ينفعه لفقده ما هو اعظم منه واصل للجميع اعني الايمان الذي هو موجب للرحمة والدخول في الجنة فيكون ابدا في الدرجة السفلى محشوا مع الشياطين حتى يستكمل وينقى من جنود الجهل وذلك الاستكمال امر ممكن لانه لما بنى بنيته على اصل متين امر يقيني وحصل له بعض الخصال المرضية والانوار العقلية امكن له تكميل ذاته بسائر الخصال النورانية والعروج الى اعلى مدارج الكمال بجذبة من الجذبات الربانية وتنقيته بهمة صادقة ونية خالصة وقدم ثابتة من جنود العقل و اعوانه وذلك بان يكون متيقظا في جميع الاوقات ومراعيا لحاله في جميع الحالات ويختار من الاعمال والعقائد والصفات ما هو في الشرع احكم واتقن وعند العقل افضل واحسن فينظر مثلا الى الصلة والسخاء وضديهما والى القطيعة والبخل وضارهما ويختار الاولين على الاخيرين وهكذا دائما فعند ذلك يكون في الدرجة العليا مع الانبياء والاوصياء وحسن اولئك رفيقا وانما لم يذكر المومن المحتاج الى الاقتضاء والانتقال الى هذا المستكمل هو ذلك المومن انما يدرك ذلك اي الاستكمال بجميع تلك الخصال والكون في الدرجة العليا مع الانبياء والاوصياء والاولى لفظا ومعنى بمعرفة العقل وجنوده وبمجانبة الجهل وجنوده وجه الحصر ظاهر لان العمل بالشي متوقف على العلم به ولان التميز بين الحق والباطل متوقف على العلم فيكون حينئذ صادقا وذلك بالملا

وانما

وانما لم يقل وبمعرفة الجهل وجنوده بالمقابلة لان كلها اليه عقلا وجنوده فهو جهل وجنوده في حال [illegible] وثانيهما ان المقصود الاهم هو مجانبة الجهل وجنوده لانه الغالب في الاكثر والموافق للنفوس البشرية وفقنا الله واياكم لطاعته ومرضاته الرضوان بالضم والكسر والرضى والمرضاة بمعنى واحد وهذا من كلام الصادق عليه السلام ودعا لنفسه ولمن كان حاضرا عنده من مواليه ولمن غاب عنه ولمن يوجد الى يوم القيمة من باب تغليب الحاضر على الغائب فيه تنبيه على انه لا بد لطالب الخير من الالتجاء اليه سبحانه وطلب التوفيق منه اذ بيده الخير وهو على كل شي قدير ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم جماعة عن احمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن فضال عن بعض اصحابنا عن ابي عبد الله عليه السلام قال ما كلم رسول الله صلى الله عليه واله العباد بكنه عقله قط كنه الشي نهايته يقال اعرفه كنه المعرفة اي نهايتها ولا يشتق منه فعل وقولهم لا يكتنهه الوصف بمعنى لا يبلغ كنهه كلام مولد وقد يكون كنه الشي حقيقته التي هو بها هو وفيه اشارة الى كمال عقله صلى الله عليه واله فانه نور رباني لا يدانيه شي من العقول اذ كما ان الانوار متفاوتة فنور الشمس والقمر والكواكب والمصباح واليراعة بعضها فوق بعض لا يكون اللاحق مثل السابق فكذلك العقول متفاوتة في الدرجات والمراتب وعقله عليه السلام اعلى الدرجات الممكنة واقصى المراتب المتصورة وهو مظهر للحقايق والمعارف الالهية ومعدن للاسرار والعلوم الربانية ومدرك لما يعجز عن ادراكه عقول البشر ويقف دون الوصول اليه الفكر والنظر فلذلك ما كلم العباد ابدا بحقيقة ما عرفه ونهاية ما بلغه وكيفية ما عقله لئلا يقعوا في الحيرة وقد بعث لازاحتها وارسل لازالتها ولان الغرض من الكلام انما هو الافهام والمخاطب اذا لم يفهم كان ذلك عبثا والحكيم لا يعبث ولذلك كانت الحكماء يوصون بضنة الحكمة عن غير اهلها ومن هذا القبيل ما روي عن ابي عبد الله عليه السلام قال قام عيسى بن مريم خطيبا فقال يا بني اسرائيل لا تحدثوا الجهال بالحكمة فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم وينبغي ان يعلم ان المراد بالعباد اكثرهم فانا نعلم قطعا ان عليا عليه السلام نفسه المقدسة كما دلت عليه اية المباهلة وغيرها من الروايات وانه كلمه وعلمه بكنه ما عقله مما هو كائن ويكون في الدنيا والاخرة وقال قال رسول الله صلى الله عليه واله انا معاشر الانبياء اي جماعتهم جمع معشر وهي الجماعة امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم اي على مقدار ما يدركه عقولهم من المعارف والحقائق وغيرها لان الحكيم النحرير يراعي في تعليم العقول الناقصة المتحيرة في تيه الضلالة والنفوس المنكدرة برين الغواية وغين الجهالة وتاديبها بمحاسن الاداب ومكارم الاخلاق والفضائل وتخليصها عن غواشي الاوهام ومساوي العيوب والرذائل ما يناسبها ويبلغ اليه فهمها وينتهي اليه دركها وقد يلبس المطالب بكسوة الامثال لعلهم يفهمون

كما قال سبحانه وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون وبالجملة الناس اطفال وعقولهم غير بالغة ومحمد
صلى الله عليه وآله معلم والمعلم الرباني لا يعلم الاطفال الا ابوابا تناسب حالهم ويبلغ اليه عقولهم وينتهي اليه درجتهم
علي بن محمد عن سهل بن زياد عن النوفلي عن السكوني عن جعفر عن ابيه قال قال امير المؤمنين عليه السلام ان قلوب الجهال
يستفزها الاطماع اي يستخفها ويفزعها ويزعجها ويطيرها ويسلب طمانينتها والاطماع جمع طمع وهو معروف
وقد يجي بمعنى الرزق يقال امر لهم الامير باطماعهم اي بارزاقهم وينشا ذلك من تموج القوة الشهوية وانتشارها
حتى تستولي على ساحة القلب فيصير مظلما اذا اخرج يده لم يكد يراها وعند ذلك يعدل عن الصراط المستقيم وهو
الوثوق بالله العظيم الى ما هو من اخص مكايد الشيطان واضر احوال الانسان وهو الطمع فيما ايدي الناس فيقع
في وثاق الذل وعبودية العباد ويحرم عما يستوجبه في دار المعاد وهو اصم لا يسمع نصح الناصح لا سيما
قول امير المؤمنين عليه السلام لا تخضعن لمخلوق على طمع فان ذلك وهن منك في الدين واسترزق الله مما في خزائنه فان
ذلك بين الكاف والنون ان الذي انت ترجوه وتامله من البرية مسكين بن مسكين ثم ان العاقل يمنعه عقله بان موعود
الطامع قد لا يكون باعثا لتحصيل المراد ولا سببا لاصدار ما اراد بل يتخلف عنه المرام ويصير ذلك موجبا لتضييع
الايام ويورث صفا مراة قلبه وخامة مال تلك الاحوال فيفر منها فرار الجبان من شبل معها الاولاد والاشبال ويرتهنها
المنى المرتهن الذي ياخذ الرهن المنية والامنية واحد وجمع المنى والاماني فتشبيه المنى بالمرتهن مكنية واثبات
الارتهان لها تخييلية والراهن هو النفس الامارة بالسوء وفيه مبالغة بليغة على كمال الافلاس منها حيث رهنت
لغاية اضطرارها وعدم اهتدائها الى المطلوب ما هو اشرف متاع البيت وهو القلب وينشا ذلك من الافراط
في القوة الشهوية ومرضها الذي يسري الى البصاير ويوهنها ويطمس نورها ويمنعها عن ادراك المعاد وما ينفع
في اليوم الآخر فلا محالة يتوجه الى الشهوات الزايلة والزهرات الحاضرة والاماني الباطلة وينظر اليها بعين الطامع
فيتمنى ابا حصول ما لا يبلغه وبناء ما لا يسكنه وجمع ما لا يتركه لانتفاء الزاجر فلا يبالي من ابطال جمعه من حق منعه ومن
حرام حمله واما العاقل فيعلم بنور بصيرته ان اشرف الغنى ترك المنى والاعتماد على المولى والخلوص بسريرته ان
الاماني آفة تعمي اعين البصاير التي في الصدور حتى لا ترى وخامة عواقب الامور فيحصل له همة صادقة تبعثه
على فطام النفس عن الشهوات ونزع القلب عن ايدي الاماني والشبهات وصرف النظر عن الخلق والرجوع بالكلية
الى الحق ويستعلقها الخدايع بالعين المهملة والقاف يقال علق الشي بالشي تعليقا فتعلق به وعلق بابا على
داره اذا نصبه وركبه وعلق بالشي بكسر اللام بمعنى تعلق به واستعلق هنا بمعنى علق بالكسر لا بمجرد الطلب

الا ان فيه مبالغة لان الواقع مع الطلب اشد واقوى وخدعه يخدعه خدعا اي ختله واراد به المكروه
والضرر بحيث لا يعلم والاسم منه الخديعة وجمعه الخدايع ومعناه بالفارسية بيچسبيد بقلب جاهل خديعه
مكر وهذا يحتمل وجهين احدهما ان الجاهل شانه ان يخدع غيره ويمكر به ويريد ايصال المكروه والضرر اليه
لغرض من الاغراض الفاسدة كما قال سبحانه في وصف المنافقين يخادعون الله اي يخادعون اولياءه وثانيهما
ان شانه الانخداع وقبول الخديعة والمكر من الخادعين الماكرين كثيرا سريعا لقلة عقله وضعف بصيرته وسوء تدبيره
في عاقبة امره واما العاقل فله عينان في الظاهر وعينان في الباطن وبذلك ينتظم حاله ظاهرا وباطنا لا يخدع
غيره تحرزا عن صفات المنافقين ولا ينخدع من غيره كثيرا كما هو شان المؤمنين قال صلى الله عليه وآله المؤمن
لا يلدغ من جحر مرتين قيل في بعض النسخ يستقلقها بالقافين اي يجعلها الخدايع منزعجة منقطعة عن مكانها
وفي بعضها بالغين المعجمة من استغلقني في بيعه اي لم يجعل لي خيارا في رده علي بن ابراهيم عن ابيه عن جعفر بن محمد الاشعري
عن عبيد الله الدهقان عن درست عن ابراهيم بن عبد الحميد مشترك بين رجلين احدهما من رجال
الصادق عليه السلام والآخر واقفي من رجال الكاظم عليه السلام قال قال ابو عبد الله عليه السلام اكمل الناس عقلا احسنهم خلقا
العقل نور يفرق بين الحق والباطل ويستبان به المعارف والعواقب ويترك به الذمايم والقبايح ويتبعه قوة
الالتفات الى جميع المحاسن والفضايل التي منها حسن الخلق واختلف العلماء في تعريفه فقيل هو بسط الوجه وكف
الاذى وبذل الندى وقيل هو ان لا يظلم صاحبه ولا يمنع ولا يجفو احدا وان ظلم غفر وان منع شكر وان
ابتلي صبر وقيل هو صدق التحمل وترك التجمل وحب الآخرة وبغض الدنيا والحق ان كل هذا تعريف له بالآثار والافعال
التابعة له الدالة عليه وانه هيئة راسخة حاصلة للنفس بصفاتها اللايقة بها وذلك النور كما يتنور به
الباطن ويهتدي به كل عضو الى ما يليق به منه كذلك يتنور به الظاهر ويهتدي به كل عضو منه الى ما خلق له لما بين
الظاهر والباطن من مناسبة بها يتعدى حكم كل واحد منهما الى الآخر وعند ذلك يستقيم الظاهر والباطن ويتوجه
كل واحد منهما الى ما هو مطلوب منه وما هو مطلوب منه هو حسن الخلق فحسن الخلق تابع لذلك النور المسمى بالعقل
ولا شبهة في ان العقول متفاوتة في النور والضياء تفاوتا فاحشا لا تكاد تنحصر في عدد وبتفاوتها يتفاوت الاخلاق
التابعة لها تفاوتا عظيما فقد ظهر ان العقل كلما كان اكمل واتم كان الخلق اكمل واحسن وايضا العقل محل الحكمة والمحبة
والمعارف الربانية وهي توجب محبته ومحبته توجب محبة عباده من حيث انهم عباده وصنايعه لان من
احب احدا احب جميع افعاله من حيث انها افعاله وكما يقتضي محبة الله تعظيمه ظاهرا وباطنا كذلك يقتضي محبة

عباده وتعظيمهم وتكريمهم وتلطفهم ظاهرا وباطنا وهي حسن الخلق ولكن لما كانت درجات معرفته متفاوتة ومراتب محبته
مختلفة كانت مراتب محبتهم ايضا كذلك ومن هيهنا ايضا يتبين ان العقل كلما كان اكمل كان الخلق احسن ولذلك
قال الله لنبيه صلعم وانك لعلى خلق عظيم لان عقله فوق جميع العقول واسناها ومعرفته فوق جميع المراتب واعلاها
ومحبته فوق جميع الدرجات واقصاها فخلقه فوق جميع الاخلاق واقواها ولذلك اتصف بالعظمة البالغة
التي لا يبلغ العقول الا منتهاها على عن ابي هاشم الجعفري اسمه داود بن القسم بن اسحق بن عبد الله بن جعفر بن
ابي طالب ثقة جليل القدر عظيم المنزلة عند الائمة عليهم السلام شاهد ابا جعفر وابا الحسن وابا محمد عليهم السلام وكان
شريفا عندهم وله موقع جليل عندهم وروى ابوه عن الصادق عليه السلام صه ونقل سيد الحكماء هذا العنوان
هكذا على عن ابيه عن ابي هاشم الجعفري ثم قال واما ما يروى في عدة من النسخ على عن ابي هاشم الجعفري مع اسقاط
الناسخ فان احد من العليين الذين يعنيهم الكليني في صدور الاسانيد وهم على بن محمد المعروف بعلان وعلى بن محمد
المعروف ابوه بماجيلويه وعلى بن ابرهيم بن هاشم لم يرووا عن ابي هاشم الجعفري من غير واسطة قال كنا عند
الرضا عليه السلام فتذاكرنا العقل والادب فقال يا ابا هاشم العقل حباء من الله والادب كلفة فمن تكلف الادب قدر عليه
ومن تكلف العقل لم يزدد بذلك الا جهلا الحباء بالكسر العطاء يقال حباه حبوة اي اعطاه وفي المغرب الادب ادب النفس
والدرس وقد ادب فهو اديب وادبه غيره فتادب وتركيبه يدل على الجمع والدعاء منه لان الادب لانه يادب الناس
الى المحامد اي يدعوهم اليها وقيل الادب اسم يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الانسان في فضيلة من الفضائل وقال
امير المؤمنين عليه السلام الاداب حلل مجددة يعني كما ان الشخص يتزين بالحلل كذلك بالاداب مثل العلم وما يتبعه من حسن
المحاورة والمعاشرة وامثالها وقال بعض اهل المعرفة للادب شعب كثيرة فلذا قال بعضهم هو ما يتولد من صفاء القلب
وحضوره وقال بعضهم هو مجالسة الخلق على بساط الصدق ومطالعة الحقائق بقطع العلائق وقال بعضهم هو
وضع الاشياء موضعها وقال بعضهم ادب الانسان ترك ما لا يعنيه وان كان يصدق فكيف الكذب وادب النفس معرفة
الخير والحرص عليه ومعرفة الشر والانزجار عنه وادب القلب معرفة حقوق الله والاعراض عن الخطرات المذمومة
والكلفة ما يكلفه الانسان من المشاق وتجشمه يعني ان العقل عطية من الله وغريزة في الانسان وجوهر رباني
خلقه وجعل نوره في القلب للهداية الى خير الدنيا والاخرة وليس للعبد قدرة على اكتساب ذلك الجوهر لنفسه كما انه
ليس له ذلك في سائر الجوانح وسائر الحيوانات العائدة اليه فمن تكلف في تحصيله وتجشم في اكتسابه كان سعيه عبثا
ومع ذلك يزداد به جهله حيث اعتقد انه قد نال الالباب التي لا يقدر على تحصيله وارتكب ما يفضي الى الدون نعم الادب

التي

التي يرشده العقل اليها ويدله عليها وهي من توابع حركاته وسكناته الموافقة لقانون الشرع والعقول والخلقة
تحت قدرته فله السعي في اقتنائها والاجتهاد في اكتسابها ليترقى من حضيض النقص الى اوج الكمال فان قلت لا شبهة
في ان اصل العقل منة فهل درجاته السنية ومراتبه العلية التي تحصل بكثرة التجارب والمعارف واقتناء العلوم
والحقائق واكتساب الاداب والفضائل منة ايضا ام من العبد قلت النظر الى ظاهر هذا الحديث وظاهر ما مر والكلمات
الآتية احب في ظاهر قوله انما يداق الله العباد في الحساب يوم القيمة على قدر ما آتاهم من العقول في الدنيا الى غير ذلك
من الاخبار المتكثرة يقتضي انها منة ايضا وتلك العلوم والاداب وان كان للعبد مدخل في حصولها لكنها ليست علة بل علية
لها بل هي شرائط لتحققها وصدورها من المبدأ الفياض كما ان الدهن شرط او معد لزيادة ضوء المصباح واصل
الضوء وزيادته وكماله منة على بن ابرهيم عن ابيه عن يحيى بن المبارك في بعض كتب الرجال انه من اصحاب الرضا ع
وما رايت اسمه في الخلاصة عن عبد الله بن جبلة عن اسحق بن عمار عن ابي عبد الله عليه السلام قال قلت جعلت فداك
ان لي جارا كثير الصلوة كثير الصدقة كثير الحج لفظ الكثير منصوب على صفة لان الاضافة اللفظية لا يكتسب تعريفا
او مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف وهو هو والصفة جملة لا باس به لعل المراد من نفي الباس هو انه من اهل
الصلاح لا يؤذي احدا قال فقال يا اسحق كيف عقله لما بالغ اسحق في وصفه بالاعمال الصالحة سال عليه السلام عن اصل
تلك الاعمال وهو العقل الذي يميز بين الحق والباطل ويحببه وزادتها بالخير على انه هو الحري بالاتصاف به لانه نور يبصر به
خير الدنيا والاخرة قال قلت جعلت فداك ليس له عقل قال فقال لا يرتفع بذلك منه اي لا يرتفع عمله بسبب انه
ليس له عقل منه وفي بعض النسخ لا ينتفع بذلك منه اي لا ينتفع ذلك الرجل بسبب انه ليس له عقل من عمله وهنا
شيء وهو انه ان اريد بقوله ليس له عقل نفي العقل عنه مطلقا حتى ما هو مناط التكليف كما هو الظاهر ونفي كونه
من اهل الولاية كناية كان عدم ارتفاع عمله محمولا على الظاهر لان عمل غير المكلف وعمل غيره ما هي ليس مرتفعا ومن
تلك الارادة ينافي ظاهر ما تقدم وان اريد به نفي الكمال يعني نفي العقل المستتبع للعلوم الدينية والمعارف اليقينية
كان عدم الارتفاع ما ولا بانه لا يرتفع عمله كاملا ولا يبلغ درجة عمل ذوي العقول الكاملة فان رفعة العمل والثواب
عليه على قدر العقل كما مر في عابد بني اسرائيل ويان هذا الحكم اعني عدم رفع العمل بالكلية في خصوص لها المذكور
كما يشعر به لفظ منه لعله عليه السلام يفسد عمله في الواقع الحسين بن محمد بن عمران بن ابي بكر الاشعري الثقة
عن احمد بن محمد السياري ضعيف ونسب الى التناسخ عن ابي يعقوب البغدادي اسمه يزيد بن حماد بن الانباري
السلمي ثقة قال قال ابن السكيت اسمه يعقوب بن اسحق ثقة ثبت عالم بالعربية واللغة مصنف لا يطعن عليه

وكان متقدما عند ابي جعفر الثاني وابي الحسن الثالث عليهما السلم قتله المتوكل لاجل التشيع لابي الحسن عليه السلم لماذا
بعث الله موسى بن عمران في ما ذا ثلثه اوجه الاول ان يكون مجموعة بمعنى اى شئ والثاني ان يكون ما بمعنى
اى شئ وذا موصولة بمعنى الذي وهو على جميع هذه التقادير سوال عن سبب اختصاص كل نبي من الانبياء
عليهم السلم باعجاز مخصوص بالعصا ويده البيضا فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء
للناظرين والة السحر من باب عطف العام على الخاص والمراد بها ما يناسب السحر ويشبهه عند القاصرين مثل
الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في ثمراتهم
والسحر في اللغة ما دق ماخذه ولطف سواء كان مذموما شرعا او عقلا او ممدوحا ومنه قوله عليه السلم
ان من البيان لسحرا فيحتمل هذا المدح والذم المدح من حيث ان صاحبه قادر على استمالة القلوب بحسن عبارته
ولطف دلالته وافصاح مرامه وابلاغ كلامه والذم من حيث انه قادر على تحسين القبيح وتقبيح الحسن
وفي الاصطلاح قيل هو امر خارق مسبب عن سبب معتاد كونه عنه فيخرج المعجزة والكرامة لانهما لا يحتاجان
الى تقديم اسباب والات وزيادة اعمال بل انما تحصلان بمجرد توجه النفوس الكاملة الى المبدا جل شانه وبقيد
الاعجاز يتحقق عند التحدي ومن السحر وقيل هو كلام يتكلم به او يكتبه او رقية او عمل شئ يوثر في بدن المسحور
او عقله او قلبه من غير مباشرة ومنه عقد الرجل عن زوجته والقاء العداوة والبغضاء والتفرقة بينهما
وذهب اكثر الاصحاب وبعض العامة الى انه لا حقيقة له وانما هو تخييل محض وتوهم صرف ولا تاثير له ولا مستند
لهم يعتني به على ان التاثير بالوهم يتم لو سبق للمسحور علم بوقوعه وقد يجد اثره من لا شعور به اصلا والظاهر
ان له حقيقة في نفس الامر كما دل عليه ظواهر القران والاخبار وذهب اليه اكثر العامة وبعض الاصحاب
مثل الشهيد الثاني ومن شاهد من الاجسام ما هو قاتل كالسموم وما هو مسقم كالادوية الحارة مثلا وما هو مصح
كالادوية المضادة للمرض لا يبعد في عقله ان يكون تركيب مخصوص في الكلام وتلفيق معين في الكلمات وهيئة مخصوصة
في العقد ونحوها مما يودي الى الهلاك او التفرقة او السقم او اختلال الحال الى غير ذلك من المفاسد وان ينفرد الساحر
بعلم ذلك كما ينفرد صاحب التجربة بخواص الدواء وبعث عيسى عليه السلم بالة الطب اى بما يشبهها من ابراء الاكمه
والابرص وانواع الامراض المزمنة واحياء الموتى والطب بالحركات الثلث والكسر اشهر وهو في اللغة الحذاقة
وكل حاذق طبيب عند العرب وفي الاصطلاح علم يعرف به احوال بدن الانسان من حيث الصحة والفساد والغرض
منه حفظ الصحة وازالة المرض وبعث محمدا صلى الله عليه واله وعلى جميع الانبياء بالكلام والخطب يحتمل ان يراد

بالكلا

بالكلام القران الكريم البالغ في الفصاحة والبلاغة حد الاعجاز الخارج عن قدرة البشر وبالخطب الكلام النبوي المشتمل
على غاية الفصاحة والبلاغة بحيث لا يدانيه كلام احد من البلغاء ولا تركيب احد من الخطباء والفصحاء ويحتمل ان يكون
العطف لتفسير الكلام ويراد به الجنس فقال ابو الحسن عليه السلم ان الله لما بعث موسى عليه السلم كان الغالب على اهل
عصره السحر كما قالوا ارجه واخاه وابعث في المداين حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم فجمع السحرة لميقات يوم معلوم
وقيل للناس هل انتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين فاتاهم من عند الله بما لم يكن وسعهم مثله
وما ابطل به سحرهم واثبت به الحجة عليهم كما قال سبحانه فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون فالقي السحرة ساجدين
قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهرون لعلمهم بان ما جاء وابه من التمويهات النفسانية والتدليسات الشيطانية
والصناعات الانسانية وما جاء به موسى عليه السلم من المعجزات الربوبية والبراهين الملكوتية والعنايات الالهية
فوقع الخوف في قلوبهم وثبت الايمان في صدورهم وتقرر الايقان في نفوسهم حتى لم يبالوا بايعاد اللعين وتهديده الظالمين
بالقتل والصلب وقالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون واذا وقعت الغلبة على الماهرين في جنس ما كانوا عليه وادعوا ان
وهم اذعنوا بها وجب على ضعفاء العقول اتباعهم على انا نعلم قطعا ان الله سبحانه يلقي في قلوبهم عند ذلك
ان ذلك اعجاز تكميلا للحجة عليهم وليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة كما يرشد اليه قول الصادق عليه السلم
ما من احد الا وقد يرد عليه الحق حتى يصدع قلبه قبله ام تركه وذلك ان الله يقول في كتابه بل نقذف بالحق
على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون وان الله تعالى بعث عيسى في وقت قد ظهرت فيه الزمانات
جمع الزمانة وهي افة في الحيوانات ورجل زمن اى مبتلى بين الزمانة وفي المغرب الزمن الذي طال مرضه زمانا
واحتاج الناس الى الطب فاتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله اى بما عجزوا عن الاتيان بمثله فان ما جاء به
عليه السلم هو ازاحة الزمانات وازالة الامراض والافات بمجرد القوة الروحانية وتوجه النفس القدسية وطلب
ذلك من الله من غير تفتيش اسباب الامراض واستعمال الادوية المناسبة لها وهم قد عجزوا عن ذلك اذ غاية
سعيهم هي المعالجة بمقتضى القوانين الطبية والعمل باحكامها واستعمال الادوية المناسبة بزعمهم بعد تفتيش
الاسباب والخطاء في امثال ذلك كثير وبما احيى لهم الموتى وابرا الاكمه وهو الذي ولد اعمى او الممسوح العين
والابرص باذن الله بياض براق اصله في الجلد واللحم معا ولموضعه غور لقلة نفوذ الغذاء فيه فيقصر ويغور
قلة النفوذ انما يكون لبرد العضو وكثافته وانسداد مساماته بالمادة الفجة ومن علاماته بياض الشعر وعدم
خروج الدم بغرز الابرة ومن اسبابه انصباب اخلاط ردية باردة رطبة في العضو غير قابلة لفعل القوة المغيرة

الثابتة في التشبيه وان لم يكن تلك القوة ضعيفة في نفسها او ضعفت تلك القوة في نفسها عن التاثير والتشبيه على القدر ين
يتولد البلغم لا ابيض لان سوء الهضم يوجب تولده واذا تمكنت هذه المادة احالت كل غذاء يرد عليه الى
مزاجها فيصير شبيها بها وقد يكون البرص سوادا وسببه مادة سوداوية كثيرة تتراكم في الجلد وما يقرب منه
فيزداد بذلك الموضع ويتكاشف جدا ويتمدد ويتقشر ويسقط منه فلوس كفلوس السمك وقوله باذن الله
دفع التوهم الالوهية فان امثال الافعال المذكورة ليست من جنس افعال البشرية واثبت به الحجة عليهم
لانه ادعى النبوة واتى ببينة من جنس ما هو المعروف بينهم وهم قد عجزوا عن الاتيان بمثلها وعلموا الاجل مهارتهم
في صناعتهم انها ليست من جنس افعال البشر بل هي من جنس افعال الخالق القوي والقدير قد اظهرها على يده تصديقا
لدعواه ولو اتى ببينة اخرى غير ما هو المعروف عندهم لامكن لهم التوهم بانه ماهر في صناعة لو اجتهدوا غيره
ايضا فيها لصار مثله وان الله بعث محمدا صلى الله عليه وآله في وقت كان الغالب على اهل عصره الخطب والكلام
والخطب قال الشعر بدلا من الكلام لا على الحجر والاصنام والاتقال والشعر والظن من ابي يعقوب قد ذكروا
في السير والآثار ونقلوا عن ثقات الرواة انهم كانوا يلبسون كلامهم ما قدروا عليه من حلية الفصاحة والبلاغة
ويزينونه بما يوجب التفوق والبراعة ويعدون فيه ما يوجب طباقه بمقتضى الحال وارتقاءه الى اعلى مدارج
الكمال ويقصدون فيه انواع المحسنات اللفظية والمعنوية واخبار بدايع النكت العربية وتناسب العبارات
والاستعارات ولطايف التخيلات والمجازات ومحاسن الكنايات والتشبيهات الى غير ذلك من الامور التي تزيد
في الكلام دقة وسحرا وفي القلب ابتهاجا وانبساطا وسرورا ويجعلونه كالعروس العارية من مقابح العيوب التي
ينفتح اليها عيون الظواهر وبصاير القلوب وكانوا يجتمعون ويتناشدون ويتفاخرون ويطلبون المعارضة
بالمثل ويعتقدون الفضل لمن جاء بالاحسن منه فاتاهم من عند الله من مواعظه وحكمه اي من مواعظه القرآنية
وحكمه الفرقانية ما ابطل به قولهم واثبت به الحجة عليهم لانه اتاهم بقرآن يشفي رمد بصاير اهل العرفان
الاكتحال بكحل جنابه ويسقي كبد العطشان الوارد على زلال دقايقه ولا يجول فواد الافكار الا في معارج
عجايبه ولا يجول جواد الانظار الا على مدارج غرايبه وهو نير مضيء لا يغفل من ضوءه عقول الساهرين وعلم
رفيع لا يعمى منه ابصار السايرين وبحر زاخر لا يصل الى قعره غوص العارفين ومنهج واضح لا تزل فيه قدم
السالكين وشجرة نصوص لا يتحرك بهبوب صرصر الشبهات اوراقه واغصانه وبنيان مرصوص لا ينهدم بحوادث
الخطرات حيطانه واركانه وناطق فصيح لا ينقطع بشبه المخالفين دلايله وبرهانه وناصر معين لا يخذل الهجوم

المعاندين انصاره واعوانه ونور ساطع في قلوب ارباب العرفان وشعاع لامع في صدور اصحاب الايمان
ومعدن الفضل والتوحيد والعدل والايمان ومنبع العلم والجود والكرم والحسنات وقد جعله الله سبحانه
ريا لعطش العلماء وربيعا لقلوب الفقهاء وسراجا لعقول الصلحاء ودواء ليس بعده داء فمن اراد معارضة اقصر سورة
من سوره حلت به الندامة وظهرت فيه الجهالة والسفاهة اذ هو مصدر لاطوار الفصاحة ومظاهر لاسرار البلاغة
التي يعجز عن فهمها عقول الفصحاء ويقصر عن دركها فحول البلغاء ويتحير فيها اذهان مصاقع الخطباء ولذلك بعد ما اختير
بين المعارضة بالكلام والمقاتلة بالسيف والسنان اعرضوا عن الاول مع طول المدة وكثرة العدة وشدة القوة
وغاية العصبية ونهاية الانانية وكمال الحرص في الغلبة والرسوخ في اظهار المعجزة لعلمهم بان ذلك خارج عن
قدرتهم وفايق على صنعتهم وبعيد عن طريقتهم فعلم ان ذلك وحي انزله لهداية العباد من ظلم الضلالة ونور الظهور
لارشادهم في بيداء الجهالة اللهم اجعله وسيلة لنا الى اشرف منازل الكرامة وسببا لنجاتنا في عرصة القيامة
وذريعة نتقدم بها على نعيم دار المقامة وفيه دلالة واضحة على ان اعجاز القرآن لاشتماله على امور غريبة والفاظ
رشيقة ومعان دقيقة ونكات لطيفة الى غير ذلك من الامور الخارجة عن قدرة البشر وسر ذلك ان الله عالم الغيب
والشهادة لا يعزب عنه مثقال ذرة فاذا رتب لفظا فلاحاطته علما بكل شيء يعلم الكلمة التي تصلح ان تليه ويعلم
المعاني ومواضع استعمالات الكلام وحسن تبدلها واختتامها حتى لو اريد تغيير شيء منها باحسن من ذلك لم يكن ولم
يوجد وليس في قدرة البشر ان يحيطوا علما بكل شيء فلذلك تجد الفصيح ما قد ينقح الخطبة ثم لا يزال يغير ويبدل
وما ذلك الا لانه ظهر له الان ما لم يكن له ظاهرا قبل فلذلك صار القرآن حجة على الناس الى يوم الدين لانه لما نزل قوله
فاتوا بسورة من مثله تحقق لكل فصيح من الفصحاء ان هذا الكلام لا يوفي بمثله ولما تامله تبين له ما تبين وصح عنده
انه لا قدرة له على مثله وانه من الله العزيز العليم فمنهم من آمن ومنهم من جحد وقامت بهم الحجة على اهل العالم
لانهم كانوا من ارباب الفصاحة فاذا عجزوا فغيرهم اعجز والا فليأتوا بسورة من مثله وذهب الاشعري
الى ان اعجازه بالصرفة ومعناها ان الفصحاء كانوا قادرين على الاتيان بمثله الا ان الله سبحانه صرفهم عنه
وهو بهذا الوجه ايضا وان كان آية من آيات الرسالة الا انه تحكم محض وقول بلا حجة والوجه هو الاول
وله مع ذلك فضل على غيره من المعجزات لان كل معجزة غيره لانقراضها لم يشاهد وجه اعجازها الا من حضرها
وهو باق الى قيام الساعة ففي كل زمان يحدث من يشاهد وجه اعجازه ويتجدد ايمانه ولان فايدة غيره
انما هي اثبات الرسالة فقط وفايدته اثباتها مع اشتماله على علم الاولين والآخرين وعلم ما كان وما يكون

وعلم ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله من الوعد والوعيد والمواعظ والنصايح وجميع ما يحتاج اليه الامة الى يوم القيمة

قال فقال ابن السكيت تالله ما رايت مثلك قط بالله بدون الف قبل الجلالة على ما هو الصحيح من النسخ ولفظه
ما تحتمل وجهين الاول ان يكون باء القسم ابدلت تاء والثاني ان يكون حرف النداء للتعجب ولما وقف ابن السكيت
على سبب اختصاص كل نبي باعجاز مخصوص من كلام معدن الرسالة مدحه بقوله ما رايت مثلك قط يعني
في العلوم وحضور الجواب مصدرا بالقسم ترويجا للمدح وتنبيها على انه من صميم القلب لا من باب الاطراء وظاهر
اللسان كما هو شان اكثر المادحين وبكلمة التعجب اشعارا بان تفوقه عليه السلام على غيره بلغ حدا يعجز العقول عن الوصول
اليه وعن ادراك كيفيته وسببه ويحتمل ان يقرا يا الله بالالف وهو حينئذ للتعجب مثل لا اله الا الله وسبحان الله
فان هذه الكلمات الشريفة كثيرا ما تستعمل للتعجب وفيه جواز مدح الرجل مواجهة بالفضايل الموجودة فيه لكن
جوازه مشروط بما اذا لم يكن موجبا للفخر للممدوح وتكبره ولما علم ابن السكيت ان كل عصر لا يخلو من داع الى الله
اما نبي او وصي نبي وعلم ان القران حجة على الخلق ودليل على صدق نبينا سال عن الحجة على الخلق والدليل على صدق
الداعي بعده بقوله فما الحجة على الخلق اليوم اذ الدعاة متكثرة والاراء مختلفة والقران غير رافع للاختلاف الا
بتفسير صادق هو بيدهم من عند الله فلا بد اليوم من حجة يتميز بها الداعي الصادق عن غيره قال فقال عليه السلام
العقل وهو خبر مبتدا محذوف اي الحجة في هذا اليوم العقل او مبتدا خبره قوله يعرف به الصادق على الله
فيصدقه والكاذب على الله فيكذبه لان العقل يحكم بان الشارع لا ينبغي ان يمضي ويضيع امته ولا ينصب لهم خليفة
فمن نصبه فهو الصادق وغيره ممن يدعي خلافته فهو الكاذب لان العقل العاري عن شوايب الاوهام يعرف
بعد نزول الكتاب وتقرير الدين وتكميل السنة ان الصادق على الله هو الذي يعلم احكام الكتاب والسنة
وشرايع الدين ويحكم بها ويحفظها وان الكاذب على الله هو الذي لا يعلمها ولا يحكم بها وبالعقل تثبت
الحجة على الخلق فان عملوا بمقتضاه من تصديق الصادق والعمل باوامره وكونهما رعايتها وتكذيب الكاذب
والاجتناب عن متابعتهم انشرحت صدورهم في الدارين وان عملوا بالعكس ماتت قلوبهم ومرضت صدورهم
حتى لا يوثر فيهم البرهان ويستولي عليهم الشيطان وعلى هذا الوصف يموتون ويتنزل بهم ما كانوا يوعدون
قال فقال ابن السكيت هذا والله هو الجواب فيه مبالغة من وجوه احدها اسمية الجملة لانها من المؤكدات
وثانيها الابتداء باسم الاشارة الدال على كمال الظهور وثالثها تاكيد مضمون الجملة بالقسم لترويجه وتقريره ورابعها
تعريف الخبر باللام المفيد للحصر وخامسها التوسط بضمير الفصل الدال على تاكيد الحصر ووجهه ظاهر لان التمييز

بين الصادق

بين الصادق والكاذب لا يتحقق الا بالعقل العاري عن شبهات الاوهام والخالي عن طغيان الاسقام فانه ميزان يوزن
به مكاييل الاقوال فيميز بين الراجح والناقص ويميز بين الصادق والكاذب فيصدق الصادق ويوقعه في نظام حاله
ويكذب الكاذب ويحترز عنه وخاصة ما لو لم يكن العقل حجة ليس مختصا بهذا اليوم ولا بهذه الامة ولا دلالة
في الجواب على ذلك وانما المقصود منه هو التنبيه على ان العقل حجة الله على عباده وعلى كمال تفوق العقلاء ولطافة
قرايحهم حتى يمكنوا على تحصيل الايمان بالله وباليوم الاخر وبالصادق الامين من غير مشاهدة معجزات وملاحظة
كرامات بل لا يبعد القول بان تاثير العقلية ادعى واقوى واشد من تاثير المعجزات فيه لان تاثيره يوجب انقياد القلب
وانشراح الصدر والكشف والبصيرة بخلاف تاثيرها فانه يوجب الانقياد فقط من غير تثبت ورسوخ ولذلك كثير
ممن امن بنبينا صلى الله عليه وآله بمشاهدة الايات والمعجزات ارتد وابعده وكثير ممن امن بموسى بمشاهدة معجزاته طلبوا
منه بعد الخروج من البحر ان يجعل لهم اصناما الهة وعبدوا عجلا جسدا له خوار كل ذلك لضعف عقولهم
وقلة بصيرتهم وعدم تثبتهم ورسوخهم في ايمانهم واما المومن بنور العقل والمهتدي بمقتضاه فهو اثبت من الجبال
الرواسي ومن ههنا يظهر التفاوت بين المومنين والبون بينهما بعد المشرقين الحسين بن محمد عن معلى بن محمد
مضطرب الحديث والمذهب عن الوشاء الحسن بن علي بن زياد الوشاء من اصحاب الرضا عليه السلام وكان من
وجوه هذه الطائفة عن المثنى الحناط الظاهر انه ابن الوليد وله كتاب عن قتيبة الاعشى بن محمد المودب
ثقة عن ابن ابي يعفور اسمه عبد الله ثقة جليل في اصحابنا عن مولى لبني هاشم عن ابي جعفر عليه السلام
قال اذا قام اي خرج بعد الغيبة المقدرة وظهر لاظهار دين الحق واعلاء كلمته قائمنا المهدي المنتظر الموعود
بالنصر والظفر وهذا القيام كاين قطعا والروايات متواترة من طريق العامة والخاصة الا ان العامة يقولون
انه يولد في اخر الزمان من نسل علي وفاطمة وجده الحسين عليهم السلام كما صرح به الابي في كتاب اكمال الاكمال
ونحن نقول هو حي موجود قامت السموات بوجوده ولولا وجوده لساخت الارض باهلها طرفة عين وضع
الله يده اي قدرته او شفقته او نعمته او احسانه او ولايته او حفظه والضمير عايد الى الله او الى
القايم عليه السلام على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم اما عايد الى اليد والباء للسببية او الى الرؤوس والباء بمعنى
في وهذا الاخير يناسبه ما قيل من ان العقل جوهر مضي خلقه الله تعالى في الدماغ وجعل نوره في القلب يدرك
الغايبات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة وكملت احلامهم اي عقولهم الاناة والتثبت في الامور وذلك
من شعار العقلاء والمراد بجمع عقولهم رفع الانتشار والاختلاف بينهم وجمعهم على دين الحق بكمال احلامهم

وكمال عقل كل واحد واحد بحيث ينقاد له القوة الشهوية والغضبية ويحصل فضيلة العدل في جوهر البدن
وكلا امران تحققان في محمد صاحبنا عليه السلام لانه اذا خرج بنفخ الروح في الاسلام ويدعوا الى الله بالسيف فمن ابى
قتله ومن نازع قهره حتى يرفع المذاهب من الارض فلا يبقى في وجهها الا دين الحق فيملاها عدلا وامنا وايمانا
كما ملئت ظلما وجورا وطغيانا شهداؤه خير الشهداء وامناؤه خير الامناء واصحابه العارفون بالله
والقايمون بامره والمشفقون على عباده والحافظون لبلاده والعاقلون العاملون الكاملون العابدون
الناصحون له فيعود الخلايق بعد التفرقة الى الجمعية وبعد التشتت الى المعية وبعد الكثرة الى الوحدة وبعد
التفارق الى التوافق وبعد الجهل الى العلم وينظرون الى الحق باعين البصيرة من الرشاد ويسلكون اليه باقدام ثابتة
في سبيل الرشاد وهذا معنى جمع عقولهم وكمال احلامهم بحسب ثبات سبيلهما ورجوعهما الى الحق فاذا تحقق الرجوع ثبت
الكمال قطعا هذا وقيل المراد باليد هنا الملك الموكل بالقلب الذي بتوسطه يرد الالهام والفيض الرباني عليه
كما في قوله صلى الله عليه وآله قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء والمراد برؤوس العباد
نفوسهم الناطقة وعقولهم الهيولانية يجمع الله عقولهم جمع الله بواسطة ذلك الملك القدسي والجوهر
العقلي عقولهم من جهة التعليم والالهام فان العقول الانسانية في اول نشاتها متفرقة في طبايع الابدان
متفرقة في الحواس متشوقة الى الاغراض والشهوات محبوسة في سجون الامال وشعب الرغبات ثم اذا نالها
التوفيق وتنبه بان وراء النشاة نشأة اخرى علم ذاته وعرف نفسه واستكمل الحال وادرك المعاد
الاصلي وصار من مقام التفرقة والكثرة الى مقام الجمعية والوحدة ولما ثبت وتقرر ان النفوس الانسانية
من زمن آدم عليه السلام الى الخاتم صلى الله عليه وآله كانت متدرجة في التلطف مترقية في الاستعداد
ولذلك كلما جاء رسول كانت معجزة المتاخر اقرب الى العقول من الحس من معجزة المتقدم ولاجل ذلك
كانت معجزة نبينا صلى الله عليه وآله القرآن وهو امر عقلي انما يعرف كونه اعجازا اصحاب العقول الذكية
ولو كان منزلا على الامم السابقة لم يكن حجة عليهم لعدم استعدادهم لدركه ثم من بعثته صلى الله عليه وآله
الى آخر الزمان كانت الاستعدادات في الترقي والنفوس في التلطف والذكي ولهذا لا يحتاجون الى رسول
آخر يكون حجة الله عليهم لان الحجة عليهم هي العقل الذي هو الرسول الداخلي فتقي آخر الزمان يترقى الاستعدادات
من النفوس لاحد لا يحتاجون الى معلم خارج على الرسم المعهود بين الناس لانهم يكتفون بالالهام الغيبي
عن التاديب الوضعي وبالسداد الداخلي عن المؤدب الخارجي وبالكمل العقلي عن المعلم الحسي كالساير وولياً

قدالله

قد الله وهيولى روحاني يجمع عقولهم ويكمل احلامهم هذا كلامه وفيه نظر اما اولا فلان ترقي العقول
على الوجه المذكور غير مسلم ولو كان كذلك لكان الاختلاف بعد نبينا صلى الله عليه وآله اقل من الاختلاف
في الامم السالفة وقد دلت الاخبار المتكاثرة على عكس ذلك واما ثانيا فلان المقصود من هذا الحديث ان تكميل
العقول في آخر الزمان بواسطة معلم حي وهو القائم عليه السلام وما ذكره يدل على انهم لا يحتاجون الى المعلم
حي اصلا واما ثالثا فلانه وان امكن حمل اليد هنا على الملك لكن لا حاجة لنا تدعو اليه لان اعانة الملك
وتسديده اقوى واحسن من اعانة الصاحب وتسديده على بن محمد عن سهل بن زياد عن محمد بن سليمان
مشترك بين الضعفاء عن على بن ابرهيم الطائفة على بن ابراهيم بن محمد بن الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسين بن
على بن الحسين بن ابي طالب ابو الحسن الجواني بفتح الجيم وتشديد الواو ثقة صحيح الحديث عن عبد الله بن سنان
عن ابي عبد الله عليه السلام قال حجة الله على العباد النبي والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل هذا الحديث
والله اعلم يحتمل وجوها الاول ما اشار اليه بعض الافاضل وهو ان الحجة الموصلة للعباد الى السعادة والنجاة
بعد الاعتقاد بحقيته تعالى هو النبي والحجة فيما بينه وبين العباد الموصلة لعباده الطريق الحق والباطل وطرق
الخير والشر كلها يعني يهديهم اليها والعقل وهو الحجة بينه وبين العباد الموصلة لهم الى التصديق بنبيه
والاذعان بكلها اخبر به وفي تغيير الاسلوب اشارة الى ما بينهما من التفاوت في الظهور والخفاء الثاني
ان النبي حجة الله على عباده على سبيل التفضل لقطع اعذارهم كما يشعر به لفظة على والعقل هو الحجة الكافية
بينه وبين العباد ولو انفك عن الحق فانما هو لسوء تدبيرهم وبطلان استعدادهم لا امر عرض له بمجاورة الا
لا النقصان في ذاته الرابع ان حجية النبي مختصة بالله سبحانه ومن صنعه وليس للعباد مدخل فيها كما يشعر به الاضافة
وحجية العقل غير مختصة به بل بينه وبين عباده ولهم مدخل فيها وذلك لان الله خلق العقل قابلا للكمالات
البشرية ومن الظاهر انه لا يتصف بالحجية حتى يتصف بالكمال في الجملة اذ هو في حيز القوة المحضة لبين حجته
واتصافه بالكمال ينبغي العباد وطلبهم وحسن تدبيرهم فلهم مدخل في حجيته الخامس ان الاحتياج الى الحجتين
والتغيير في الاسلوب انما هو لمجرد التفنن والمقصود ان حركة العبد نحو المقصود لا تحصل الا بدليل خارجي هو النبي
ودليل داخلي هو العقل اما الثاني فلان الوصول الى منازل القرب لا يتصور الا بالاتصاف بالفضائل والتجرد عن الرذائل
وذلك لا يمكن الا بعد معرفة الفرق بينهما وسيد تلك المعرفة هو العقل واما الاول فلان العقل وان كان مستقلا
في بعض المعارف لكنه غير مستقل في بعضها كاحوال المعاد والشرايع الالهية مع تحقق خطائه فيما يستقل كثيرا

فاحتاجوا الى النبي المؤيد من عند الله ليهديهم الى المطالب والمحاسن ويزجرهم عن الرذايل والقبايح ليكونوا معه
اقرب من الخير وابعد من الشر عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد مرسلا قال قال ابو عبد الله عليه السلام دعامة الانسان
العقل الدعامة بالكسر عماد البيت ودعامة السقف الاسطوانة التي يقوم عليها السقف ودعامة الحائط
المايل العماد الذي يسند اليه ليتمسك به فتشبيه الانسان بالبناء مكنية واثبات الدعامة له تخييلية وحمل العقل
عليها تشبيه بليغ وتعريف العقل باللام للحصر يعني ان اثبات الانسانية للانسان وتحققها وقيام معناها انما هو بالعقل
كما ان اثبات السقف وقيامه بالعماد لظهور ان الانسان ليس مجرد هذا الهيكل المخصوص والا لكان بينه وبين الصور
المنقوشة على الجدار والمصنوعة من الحجر والخشب فرق بل الانسان انسان بما وجد فيه من العقل الذي هو منشأ المعارف
والكمالات ومبدأ العلوم والملكات واما من لم يوجد فيه العقل كالجاهل الفاقد لتلك المعارف والملكات الواجد
لاضدادها من الشرور والآفات فهو نسناس في صورة الناس والعقل منه الفطنة والفهم اي ينشأ من العقل الفطنة
والفهم وما بعده وبيان وتفسير لذلك المرام اعني كون العقل دعامة الانسان والفطنة والذكاء ولها مراتب اعلاها
ان يحصل للذهن ملكة الانتقال من المبادي الى المطالب بسهولة بحيث لا يحتاج الى الفكر وتأمل والفهم جودة تهيؤ الذهن
لقبول ما يرد عليه وله ايضا مراتب في القوة والضعف واعلاها ان يحصل للذهن من كثرة مزاولة المقدمات المنتجة
ملكة سرعة انتاج المطالب وسهولة استخراج النتايج على سبيل البرق الخاطف والحفظ والعلم لعل المراد بالحفظ حفظ
الميثاق او حفظ الصور الحسية بضبطها في خزانة الخيال او حفظ الصور العقلية بان يحصل للذهن ملكة الاتصال
بالمبادي العالية بحيث يقدر ان يشاهد تلك الصور فيها متى شاء من غير حاجة الى تجشم كسب جديد او الاعم من الجميع والمراد
بالعلم الادراك مطلقا او ادراك المعارف الالهية والاحكام النبوية والتصديق بها على التفصيل ثم ذكر هذه الاربعة
كانه على سبيل التمثيل والاقتصار والا فاحوالات العقل وفضائله الناشية منه غير منحصرة فيها كما يظهر من تأمل
في الآثار سيما الخبر الوارد في ذكر جنوده وبالعقل يكمل اي يكمل الانسان لان العقل مبدأ لجميع الخيرات ومنشأ لجميع الكمالات
الكمالات التي بها يصير الانسان كاملا في الدارين وتمام العبارة في النشأتين ومحمودا عند الخالق ومحبوبا عند
الخلايق وتقديم الظرف لقصد الحصر والاهتمام وانما لم يقل وبه يكمل مع تقديم المرجع لئلا يتوهم عود الضمير
الى العلم وهذا وان كان ايضا صحيحا لكن الكلام في العقل وبيان احواله وهو دليله ومبصره ومفتاح امره اي العقل
دليل الانسان الى سبيل النجاة ومبصره الخيرات اسم فاعل من بصّره ويجوز ان يقرأ بفتح الميم والصاد وسكون الباء وقيل
البصر والمبصرة على هيئة اسم المكان الحجة ومفتاح امره يفتح به ابواب العلوم والكمالات كل ذلك لان العقل

نعم

لان العقل في عالم الابدان كالشمس بل الا نوره ويلمع ضوؤه في الحواس الباطنة والظاهرة ويتنور به القلب ويستضيء
به الصدر ومن حيث انه يهتدي به كل عضو من اعضاء الانسان الى ما هو المطلوب منه فهو دليله ودليله ومن
حيث انه ينظر القلب به وفيه الى الحقايق والمعارف ويبصرها بعين البصيرة فهو مبصره ومن حيث انه ينكشف
به تلك الحقايق والمعارف للقلب وينتقش فيه صورها فهو مفتاح امره فاذا كان تأييد عقله اي تقويته
من النور اي الفضائل العقلية والكمالات النفسانية التي هي من جنود العقل مثل العلم والحفظ والذكر والفطنة والفهم
وسماها نورا على سبيل الاستعارة والتشبيه به في الهداية كما يسمى اضدادها اعني الجهل والنسيان والسهو والغباوة
والحمق ظلمة او على ملاحظة انها فايضة من عالم نوراني يعني عالم الملكوت على قلب انساني يستعد بها للترقي
اليه والفاء للتفريع اذ هذا الشرط مع الجزاء بمنزلة نتيجة للكلام السابق كما يظهر بادنى تأمل ويحتمل ان يراد
بالنور الحجة يعني النبي لانه نور الحق في ظلمات الارض به يتقوى العقول في ثباتها على صراط الحق واتصافها بالفضول
والفضايل واهتدائها الى الحضرة القدس وان يراد به بصيرة قلبية او عناية ربانية او جوهرا مجردا
مخلوقا من نور ذاته وهو الذي دل عليه بعض الاحاديث المذكورة والمراد بتقوية العقل ربطه بالله واستنارته
من نوره والله اعلم بحقايق الكلام وليه كان عالما بالله واليوم الآخر وعواقب الامور في الباطن والظاهر
حافظا النفس في المسير الى الله من الخطاء والزلل وللصور العلمية والكمالات العلية من الفساد والخلل ذاكرا
لما يفضيه الى الجنات النعيم وينجيه من عذاب الجحيم فطنا في الكتاب لحقايق واقتراف الدقايق فهما لمفاسد الدنيا
ومكايد زهراتها ومنافع الآخرة وشدايد خطراتها فعلم كيف ولم وحيث كيف اسم مبهم غير متمكن وانما حرك
آخره لالتقاء الساكنين وبني على الفتح دون الكسر لمكان الياء وهو للاستفهام عن الاحوال وبالاستفهام وتحذف
منها الالف للتخفيف اذا ضم اليها ما ومثل بم وعم وفيما الوتر ولم وهي سوال عن علة الشيء وسبب وجوده وحيث
كلمة تدل على المكان لانه ظرف في الامكنة بمنزلة في الازمنة وهو اسم مبني حرك لالتقاء الساكنين في العرب
من يبنيها على الضم تشبيها لها بالغايات لانها لم تجئ الا مضافة الى جملة كقولك اقوم حيث يقوم زيد ومنهم من يبنيها
على الفتح مثل كيف استثقالا للكسر مع الياء ولعل المراد فعلم بسبب كون تأييد عقله من النور وبسبب كونه عالما بالآخرة
احوال الله وكيفيتها من كونها خيرا او شرا نافعا او ضارا وكيفية سلوكه فيها وجعله وسيلة للسير الى منازل
الآخرة وعلم علة تلك الاحوال والباعث لسلوكه فيها وهي الخروج من حضيض النقص الى اوج الكمال ومن الشقاوة
الى السعادة وعلة ايجاده وباعث انشائه وتحريكه من عالم القدس الى هذا العالم وهي كونه عبدا

خالصا راعيا لحقوق عبوديته بقدر الامكان ناصحا العباده بالقلب علم مقاماتهم من اول الانحطاط الى ما شاء الله فان
العقل المؤيد من النور يعلم بالمشاهدة والعيان ان له من بدء وجوده الى ما شاء الله مقامات متفاوتة ودرجات
مختلفة متباعدة ويعلم التفاوت فيما بين تلك المقامات والتفاضل فيما بين تلك الدرجات وبالجملة له بصيرة كاملة يعلم
بها حالاته وصفاته المطلوبة منه عقلا ونقلا واسباب تلك الحالات والباعث لوجوده في نفسه ومقاماته المتدرجة
ومنازله المتفاوتة في السير الى الله ويحتمل ان يكون المراد انه اذا كان تأييد عقله من النور علم كيفية الاشياء في نفس
الامر ولميتها وحيثيتها وانيتها واعلم وعرف من نصحه ومن غشه لانه يميز بين الاقوال الصادقة والكاذبة ويفرق
بين الاحوال الصحيحة والسقيمة فيما اتاه وبشئ منها يتلقاه ويوجه قلبه ويزنه بميزان عقله فيعلم صرفه من ممزوجه
وخالصه من مغشوشه وصريفه من صرفاته وبذلك يميز بين الناصح والغاش المموه وبين ائمة الهدى وائمة
الضلال فاذا عرف ذلك اى كيف ولم وحيث ومن نصحه ومن غشه عرف مجراه اسم مكان ومصدر ميمي
بضم الميم من الاجراء وبفتحها من الجرى وبالوجهين قرئ قوله تعالى بسم الله مجريها ومرسيها يعني اذا عرف الاحوالات
والصفات وميز بين رديها وجيدها وعرف اغراضها واسبابها والغرض من ايجاده ومقاماته وجوده وعرف
نصحه ومن غشه معرفة صحيحة خالصة عن شوائب الوهم عرف مسلكه الذي يسلكه وسمته الذي يتوجه اليه او
عرف جريه وسيره الى حضرة القدس وسلوكه الى مقام الانس في السير على اى وجه اتفق ليس موجبا للوصول اليه
والقيام بين يديه بل الموجب لذلك سير مخصوص وجري معلوم لارباب العقول المنورة وموصوله ومفصوله اى
من ينبغي الوصل معه والفصل عنه من ائمة الهدى وائمة الضلال وما ينبغي من الاحوال والصفات واخلص العمل
لله والاقرار بالطاعة اخلاص هذين الامرين الذي هو الاصل في التقرب اليه والفوز بالمزيد من لديه انما يتيسر
له معرفة بالامور المذكورة لانه العارف بانه المستحق للعبادة ولاقراره بالعبودية والطاعة لكون بدنه متحركا
في سلك خدمته وقلبه مستغرقا في بحر معرفته وسره طالبا اياه وعقله معرضا عما سواه واما غيره فلا يخلو
قلبه من الشرك الخفي او الجلي فاذا فعل ذلك كان مستدركا لما فات وواردا لما هو آت ينبغي الوقف في آخر الكلمتين
ولا شك ان الاخلاص المذكور غاية المراتب العلية في العقائد البشرية وانه متوقف على المعارف المذكورة آنفا
بحكم الشرط المذكور وان المعارف كلها غير متحصلة في اول التكليف الا من خصه الله بكمال العقل من الانبياء والاوصياء
عليهم السلم فمن حصل هذه المقدمات يعلم ان الانسان لا يخلو من تقصير ما فيما مضى من اوان كماله واذا بلغ حد الكمال واتصف
بتلك المعارف وحصل له ذلك الاخلاص وجد لذة العبودية وتحلى بغاية الخضوع وتزين بلباس الخوف

كان

كان مستدركا ما فات عنه فيقضي بعضه مما ينبغي فعله ويستغفر ربه فيما لا يمكن تداركه الا به ويعترف بالتقصير
فيما يعجز عنه وواردا على ما هو آت من الاعمال والافعال الفاضلة فاعلا لها على وجه الاخلاص الموجب لكمال القرب
والاختصاص ويحتمل ان يراد واردا على ما هو آت من الثواب الجزيل والاجر الجليل والنعيم المقيم والسرور الدائم
في رياض الجنان يعرف ما هو فيه حال من المستتر في مستدركا او تأكيد للكلام السابق وما للاستفهام او الخبر
بمعنى الذي وضمير المرفوع يعود الى الانسان وضمير المجرور الى ما يعني ان الانسان اذا بلغ حد الكمال واتصف
بالامور المذكورة منذ ترك ما فات وهو يعرف حقيقة العمل الذي اشتغل به ووجوه اعتباراته وجهات حسنه
وطريق الاتيان به على وجه يوافق قانون العقل والنقل ويحتمل ان يكون المراد بما هو فيه المكان الذي هو فيه
يعني يعرف حقيقة هذا المكان وهيئة هذه النشأة وسرعة انتقال اهلها منها وكثرة ابتلائهم فيها بالتكاليف
وغيرها ولا شئ هو ههنا كلمة اى معرب يستفهم بها عما يميز الشيء سواء كان ذاتيا له او عرضيا يعني يعرف انه لا غرض
هو في هذه الدار الفانية وان الغرض من كونه فيها تكميل النفس بالقوة النظرية والعملية وتحريكها من المنازل السفلية
الظلمانية الى اقصى المعارج الملكوتية النورانية واكتسابها القربات واجتنابها عن المنهيات لئلا يستأهل النزول
في بساط الحق والقعود عليه وفيه اشارة اجمالية الى معرفة مقامات النفس ومراتب درجاتها ومن اين يأتيه
اين هو الى الكان يعني يعرف من اى عالم يأتي هذا العالم الداثر الذي فيه اليوم ويعرف ما بينهما من التفاوت فان
الاول عالم روحاني ومكان نوراني والثاني عالم جسماني ومكان ظلماني تحبس فيه الروح ما شاء الله ليتدارك
تلك النعمة ويسلك منهج النجاة ويعترف بالعجز والافتقار ويتزلزل به بالقهر والغلبة وفيه اشارة الى علمه
باحوال مبدائه ومنازل انتقالاته في النشأة الكونية التي تتحير فيها عقول العقلاء وفحول العلماء وقد اشار
جل شانه الى هذه المراتب بقوله ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم اطوارا ومن تأمل فيه اضطر الى
معرفة خالقه والانقياد له والى علمه بان الغرض من اجرائه من جدول اصلاب الآباء وارحام الامهات
عهدا بعيدا الى ان جرى على وجه الارض ان يحصل منه زرع صالح ونبات حسن وهي الاعمال التي توجب اجرا
جميلا وثوابا جزيلا بعد العود والى ما هو صائر يعني يعرف انه بعد استقراره في الدنيا في اجل معدود وزمان
محدود يصير الى مقام آخر فيه تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا
بعيدا وفيه اشارة الى علمه باحوال المعاد ومنازله وعقباته من القبر والبرزخ والحشر والنشر والميزان والصراط
والحساب والعرض والجنة والنار وذلك كله من تأييد العقل بعون ذلك المذكور من قوله الفطنة والفهم

والحفظ والعلم الى اخر ما ذكر من تأييد العقل وتقويته بالنور المذكور اذ الانسان بذلك النور يخرج من حدّ النقص
والقصور ويهتدى الى الامور المذكورة وينظر فى ظلمة الطبيعة البشرية الى فضاء القدس وعالم الانس ويطير
بجناح الهمة الى مقامات رفيعة فى جنة عالية على بن محمد عن سهل بن زياد عن اسمعيل بن مهران عن ابى عبد الله عليه السلام
قال العقل دليل المؤمن اذ به الله نوره يخرج المؤمن من المرتبة الهيولانية الى استكمال القوة النظرية والعملية
ومن مرقد الطبيعة البشرية الى التفطن بالمقاصد اللاهوتية والمواعظ الربانية ومن مهد الغفلة الناسوتية
الى استماع نداء الحق الى منهج السداد فى كل آن ودعاء الرب الى مسالك الرشاد فى كل زمان فلا يزل بعد هداية
الله الا اقدام بصيرته ولا يضل بعد هذه الهداية انظار فكرته وهكذا يسير ويسعى نور العقل بين يديه
الا ان يصل الى اقصى منازل العرفان واعلى مراتب الايقان فيخلع عنده ذلك من الم الفراق وينظر الجمال الحق نظر الحبيب
المشتاق الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن الوشاء عن حماد بن عثمان عن السرى بن خالد عن ابى عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله
عليه وآله يا على لا فقر اشد من الجهل الفقر فى عرف الناس فقد المال واطلاقه على الجهل مجاز لاشتراكهما فى انتفاء اللذات
والمنافع اذ ينتفى فى الاول اللذات والمنافع الجسمانية وفى الثانى اللذات والمنافع الروحانية وفى عرف الخواص فقد
ما يوجب الانتفاع به مالا كان او علما واطلاقه على الجهل عندهم على سبيل الحقيقة ثم المقصود ان الجهل اشد افراد الفقر
فان اهل العرف يفهمون من قولنا ليس فى البلد افضل من زيد ان زيدا افضل من غيره وكون الجهل اشد من فقد المال ظاهر
لان انتفاع اللذات والفضائل الروحانية فى الدنيا والآخرة اشد واصعب من انتفاء اللذات الجسمانية المتعلقة بالحيوة
الدنيا بل لا نسبة بينهما عند ذوى البصائر الثاقبة ولا مال اعود من العقل يقال هذا الشئ اعود عليك من كذا
واى انفع والعائدة المنفعة وكون العقل اعظم افراد المال وانفعها ظاهر بالقياس الى ما ذكرناه على ان المال
بدون العقل لا ينفع بل يضر لكثرة مفاسده بخلاف العقل فانه ينجى صاحبه من ملامة الدنيا وندامة العقبى
لوضعه الاشياء فى مواضعها وقد يقال العقل انفع من المال لان المال كالآلة لطالب الخير والمنافع فى وصوله اليهما والعقل
دليل موصل اليهما وبه معرفتهما واختيارهما فتامل محمد بن الحسن كانه الصفار الثقة واحمد ابن الوليد الثقة بعيد
عن سهل بن زياد عن ابن ابى نجران عبد الله الثقة عن العلا بن رزين عن محمد بن مسلم عن ابى جعفر عليه السلام قال
لما خلق الله العقل قال له اقبل الى مقاماتك والى مرضاتى بالامتثال والى مشاهدة جلالى وكبريائى
او الى تكميل ذاتك بفضائل صفاتك فاقبل الى ما ذكر والمستحفظون لهذا الخطاب والمحرومون من شواهد الملكوت
حائرون من آثار الجبروت طالبون التقرب بحضرة البارى هاربون عما عداه اشد من هرب الاسد الضاري

ثم قال له ادبر من عالم النور والمقامات الروحانية او من مرضاتى بالطاعة الى ما سخطى بالعصيان او من تكميل ذاتك
الى تكميل غيرك كما هو شأن اصحاب الخلافة الكاملين فى انفسهم المستكملين لغيرهم فادبر الى ما ذكر امتثالا لامره
والعقل شأنه الامتثال دائما وان يصدر منه خلاف فانما يصدر لغفلته فى مراقد الطبيعة البشرية وسكون
الابدان وانسه بالزهرات الدنياوية وصفات النقصان فقال وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا احسن منك
اكد مضمون الجملة بالقسم مع انه اصدق القائلين لما لان المقصود منه صورة القسم ترويجا لمضمونها ولان العقل
لما شاهد ادباره المؤدى الى الشقاوة والبعد توهم انه اخس الخلايق اكده ليزيد فى التوجه وبشارة له وفى التقريع
دلالة على ان اقباله مع كونه قابلا للادبار سبب لكونه احسن المخلوقات وسر ذلك يظهر مما ذكرناه آنفا اياك
آمر واياك انهى واياك اثيب بطاعتك وانقيادك فيما ينبغى واياك اعاقب بجنايتك وعصيانك فيما لا ينبغى
عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد عن الهيثم بن ابى مسروق النهدى عن الحسين بن خالد عن اسحق بن عمار قال قلت لابى عبد الله
عليه السلام الرجل آتيه واكلمه ببعض كلامى فيعرفه كله يعنى ينتقل من البعض الى الكل ويفهم معناه المقصود منه ومنهم
من آتيه فاكلمه بالكلام على التمام فيستوفيه كلامى كله ويسمعه من اوله الى اخره ويفهم معناه بعد تمامه لا قبله ثم
يرده على كما كلمته من غير نقص وزيادة حافظا لالفاظه ومعناه ومنهم من آتيه فاكلمه بالكلام كله ويسمعه من
اوله الى آخره ولا يضبط لفظه ولا معناه فيقول اعد على طالبا التكرير لينتقل منه الى المقصود والغرض من هذا
السؤال الاستكشاف عن سبب تفاوتهم فى العقل والادراك وينبغى ان يكون الكلام من نوع واحد فى الدقة والخفاء لا
فقد يكون المحتاج الى الاعادة اقوى ادراكا من الاولين قال فقال يا اسحق فما تدرى لم هذا الظاهر انه استفهام
على حقيقته او للتقرير والواو للعطف على محذوف اى اتقرأ القرآن فما تدرى ويحتمل ان يكون خبرا عطفا
على كلام السائل والمراد ما هو المقصود من ذلك الكلام قلت لا هذا على الاول تعيين لما هو المقصود من الاستفهام او
اقرار بالنفى وعلى الاخير تصديق لقوله عليه السلام قال الذى تكلمه ببعض كلامك فيعرفه كله فذاك من عجنت نطفته بعقله
واما الذى تكلمه فيستوفى كلامك ثم يجيبك على كلامك فذاك الذى ركب عقله فى بطن امه واما الذى تكلمه فيقول
اعد فذاك الذى ركب عقله فيه بعد ما كبر فيقول لك اعد المواد الادراكية كلها موجودة فى النطفة ومن شأنها
على سبيل الاستعداد ولكنها مختلفة فى القوة والضعف وفى اللطافة والكثافة والنفوس ومن شأنها العاقلة
القابلة للادراكات الكلية متفاوتة فى الكدرة والصفا والظلمة والضيا وبحسب تفاوتها وتفاوت المواد تتفاوت
التعلقات والادراكات فلما كانت النفس الناطقة اشرف وانور كان تعلقها بالمواد التى هى الطف واقوى اقدم

واسرع وكان ادراكها اتم واكمل لتمام الاستعداد والمناسبة وكمال الصفاء والنورانية فيحصل الجذب في الادراك
بسهولة ثم بمجيئه نطفته نزل العقل وخمرت به واستضاءت موادها بنوره لغاية لطافتها وقوة استعدادها
كان بعد انتهاء الاستعداد وحصول بقية شرائط الادراك بالفعل عاقلا فاضلا مدركا كاملا عارفا للاخر
من الاول والفرع من الاصل لانه وقت كونه نطفة الى اوان الادراك كان يشتغل بالادراك ويتمرن عليه
والفعل بعد المشق والتمرن في غاية السهولة والكمال كما لا يخفى على المتدرب ولا يجوز ان ينكر تعلق العقل بالنطفة حين
كونها نطفة باعتبار عدم حصول العلم بذلك التعلق والا لجاز ان ينكر تعلقه بعد تسوية البدن وتكميله
لاشتراك العلة مع انه قد يحصل لبعض العارفين المجردين عن العلائق الجسمية والعوائق البدنية الناظرين الى الجمال
المطلوب بعين المشاهدة علم بتعلقها عقله في الاكوان البشرية وتصرفاته في المواد الجسمية بل ربما كان في ان تعلقه
عالما كاملا فاضلا عارفا بالله وملائكته وكتبه ورسله كما روي في شان ائمتنا صلوات الله عليهم اجمعين وعدم
حركة النطفة وانقلابها لا يوجب انكار تعلقه كما يشاهد ذلك في النائم واصحاب السكتة وقد ذهب جماعة الى ان
للارض والجبال وغيرها من الجمادات نفوسا متعلقة بها مع انها ساكنة على ان الحركة الارادية في المكون من خواص
النفس الحيوانية وامتناع تعلق القوة العاقلة قبلها ممنوع وبالجملة تعلق العقل بالنطفة امر ممكن عقلا وقد اخبر به الصادق
عليه السلام فوجب الاعتراف به ومن ركب عقله في بطن امه فهو دون الاول في الادراك لقلة تمرنه وتدربه وضعف امتزاج
مادته وتعجنها بخميرة العقل بالنسبة الى الاول فله الدرجة الوسطى من الادراك يفهم معنى الكلام بعد تمامه لا قبله
مثل الاول ومن ركب عقله فيه بعد الوضع الى زمان التكليف وهذا هو المراد بقوله بعدما كبر فهو دون الثاني في الادراك
لقلة تمرنه قطعا وعدم امتزاج مادته بالعقل وضعف استضاءة سائر قواه الادراكية بنوره وهو بمنزلة بيت
وضع المصباح في خارجه فله الدرجة الادنى من الفهم والمرتبة الدنيا من الادراك لا يفهم معنى الكلام بعد تمامه بل يحتاج الى
تكريره فلذلك اعذر على ان تم هذه المراتب على الامهات في مراتب الادراك واختلافاتها والا فكل درجة من مراتب
متفاوتة في القوة والضعف يدل على ذلك ما رواه يحيى بن ابان عن شهاب قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول
لو علم الناس كيف خلق الله تبارك وتعالى هذا الخلق لم يلم احد احدا فقلت اصلحك الله وكيف ذاك فقال ان الله تبارك وتعالى
خلق اجزاء بلغ بها تسعة واربعين جزءا ثم جعل الاجزاء اعشارا فجعل الجزء عشرة اعشار ثم قسمه بين الخلق فجعل
في رجل عشر جزء وفي آخر عشري جزء حتى بلغ به جزءا تاما وفي آخر جزءا وعشر جزء وآخر جزءا وعشري جزء وآخر
جزءا وثلاثة اعشار جزء حتى بلغ به جزئين تامين ثم بحساب ذلك حتى بلغ بارفعهم تسعة واربعين جزءا فمن لم يجعل فيه

الا عشر جزء لم يقدر ان يكون مثل صاحب العشرين وكذلك صاحب العشرين لا يكون مثل صاحب الثلثة الاعشار وكذلك
من تم له جزء لا يقدر على ان يكون مثل صاحب الجزئين ولو علم الناس ان الله عز وجل خلق هذا الخلق على هذا لم يلم احد
احدا ويحتمل ان يكون قوله من عجنت نطفته بعقله معناه من خلقت نفسه قبل التعلق بالبدن على وصف كمالي مناسب
للعقل وارتباطها به ثم تعلقت بالبدن وقوله فذلك الذي ركب عقله فيه في بطن امه معناه هو الذي اتصفت
نفسه بالوصف الكمالي الموجب لقوة ارتباطها بالعقل بعد تعلقها بالبدن وقوله فذلك الذي ركب عقله فيه بعدما كبر
معناه هو الذي اتصفت نفسه بذلك الوصف وحصل لها الارتباط بالعقل بعد استعمال الحواس وحصول الضروريات
التي هي مبادي النظريات والله اعلم بحقائق الامور عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد عن بعض من رفعه عن ابي
عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله اذا رايتم الرجل كثير الصلوة كثير الصيام فلا تباهوا به
اي فلا تفاخروا به من المباهات وهي المفاخرة او فلا تؤانسوا به من البهاء بالفتح والمد وهو الانس يقال بهات
بالرجل بهاء انست به وفرحت به فلا تباهوا بالهمزة بعد الهاء حتى تنظروا كيف عقله فان وجدتم عقله
كاملا باعتبار ظهور آثار العقلاء عنه واشتمال اعماله وافعاله على المحسنات العقلية والنقلية وجودة رايه
في الامور الدنيوية والاخروية وحسن تصرفه في الفضائل العلمية والعملية ورعاية آداب المعاشرة مع بني
نوعه فتباهوا اهل المباهاة والمفاخرة والمؤانسة اذ هو مظهر للاوصاف الالهية للكمالات النفسانية ومعدن للفضائل الرفيعة
ونور نفسه منور مرشد لغيره وان وجدتم عقله بخلاف ذلك فعمله بعيد عن الاعتبار والافتخار وفيه دلالة
على جواز مدح العلماء والثناء بالعقلاء سرا وعلانية كيف لا والآيات القرآنية والروايات النبوية مشحونة بذكر
كمالاتهم ونشر فضائلهم زادهم الله شرفا وتعظيما بعض اصحابنا رفعه عن مفضل بن عمر عن ابي عبد الله عليه السلام
قال يا مفضل صدر الحديث بندائه لطلب احضار قلبه واستعداده لما سيلقى اليه من فضائل العقل ورذائل ضده
لا يفلح من لا يعقل لان الفوز بالسعادة الدنيوية والاخروية لا يتصور بدون العقل الذي هو سبب لجميع الخيرات
ومنشا لجميع الكمالات وبدون استيلائه على القوة الغضبية والشهوية ولا يعقل من لا يعلم اي من انتفت عنه حقيقة
العلم انتفت عنه حقيقة العقل لان تحقق حقيقة العقل وقوامها ومراتبها انما هو بالعلم فاذا انتفى انتفى او
من انتفى عنه العلم بقوى النفس محاسنها وقبائحها لا يعقل يعني لا يستولي عقله على قواه النفسانية ضرورة ان استيلاءه
عليها متوقف على العلم بها فاللازم من المقدمتين اما انتفاء حقيقة الفلاح والنجاة عند انتفاء حقيقة
العلم او انتفاء الفلاح والنجاة من مفاسد القوى النفسانية عند انتفاء العلم بها والله اعلم وسوف ينجب من يفهم

رجل نجيب اى كريم بين النجابة وقد نجب ككرم نجابة اذا كان فاضلا متأدبا بالاداب النقلية والعقلية ووجه
ذلك ظاهر لان الفهيم بنور فهمه يميز بين الحق والباطل وبين الصفات الحسنة والقبيحة فيميز وبالايام يكتسب المحاسن
ويجتنب عن الرذائل ويصير عالما فاضلا غالبا على النفس قواها وهواها حتى يصير نجيبا فى الدنيا والاخرة ويظفر
من حلم الظفر النجاة والفوز بالخير وحلم بالكسر الاناءة تقول منه حلم الرجل يحلم بضم اللام فيهما اذا تانى ولم يستعجل
وذلك ايضا ظاهر لان من تانى فى العقوبة ولم يستعجل فيها ولم يستخفه سوء الادب ولم يستفزه الغضب يظفر
عن قريب بالمطالب ويفوز بالمارب لان ذلك سبب لكثرة المعاون والاصدقا وازدياد الناصر والمعاون بخلاف المستعجل فانه يضيق عليه امره والعلم جنة يتقى من سهام مكايد الشيطان وسنان مخاطرات النفوس وصولة
القوى الشهوية والغضبية والدواعى النفسانية بل من جميع الافات الدنيوية والعقوبات الاخروية والصدق عز المراد
بالصدق استقامة اللسان فى القول والحكاية وثباته على منهج العدل والصواب فى الصغير والكبير والقليل والكثير سواء
كان على نفسه او على الله او على رسوله او على ائمة الطاهرين او على المؤمنين هو سبب للعزة والقوة والغلبة او المراد
به الاعتقاد الصادق ويؤيده المقابلة بالجهل لانه الاعتقاد الكاذب والجهل ذل غاية العزة هى التقرب بالله
والارتقاء الى الطفه والتنعم برياض قدسه والتمكن فى قلوب العارفين وذلك لا يحصل الا بالعلم والعمل فاذا
انتفى العلم وحصل الجهل بسيطا كان او مركبا ثبت الذل والبعد عن الحق وانما قابل الصدق بالجهل دون الكذب
لئلا يصير الثانى تاكيد المضمون الاول والتاسيس خير من التاكيد والفهم مجد المجد الكرم والشرف الواسع يعنى
ان الفهم من الصفات الكريمة الشريفة الموجبة لشرافة الذات ورفعة المحل وجلالة القدر والجود نجح النجح
والنجاح الظفر بالحوائج يعنى ان الجود بالمال وبذله فى وجوه الغير وصرفه فى مصارف الخير يوجب الظفر بالمطالب
الاخروية لان الله تعالى يقابل القليل بالجزيل ويورث الفوز بالمارب الدنيوية لانه يجذب قلوب الناس الى التودد
لصاحبه ويصرف هممهم الى الذب وتحصيل مطالبه قال امير المؤمنين عليه السلم الجود حارس الاعراض وحسن الخلق
مجلبة المودة حسن الخلق هو الاعتدال بين طرفى الاعتدال والتفريط فى القوة الغضبية والشهوية ومجلبة اسم
آلة او مصدر ميمى والحاق التاء للمبالغة كما فى الوافى يعنى ان حسن الخلق مع الناس ومخالطتهم على الوجه الحسن
الجميل والتودد لهم والاحتمال منهم والاشفاق عليهم والحلم والصبر وغير ذلك من محاسن الصفات الخلقية
يجلب الى صاحبه محبتهم ووداتهم وصداقتهم وغيرة ذلك من خير الدنيا والاخرة حتى ان العدو بذلك يصير صديقا
شفيقا وقد رغب فيه امير المؤمنين عليه السلم بقوله خالطوا الناس مخالطة ان متم معها بكوا عليكم وان

وان غشتم حنوا اليكم والعالم بزمانه لا يهجم عليه اللوابس فى المغرب الهجوم الاتيان بغتة والدخول من غير
استيذان من باب طلب يقال هجم عليه يعنى يتعدى بعلى واللوابس جمع اللابس على غير قياس كالفوارس جمع
فارس من اللبس بالضم مصدر لبست الثوب البسه او بالفتح مصدر لبست عليه الامر البسه اى خلطته
ومنه قوله تعالى وللبسنا عليهم ما يلبسون والتبس عليه الامر اى اختلط واشتبه او جمع لبسة يقال فى الامر
لبسة بالضم اى شبهة ليس بواضح والمقصود ان العالم باحوال ابناء زمانه وعاداتهم الفاسدة ورسومهم
الكاسدة من انكار الحقوق واتباع اهواء النفوس وترويج واعلان الرموز لا يهجم عليه اللوابس اى الذين يلبسون
الحق بالباطل والنور بالظلمة والامر الواضح بالشبهة ولا يدخلون عليه بغتة وعلى سبيل الغلبة بالتدليسات
والتلبيسات ولا يغلبونه بالتخليط والقاء الشبهات لعلمه بنفاق قلوبهم وافعالهم وادراكه بالفراسة والتجربة سوء
صنايعهم وقبايح اعمالهم او المقصود انه لا يدخل عليه الشبهات وفيه تنبيه على ان الغالب فى كل عصر هو انكار الحق
وترويج الكفران وافشاء الظلم ونشر الجور والطغيان كما يعرفه اصحاب القلوب فى ارباب العرفان واذا تحقق ذلك
مع طول مدة الاسلام واستقراره فى القلوب فلا ينكر تحققه بعد فوت النبى صلى الله عليه وآله ولا يستبعد وقوع
ما وقع بعده من خروج الكثر ومة عن الدين لما كان هنا مظنة ان يقال عدم هجوم اللوابس على العالم باهل زمانه
لسوء ظنه بهم وعدم استماعه لاقوالهم ولا اتباعه لاثارهم والطوارهم الا بعد الاستظهار فيها والاخذ بالحزم
لئلا ينخدع وسوء الظن لا يجوز قال دفعا لذلك والحزم مساءة الظن حزم الرجل جودة رايه واحكام
امره وضبطه له واخذه بالثقة على وجه لا يقع فى الباطل والشبهة يقتضى سوء الظن بهم يعنى تجويز السوء منهم
والتثبت فيما ياتون به حتى يتبين الحق من الباطل والصدق من الكذب والعلم من الشبهة ولو وجب القبول منهم من غير حزم
ولم يجز نسبة السوء اليهم لوقع الهرج والمرج وبطل كما كان قبل البعثة ولذلك قال الله تعالى ان جاءكم نبأ فتبينوا وقال
لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم وبالجملة الحزم يوجب ان يبنى الحال لا على جواز السوء منهم حتى يتبين له الحق ويحصل
الاذعان به وفيه تنبيه على انه لا ينبغى متابعة الغير فى امر من الامور مع تجويز كون ذلك الامر خطاء بل لا بد
من كمال الاحتياط فيه وانما قلنا على جواز السوء منهم لانه الذى يقتضيه الحزم والاحتياط فلا ينافى ما ورد
من النهى عن مساءة الظن بالخلق لان ما ذكرنا من باب التجويز العقلى المناسب للحزم وما ورد النهى عنه من باب
الاعتقاد الفاسد والقول بالشئ رجما بالغيب فى بين المرء والحكمة نعمة العالم نعمة بالتنوين فى العالم بيان
لها او بالاضافة للبيان او بتقدير اللام ولعل المقصود ان بين المرء العاقل والحكمة نعمة العالم هى ارشاده

وهدايته الوصلة اليها وتخليصه من ظلمات الاوهام وتثبيته من مزال الاقدام وتسديده في مواضع اغاليط
الابهام وتعليمه كيفية السلوك في طرق المطالب وتقويته للوصول الى دقايق الحكمة في اعلى المراتب والجاهل
شتى بينهما اى بين الحكمة ونعمة العالم يعني لا ينفعه سعي العالم وارشاده وهدايته وتعليمه وتفهيمه وتسديده
كل ذلك لشقاوته ودناءته الطبيعية وظلمته النفسية وكدورته الذهنية واحتمال عود ضمير التثنية الى العاقل
والحكمة يعني كان بين العاقل والحكمة عالم رباني يهديه اليها كذلك بين الجاهل والحكمة شقي يضله عنها بعيد
وفيه دلالة على ان العقول البشرية وان كانت قابلة لادراك الحكمة والعلوم فهي تحتاج الى توسط ارشاد هو
عقل العالم وارشاده لانها مع هذا الوسط تصير نورا على نور فتدرك الحقايق كما هي وتامن من الغلط ثم ان
هذا العالم يحتاج الى عالم رباني الى ان ينتهي الى عالم بالذات لا يحتاج في علمه الى غيره اصلا وهو الله تعالى شانه ونظيره
ذلك ان نور البصر في ادراكه يحتاج الى توسط نور الشمس او نور المصباح او غيرهما فانه ح يصير نورا على نور
يدرك المبصرات على ما ينبغي والروايات الدالة على اعتبار ذلك الوسط كثيرة جدا منها من اعجب برايه ضل
ومن استغنى بعقله زل وعلى ان الجاهل الفاقد للبصيرة لا ينفعه توسط العالم وارشاده او على ان له قرينا شقيا
يضله عن طريق الحكمة ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ولشرح هذه العبارة اقوال اخر نحن
نشير الى بعضها اجمالا ليحصل لك الاحاطة بجميع الكلام فنقول قال بعض الافاضل المقصود منها ان المرء من لدن عقله
وتميزه الى بلوغه حد الحكمة يتنعم بنعمة العلم ونعيم العلماء فانه لا يزال في نعمة من اغذية العلوم وفواكه
المعارف فان معرفة الحضرة الالهية لروضة فيها عين جارية واشجار مثمرة قطوفها دانية والجاهل من مبدا
امره ومنتهى عمره في شقاوة عريضة وطول امل طويل ومعيشة ضنكة وضيق صدر وظلمة قلب الى قيام ساعته
وكشف غطائه وفي الاخرة عذاب شديد وقال بعضهم المراد ان ما انعم الله به على العالم من العلم والفهم والصدق
على الله واسطة للمرء يوصله الى الحكمة فان المرء اذا عرف حال العالم اتبعه واخذ منه فيحصل له الحكمة ومعرفة
الحق والاقرار به والعمل بما وفقه وكذا اذا عرف حال الجاهل وانه غير عالم فهم صادق على الله بترك اتباعه
والاخذ منه ويسعى في طلب العالم فيطلع عليه فياخذ منه فالجاهل باعتبار سوء حاله باعث بعيد لوصول
المرء الى الحكمة فهو شقي محروم يوصل معرفة حاله المرء الى السعادة والحكمة والله ولي من عرفه يعني محبه وناصره
والمتكفل لامره في الدنيا بهدايته الى الطاعات والخيرات وتثبيت ذهنه على الفضايل والكمالات وفي الاخرة
بتشريفه بمنازل القرب في اعلى درجات الجنان والاقبال عليه بالاكرام والافضال والاحسان وعدو من تكلفه

اى

اى تكلف العرفان وتصنع به وهو غير عارف وهو احق بالعداوة من الجاهل الخامل ومن ثم قيل النفاق اسوء
من الكفر والمراد بعداوته له ابعاده عن الرحمة وترك الافضال عليه ووكوله الى نفسه حتى توردده موارد
الهلاك والخذلان والعاقل عفو اى مصلح الامر من قولهم عفى واعفى الامر اى اصلحه بما ينبغي ان يصلح
او ساتر لذنوب اخوانه وعيوبهم ومتجاوز من خطاياهم واساءتهم من العفو بمعنى التغطية وذلك لعلمه
بما في الغفران من الاجر الجميل والثواب الجزيل ولانه قريب من الله ومتخلق باخلاقه ومن اخلاقه الكريمة غفران
الذنوب وستر العيوب والتجاوز عن السيئات وان صدر عنه المواخذة والكشف في بعض الاحيان لمصلحة
لا يسلب عنه هذا الاسم كما في الواجب والجاهل ختور اى خبيث النفس كثير الغدر والخدعة بالناس
لانه فاقد للبصاير الذهنية وعادم للفضايل العقلية وحامل للرذايل الشيطانية فيظن ان الغدر
والحيل والمكر والختل وكشف العيوب والذنوب وسوء المعاملة مع الناس خير له في تحصيل منافعه ومطالبه
وتيسير مقاصده ومآربه وانما اتى بصيغة المبالغة للاشعار بان الفعل مع وجود دواعيه وعدم
موانعه يصدر على وجه الكمال وان شئت تكرم فلن تكرم على البناء للمفعول اى ان شئت ان تكون
كريما شريفا حسنا خيارا عند الخالق والخلايق فلن للناس في الكلام والسلام واخفض لهم جناحك عند
اللقاء فمن لان جانبه كثر اعوانه وانصاره ومن كثر انصاره كان مكرما شريفا وان شئت ان تهان فاخشن
تهان على البناء للمفعول من الاهانة وهي الاستخفاف والاستحقار واخشن بضم الشين من الخشونة وهي ضد
اللين وقد خشن الرجل بالضم فهو خشن يعني ان شئت استخفافك واستحقارك والحط لمنزلتك فصر
ذا خشونة عند ملاقاة الناس ومحاوراتهم ومقاولاتهم فان الخشونة جالبة لهذه الامور ومن كرم اصله
لان قلبه ومن خشن عنصره غلظ كبده يعني علامة السبب الاصلي لحسن الخلق ولين القلب ورحمته ورافته والسبب
لسوء الخلق وغلظة القلب وقساوته بان من كرم اصله ولطف عنصره الذي يميل اليه البدن وشرف طينته التي
منها خلق شرف خلقه يعني نفسه الناطقة لان الشريف انما يتعلق بالشريف ومن شرف قلبه شرف صفاته من اللينة
والرافة وحسن الخلق وغيرها لان فعل الشريف وصفاته لا يكونان الا شريفا ومن خشن عنصره وكثف طينته غلظ كبده
وخشن قلبه لان الخسيس انما يتعلق بالخسيس ومن خشن قلبه قبحت صفاته من الخشونة والغلظة وسوء الخلق وغيرها
واورد لفظ الكبد بدل القلب للتنبيه على عدم استحقاقه لهذا الاسم وبالجملة الاخلاق والصفات مترتبة على
اجتماع النفوس مع الابدان فاشرف الاخلاق يتعلق باشرف النفوس واشرف النفوس يتعلق باشرف الابدان والطفها

واخرى اخلاق يتعلق باخس النفوس واخس النفوس يتعلق باخس الابدان واكثفها فالتفاوت انما نشأ من كرم الاصل وخسته
كل ذلك ظاهر الا التفاوت في الاصل فانه دقيق جدا ومعرفة ذلك يتوقف على التأمل الدقيق في الروايات المذكورة
في كتاب الكفر والايمان وقيل المراد بكرم الاصل كون النفس فاضلة شريفة ذات ارتباط شديد وتأيد بالنور
ومن كان كذلك لان قلبه الذي هو مبدأ الاثار العلانية لان النفس اولا تتعلق بالروح الحال فيه فلان عناصره
باستمداد من الروح الذي يحيى به سائر القلب ومن خسة عنصره وغلظ كبده اي ومن لم يكن كريم الاصل وهو من خس عنصره
وخبث طينته غلظ منه ما هو الطف في قوام البدن وقوته وهو الكبد فيتسلط القوى البدنية فيه على القوى العقلانية
من فرط تورط يقال فرط في الامر فرطا اي قصر فيه وضيعه حتى فات وكذلك التفريط وفرط ايضا فهو فارط
اذا سبق وتقدم وجاوز الحد وتورط في الورطة اي وقع في الهلكة ولعل المراد من فرط الحق وقصر فيه وقع
في الهلكة لان اصل التقصير في الحق ورطة وهلكة او لانه مستلزم لوقوعه في ضد الحق اعني الباطل والمراد من سبق
الى دواعي النفوس وجاوز الحد في متابعة القوى النفسانية فقد وقع في الهلكة ومن خاف العاقبة تثبت
عن التوغل فيما لا يعلم تثبت مأخوذ من التثبت مضارع من الثبات والوغول الدخول واوغل في السير وتوغل
اذا اسرع فيه وامعن يعني من خاف سوء العاقبة ولم يأمنها تثبت عن الدخول فيما لا يعلمه وعن الاسراع في التكلم وفيه
والاعتقاد به ومن علامة العاقل السكوت في الشبهات فان مفاسد النطق بها كثيرة جدا وفي الحديث من تورط في الامور
غير ناظر للعواقب فقد تعرض لمفضحات النوائب ومن هجم على امر بغير علم فقد جدع انف نفسه الجدع بالجيم والدال
المهملة قطع الانف وقطع اليد وقطع الشفة تقول منه جدعته فهو اجدع وجدع انف النفس المجردة
اما كناية عن ازالة سعادتها الابدية بالجهل او كناية عن تحقيرها واذلالها يعني من دخل في امر بغير علم بذلك الامر
فقد احتقر نفسه واستصغرها ووسمها بسمة الحقارة والرذالة والهلكة عند الخالق والخلق جميعا
ومثله مثل الفراش تساقط من جهلها في نار المصباح بتوهم انها كوة يستضيء منها النور فيقصد الخروج منها
فيحترق ثم بين عليه السلام فضل العلم وشرفه بقياس مفصول النتايج بقوله ومن لم يعلم لم يفهم ومن لم يفهم لم يسلم
اي من لم يعلم الحسن والقبيح لم يفهمهما ولم يميز بينهما ومن لم يميز بينهما لم يسلم من ارتكاب القبيح والتعرض له ومن لم يسلم
لم يكرم معلوم من كرم اي من لم يسلم من القبيح لم يكن شريفا نجيبا فاضلا ومجهول من الكرم اي لم يكن مفوز الكرما
بعد ومن كرام الناس بل محتقرا ولا مهانا ومن لم يكرم يهضم في اكثر النسخ بضم الياء في الجرد وفي بعضها
تهضم من باب التفعل وفي القاموس هضم فلانا ظلمه وغصبه كاهتضمه وتهضمه وفي الصحاح هضمت

الشي

الشي كسرته يقال هضمه حقه واهتضمه وتهضمه اذا ظلمه وكسر عليه حقه ورجل هضيم ومهتضم
اي مظلوم ثم الفعل الاول ان كان مبنيا للفاعل كان الثاني ايضا كذلك على الظاهر لان الموصول هو الذي يكسر
نفسه ويذلها ويظلمها بسبب عدم اكتساب كرامتها وشرافتها وان كان مبنيا للمفعول كان الثاني كذلك لان الكاسر
غيره والمذل له غيره ومن يهضم كان الوم اي اكثر استحقاقا للوم لما تقدم ومن كان كذلك اي الوم كان احرى
ان يندم على ما ساقه الى المليمة من التوغل فيما لا يعلم او من الهجوم على امر بغير علم او من جميع ما تقدم واعلم ان
هذه المقدمات اذا اعتبرت انتاجها تنتج ان من لم يعلم كان احرى ان يندم اما المقدمة الاولى فلان الفهم
وهو ملكة الانتقال كما عرفت مرارا مستلزم للعلم ومتوقف عليه وانتفاء اللازم مستلزم لانتفاء الملزوم
واما الثانية فلان السلامة عن الرذايل النفسانية متوقفة على الفهم والتميز بينها وبين فضائلها فتنتفي بانتفائه
واما الثالثة فلان كرامة النفس وشرافتها وعلو منزلتها فرع لسلامتها عن الرذايل والقبايح وانتفاء الاصل
مستلزم لانتفاء الفرع واما الرابعة فلان عدم اكرام احد وتعظيمه سبب لهضمه وكسره واحتقاره
واذلاله واما الخامسة فلان هضم احد واذلاله مستلزم لرذالته ولومه وعذله واللوم بمعنى اسم المفعول
وسبب الزيادة ظاهر اذ الاذلال لا يأتي الا بشيء من الاضرار واما السادسة فلان لوم احد بجهالته وعذله
برذائله على وجه المبالغة من اقوى الاسباب لندامته على سوء احواله وقبح اوضاعه وافعاله محمد بن يحيى
رفعه قال قال امير المؤمنين عليه السلام اذا استحكمت لي فيه خصلة من خصال الخير اي صارت محكمة يعني ملكة
راسخة والمراد من خصال الخير فضائل النفس واخلاقها مثل العفة والسخاوة والحلم وغيرها مما عرفته وستعرفه
مما بعد ومما هو مذكور في كتاب الاخلاق وقوله لي على تضمين معنى الثبوت والظهور اي ثابتا لاجل ذلك او ظاهرا
عندي وعلى ان معناه لاجلي يعني لاجل ما نشأ في النجاة من العقوبات وهذا نظير ما قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله
اضمن لي الجنة فقال اعني بكثرة السجود احتملته عليها واغتفرت فقد ما سواها اي عفته على تلك الخصلة
ورضيت بالحاله وقبلتها منه ورفعت بها قدره في الاخرة وتجاوزت عن فقد ما سواها وسترته ولم اخذه
به ولا اغتفر فقد عقل ولا دين ليس المراد بالعقل هنا العقل الهيولاني الذي به يفارق الانسان سائر الحيوانات
لانه موجود في الجميع ولو فقد في البعض فقده ليس باختياره بل المراد به العقل الذي له ملكة ادراك المعارف الالهية
وهو الذي يسمونه عقلا بالفعل والمراد بالدين معرفة الشرايع الصادرة بواسطة الرسول والطاعة في الامر
والنهي وغيرهما يعني لا اغتفر فقد عقل فقط ولا التجاوز عن التقصير فيه وان كان له دين ولا فقد دين فقط وان كان

له عقل سواء كان الفاقد لهما موصوفا بجميع الخصال الخير او لا لان مفارقة الامن لان الامن من
العذاب والوقوع في الباطل انما يحصل باتباع الرسول واطاعته لان قوله قول الله وامره امر الله وقد بعثهم على
الناس ليجذبهم عما يميلون اليه من اتباع الشهوات الباطلة واقتناء اللذات الزايلة بتذكيرهم لما اعطاهم الله
من نعمة الجسمية ومنته العظيمة وترغيبهم فيما اعده لاوليائه وتحريصهم على ما قرره لاصفيائه واشارتهم
الى الدرجات الرفيعة وارشادهم الى المقامات العلية بالمقدمات اللامعة والبراهين الساطعة فمن تبعه امن من
الكفر والعذاب وخلص من الضلالة والشقاوة ومن فارقه ولم يتمسك بدينه ولم يعمل بقوانينه واتبع رايه الفاسد
المستند الى النفس الامارة او جاهلا يتكلم في الدين بغير بصيرة ولا يقين فقد فارق الامن وتصدى للضلالة والغواية
واورد نفسه مورد الضلالة والمخافة لعدم علمه باصابة رايه وراى ذلك الجاهل المتبوع فلا يامن من الكفر
والخروج من الدين في هذه النشاة ولا من العقاب في النشاة الاخرة فلا يهنا بحياة مع مخافة في المصادر
كوارده سندن وفي الصحاح والنهاية هنأني الطعام يهنئني ويهنأني وهنئت الطعام اي تهنأت به
فالفعل على الاول مبني للفاعل وحياة فاعله والباء زائدة وكذا على الثاني وفاعله ضمير لفاقد الدين والباء
للتعدية ولعل المراد بالحيوة الحيوة الدنيوية ونكدها بالمخافة الناشية من مفارقة الدين ومن العقل والعلم في الجملة
ظاهر وكيف يكون فاقد الدين وهو عالم امنا سعيدا وحتى يكون عيشه وحيوته طيبا رغيدا مع علمه بان
له في كل قدم خطر عظيم وفي الاخرة عذاب اليم واما الجاهل الفاقد له فانه وان كان ايضا هالكا الا ان الجهالة
لا يشعر بالخوف التابع للعلم ومثلهما مثل رجلين سافرا في مفازة مخوفة عميقة الشقة بعيدة وتركا طريق
الامن الموصل اليها وسلكا طريقا اخر فيه انحاء من الفنا والضرر وانواع من الخوف والخطر ويعلم احدهما حال
هذا الطريق دون الاخر فان العالم بها حيوته مكدرة وعيشه منغصة وربما يضطره مخافة الهلاك الى
ترك الشراب والطعام واعتزاله عن فراش الاستراحة والمنام واما الجاهل بها فانه فارغ عن هذا الخوف
والاضطراب وان كان مشاركا له في الهلاك عند نزول العذاب والمراد بالحيوة الحيوة المعنوية القلبية
وهي العلم الاجمالي بالله تعالى وبكتابه ورسوله وحقية شرايعه ودينه الا انه رجع في تفصيله الى رايه ولا
جاهل متصنع بالعلم التفصيلي ولم يتبع الرسول ومن يقوم مقامه كما هو شان مخالفينا ولا ريب ان حيوته
هذه مكدرة ناقصة لا تنفعه مع مخافة ان يخرج في اصول القواعد الشرعية وفروعها عن منهج الدين
او مع مخافة ان يزول عنه هذه الحيوة بتسويلات الشياطين وفقد العقل فقد الحيوة لان الحيوة

التي

التي يجب صرف العمر في حفظها وتكميلها ووردت الشرايع والكتب الالهية بالامر بتحصيلها هي استكمال النفس
بالحقايق والمعارف والعلوم النافعة في الاخرة فمن تحلى نفسه بها وصار عقله عاقلا بالفعل فهو حي حقيقة في الدنيا والاخرة
ومن تخلى نفسه عن هذه المعارف والكمالات وغطى عقله باغطية الرذايل والجهالات فهو ميت معدود بلسان الشرع من الجمادات
ولا يقاس اي لا يقيس ولا يشبه الا بالاموات لعدم اطلاعه على وجوه مفاسده ومصالحه وعدم اهتدائه
الى دفع مضاره وجلب منافعه كالاموات بل هو ادنى حالا واقبح مالا الا الاصلح بين الشبهات علي بن ابرهيم بن هاشم
عن موسى بن ابرهيم المحاربي لم اعرف حاله عن الحسن بن موسى شريف معظم من وجوه اصحابنا كثير العلم والحديث
عن موسى بن عبد الله عن ميمون بن علي لم اعرف حاله ايضا عن ابي عبد الله عليه السلم قال قال امير المؤمنين عليه السلم
اعجاب المرء بنفسه اي استعظامه اياها لاتصافها بفضيلة دنيوية مثل المال والجاه وكثرة الاولاد والانصار
او بفضيلة اخروية مثل العلم والعمل وساير الكمالات واستكثاره لتلك الفضيلة والابتهاج بها والركون اليها
والرضا بها حتى يظن انه قد فاق العابدين وجاوز عن حد التقصير ويستبعد عن انحطاط رتبته عند الله وله
مثل هذا العمل والفضيلة عن رتبة العابدين ويعتقد انه لا يعذب به ابدا لاجله دليل على ضعف عقله وقلة
علمه وقصور معرفته بالصانع وصفاته التامة الكاملة اذ لو كان له عقل كامل وعلم تام ومعرفة بالله جل شانه
من القدرة والقوة والغلبة والعظمة والجلال علم ان كل شيء سواه مقهور تحت قدرته مغلوب عند عزته ذليل في ساحة
عظمته وان لا مانع لسلطانه ولا نهاية لعرفانه ولا دافع لامضاء امره وجريان برهانه وان السموات والارضين
وما فيهما وما بينهما مما يرى ومما لا يرى من الروحانيين والملئكة المقربين والانبياء المرسلين خاشعون خاضعون لديه
لحكمه معترفون وبالعجز والتقصير فاذا عرف هذه الامور وتفكر فيها تفكرا صحيحا خاليا عن الشبهات وتامل فيها
تاملا سليما عن الافات وجد نفسه وان كان لها جميع الكمالات مذعنة بالعجز والانكسار معترفة بالذل
والافتقار مربوطة بربقة العبودية والخذلان موضوعة في صفة المسكنة والنقصان بعيدة عن الاعجاب قريبة
من الخوف والاضطراب وسيجي تحقيق العجب ولوازمه ومفاسده وعلاجه في بابه ان شاء الله تعالى ابو عبد الله العاصمي
هو احمد بن محمد بن عاصم ثقة عن علي بن الحسن يعني ابن فضال عن علي بن اسباط فطحي ثقة رجع الى الحق عند النجاشي
ولم يرجع عند الكشي وقال العلامة انا اعتمد على روايته عن الحسن بن الجهم عن ابي الحسن الرضا عليه السلم قال
يعني الحسن بن الجهم ذكر عنده اصحابنا وذكر العقل ذكر في الموضعين على البناء للمفعول واصحابنا والعقل
في موقع الفاعل يعني ذكر عند ابي الحسن الرضا عليه السلم اصحابنا الامامية واحوالهم وذكر عنده تفاوت

فيهم

مرابته قال فقال لا ابعباء باهل الدين بمن لا عقل له بدل لقوله باهل الدين في بعض النسخ ممن لا عقل له ولا ابعباء على
البناء للمفعول والظرف قايم مقام الفاعل والعباء بفتح العين وسكون الباء المبالاة يقال ما عبات بفلان عبا اى ما
باليت به والمراد بالعقل العقل بالفعل والعقل المستفاد وملكة الاستعداد للعلوم والادراكات الحقة او نفس تلك العلوم
وسميت تلك العلوم بالعقل لان العقل ماخوذ من عقال الدابة والعلوم تمنع صاحبها من الجهل كالعقال للدابة يعني لا
يبالى باهل الدين بحسب الظاهر ممن لا عقل له ولا يلتفت اليه ولا يعد شريفا مكرما ولا يثاب ثوابا جزيلا ولا يعطى اجرا
جليلا وانما قلنا بحسب الظاهر لان اهل الدين بحسب الحقيقة من كان له مناط التميز بين الحق والباطل واستضاء ضميره
بانوار المعارف الالهية واستنار قلبه بشموس الحقايق الربانية فصار بحيث لا يحجبه ظلمة الحيات البدنية والعادات
الوهمية والخيالية عن ملاحظة اسرار عالم الغيب وانوار عالم الشهادة واما الذى ليس له تلك الفضايل وان
كان من اهل الدين فهو مستغرق بعد في بحر الرذايل يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق
بعض اعنى موج الشهوات الداعية الى الصفات البهيمية وموج الغفلات الداعية الى الصفات السبعية كالغضب
والعداوة والحقد والحسد والمباهاة والمفاخرة وامثالها وسحاب العقايد الفاسدة التى صارت حجابا
لنور البصيرة عن ادراك نور الحق ومن كانت هذه صفاته كثرت على جوارحه وقلبه زلاته فلا اعتناء بعقايده
وعاداته ولا مبالاة في اعماله من صومه وصلاته وساير عباداته قلت جعلت فداك ممن يصف هذا الامر اى
امر الامامة ويقول بها وبين نفسه البهاوة قوله يصف دون ان يقول يتصف ايماء الى ان ذلك بمجرد القول خاليا
عن العقد اليقيني والاذعان القلبي الحاصل بالبرهان القطعي قال لا باس بهم عندنا معاشر الامامية في افعالهم
واعمالهم الظاهرة الموافقة لمذهبنا وليست لهم تلك العقول التى هي مشكوة الهداية في ظلمات الطبايع البشرية
ومصباح الدراية في ظلمات الاوهام الطبعية فقال ليس هولاء ممن خاطب الله بالارتقاء الى المعارج العلية
والاهتداء الى المعارف الربوبية والقيام بالسياسة المدنية والرياسة العقلية والشرعية وانما هم جماعة
يجرى عليهم احكام صاحب السياسة ومالك زمام الرياسة بانحاء التعذيب وانواع التاديب ليتم صلاحهم
وصلاح بنى نوعهم ويحصل لهم بذلك حيوة الدنيا ونجاة الاخرة وبما ذكرنا لا يرد ان قول السائل
لا باس بهم عندنا دل على ان لهم العقل الذى هو مناط التكليف والخطاب بالاحكام وقوله عليه السلم ليس هولاء
ممن خاطب الله دل على ان ليس لهم هذا العقل فبين السوال والجواب منافاة في الجملة ووجه عدم الورود
ان للعقل مراتب متفاوتة وادنى مراتبه ما هو مناط التكليف بظواهر الاعمال والافعال الشرعية التى يحصل بها

صلاح

صلاح الخلق في الدنيا ونجاتهم في الاخرة واعلاها ما هو مناط الفوز باعلى المقامات الممكنة للقوة البشرية
والمتصف به هو خاص الخاص وفي المتوسطات متوسطات والثابت لهم هو ادنى المراتب والمنفى عنهم ما سواها
ويرشد اليه ايضا قول السائل وليست لهم تلك العقول فان تلك للاشارة الى البعيد وفيها دلالة على ان
العقل المسلوب عنهم هو الواقع في الدرجات العالية والغرض من السوال هو استعلام حالهم ايعبا بهم ام لا
فاشار عليه السلم بقوله ليس هولاء ممن خاطب الله الى انه لا يعبا بهم لانه اقام السبب موقع المسبب ان الله خلق العقل
وهو نور محض وضوء صرف ما شابه ارجاس الاوهام واخباث الظلام وهذا تعليل للسابق وبيان له
ولذا ترك العاطف فقال له اقبل فاقبل وقال له ادبر فادبر فقال وعزتى ما خلقت شيا احسن منك او
احب الى منك الترديد من الراوى لعدم ضبط اللفظ المسموع بخصوصه بك اخذ اى بسببك اعاقب بالبعد
عن مقام القرب والاحسان وبالحبس في سجون الطبايع والنيران وهذه المرتبة سماها مرتبة المسخ بعض اهل العرفان
او بسببك اقبل الاعمال الموجبة للقرب وبك اعطى اجرا جليلا وثوابا جزيلا ومقاما محمودا فيه انواع الافضال
والاكرام والخارج عن الاحسان والانعام والدنيا مزيل وفي حذف مفعول الفعلين دلالة على التعميم ولا يبعد تنزيلهما منزلة
اللازم وجعلهما كنايتين عنهما حال كونهما متعلقين بمفعول معلوم بقرينة المقام وقد مر شرح هذا الكلام
مستوفى مرارا وملخص القول فيه ان الاخذ والاعطاء بسبب العقل فان زاد زاد وان نقص نقص حتى يبلغ الى
عقول اقوام لا يبالى بهم ولا يثبت عليهم وهم قريب المنزلة بالبهايم والله اعلم على بن محمد عن احمد بن
محمد بن خالد عن ابيه عن بعض اصحابنا عن ابي عبد الله عليه السلم قال بين الايمان والكفر لعل المراد بالايمان
هنا الايمان الكامل وهو الذى يوجب القرب التام اليه سبحانه وجلب رحمته على وجه الكمال وبالكفر الكفر
المحض وهو الذى يوجب غاية البعد عنه تعالى وسلب استحقاق رحمته بالكلية الا قلة العقل يعنى قلة العقل متوسط
بين المومن والكافر ليس مومنا حقيقيا كاملا لما فيه من قصور العقل الموجب لبعده عنه تعالى في الجملة ولا كافرا
حقيقيا محضا لما فيه شيء من نور العقل الموجب لقربه في الجملة قيل وكيف ذاك اى توسط قلة العقل بين الايمان
والكفر يا ابن رسول الله لعل منشاء السوال استبعاد الواسطة نظرا الى ظاهر قوله هو الذى خلقكم فمنكم
كافر ومنكم مومن وذلك الاستبعاد مدفوع اذ لا نم ان في الاية الكريمة دلالة على الحصر لجواز ان يكون
ذكر الواسطة مسكوتا عنه ولو سلم فلعل المراد بالايمان والكفر في الاية اصلهما ولا واسطة بينهما لا
كمالهما وثبوت الواسطة بين كمالهما ظاهر قال ان العبد اراد به العبد العارف بالله في الجملة بقرينة

قوله فلو اخلص نيته لله برفع رغبته اي حاجته ومراده وما يرغب فيه من امور الدنيا اي لمخلوق لكنه
بقصور عقله ان المخلوق يرفع حاجته ويحصل بغيته فيذل له ويخشع فلو اخلص نيته لله ورفع رغبته
وحاجته بالقصد الخالص عن شوايب الشرك وصام اليه سبحانه لاتاه الذي يريد اياه من اتى ياتي بمعنى جاء
او من آتى يؤتى بمعنى اعطاه والموصول على الاول فاعله وعلى الثاني مفعوله في اسرع من ذلك اي من اتيانه عند
ذلك المخلوق او من وقت الرفع الى المخلوق او من ذلك الوقت الذي يتوقع حصول مطلوبه عند المخلوق
وذلك لشمول قدرته على جميع المقدورات واحاطة علمه بجميع الممكنات فيحقق ما اراد بمحض الارادة من
غير حاجة الى استعمال آلة وانتظار روية فهذا العبد ليس مؤمنا حقيقيا لقصور نيته بالله ولا كافرا
محضا لعلمه بالصانع فقد انعم عليه السلم ثبوت الواسطة بمثال جزئي وازال وهم السائل كما هو شان المعلم
الشفيق ومما يدل على ثبوت الواسطة ما روي عن موسى بن جعفر عليهما السلم قال ان عليا باب من ابواب الهدى
فمن دخل باب علي كان مؤمنا ومن خرج منه كان كافرا ومن لم يدخل فيه ولم يخرج منه كان في طبقة الذين
فيهم المشية ويحتمل ان يكون معنى الحديث ان السبب للخروج من الايمان العظمى الى الكفر ليس الا قلة العقل بما
ذكرناه اولا او فتق وانسب عدة من اصحابنا عن سهل بن زياد عن عبيد الله الدهقان عن احمد بن عمران الحلبي
ثقة عن يحيى بن عمران ثقة عن ابي عبد الله عليه السلم قال كان امير المؤمنين عليه السلم يقول بالعقل استخرج
غور الحكمة وبالحكمة استخرج غور العقل غور كل شيء عمقه وبعده وغايته خفاه وهذا الكلام يمكن
ان يكون اشارة الى تفاوت مراتب العقل والعلم في باب معرفة الصانع وازدياد كل واحد منهما بالآخر
اذ للعقل في السير من العالم السفلي الى العالم الذي هو عالم القدس وعالم التوحيد منازل غير محصورة وله في
كل منزل نور معين وكمال معلوم وبصيرة مخصوصة يستعد بها لقبول علم فوق ما يكون له في هذا المنزل
واستخراجه من القوة الى الفعل فاذا استخرجه فقد انتقل من هذا المنزل الى منزل آخر فوقه وهذا العلم يوجب
زيادة نوره وكماله وبصيرته على ما كان له في هذا المنزل السابق ويستخرجه هذا او دلالة نسبتها الى التفكر على كذلك
لاينافيه ويحتمل ان يراد بالبصير البصير بذلك التفكر او البصير بنور العلم او الفهم الذكي وفيه على الاخير تنبيه
على ان التفكر مع وجود شيء من العلم او مع وجود الفهم والذكاء هو النافع في الوصول الى غاية الحكمة ونهايتها
وتحصيل المطالب العالية والمقصود ان التفكر نور الهي وروح رباني لقلب البصير الفهم الذكي به يصير قلبه
حيا عالما عارفا بالمبدأ والحيوة ويستيقظ من نوم النشأة وسهو الغفلات ويتخلص من سكرة الموت باقسام
الجهالة

الجهالة ويهتدي الى وجوه المصالح الدنيوية والاخروية وما يليق به من الكمالات العقلية والنقلية والمطالب العالية
ويطير بجناح اليقين الى منزل التوحيد والمعارف الالهية وينتقل اليها من المبادي الموصلة اليها فيسافر في ظلام
بيداء الطبيعة البشرية اليها سريعا ويمشي في ليالي انقضاء العلايق البدنية اليها حثيثا ونور التفكر بين يديه
ومن خلفه وعن يمينه وشماله يستضيء به حوله مع حزم واحتياط وحسن تخلص ونجاة من الوقوع في الباطل وموضع
يتزلزل فيها قدم تدبر وتفكر ويتوهم قطاع الطريق من الاشرار كما يمشي الماشي في الظلام بالنور يعني ان الذي قلبه
حي بروح التفكر والعلم يمشي في مبادي المطالب التي هي صراط الحق ومنازل العرفان في ضباب الطبيعة وظلمات الابدان
كما يمشي الانسان في ظلمات الليالي بنور المشاعل وضوء المصابيح وهذه استعارة على وجه التمثيل لتوضيح المقصود
بتنزيل المعقول منزلة المحسوس ويتضمن التشبيه للحركات الفكرية في مبادي المطلوب عند الجهل به بمشي الماشي في الظلام
بالنور بحسن التخلص الظرف اما متعلق بيمشي او بالتفكر او بكليهما او حال عن الماشي او عن المتفكر او عنهما اي حال كون
ذلك الماشي والمتفكر متلبسا بحسن التخلص والنجاة من مواضع الخوف وموارد الباطل باستعمال التدبيرات
اللايقة والآراء الصحيحة الرايقة ويحتمل ان يكون الظرف صفة لمفعول مطلق محذوف اي مشيا او تفكرا
مقرونا بحسن التخلص وقلة التربص يعني قلة التوقف في الانتقال من المقدمات الى المطالب كما هو شان الذكي الفهم وفي
سبيل المجاز في حال الجواز لان التوقف والاستبطاء في وسط الصراط مع توهم الخوف بهجوم الاوباش واللئام
وزوال النور بصرصر الرياح واستيلاء الظلام بعيد عن الحزم والاحتياط نعم ما قيل من سلك سبيل الاحتياط
فليس بناكب عن الصراط هذا حال من تفكر واما من لم يتفكر في دقائق المصنوعات وعجائب المخلوقات ولم ينتقل منها
الى مقام التوحيد وصفات الصانع وكماله وكذا لم يتفكر في مبادي المطالب العالية والمقاصد النظرية ولم
يتحرك اليها فهو مثل الحشرات لا يرى ان له وراء بدنه كمالا آخر فكان اعظم محبوباته بقاء جسده بهذه الحيوة
الزايلة واهم مهرباته هو نقصانهما وموتهما فهو حي ظاهرا وميت باطنا وماش في ظلمات شديدة بعضها فوق بعض
حايرا بايرا ابدا بها وهكذا حاله الى ان يموت فاذا مات وقع في ظلمة دايمة وحسرة ثابتة ووحشة باقية
ابدا هذا آخر كتاب العقل والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله وسلم اللهم اجعلنا من الذين تاهت
ارواحهم في مطالعة الملك والملكوت وكشفت لهم بنور العقل والفهم حجب العظمة والجبروت وخاضوا
بغوص التفكر في بحر اليقين وتنزهوا بعلو الهمة في زهر رياض المتقين برحمتك يا ارحم الراحمين باب
فرض العلم في كثير من النسخ كتاب فرض العلم ووجوب طلبه العطف للتفسير والتكرير للتاكيد والحث عليه اخبرنا

محمد بن يعقوب قدس سره توجيهه في صدر كتاب العقل عن علي بن ابرهيم بن هاشم عن الحسين بن ابي الحسن الفارسي
لم اجده في كتاب الرجال وذكر الشيخ في الفهرست في باب الحسين الحسين بن الحسن الفارسي القمي له كتاب ولعل المذكور
هنا سهو من الناسخين عن عبد الرحمن بن زيد من اصحاب الصادق عليه السلم عن ابيه زيد بن اسلم عن ابي عبد الله
عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله طلب العلم فريضة على كل مسلم اى واجبة عليهم والفرض والواجب
سيان عندنا وعند الشافعي والفرض آكد من الواجب عند ابي حنيفه واختلف الناس في العلم الذي هو
فرض على كل مسلم فقال الفقهاء هو علم الفقه المشتمل على كيفيه الصلوة والصوم وساير العبادات والمعاملات
التي بها يتم نظام الخلق في الدين والدنيا وقال المتكلمون هو علم الكلام الباحث عن الله عن صفاته وما ينبغي له
وما يمتنع عليه وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة اذ بهما يتوصل الى العلوم كلها وقال المتصوفه
علم الشهود وعلم السلوك فقال بعضهم هو علم العبد بحاله ومقامه من الله وعند الله وقال بعضهم هو علم الباطن يعني العلم
بالاخلاق وآفات النفوس وتميز لمة الملك من لمة الشيطان فكل حزب خصوه بما هو المعروف عندهم وكل حزب بما لديهم
فرحون والحق ان تعميم الفرض بحيث يشمل العيني والكفائي وتعميم العلم بحيث يشمل اصول الدين وفروعه وتعميم الطلب
بحيث يشمل الطلب بالاستدلال والطلب بالتقليد انسب بالمقام لان التخصيص خلاف الظاهر وتوضيح المقصود
ان كل مسلم مكلف بسلوك صراط الحق فيجب عليه معرفة الحق وصفاته ومعرفة الرسول والصراط اعني
الدين الحق والاحكام العينية والكفائية والاخلاق الموجبة للقرب منه تعالى والرذائل المودية الى البعد عنه
كل ذلك اما بالاستدلال ان كان من اهله او بالتقليد ان لم يكن فقد ظهر مما ذكرنا ان القضية المذكورة كلية
لا يقال التقليد في الاصول لا يجوز لانا نقول ذلك ممنوع والسند يعلم مما مر في الخطبة وقد اكتفى رسول الله
صلى الله عليه وآله والصحابة والتابعون ممن آمن من الاعراب وغيرهم بالتصديق والاقرار ولم يكلفهم بالاستدلال
وانما خص المسلم بالذكر مع ان طلب العلم فرض على كل احد لانه القابل دون غيره ولان غيره لكونه بمنزلة الجمادات
غير قابل للتوجيه الخطاب اليه الا ان الله يحب بغاة العلم البغاة جمع الباغي وهو الطالب من بغاه اذا طلبه والامر مفتتح
به الكلام للتنبيه على الاهتمام بمضمونه وان واسمية الجملة من المؤكدات لمضمونها ففيه مبالغة من وجوه شتى
في محبة الله لطلبة العلم والمحبة على تقدير صحة تفسيرها على الاطلاق بميل النفس الى ما يوافقه يكون المراد بها هنا
ارادة الاحسان والانعام والافضال آنا فآنا او على سبيل الاستمرار او نفس الاحسان والانعام والافضال صفة
ذات وعلى الثاني صفة فعل محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين بن ابي الخطاب على الظاهر او ابن سعيد الصائغ على احتمال

وكلاو

على الاحتمال والاول ثقة جليل القدر من اصحابنا والثاني ضعيف وقيل انه غال عن محمد بن عبد الله ابي جعفر العمري
اخي عيسى بن عبد الله العمري يروي عن اخيه عن الصادق عليه السلم وعن الصادق ع ايضا على ما ذكره الكشي واورده
ابن داود في قسم الممدوحين وقيل ذكر الشيخ عيسى بن عبد الله في اصحاب الصادق عليه السلم ولم يذكر اخاه محمد بن
عبد الله فيهم عن عيسى بن عبد الله العمري بضم العين وفتح الميم هو عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن
ابي طالب عليه السلم عن ابي عبد الله عليه السلم قال طلب العلم فريضة قيل فرض طلب العلم ينقسم الى فرض عين وفرض
كفاية اما الاول فهو يختلف باختلاف الاشخاص فالفقير يجب عليه معرفة اصول العقايد ومعرفة الفروع العينية
مثل الصوم والصلوة والوضوء والغسل وما يفسدها ومعرفة الحلال والحرام والخبيث والطاهر والغني
الذي يجب عليه الحج والزكوة يجب عليه ما يجب على الفقير مع زيادة وهي معرفة احكام الحج والزكوة والتاجر
يجب عليه معرفة ما يصح به العقود وما يفسدها وكذلك كل من عمل عملا يجب عليه تعلمه علم ذلك العمل واما
الثاني فهو معرفة الفروع الكفائية وتحصيل العلم بحيث يصير مجتهدا فانه فرض كفاية لا فرض عين فاذا وجد
مجتهد في بلد او ناحية سقط الفرض عن الباقين وان لم يوجد عصى اهل تلك الناحية حتى يصير واحد منهم
مجتهدا وقال الغزالي العلم ينقسم الى علم معاملة وعلم مكاشفة وليس المراد بهذا العلم يعني الذي وجب تعلمه
الا علم المعاملة والمعاملة التي كلف العبد العمل بها ثلث اعتقاد وفعل وترك فاذا بلغ الرجل في ضحوة النهار
مثلا فاول واجب عليه تعلم كلمتي الشهادتين وفهم معناهما ولو بالتقليد فاذا فعل ذلك فقد ادى ما هو
الواجب عليه في هذا الوقت عينا ولو مات بعد ذلك مات مطيعا ولا يجب عليه تعلم غير ذلك ولو وجب فانما
يجب لعارض يعرض وليس في الضرورة في حق كل شخص بل يتصور الانفكاك عنه وتلك العوارض اما ان يكون في الفعل
واما في الترك واما في الاعتقاد اما الفعل فبان يعيش من ضحوة النهار الى زوال الشمس فيجب عليه عند الزوال تعلم
الطهارة والصلوة ولو علم انه لا يتمكن بعد الزوال من تمام التعلم والعمل في الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم
لم يبعد القول بوجوب تقديم التعلم والعمل في الوقت وهكذا في بقية الصلوات فان عاش الى شهر رمضان تجدد بسبب
دخوله وجوب تعلم الصوم وكيفيته فان تجدد له مال وجب عليه تعلم علم الزكوة لكن لا في الحال بل عند تمام
الحول وكذا الكلام في الحج والجهاد وغيرهما من الواجبات التي هي فرض من الاعيان واما الترك فيجب عليه علم ذلك
بحسب ما يتجدد من الاحوال وذلك يختلف باختلاف الشخص فلا يجب على الاعمى تعلم ما يحرم من النظر ولا على الابكم
تعلم ما يحرم من الكلام ولا على البدوي تعلم ما لا يحل الجلوس فيه من المساكن واما الاعتقاد واعمال القلوب

فيجب تعلمها بحسب الخاطر فان خطر له شك في المعاني التي دلت عليها كلمة الشهادة وجب عليه تعلم ما يتوصل به
الى ازالة الشك فان لم يخطر له ذلك ومات قبل ان يعتقد ان كلام الله قديم او حادث او غير ذلك مما ذكر
في المعتقدات فقد مات على الاسلام اجماعا هذا حاصل كلامه واورد عليه بان تخصيص ذلك العلم الذي
وجب تعلمه بعلم الاعمال والمعاملات دون غيره من العلوم التي لا تتعلق بعمل وكيفية عمل ليس بوجيه لان العلم
بوحدانيته وبراءته من النقايص كلها يجب طلبه والكتاب وكذا العلم بكيفية صفاته وافعاله وملائكته
وكتبه ورسله واحاطته بالاشياء كلها علما وحفظا وكذا العلم باحوال النفس وصفاتها واحوال حدوثها
وخلقها وبعثها الى الله في النشاة الاخرة وسعادتها وشقاوتها مما يجب تعلمه وطلبه على كثير من الناس
ولا يلزم ان يكون العلم الذي وجب تعلمه على كل مسلم علما واحدا بعينه هو الواجب على الاخر علي بن ابرهيم
عن محمد بن عيسى هو محمد بن عيسى بن عبيد بن يقطين وقد اختلف العلماء في جرحه وتعديله وتوثيقه
ومذهبه فضعفه بعضهم وصححه بعضهم وقال انه ليس في اقرانه مثله ونسبه بعضهم الى مذهب الغلاة
ووثقه بعضهم وقال انه جليل في اصحابنا ثقة عين كثير الرواية حسن التصانيف وقال العلامة والاقوى
عندي قبول روايته عن يونس بن عبد الرحمن كان وجها في اصحابنا متقدما عظيم المنزلة روى عن ابي الحسن
موسى والرضا عليهما السلم وكان الرضا عليه السلم يشير اليه في العلم والفتيا وكان ممن بذل له على الوقف مال جزيل فامتنع
من اخذه وثبت على الحق وقد روي ان الرضا عليه السلم ضمن له الجنة ثلث مرات والروايات الدالة على ضعفه
ضعيف السند عن بعض اصحابه قال سئل ابو الحسن عليه السلم يعني الكاظم والرضا عليهما السلم هل يسع الناس ترك
المسئلة اي هل يجوز ذلك ولم يضيق عليهم ومنه قولهم لا يسعك ان تفعل كذا اي لا يجوز لان الجائز موسع
غير مضيق والمسئلة والسؤال مصدران تقول سألته عن الشي سؤالا ومسئلة عما يحتاجون اليه من
امور دينهم اصولا وفروعا او من امور دنياهم ايضا فقال لا اي لا يسعهم ترك المسئلة ولا يجوز لهم
ذلك بل يجب عليهم سؤال العالم عن كل ما يحتاجون اليه فان السؤال مفتاح لابواب الكمالات وشفاء
لاسقام الجهالات وفي الايات والروايات المتكثرة حث على السؤال وترغيب فيه قال الله تعالى فاسئلوا اهل
الذكر ان كنتم لا تعلمون وفي الخبر دواء العي السؤال وينبغي الانصات بعد السؤال ثم الاستماع ثم حفظ
ما سمعه ثم العمل به ان كان متعلقا بالعمل ثم نشره والمسئول عنه اربعة على ما استفدته من كلام اهل العصمة
عليهم السلم الاول ان يعرف ربه والثاني ان يعرف ما صنع به والثالث ان يعرف ما اراد منه والرابع ان يعرف

ما يخرجه

ما يخرجه عن دينه فكل من لم يعرف احد هذه الامور وجب عليه السؤال عنه لقصد التفهم والتعلم دون
التعنت والتكلف ثم المسئول ان راى مصلحة في الجواب على حسب ما يقتضيه الحال وان راى مصلحة في تركه
جاز له تركه لما رواه الوشاء عن الرضا عليه السلم قال على شيعتنا ما ليس علينا امرهم الله ان يسألونا قال فاسئلوا
اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فامرهم ان يسألونا وليس علينا الجواب ان شئنا اجبنا وان شئنا امسكنا
علي بن محمد وغيره عن سهل بن زياد ومحمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى جميعا عن ابن محبوب عن هشام بن
سالم الجواليقي الجعفي ثقة ثقة كذا في الخلاصة وقال ابن طاوس قدس سره ظاهر انه صحيح العقيدة معروف الولاية
غير مدافع اقول سيجي روايات دالة على فساد عقيدته في باب النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه
وسنتكلم فيها ان شاء الله عن ابي حمزة الثمالي ثابت بن دينار ثقة قال النجاشي انه لقي علي بن الحسين وابا جعفر
وابا عبد الله وابا الحسن عليهم السلم وروى عنهم وكان من خيار اصحابنا وثقاتهم ومعتمديهم في الرواية والحديث
عن ابي اسحق السبيعي وهو ابن كليب ذكره الشيخ في كتاب الرجال في اصحاب ابي الحسن علي بن ابي طالب عليهما السلم
روى عنه ابو حمزة الثمالي وقيل هو عمرو بن عبد الله بن علي السبيعي وهذا القول يوافق لما في شرح الكرماني لصحيح البخاري
كما اشار اليه بعض الافاضل وقال في القاموس السبيع كامير السبيع بن السبع ابو بطن من همدان منهم الامام ابو اسحق
عمرو بن عبد الله ومحله بالكوفة منسوبة اليهم ايضا وقال في النهاية الاثيرية السبيع بفتح السين وكسر الباء محلة
من محال الكوفة منسوبة الى القبيلة وهم بنو سبيع من همدان عن جدته قال سمعت امير المؤمنين يقول ايها الناس
اعلموا يجوز ان يكون بمنزلة اللازم بحذف مفعوله نسيا منسيا ففيه ترغيب في تحصيل ماهية العلم وما بعده تعليل له
او استيناف ويجوز ان يكون متعديا ومفعوله قوله ان كمال الدين طلب العلم والعمل به الظاهر ان المراد بهذا العلم العلم
المتعلق بكيفية العمل ويحتمل ان يراد العلم المتعلق بمعرفة الله وما يليق به ومعرفة ما يجب معرفته عقلا وشرعا
وهو الذي يجب التدين به والاعتقاد له والعكوف عليه والمحافظة له ثم العمل بمقتضاه ان كان المقصود منه
العمل فيصير بذلك عالما ربانيا قال الله كونوا ربانيين قال الازهري هم ارباب العلم الذين بما يعلمون وبهما يتحقق كمال
الدين وتمامه اقول وسر ذلك ان بالعلم يعرف واضع الدين وحدوده واحكامه ولواحقه وشرائطه ومداخله
ومخارجه ومصالحه ومفاسده وبالعمل يحققه ويقيمه ويوجده ويضع كل واحد من اجزائه في موضعه ويخرجه
من حيز البطون الى حيز الظهور فلولا العلم بطل العمل بطل العلم وصار بلا فائدة وذلك كما اذا قصدت بناء دار معينة
محدودة بحدود معينة موصوفة بصفات مخصوصة موضوعة على اركان وهيئة معلومة عندك

وطلبت بناءها من زيد فلابد لزيد من ان يعلم مقصودك المشتمل على تفاصيل مذكورة ثم تشتغل بالعمل وبنيها
على نحو ما فصلت لتتم على وجه الكمال كما اردت فلو اشتغل بالبناء من غير ان يعلم مقصودك لكان ما يبنيه
غير موافق لمقصودك غالبا اذ الاتفاق نادر جدا ولو علم مقصودك ولم يشتغل بالعمل لم ينفعه ذلك العلم ولم
يستحق منك الثناء والاجر من هاهنا ظهر ان كمال الدين في تمامه بالعلم والعمل وقال بعض الناظرين لهذا الحديث
المراد بالدين الاعمال البدنية مثل الصوم والصلوة والحج ونحوها والمراد بكماله غايته يعني ان غاية الاعمال
البدنية والتكاليف الشرعية طلب العلم وذلك لان الاعمال البدنية انما تراد للاحوال اعني طهارة القلب وصفاته
عن الاخباث والشهوات والتعلقات وتلك الاحوال انما تراد للعلم ثم هذا العلم قسمان علم متعلق بالعلم بذات الله
وصفاته وافعاله وعلم عملي وهو المتعلق بكيفية اعمال الطاعات وترك المعاصي والسيئات فالقسم الاول انما يراد لنفسه لا لغيره
والقسم الثاني انما يراد للعمل به والعمل يراد للعلم ايضا فالعلم هو الاول والاخر والمبدا والغاية فضرب من العلم وهو
العملي وسيلة وضرب من العلم وهو العقلي غاية وهو لا شرف الاعلى والعمل لا يكون الا وسيلة فقوله عليه السلم والعمل به
اشارة الى ضرب ثمرة من العلوم واوائلها ومباديها اعني العمل فلا خير في طاعة لا يكون وسيلة للعلم وكذا لا خير في
علم يتعلق بها اذا لم يكن وسيلة الى العمل المودي الى العلم الاول ان طلب العلم اوجب عليكم من طلب المال فيه امران
الاول ان طلب المال يعني قدر الكفاف واجب وهو كذلك لان فيه حفظ البدن وقواه وصيانة للعرض وماء
الوجه من ذل السوال وقطعا للطمع عما في ايدي الناس واستعانة بالعبادات والطاعات كما ورد لولا الخبز
ما صلينا ولا صمنا وهذا لا ينافي الروايات الواردة للزهد في الدنيا والحث على تركها لان الزهد في الدنيا
ليس باضاعة المال ولا تحريم الاكتساب للحلال بل الزهد فيها ان لا تكون بما في يدك اوثق منك بما عند الله
عز وجل وقد فسر الزهد فيها سيد الوصيين بقصر الامل وشكر كل نعمة والورع عن كل ما حرم الله عز وجل
وكيف يكون الزهد عبارة عن ترك الحلال وقال الصادق عليه السلم لا خير فيمن لا يحب جمع المال من حلال يكف
به وجهه ويقضي به دينه ويصل به رحمه الثاني ان طلب العلم اوجب واوكد من طلب المال ووجه ذلك
ان العلم حيوة القلب من العمى ونور البصيرة من الظلمة وقوة الابدان من الضعف وغذاء الروح وحيوته
وقوته وكماله ونموه في الدنيا والاخرة والمال سبب حيوة البدن وبقائه في الدنيا والروح اشرف من البدن
وحيوته ادوم وابقى من حيوة البدن لان حيوة البدن حيوة زائلة منقطعة وحيوة الروح باقية ابدا
لا نهاية لبقائه فطلب ما يوجب حيوة الروح وهو العلم اوجب من طلب ما يوجب حيوة البدن وفضل بقدر

الفضل

الفضل بين الروح والبدن ويكفي للحكم بكون طلب العلم اوجب من طلب المال ما روي عن امير المؤمنين عليه السلم
قال يا كميل العلم خير لك من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو ويزداد
على الانفاق وصنيع المال يزول بزواله يا كميل بن زياد معرفة العلم دين يدان به يكسب الانسان الطاعة
في حيوته وجميل الاحدوثة بعد وفاته والعلم حاكم والمال محكوم عليه يا كميل بن زياد هلك خزان الاموال وهم احياء
والعلماء باقون ما بقي الدهر اعيانهم مفقودة وامثالهم في القلوب موجودة ومن طرق العامة عنه صلى الله عليه وآله
قال ان بابا من العلم يتعلمه الرجل خير له من ان لو كان ابو قبيس ذهبا فانفقه في سبيل الله وبين عليه السلم كون طلبه
اوجب بوجه آخر غير هذه الوجوه بقوله ان المال مقسوم مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم على حسب ما تقتضيه
المصلحة وقوله قد قسمه تاكيد للسابق وحال عن فاعل مقسوم وضمنه واكده بالقسم قال الله تعالى نحن قسمنا بينكم
معيشتكم في الحيوة الدنيا وقال وما من دابة الا على الله رزقها وقال وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء
والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون وسيفي لكم ولو كنتم في حجر او في موضع منقطع من الناس ولا تموتون حتى تستكملوا
ارزاقكم قال الصادق عليه السلم لو كان العبد في حجر لاتاه الله برزقه وقيل لامير المؤمنين عليه السلم لو سد على رجل
باب بيته وترك فيه فمن اين كان ياتيه رزقه فقال عليه السلم من حيث ياتيه اجله وهذا يحكم به العقل ضرورة لان
وجود الانسان من غير رزق محال فاذا قدر الله سبحانه وجوده في مدة فلا محالة يجب ان ياتيه رزقه في تلك المدة
طلبه او لم يطلبه الا ان الدار دار تكليف ودار امتحان فقد ينبغي له ويجب عليه ليعلم انه مطيع او عاص الكسب به
من طريق الحلال او من طريق الحرام وقد يكون الطلب لطلب الفضل كما يرشد اليه قول الباقر عليه السلم ليس من نفس الا وقد
فرض الله لها رزقها حلالا ياتيها في عافية وعرض لها بالحرام من وجه آخر فان هي تناولت شيئا من الحرام قاصها
به من الحلال الذي فرض لها وعند الله سواهما فضل كثير وهو قوله عز وجل واسئلوا الله من فضله فامر بطلب
الفضل والرزق منه ولم يضطره الطلب من الخلق مثله ولم يرض له بذلك والعلم مخزون عند اهله وهم
اهل الذكر عليهم السلم من تمسك بذيل عصمتهم واخذ العلم من مشكوة فضلهم وقد امرتم بطلبه من اهله لقوله
فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فالمطلوب من اهله بعد تصفية الظاهر والباطن الى غير ذلك من
آداب التعلم وشروطه المذكورة في كتب الآداب لتحصل المناسبة بينكم وبينهم وتستعدوا بذلك لانعكاس
انوار العلوم من قلوبهم الى قلوبكم والا فكل احد ليس اهلا للعلم والحكمة وقد ورد النهي عن تعليمها لغير اهلها
في كثير من الروايات والغرض من هذا الحديث الترغيب في طلب العلم عند اهله والتنفير عن طلب الدنيا لان ابناء

الزمان كلهم عاملين بالعكس ومحصله ان كوننا مضطرة في قبول رزقه وليس له كثير مدخل في قبول وروده
ولذلك ترى رزقه معدا وهو في بطن امه من غير حيلة له وغير مضطرة في قبول العلوم ولذلك تراه في اول
الفطرة خاليا عن العلوم كلها اذ ليس العلم من شرايط وجوده وحيوته وبقائه في هذه الحيوة الدنيا بل هو محتاج
في طلبه ان طلبه من اهله مع شرايطه وجده وان لم يطلبه فقده ووجب عليه طلبه من اهله والسعي في تحصيله
فوق طلب المال والسؤال والله ولي التوفيق واليه هداية الطريق علي عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد البرقي عن
يعقوب بن زيد هو الكاتب الانباري ويعرف بالقمي ثقة صدوق عن ابي عبد الله مشترك بين الضعفاء ويحتمل
ان يكون هو الذي ذكره الشيخ في باب الكنى من اصحاب الصادق عليه السلام عن رجل من اصحابنا رفعه قال قال
ابو عبد الله عليه السلام قال رسول الله ص طلب العلم فريضة على كل مسلم الا وان الله يحب بغاة العلم قال بعض الاعلام
فيه قوله الا وان الله يحب بغاة العلم يدل على ان العلم الذي طالبوه محبوبون لله ينبغي ان يكون علما شريفا مقصودا
لذاته وهو العلم المتعلق بالمعارف الالهية لا الذي هو مقصود لغيره كالعلم المتعلق بالعمل اذ العلم المتعلق بالعمل
ادون منزلة من العمل والعمل ارجح منه فحسب فذلك العلم اخس منه فلا يكون شريفا واما العلم المطلق المجرد عن
التعلقات فلا شبهة في انه رفيع القدر شريف المنزلة فطالبه حري بان يكون محبوبا للحق جل شانه ومقربا لديه في الملأ
الاعلى انتهى اقول دلالته على كون كون العلم الذي طالبوه محبوبون له شريفا مسلمة واما دلالته على حصر ذلك العلم
بما هو مقصود لذاته وخروج جميع العلوم المتعلقة بالعمل فغير مسلمة بل الحق ان بعض العلوم المتعلقة بالعمل ايضا شريف
من حيث انه يوجب رفع درجات صاحبه في الاخرة وان المراد بهذا العلم علم الشريعة وغيره مما له مدخل في تحصيل
والمراد بعلم الشريعة ما جاء به النبي ص من عند الله وبينه في مدة عمره واودعه عند اهله وهذا العلم ينقسم الى
اقسام فمنها ما يتعلق بالمبدأ الاول تعالى شانه وبصفاته وافعاله ومنها ما يتعلق باحوال المعاد وتفاصيلها ومنها
ما يتعلق بافعال المكلفين وما يتبعها من تقويم الظواهر بالسياسات البدنية ومنها ما يتعلق باحوال القلب وتطهيره
عن الرذايل وتزيينه بالفضايل وكل هذه الاقسام محمود شريف طالبه محبوب لله لكن بينها تفاوت اذ بعضها
واجب عينا وبعضها واجب كفاية وبعضها مستحب وقد بالغ الغزالي في العلم المتعلق باحوال القلب وقال هو
فرض عين في فتوى علماء الاخرة والمعرض عنها هالك بسطوة مالك الملوك في الاخرة كما ان المعرض عن الاعمال الظاهرة
هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا فنظر الفقهاء في فروض العين بالاضافة الى صلاح الدنيا
وهذا بالنظر الى صلاح الاخرة ولو سئل فقيه عن معنى الاخلاص والتوكل او عن وجه الاحتراز عن الريا

مثلا

مثلا التوقف فيه مع انه فرض عينه الذي في اهماله هلاكه في الاخرة ولو سئل عن الظهار واللعان والسبق والرمي لسرد
مجلدات من التفريعات الدقيقة التي ينقضي الدهور ولا يحتاج الى شيء منها ولا يزال يتعب ليلا ونهارا في حفظه
ودرسه ويغفل عما هو مهم نفسه في الدين ويزعم انه مشتغل بعلم الدين وهو ملتبس على نفسه وعلى غيره والفطن يعلم
انه ليس غرضه اداء الحق في فرض الكفاية والاقدام على فرض العين بل غرضه تيسر الوصول به الى تولي الاوقاف والوصايا
وحيازة اموال الايتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم على الاقران والغلبة على الخصوم هيهات قد اندرس علم
الدين بتلبيس علماء السوء والله المستعان واليه اللياذ في ان يعيذنا من هذا الغرور الذي يسخط الرحمن ويضحك الشيطان
اقول لقد افرط في ذم الفقهاء وكانه ابتلي بالفقهاء الموصوفين بالصفات المذكورة او اخبر عن حال من يتفقه الا انه
في عصرنا هذا حيث يجعل ما انقطع من كتب العلماء ذريعة الى التوسل بالسلاطين والتقرب الى السفهاء واخوان الشياطين
وليس هو اول من ذمهم بذلك لان ذم علماء السوء متواتر من طرق اهل العصمة عليهم السلام وليس غرضه ذم الفقهاء
على الاطلاق اذ الفقيه العالم بالدين العامل الزكي الاخلاق الورع الامر بالمعروف الناهي عن المنكر من ورثة النبيين
ومعدود من الصديقين وهو في الاخرة من المقربين واما العلوم الغير الشرعية وهو ما يستفاد من العقل او الوضع
فمنها ممدوح ومنها مباح ومنها مذموم اما الممدوح فمنها ما يرتبط به صلاح الدنيا او يتكمل ولا يضر بالدين
كعلم الطب وعلم الحساب وعلم الرياضي وعلم المنطق وعلم العربية وامثال ذلك وقد يجب بعض هذه العلوم
اذا كان له مدخل في العلوم الشرعية كعلم الحساب المتعلق بقسمة المواريث والوصايا وغيرها وعلم العربية لانه
آلة لعلم الكتاب والسنة لكونهما عربيين وعلم المنطق لكونه آلة لمعرفة صحة الادلة وفسادها ثم الواجب منها
قدر الضرورة والزايد عليه فضيلة واما المباح منها فالذي لا يضر جهله ولا ينفع علمه عند العقلاء كعلم العروض
والقوافي وعلم الاشعار التي لا ذم فيها المدح وعلم التواريخ ونحوها واما المذموم منها فما يكون الغرض الاصل
منه مخالفا للقوانين الشرعية ووقع النهي عنه شرعا مثل علم الموسيقى وعلم السحر والطلسمات وعلم النقد
والنرد والشطرنج والطنبور والاوتار وامثال ذلك علي بن محمد بن عبد الله عن احمد بن محمد بن خالد عن
عثمان بن عيسى واقفي قيل اجمعت العصابة على تصحيح ما يصح عنه عن علي بن ابي حمزة قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام
يقول تفقهوا في الدين المراد بالتفقه فيه طلب العلوم النافعة في الاخرة الجالبة للقلب الى حضرة القدس
دايما بحيث يعد الطالب عن فاسق جملة طلبتها واشتغلا بها وتلك العلوم هي المعدة لسلوك سبيل الحق والوصول
الى الغاية من الكمال كالعلوم الالهية والاحكام النبوية وعلم الاخلاق واحوال المعاد وقد ما تها

فان من لم يتفقه منكم في الدين فهو اعرابي اي كاعرابي في عدم التفقه والجهل بالاحكام وحدودها وفي كونه من الكفر اقرب ومن الايمان ابعد كما قال سبحانه الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر ان لا يعلموا حدود ما انزل الله والاعرابي منسوب الى الاعراب لانه لا واحد له وهم الذين يسكنون البادية ولا يتعلمون الاحكام الشرعية والعرب خلاف العجم وهم الذين يسكنون الامصار فقط والبوادي ايضا فبينهما اما تباين او عموم مطلق ان الله يقول في كتابه ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون فيه دلالة على امور الاول وهو المقصود هنا ان التفقه واجب لانه تعالى اوجب النفر له ولو لم يكن واجبا لم يكن النفر له واجبا الثاني ان وجوبه كفائي بدليل تخصيص النفر بطايفة من كل فرقة ولو كان وجوبه عينيا بالنسبة الى الجميع الثالث ان العمل بخبر الواحد واجب لانه تعالى اوجب الحذر على قوم كل طايفة عند انذارهم والطايفة عدد لا يفيد قولهم العلم لان الطائفة بعض فرقة والفرقة تصدق على ثلثة فالطايفة اما واحد او اثنان لا يقال المراد بالفرقة اكثر من ثلثة بحيث يكون النافر منهم في مرتبة التواتر لانا نقول حمل الفرقة على ذلك تخصيص بلا مخصص وقد بسطنا القول فيه في الاصول الحسين بن محمد عن جعفر بن محمد بن مالك الكوفي عن القسم بن محمد بن الربيع عن مفضل بن عمر قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول عليكم بالتفقه في الدين ولا تكونوا اعرابا اي لا تكونوا كالاعراب جاهلين بالدين غافلين عن احكامه معرضين عن تعلمها فان من لم يتفقه في الدين لم ينظر الله اليه يوم القيمة كناية عن سخطه وغضبه عليه وعدم الاعتداد به وسلب رحمته وفيضه واحسانه واكرامه عنه وحرمانه عن مقام القرب والاختصاص فان عدم نظرنا الى احد مستلزم لهذه الامور وامثال هذه الافعال اذا نسبت الى من لا يجوز فيه ارادة الحقيقة يراد بها اللوازم والغايات فليس المراد بعدم النظر عدم الروية لانه يراه كما يرى غيره ولا يخفى عليه شيء ولا عدم تقليب الحدقة الى جانب المرئي طلبا لرويته لان هذا السلب ثابت له بالنسبة الى الجميع باعتبار ان التقليب المذكور من صفات الاجسام والله سبحانه منزه عنها والوجه في عدم نظره اليه ان استحقاق العبد للكرامة يوم القيمة ليس باعتبار انه خلق الله ولا باعتبار جسمه وحسن صورته وكثرة امواله واولاده وعشيرته بل انما هو لصفاء قلبه واحاطته بالمعارف الالهية واتصافه بالصور العلمية واذعانه بالشرايع النبوية وانقياده للاحكام الشرعية فكل من كان فيه هذه الامور اقوى كان استحقاقه للكرامة والرحمة والنظر اليه اجدر واحرى ومن لم يكن فيه

شيء منها كان ابدا مغبونا بالحرمان موصوفا بالخذلان ويرشد اليه ايضا ما روي من طريق العامة عنه صلى الله عليه وآله قال ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم ولكن الى قلوبكم ونياتكم واعمالكم ولم يزك له عملا اي لم يقبل له عملا لان قبول العمل لازم لتزكيته عن شوايب النقصان وانتفاء اللازم مستلزم لانتفاء الملزوم ولم يوفق له في تزكيته لعدم استعداده لذلك كيف وتزكية العمل متوقفة على العلم بكماله ونقصانه وشرايطه الى غير ذلك من الامور المعتبرة فيه والمفسدة له والمفروض انه جاهل لجميع ذلك محمد بن اسمعيل هذه الاسم مشترك بين ثلثة عشر رجلا ثلثة منهم ثقات معتمدين وهم محمد بن اسمعيل بن بزيع ومحمد بن اسمعيل بن ميمون الزعفراني ومحمد بن اسمعيل بن احمد البرمكي والعشرة الباقية لم يوثق علماء الرجال احدا منهم ولما اتفق علماونا على تصحيح ما يرويه المصنف عن محمد بن اسمعيل وكان الظاهر ان روايته عنه بلا واسطة ولا احد فظهر ان ليس المراد احد هولاء العشرة على انهم عد واسنة منهم من اصحاب الصادق عليه السلام وبقاوهم الى زمان المصنف بعيد جدا فتعين ان يكون احدا من الثلثة المذكورة ولا فقيل المراد به هو ابن بزيع وهو ليس بصحيح من وجوه الاول ان ابن بزيع ادرك عصر الكاظم عليه السلام وروى عنه وكان من اصحاب الرضا والجواد عليهما السلام فبقاوه الى عهد المصنف بعيد جدا الثاني ان قول علماء الرجال انه ادرك ابا جعفر الجواد عليه السلام يعطي انه لم يدرك احدا من الائمة بعده فان مثل هذه العبارة انما يذكرونها في آخر امام ادركه كما لا يخفى على من له انس بكلامهم الثالث انه لو بقي الى زمن المصنف كان قد عاصر ستة من الائمة عليهم السلام وهذه مزية عظيمة لم يظفر بها احد غيره فكان ينبغي لعلماء الرجال ذكرها وعدها من مزاياه وحيث لم ... علم انه غير واقع الرابع انه من اصحاب ثلثة من الائمة عليهم السلام وقد سمع منهم احاديث متكثرة بالمشافهة فلو لقيه المصنف لنقل عنه شيئا منها بلا واسطة بينه وبين الائمة لان قلة الوسايط شيء مطلوب وشدة اهتمام المحدثين بعلو السند امر معلوم وحيث لم ينقل كذلك علم انه غيره واذا ظهر ضعف هذا القول بقي الاحتمال دايرا بين الزعفراني والبرمكي لكن الزعفراني ممن لقي الصادق عليه السلام كما نص عليه النجاشي فيبعد بقاوه الى عهد المصنف فيبقى الظن في جانب البرمكي ويتاكد بان الصدوق يروي عن الكليني بواسطة وعن البرمكي بواسطتين وبان الكشي وهو كان معاصر المصنف يروي عن البرمكي بواسطة وبين وفاتهما وبان محمد بن جعفر الاسدي المعروف بابي عبد الله الذي كان معاصر البرمكي توفي قبل وفاة المصنف بقريب من ستة عشر سنة فيقرب زمان المصنف من زمان البرمكي جدا هذا ملخص ما ذكره افضل المتاخرين الشيخ

بهاء الملة والدين في مشرق الشمسين وقد بسط الكلام فيه بسطا عظيما من اراد الاطلاع عليه فليرجع اليه وقال
ابن الشهيد الثاني ويظهر من الكشي ان للفضل بن شاذان صاحبا اسمه محمد بن اسمعيل البندقي ولا يبعد
ان يكون هو وقال سيد الداماد هو ابو الحسين النيشابوري محمد بن اسمعيل بن علي بن بختويه الذي ذكره
الشيخ في باب لم من كتاب الرجال وقد علمنا من الطبقات انه يروي عن الفضل بن شاذان عن الفضل بن شاذان
ثقة جليل فقيه متكلم عظيم الشان في هذه الطائفة وقيل انه صنف مائة وثمانين كتابا وترحم عليه
ابو محمد عليه السلم مرتين عن ابن ابي عمير قال العلامة هو جليل القدر عظيم المنزلة فينا وعند المخالفين
وقال الكشي ممن اجمعت العصابة على تصحيح ما يصح عنه واقروا له بالفقه والعلم وقال الشيخ الطوسي
هو اوثق الناس عند العامة والخاصة وانسكهم واورعهم واعبدهم ادرك من الائمة ثلثة ابا ابرهيم
موسى بن جعفر ولم يرو عنه وروى عن ابي الحسن الرضا وابي جعفر الثاني عليهم السلم عن جميل بن دراج
وجه هذه الطائفة ثقة روى عن ابي عبد الله وابي الحسن عليهم السلم عن ابان بن تغلب ثقة جليل القدر
عظيم المنزلة في اصحابنا لقي ابا محمد علي بن الحسين وابا جعفر وابا عبد الله عليهم السلم وروى عنهم عن ابي
عبد الله عليه السلم قال لوددت ان اصحابي ضربت بضم التاء على صيغة المتكلم او بسكونها وضم الضاد
على البناء للمفعول رؤسهم بالسياط حتى يتفقهوا السياط بكسر السين جمع السوط وهو الذي يجلد به
واصل سواط بالواو فقلبت ياء لكسرة ما قبلها ويجمع على الاصل على اسواط واما جمعه على اسياط
فشاذ وفي ذكر الراس دون ساير الاعضاء مع انه اشرفها ولذلك ورد النهي عن ضربه في الحدود
لما فيه من الوجه واكثر القوى مبالغة في تاديبهم بترك التفقه وفيه دلالة على انه لا بد للحاكم
من ان يحمل الرعية على المعروف فان تركوه وان احتاج الى الضرب في غيره من انحاء التاديب والتعذيب
علي بن محمد عن سهل بن زياد عن محمد بن عيسى عمن رواه عن ابي عبد الله عليه السلم قال له رجل جعلت فداك
رجل عرف هذا الامر اي امر الامامة واعتقد به اعتقادا صحيحا والجملة صفة لرجل عند من يجوز
الابتدا بالنكرة المحضة او خبر عند من جوزه وقوله لزم بيته اما خبر او خبر بعد خبر ولم يتعرف
الى احد من اخوانه اي لم يصر معروفا عنده لعدم تردده اليه حتى يعرفه من قولهم ابت فلانا واستعرف
اليه حتى يعرفه او لم يتطلب ما عند احد حتى يعرفه من قولهم تعرفت ما عند فلان اي تطلبت حتى عرفت
قال فقال كيف يتفقه هذا في دينه فيه ان التفقه مطلوب من كل احد وانه لا يمكن الا بالتعلم لان العلم

بالدين

بالدين متوقف على السماع من صاحبه وواصفه بواسطة او بغيرها والتعلم لا يمكن الا بالتردد الى من هو
من اهل العلم وطول ملازمته وتكرر مصاحبته والسوال عنه فمن لزم بيته وترك التردد اورد نفسه
مورد الهلاك كمريض لم يعرض مرضه على طبيب حاذق بل ذلك اشد لان طبيعة المريض قد تعالج المرض وتدفعه
بخلاف طبيعة الجاهل فان اثارها وافعالها تعاضد الجهل وتزيده لا يقال هذا ينافي ما روي عن امير المؤمنين
عليه السلم قال يا ايها الناس طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس فطوبى لمن لزم بيته واكل قوته واشتغل
بطاعة ربه وبكى على خطيئته لانا نقول المراد به المنع من الدخول في مجالس يذكر فيها عيوب الناس كما يشعر به
صدر الحديث او المنع من التوغل في طلب الدنيا وزهراتها كما يشعر به قوله واكل قوته يعني قوته المقدر له
او نقول هذا الحكم يعني المدح بلزوم البيت مختص بالعالم المستغني عن التعلم كما يشعر به قوله واشتغل بطاعة
ربه لان الاشتغال بالطاعة فرع العلم بها وبشرايطها واحكامها او نقول المراد به الحث على الفرار
من شرار الناس وفساقهم كما يشعر به قوله صلى الله عليه وآله حين سئل عن افضل الناس قال رجل في شعب من
الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره وبالجملة كل من الصحبة والمخالطة والاعتزال والمفارقة مطلوب
في الجملة والروايات فيهما متكاثرة ولعل السر في ذلك اختلاف الحكم والمصالح بحسب الازمان ولا تختص
بل بحسب اختلاف حال شخص واحد بحسب الاوقات فرب زمان يحسن فيه الالفة وفي زمان آخر يحسن فيه
الفرقة ولذلك كان الانبياء والاوصياء مع كونهم مامورين بارشاد الناس ربما كانوا يفارقونهم ويعتزلونهم
لمصلحة وان شئت زيادة توضيح فارجع الى ما ذكرنا في شرح بعض الاحاديث السابقة فانا قد بسطنا
الكلام هنا بما لا مزيد عليه

باب صفة العلم وفضله وفضل العلماء

محمد بن الحسن وعلي بن
محمد عن سهل بن زياد عن محمد بن عيسى عن عبيد الله عبد الله الدهقان قيل الدهقان اسم اعجمي مركب
من ده وقان ومعناه سلطان القرية لان ده اسم القرية وقان اسم السلطان عن درست الواسطي
عن ابرهيم بن عبد الحميد عن ابي الحسن موسى عليه السلم قال دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المسجد
فاذا جماعة قد اطافوا برجل فقال ما هذا كلمة ما للاستفهام وطلب التصور وهي على قسمين الاول
ان يكون المطلوب بها شرح الاسم وهي يجاب بلفظ دال على المطلوب اظهر واشهر سواء كان مفردا
او مركبا الثاني ان يكون المطلوب بها طلب ماهية الشيء وحقيقته سواء كان ذلك الشيء ذاتا مثل
ما الانسان او وصفا مثل العلم او مركبا منهما مثل الانسان العالم والظاهر ان المراد هنا هو القسم الثاني

المحقق في الاحتمال الاخير ان المقصود هو السوال عن حقيقة ذلك المتصف بالوصف الباعث لاجتماع الخلق عليه يعني
حقيقة هذا المجموع فقيل علامة اى هو رجل موصوف بكثرة العلم والتا للمبالغة في وصف العلم بنا على ان
كثرة الشيء فرع تحقق اصله كما ان التانيث فرع التذكير ويحتمل ان يكون لفظ هذا اشارة الى الاجتماع ويكون
ما سوالا عن سببه بمعنى لم اى ما سبب هذا الاجتماع فاجيب بان سببه كثرة علمه ولكنه بعيد فقال
ما العلامة يحتمل ان يكون ما هنا لطلب شرح الاسم لان مفهوم العلامة له افراد كثيرة باعتبار تعدد فنون
العلم فلم يعلم ان مراده من العلامة اى فرد منها فاحتيج الى السوال ليعلم مراده منها فقالوا التفسير المقصود من بين تلك
الافراد وتعيينه اعلم الناس بانساب العرب ووقايعها وايام الجاهلية اى ايام الوقايع الجاهلية وايام
ازمنتها ونحو ذلك ولو كانت ايام معرفة باللام لما احتيج الى هذا التقدير والاشعار العربية وفي بعض
النسخ والاشعار العربية على الوصف بدون الواو ويحتمل احتمالا ظاهرا ان يكون ما هنا لطلب الحقيقة
ويكون المقصود من السوال الاستكشاف عن حقيقة كون ذلك الرجل علامة والجواب ح ظاهر لانطباق
لا يقال المناسب حينئذ السوال عن سبب كونه علامة لا عن حقيقة كونه علامة فالمناسب ايراد كلمة لم بدل
ما بان يقال لم هو علامة لانا نقول لا نسلم ان المناسب ذلك لانهم لما وصفوه بانه علامة فقد ذكروا
ان السبب هو العلم الموصوف بالكثرة والزيادة والمناسب ح السوال عن حقيقة العلامة ليعلم هل علموا
حقيقته في اطلاقه على ذلك الرجل ام لا ولو سلم فلا ريب ان السوال عن حقيقته ايضا مناسب فالحصر غير
معقول والحق ان السوال هيهنا عن كل واحد منهما صحيح وان الجواب الصحيح عن كل واحد من السوالين يستلزم الجواب
عن الاخر مثلا اذا قيل فلان ضارب صح ان يقال لم هو ضارب كما صح ان يقال ما الضارب فان اجيب عن الاول
بقيام الضرب به علم منه حقيقة الضارب ايضا بانه الذي يقوم به الضرب وان اجيب عن الثاني بانه الذي
يقوم به الضرب علم سبب اطلاق الضارب عليه وهو اتصافه بالضرب وان اجيب عنهما بغير ذلك لم يصح
وجب تنبيه المجيب على خطائه كما فيما نحن فيه فانهم اخطاوا واجابوا عن السوال المذكور بانه اعلم الناس
بالامور المذكورة زعما منهم ان للامور المذكورة مدخلا في كونه علامة ولذلك نبههم على الخطاء
فقال صلى الله عليه وآله ذاك علم لا يضر جهله ولا ينفع علمه في الاخرة وانما ذاك نوع فضيلة يصطاد
به الحطام ويكتسب به صرف قلوب العوام وما هذا شانه لا يعتد به ولا يعد صاحبه علامة ثم قال
النبي ص ارشادا لهم الى العلم الذي يضر جهله يوم المعاد وينفع يوم يقوم فيه الاشهاد ويصح ان يقال

لصاحبه علامة لوجود حقيقة هذا الاسم وسبب اطلاقه فيه انما العلم الذي يستحق اطلاق
اسم العلم عليه وينفع في الدين والدنيا ثلثة اية محكمة اى غير منسوخة لاحكام معناها وعدم
ازالة حكمها او غير متشابهة لاحكام بيانها بنفسها وعدم افتقارها في معرفة ما فيها من الحقايق
والمعارف والاحكام الى غيرها وعدم احتياجها الى التاويل وغير مختلف فيها يقال هذا الشيء محكم
اذا لم يكن فيه اختلاف او فريضة عادلة اى العلم بالواجبات المتوسطة بين الافراط والتفريط
وقيل المراد بها العلم بالواجبات العادلة اى الباقية الغير المنسوخة وقيل المراد بها العلم بما اتفق عليه
المسلمون وقال في النهاية اراد بالعادلة العدل في القسمة اى فريضة معدلة على السهام المذكورة
في الكتاب والسنة من غير جور ثم قال ويحتمل انها مستنبطة من الكتاب والسنة فتكون هذه الفريضة
تعدل بما اخذ عنهما او سنة قايمة المراد بالسنة الطريقة النبوية وبالقايمة الدايمة المستمرة
التي العمل بها متصل لا يترك من قام فلان على الشيء اذا ثبت عليه وتمسك به والمراد بها العلم بما يكون
ثبوته من السنة النبوية التي لا يطرء عليها النسخ سواء كان فريضة او لا وخص بغير الفريضة
بقرينة المقابلة والاول اشارة الى العلم بالمحكمات القرانية المتعلقة باصول الدين وفروعه
وبالمواعظ والنصايح والعبرة باحوال الماضين وانما خص الحكم بالذكر لان المنسوخ ليس للعلم
بمضمونه كثير نفع والمختلف فيه لا يعلم الحق منه قطعا الا المعصوم وكذا المتشابه لقوله تعالى وما
يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم والثاني اشارة الى العلم بكيفية العمل وجميع الامور المعتبرة
فيه شرعا من غير افراط وتفريط والثالث الى العلم بالاحاديث التي بعضها في التوحيد وما يليق به
وبعضها في المعاد وما يناسبه وبعضها في الاخلاق وما يتعلق بها وبعضها في الاحكام وما يعتبر فيها
وبعضها في عادات الرسول والايمة صلى الله عليه وعليهم اجمعين ويحتمل ان يكون الثاني اشارة
الى العلم بواجبات الاعمال البدنية والقلبية التي تشمل الاخلاق والمعارف الاصولية وان
يكون الثالث اشارة الى العلم بمستحباتها ووجه حصر العلم في الثلثة ظاهر لان العلوم النافعة
اما متعلقة باصول العقايد او بفروعها والثانية اما متعلقة باعمال الجوارح او بافعال القلب
من محاسن الاخلاق ومقابحها والاعتبار والاتعاظ وجميع ذلك مندرج في الثلثة المذكورة
وما خلاهن فضل اى زيادة لا خير فيه في الاخرة سواء كان مذموما في نفسه كعلم

الرياضي والهندسة ونحوهما ومذموما كعلم السحر والشعبذة ونحوهما وعلم بعض مسايل الحساب والعربية
والمنطق في هذا العصر داخل في الثلثة المذكورة بالعرض على سبيل المبدائية فلا ينافي ما ذكرنا وانما
وانما قال وما خلاهن فضل ولم يقل حرام لوجوه الاول ان الحكم بالحرمة ليس كليا الثاني ان الحاكم ان يمنع
الناس عن الاشتغال بما لا ينفعهم كثيرا برفق وقول لين الثالث الاشارة الى ان العلم من حيث انه علم ليس
بحرام وان تعلقت به الحرمة والذم فانما هو باعتبار العمل والاثار المقصودة منه كعلم السحر والاعدا
والموسيقى والنجوم وامثالها اما الثلثة الاول فاعظم منافعها هو الاضرار بالغير والتفريق بين
الاحبة والغنا واما علم النجوم فالزجر عنه مع قوله تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل
والنهار لايات لاولى الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق
السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار وقوله تعالى والشمس والقمر بحسبان
وقوله تعالى والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم وقوله تعالى والنجوم مسخرات بامره فلوجوه ذكرو
الاول ان العلم بالنجوم واحكامها وعددها على ما هي عليه في نفس الامر لا يحصل الا للانبياء والاوصياء
عليهم السلم واما غيرهم فلا يحصل لهم الا الظن والتخمين فيكون الحكم بها حكما بظن بل بجهل فيكون ذمه
من جهة انه جهل لا من جهة انه علم ويدل عليه بعض الاحاديث المروي في هذا الكتاب كحديث القلنسوة
في كيفية دور الفلك وحديث المنجم مع امير المؤمنين عليه السلم وحديث الزهرة الثاني ان الخايض
فيه ربما يقع في نفسه ان الكواكب والاوضاع الفلكية هي المؤثرات والالهة المدبرات حقيقة
فيلتفت اليها ويغفل قلبه عن باريها وصانعها الثالث ان فيه غموض ودقة والخوض في علم اكثره
الخايض مذموم كما ورد النهي عن تعليم العلم لغير اهله وعن الخوض في مسئلة القدر وبالجملة كل علم ورد
النهي عنه فانما هو لقلة نفعه او لقبح اثاره او لعدم ادراكه محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن
عيسى عن محمد بن خالد عن ابي البختري بالخاء المعجمة اسمه وهب بن وهب قال العلامة انه
كان قاضيا كذابا عاميا ونقل الكشي عن الفضل بن شاذان انه من اكذب البرية وقال الشيخ انه
انه ضعيف عامي المذهب اقول الحديث معتبر وان كان الراوي كذوبا قد يصدق عن ابي
عبد الله عليه السلم قال ان العلماء ورثة الانبياء الوارث من يرث رجلا بعد موته وقال ابن
الاثير في اسماء الله تعالى الوارث هو الذي يرث الخلايق بعد فنائهم ومنه الحديث اللهم متعني بسمعي وبصري

واجعلهما

واجعلهما الوارث مني اي ابقهما صحيحين سليمين الى ان اموت وقيل اراد بقاءهما وقوتهما عند الكبر
وانحلال القوى النفسانية فيكون السمع والبصر وارثي ساير القوى والباقيين بعدها وقيل
اراد بالسمع وعي ما يسمع والعمل به وبالبصر الاعتبار بما يرى وفيه فضل عظيم وشرف جسيم للعلماء وترغيب
بليغ في تحصيل العلم وذلك ان الانبيا لم يورثوا درهما ولا دينارا هذا ينافي ظاهر ما دل من الايات
والروايات على ايراثهم والجواب ان المراد ان الانبيا لم يكن من شانهم وعاداتهم جمع الاموال والاولاد
والايراث كما هو شان ابناء الدنيا وهذا لا ينافي ايراثهم ما كان في ايديهم من الضروريات كالمساكن
والمركوب والملبوس ونحوها او المراد ان الانبياء من حيث انهم انبياء لم يورثوا ذلك يعني ان ايراث
النبوة ومقتضاها ليس ذلك وانما اورثوا احاديث الحديث في اللغة الخبر ياتي على القليل والكثير
ويجمع على احاديث على غير قياس وفي العرف قيل هو ما يحكي قول النبي او فعله او تقريره وفيه انه لا
يصدق على المسموع منه ومن العترة الطاهرة وعلى ما يحكي قول العترة او فعلهم او تقريرهم وقيل
هو ما يحكي قول المعصوم او فعله او تقريره وفيه انه لا يصدق على المسموع منه غير محكي عن مثله والقول
بانه ليس بحديث باطل قطعا وقيل هو قول المعصوم او فعله او تقريره او حكاية هذه الامور واما ما
لا ينتهي الى المعصوم وان انتهى الى الصحابة او من راى صحابيا فليس بحديث من احاديثهم من متعلق باورثوا
وصلة له مثل قولهم فلان اعطى كذا او للتبعيض على انه صفة للاحاديث او حال عنها والتبعيض محقق
في اكثر الائمة والافراد ثم ان اوصياءهم عليهم السلم جميعها فمن اخذ بشيء منها اخذ دراية وفهم لا بمجرد
اخذ رواية ونقل لان هذا ليس من باب وراثة العلم وان كان له فضل ايضا الا انه دون فضل
الاول لان اصحابه من خدمة العلماء فقد اخذ حظا وافرا الفضله وشرفه وكونه من تركة الانبياء
حتى يعد قليل منه خير من الدنيا وما فيها ومن يؤتى الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وقد نقل شيخ
العارفين بهاء الملة والدين عن بعض اصحاب الكمال في تحقيق معنى الآل كلاما يناسب ذكره
في هذا المقام وهو ان آل النبي كل من يؤل اليه وهم قسمان الاول من يؤل اليه اولا صوريا
جسمانيا كاولاده ومن يحذو حذوهم من اقاربه الصوريين الذين يحرم عليهم الصدقة
والثاني من يؤل اليه اولا معنويا روحانيا وهم اولاده الروحانيون من العلماء الراسخين
والاولياء الكاملين والحكماء المتالهين المقتبسين من مشكوة انواره سواء سبقوه بالزمان

او لمقوة ولا شك ان النسبة الثانية اكد من الاولى واذا اجتمعت النسبتان كان نوراً
على نور كما في الائمة المشهورين من العترة الطاهرة صلوات الله عليهم اجمعين وكما حرم على
الاولاد الصوريين الصدقة الصورية كذلك حرم على الاولاد المعنوية اعني تقليد الغير في
العلوم والمعارف ثم قال هذا الملخص كلامه وهو مما يستوجب ان يكتب بالتبر على الاحداق
لا بالحبر على الاوراق اقول وانما كانت النسبة الثانية اكد من الاولى لان التفاوت بين
النسبتين مثل التفاوت بين الروح والبدن ولذلك اتفق الحكماء على ان حق المعلم الروحاني
على المتعلم اولى واعظم من حق ابيه الجسماني عليه فانظروا علمكم هذا اي الذي هو ميراث الانبياء
عمن تاخذونه قيل المقصود انكم تاخذونه من النبي فينبغي لكم ان تهتموا بامره ولا تتساهلوا في
طلبه لانه مما آثره خير الناس من مواريثه التي تركها لكم والحق ان المقصود منه هو التنبيه
على انه ينبغي لكم ان تعرفوا احوال الناس حتى تجدوا اهل هذا العلم لتاخذوه لان مدعي
العلم بعد النبي كثير والجميع ليسوا قايلين بالصواب ولا اخذين له من مشكوة النبي بل
اكثرهم يدعونه بمجرد الاهواء طالبين للتقدم والرياسة تابعين للشيطان والنفس الامارة
بالسوء انما القايلون بالحق الاخذون له من منبع الرسالة هم اهل البيت الذين عصمهم الله
من الخطاء والخطل وطهرهم من الارجاس والزلل واختارهم لارشاد الخلايق الى الطريقة الغرا
وهدايتهم الى الشريعة البيضاء في كل عصر واحد بعد واحد لئلا يكون للناس عليه حجة في ترك
اخذه عنهم الى قيام الساعة وقد نبه على هذا بقوله فان فينا اهل البيت فينا خبر ان
قدم على اسمه وهو عدول للحصر او للتشويق الى ذكره او لكونه ظرفا واهل البيت منصوب
على المدح بتقدير اعني ومجرور بتقدير في بقرينة المقام وان كان تقديرها شاذا او على انه بدل
لفينا او مجرور على انه بدل عن ضمير المتكلم ان جوز في كل خلف الخلف بالتحريك والسكون كل من يجيء بعد
من مضى الا انه بالتحريك في الخير وبالتسكين في الشر يقال خلف صدق وخلف سوء والمراد في هذا
الحديث المفتوح والمعنى في كل قرن وفي كل من جاء من الامة بعده صلى الله عليه وآله ويحتمل بعيدا
في كل ما يخلف عنه صلى الله عليه وآله في كل من الاحاديث والعلوم عدول اي امة وسطا لهم
استقامة وثبات في منهج الحق وطريق الصدق من غير تحريف وجور وتقصير ينفون عنه تحريف

الغالين

الغالين اي المجاوزين فيه عن الحدود والتحريف تغيير الكلام عن موضعه وانتحال المبطلين لاصول الدين
وفروعه يقال فلان انتحل مذهب كذا اذا انتسب اليه وانتحل قول غيره اذا ادعاه لنفسه فالانتحال
اما بمعنى الانتساب او بمعنى سرقة الشيء واخراجه عن موضعه والعدول من اهل البيت يحفظون بيت
الشريعة ويمنعون المبطلين لاساسها المنتسبين اليها على الوجه الباطل من الدخول فيها والتصرف فيها
ويدفعون السارقين القاصدين لسرقة ما فيها من السرقة وتغيير الشيء عن اصله واخراجه عن وضعه
وتاويل الجاهلين بعلوم الكتاب والسنة على وفق ارائهم الفاسدة وظنونهم الباطلة من
غير ان يكون لهم في ذلك نص صريح او خبر صحيح وهؤلاء العدول هم الائمة الراسخون في العلم
الذين يعلمون معالم التنزيل ووجوه التاويل باعلام نبوي والهام الهي ويشاهدون الحقايق
بعين اليقين لصفاء طينتهم وضياء سريرتهم وخلوص عقيدتهم وكمال بصيرتهم اولئك اهل الذكر
واولئك اولو الالباب وفيه دلالة على ان ميراث العلم انتقل اليهم ولاثم بوساطتهم الامن شاء الله
هدايته وعلى ان عصرا من الاعصار لا يخلو عن معصوم وعلى حجية الاجماع ومثل هذا روي من طريق
العامة عن النبي ص قال يحمل هذا العلم من كل خلف عدول ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال
المبطلين وتاويل الجاهلين الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن الحسن علي الوشاء عن حماد بن عثمان
عن ابي عبد الله ع قال اذا اراد الله بعبد خيرا فقهه في الدين قال شيخ العارفين بهاء الملة
والدين ليس المراد بالفقه الفهم ولا العلم بالاحكام الشرعية العملية عن ادلتها التفصيلية
فانه معنى مستحدث بل المراد به البصيرة في امر الدين والفقه اكثر ما ياتي في الحديث بهذا
المعنى والفقيه هو صاحب هذه البصيرة واليها اشار النبي ص بقوله لا يفقه العبد كل الفقه
حتى يمقت الناس في ذات الله ويرى للقرآن وجوها كثيرة ثم يقبل على نفسه فيكون لها اشد مقتا
ثم هذه البصيرة اما موهبية وهي التي دعا بها النبي ص لامير المؤمنين ع حين ارسله الى اليمن بقوله
اللهم فقهه في الدين او كسبية وهي التي اشار اليها امير المؤمنين عليه السلام حيث قال لولده الحسن ع
وتفقه يا بني في الدين وفي كلام بعض الاعلام ان اسم الفقه في العصر الاول انما كان يطلق
على علم الاخرة ومعرفة دقايق افات النفوس ومفسدات الاعمال وقوة الاحاطة بحقارة
الدنيا وشدة التطلع الى نعيم الاخرة واستيلاء الخوف على القلب ويدل عليه قوله ع

فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون
فقد جعل العلة الغائية من الانذار والتخويف ومعلوم ان ذلك لا يترتب الا على هذه المعارف
لا على معرفة فروع الطلاق والمساقاة والسلم وامثال ذلك محمد بن اسمعيل عن الفضل بن شاذان عن
حماد بن عيسى الجهني البصري ثقة روى عن ابي عبد الله وابي الحسن الرضا عليهم السلم ومات في حيوة
ابي جعفر الثاني عليه السلم عن ربعي بن عبد الله بصري ثقة عن رجل عن ابي جعفر عليه السلم قال الكمال
كل الكمال اى الكمال الكامل البالغ نهاية الكمال التفقه في الدين اى العلم بما نطق به لسان الشرع ودلا عقلا
بما يقصد منه الاعتقاد والعمل بما يقصد منه العمل مع الاتصاف بالخوف والخشية كما قال سبحانه
انما يخشى الله من عباده العلماء حيث جعل العلم موجبا لها لتعلق الحكم على الوصف فلو خلا العلم منهما
كان الجهل خيرا منه والصبر على النائبة اى حبس النفس وترك الجزع والشكاية منها وهي ما ينوب الانسان
اى ينزل به من المهمات والحوادث والمصيبات وقد نابه ينوبه نوبا وانتابه اذا قصده مرة بعد مرة
والصبر عليها من خصال الانبياء والاوصياء ثم الامثل فالامثل ومن صبر على النوايب يرى منه العجائب
ويشاهد منه الغرايب ومن عود نفسه على المكاره والبلاء هانت له المصايب وعظم له
الجزاء ومن جملة ذلك الصبر على تحمل الطاعات وترك المنهيات وهذا افضل من الصبر على المصيبات
وتقدير المعيشة في المغرب معيشة الانسان ما يعيش به من مكسبه ومنها المعايش فعال منها والمراد
بتقديرها وزنها وتحصيلها على قدر الكفاف من غير زيادة ونقصان واسراف وتقتير اذ الاسراف
والتقتير مذمومان عقلا وشرعا والنقصان يوجب فوات القدر المحتاج اليه في البقا والعبادة
وطلب الزيادة يوجب تضييع العمر فيما لا يحتاج اليه ولا تظن ان قوله عليه السلم كل الكمال من باب
المبالغة بل هو من باب الحقيقة لان كل كمال فرع عليها ذكر ضرورة ما دخل فيه او تابع له او مقدم عليه
ومبدا له فاذا اتصف الانسان بهذا الكمال صار حقيقا بان يطير باجنحته مع الملائكة المقربين
ويسير في عالم القدس مع الروحانيين فيا عجبا من الخصال الكاملة في هذا العصر في قول الزور والميل
الى دار الغرور محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن سنان عن اسمعيل بن جابر الجعفي الكوفي قال العلامة هو
ثقة ممدوح وحديثه اعتمد عليه عن ابي عبد الله عليه السلم قال العلماء امناء الامين هو المعتمد عليه
الموثوق به فيما فوض امره اليه والعلماء امناء الله في بلاده وعباده وكتابه ودينه وحلاله وحرامه

وناسخه

وناسخه ومنسوخه ورخصه وعزائمه وعامه وخاصه ومحكمه ومتشابهه ومجمله ومفصله
ومطلقه ومقيده وعبره وامثاله لكونهم حملة لكتابه وخزنة لاسراره وحفظة لاحكامه منحهم الله
ذلك واعطاهم هذه المنزلة الشريفة التي هي الخلافة العظمى والرياسة الكبرى ليجذبوا العقول
الناقصة من تيه الضلال الى جناب حضرته ويخلصوا الخلايق عما التفتوا اليه من اتباع الشهوات
الباطلة واقتناء اللذات الزائلة ويبعثوهم على اداء ما خلقوا لاجله بالتنبيه على عظمة
على نعم الله عليهم وكثرة احسانه اليهم وترغيبهم فيما عند الله مما اعده لاوليائه وتحذيرهم
عما اعده لاعدائه وفي تعريف المبتداء باللام دلالة على الحصر مثل قولنا الامير زيد عند قصد
حصر الامارة فيه فمن حصل له صور المعقولات الكلية وملكة الاقتدار بها على الادراكات الجزئية
وجعلها وسيلة لاكتساب الزخارف الدنية الدنيوية بالتسويلات النفسانية والتدليسات الشيطانية
ولم يتصف بفضيلة الديانة والامانة وعزل نفسه عن السلطنة والخلافة وترك تعليم الناس
واخراجهم من الضلالة والجهالة فهو ليس بعالم بالشريعة في الحقيقة بل هو عالم خائن مفتون والجاهل
خير منه والاتقياء حصون المراد ان الاتقيا وهم الذين يجتنبون عما كرهه الله ويتورعون
عما نهاه ولا يحومون حول ما ليس فيه رضاه وهم مع ذلك يقومون بما امرهم الله به خائفين
وجلين حصون الاسلام يدفع الله بهم عن اهله عذابه كما روي عن ابي جعفر عليه السلم قال ان
الله ليدفع بالمؤمن الواحد عن القرية الفناء وفي رواية اخرى لو ان عبدا بكى في امة لرحم الله
عز وجل تلك الامة ببكاء ذلك العبد ويرشد اليه قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم والمراد
ان الاتقياء حصون للشريعة الظاهرة لانهم يمنعون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتاويل
الجاهلين كما ان الحصون تمنع عن اهلها صدمات المعاندين او لان مواظبتهم على التقوى والورع وفعل
الطاعات وترك المنهيات تؤثر في قلوب الناس تاثيرا عظيما فلا يقدمون على هتك استار الشريعة
وهدم اركانها ونقض حدودها او المراد ان الاتقياء حصون وجب على الناس الرجوع اليهم
والدخول في جنابهم عند الخوف من طوارق شبهات الحدثان وتوارد نوايب الزمان كما انهم يتحصنون
عند الخوف من الاعداء او المراد ان الاتقياء الموصوفين بالعلم والحلم والشجاعة العدالة المحدودين بحده

الاركان الحاملين بهذه الحيطان حصون لا يتسلط عليهم عساكر الشيطان ولا يتطرق اليهم غوائل الزمان وكلو
سادة الساده جمع السيد على وزن فَعَلة او فُعَل على اختلاف المذهبين واصلها سَوَدَة على فعلة
بالتحريك قلبت الواو الفا وسيد القوم اكبرهم واكرمهم واعظمهم واميرهم الذي يرجعون اليه
في جميع امورهم وينقادون له في اقواله وافعاله يعني ان اوصياء النبي ص سادة الامة وكبراؤهم
وعظماؤهم وامراؤهم وجب على الامة الاخذ بقولهم وفعلهم وامرهم ونهيهم والانقياد لهم في امور
الدنيا والاخرة لاختصاصهم بحق الولاية وانفرادهم في فضيلة الخلافة وامتيازهم بالوصية والوراثة
وتقدمهم بامر الهي وتاييد رباني فلا يجوز لاحد التقدم عليهم في امر من الامور وللدلالة على هذا المعنى
نبه عليه السلام بالسيادة اليهم والاضافة الى العلماء والاتقياء فهو منسوب اليهم ايضا لانهم من اعاظم العلماء
والاتقياء ورؤسائهم وكبرائهم صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وفي رواية اخرى العلماء منار
والاتقياء حصون والاوصياء سادة المنار جمع المنارة على غير القياس وجمعها على القياس مناور
لانها من النور ومن قال منائر فقد شبه الاصلي بالزائد وذلك لان وزنها مفعلة وقياسها في الجمع مفاعل
والمنارة علم الطريق اي ما ينصب فيه ليهتدى به وتطلق على ما يوضع فوقه السراج ايضا واستعيرت
للعلماء لانهم محال انوار الله وعلومه والناس بفيض انوارهم يهتدون الى معالم دين الله وسبيل طاعته
وطريق رضوانه او لانهم اعلام للطريق اليه سبحانه واقفون على صراط المستقيم حافظون للعوام
في كل مقام عن مزال الاقدام احمد بن ادريس ابو علي الاشعري ثقة فقيه في اصحابنا صحيح الحديث كثير الرواية
عن محمد بن حسان عن ادريس بن الحسن قال بعض المحققين هو ابو القسم ادريس بن الحسن بن احمد بن
زيدويه من رجال الجواد وابي جعفر الثاني عليه السلام وهو الذي ذكره الشيخ في كتاب الرجال في اصحابه ع
بقوله ادريس القمي يكنى ابا القسم وابوه الحسن بن احمد بن زيدويه صاحب كتاب المزار ثقة ثبت
من اعيان اصحاب القميين عن ابي اسحق الكندي عن بشير الدهان قال قال ابو عبد الله عليه السلام لا خير فيمن
لا يتفقه من اصحابنا لان خير الدنيا عبارة عن السلوك في دين الحق وعدم الانحراف عنه وهداية
الناس اليه وخير الاخرة عبارة عن الفوز بالسعادات الابدية والنزول في ساحة العزة الالهية
ولا يتصور حصول شيء منهما بدون التفقه في الدين ومعرفة الصانع وما يليق به ومعرفة الشريعة على اليقين

باشر

باشر ان الرجل منهم اي من اصحابنا اذا لم يستغن بفقهه في اصول الدين وفروعه من الاستعانة او من
الاستغناء والثاني اظهر احتاج اليهم اي الى العامة المفتونين بالغواية المنتسبين الى العلم والفقاهة
توجيه الشرطية ان غير الفقيه متحير في الدين محتاج الى السؤال عنه واكثر الخلائق من اهل الاهواء
المضلة ولا تميز له بين المحق والمبطل وبين الهادي والمضل فاذا سال فالغالب ان يسال المضلين
واما توجيهها بانه قد يحتاج اليهم في شدة التقية او عدم حضور الفقيه وتعسر الوصول اليه ففيه
انه لا مدخل لهذا التوجيه في اثباتها قطعا فاذا احتاج اليهم في معرفة الدين وتفاصيل اصوله وفروعه
ادخلوه في باب ضلالتهم وهو لا يعلم انه باب ضلالة لعدم علمه بين الحق والباطل فيخرج عن الدين
من حيث لا يعلم وقد اشار عليه السلام الى مضمون هذا الخبر بقوله من اخذ دينه من كتاب الله وسنة
نبيه ص زالت الجبال قبل ان يزول ومن اخذ دينه من افواه الرجال ردته الرجال وبقوله من لم يعرف
امرنا من القران لم يتنكب الفتن وبقوله من دخل في الايمان بعلم ثبت فيه ونفعه ايمانه ومن دخل
فيه بغير علم خرج منه كما دخل فيه فيجب على المتمسك بدين الحق ان يكون عارفا عالما بوجوه المصالح
والمفاسد ذا بصيرة كاملة في التميز بين الحق والباطل ليكون ثابتا راسخا فيه بحيث لا يغيره رياح
فتن المخالفين ولا يحركه صرصر شبهات المعاندين علي بن محمد عن سهل بن ز عن النوفلي عن السكوني
عن ابي عبد الله عليه السلام عن ابائه عليهم السلام قال قال رسول الله ص لا خير في العيش اي في الحيوة الدنيوية
والاخروية الا لرجلين عالم مطاع مستمع واع اي حافظ من وعاه اذا حفظه وفهمه تقول
وعيت الحديث أعيه وعيا فانا واع اذا حفظته وفهمته وفلان اوعى من فلان اي احفظ
وافهم فامامن حفظ الفاظه وضيع حدوده فانه غير واع له ووجه الحصر ان الخير في عيش الدنيا
هو الاستقامة والثبات على الحق وعدم التحير والاضطراب فيه وعدم الانخداع من العدو الداخل
اعني النفس الامارة والقوة السبعية والبهيمية ومن العدو الخارجي اعني الشيطان وجنوده
واعوانه من الفرق الضالة المضلة والخير في عيش الاخرة هو الفوز بمقام القرب في دار المقامة
والوصول الى النعيم الابد في دار السلامة والسرور بما اعد الله لاهل الكرامة وشيء من هذين الخيرين
لا يتحقق الا للعالم مهتد في نفسه مطاع هاد لغيره ومتعلم مستمع منه تابع له في عقائده واعماله و
افعاله حافظ فاهم لما يسمعه ضابط لالفاظه ومعانيه وحدوده واما غيرهما فهو في معيشة

ناعق يتبع كل مبتدع ينعق وكل مضل ينهق وكل مخترع يدعو الناس الى الباطل ويميل من ريح الى الآخر
بادنى ريح وينتقل من الحق الى الباطل بادنى تدليس وتشكيك فلا خير في عيشهم على اليقين ولهم
في الآخرة عذاب مهين الا ذلك هو الخسران المبين وقد اشار الى مضمون هذا الخبر سيد الوصيين
امير المؤمنين عليه السلم بقوله الناس ثلثة عالم ربانى ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع يتبعون
كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجاؤا الى ركن وثيق وفي الفايق الهمج
جمع الهمجة وهي ذباب صغير يقع على وجوه الغنم والحمير وقيل هو ضرب من البعوض شبه به
الاراذل والسفلة والرعاع طغام الناس واوغادهم وادانيهم الذين يخدمون بطعام
بطونهم واى خير في عيشة هذا الصنف وما عيشهم الا كعيشة الكلب بل هي ادنى منها واخس
علي بن ابرهيم عن ابيه عن ابن ابي عمير ومحمد بن يحيى عن احمد بن محمد عن ابن ابي عمير عن سيف بن
عميرة عن ابي حمزة عن ابي جعفر عليه السلم قال عالم ينتفع بعلمه على البناء للفاعل او المفعول
والمراد بهذا العالم صاحب الحكمة النظرية والعملية افضل من سبعين الف عابد لان عقل
العابد الجاهل راقد في مراقد الطبيعة وعقل العالم ساير في معالم الشريعة وايضا نفع العابد
لو تحقق يرجع الى نفسه ونفع العالم يرجع اليه والى جميع الخلايق وايضا العالم وارث
الانبياء قايم مقامهم فنسبته الى غيره كنسبة الانبياء الى غيرهم وايضا العابد في مرتبة
العقل الهيولانى والعالم في مرتبة العقل بالفعل او فوقها ومزية الثانية على الاولى لا
يخفى على ذي بصيرة وهذه الوجوه تفيد ان العالم افضل من العابد واما كونه افضل من
خصوص هذا العدد اعنى سبعين الف عابد فعقولنا قاصرة عن ادراك سر ذلك والعلم
به مختص باهل الذكر عليهم السلم وانما الواجب علينا التسليم ويحتمل ان يكون الغرض من ذكر
هذا العدد مجرد افادة الكثرة الخارجة عن احاطة الحصر كما هو المتعارف من استعمال امثال
هذه العبارة ويؤيده ما مر عن النبي صلى الله عليه وآله وما ادى فرايض الله لحديث الحسين بن محمد عن
احمد بن اسحق مشترك بين الرازى والقمى وكلاهما ثقة جليل القدر ويحتمل اتحادهما
عن سعدان بن مسلم عن معوية بن عمار قال قلت لابي عبد الله عليه السلم رجل راوية
لحديثكم اى كثير الرواية والتاء للمبالغة وفي المغرب الراوية بعير السقاء لانه يروى

اى

اى يحمله ومنه راوى الحديث وراويته والتاء للمبالغة يقال روى الحديث والشعر رواية
ورويته اياه حملته على روايته ومنه انا روينا في الاخبار بيت ذلك اى نشره في الناس
ويشدده اى يوثقه ويحكمه والباء للمبالغة ويحتمل ان يكون بالسين المهملة والمراد
بتسديده جعله سديدا مستقيما في قلوبهم اى في قلوب الناس والظاهر ان المراد بالناس
العامة او المستضعفون منهم الذين يرجى رجوعهم الى الحق وقلوب شيعتكم شيعة الرجل
اتباعه وانصاره ولعل عابدا لعل للترجى وهي من الحروف العاملة في الجملة تنصب الاسم
الراوية خ وترفع الخبر من شيعتكم في محل النصب على انه صفة لعابدا ليست له هذه الرواية في محل
الرفع على انه خبر لعل ايهما افضل قال الحديثنا يشدد به اى يقوى بسبب حديثنا ونشره
من شده اذا قواه ومنه سنشد عضدك باخيك قلوب شيعتنا في محبتهم لنا وثباتهم
على دين الحق وهنا ترك الناس في الجواب اما للاختصار بقرينة السوال او للاشعار بان لا فضيلة
باعتبار نشره بين الشيعة لا بين الناس اعنى العامة ايضا لانه ربما يكون نشره بينهم حراما لشدة
التقية وعلى تقدير اتقائها ليس فيه هذه المزية افضل من الف عابد يفهم مع ملاحظة السابق
ان ثواب راوى الحديث من غير ان يكون له بحقيقته وقوة في فهم معناه وقدرة في التفكر
في مغزاه ورويته في استنباط مؤداه جزء من سبعين جزءا من ثواب الفقيه المتصف بالصفات
المذكورة هذا ان اريد من هذا الخبر الفضيلة بمجرد الرواية وان اعتبر معها اتصاف الراوى
بهذه الصفات ينبغى ان يراد بهذا العدد اعنى الف عابد مجرد الكثرة كما هو المتعارف في بيان
التفاضل الفاحش بين الشيئين ويقال لا دلالة فيه على نفى الافضلية من الزايد الا بمفهوم العدد
ولا حجة فيه او يقال ذلك الحكم اعنى الافضلية يتفاوت بحسب تفاوت حالات الفاضل والمفضول
فقد يكون العالم افضل من جميع العابدين كما في الحديث النبوى المذكور سابقا وقد يكون افضل
من سبعين الف كما في الحديث السابق وقد يكون افضل من الف كما في هذا الحديث وعلى التقادير
لا تنافي بين الاحاديث والله اعلم باب اصناف الناس علي بن محمد عن سهل بن زياد ومحمد بن
يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى جميعا عن ابن محبوب عن ابي اسامة زيد الشحام بن يونس وفضل
ابن موسى عن هشام بن سالم عن معروف عن ابي حمزة عن ابي اسحق السبيعي عمن يوثق به قال سمعت

امير المومنين عليه السلم بقوله ان الناس آلوا على وزن قالوا من آل يؤول اى رجعوا ويحتمل فتح الهمزة
واللام مع تخفيفها وتشديدها اى قصروا يقال آلى الرجل بالوا في الامر وآلى فيه تالية اذا
قصر وترك الجهد لكن يحتاج ح الى تضمين معنى الرجوع او الصيرورة يعنى ان الناس قصروا وتركوا
الاجتهاد في طلب الدين بعد رسول الله ص راجعين او صايرين الى ثلثة اقسام او لم يقصروا
رجعوا الى القسمين يعنى الى عالم ومتعلم لكن في هذين الاحتمالين تكلف لا يحتاج اليه الوا الى عالم
على هدى من الله قد اغناه الله بما علم عن علم غيره وهو العدل الذى اخذ العلم باعلام نبوى
والهام الهى لاستعداد نفسه القدسية وقلبه المطهر عن الرذايل الخلقية للعلوم وانتقاش
بالاسرار الغيبية والصور الكلية والجزئية وكيفية انشعابها وتفاصيلها واستفاد بذلك
الاحكام والوقايع والاخلاق واحوال المبدا والمعاد وغيرها من الفضايل الشرعية ومقاصدها
من الكتاب والسنة والعادات النبوية فهو عارف عالم عامل منطقه الصواب ولباسه
الاقتصاد ومشيه التواضع وصفته الصبر في الضراء والسراء والرجوع الى الله في الشدة
والرخاء له قوة في دين وشجاعة في لين وايمان في يقين وحرص في علم وعلم في حلم وقصد
في غنى وخشوع في عبادة وتحمل في زهادة وهو معلم العلوم والاداب النفسانية وما خذ
جميع الكمالات ورسوم الحقيقة الانسانية قد اغناه الله بعلمه الكامل عن علم غيره من الامة
لوجوب رجوع جميعهم اليه فلو انعكس لزم ان يصير الرئيس مروسا والامير مامورا والحاكم
محكوما وذلك يبطل نظام العالم وجاهل مدعى للعلم لا علم له معجب بما عنده من المفتريات
التى اكتسبها برايه الفاسد او اخذها من جاهل آخر والجهل على قسمين احدهما عدم الاعتقاد
بشئ لا اعتقادا صحيحا ولا اعتقادا فاسدا ويقال له الجهل البسيط والغباوة والثانى الاعتقاد
بشئ اعتقادا فاسدا ويقال له الجهل المركب والغى والغواية والضلالة وهذا اشد من
الاول لانه من الامراض المهلكة للحيوة القلبية والاسقام المبطلة للحقيقة الانسانية اذا المتصف
به لا علم له مع ادعائه ان ذلك الاعتقاد الفاسد علم مطابق للواقع واعجابه به لتسويلات
شيطانية وتخيلات نفسانية وتوهمات وهمية فمنعه ذلك عن الرجوع الى الحق وهو
من شرار الناس رماه ابليس الى غاية مقاصده بقول الزور وحداه الى سبيل المهالك

واودية

واودية الشرور قد فتنته الدنيا وفتن غيره الفاتن المضل عن الحق يعنى قد اضلته الدنيا
عن طريق الهداية بزهراتها وقادته الى سبيل الغواية بثمراتها وزينت في نفسه حب الجاه
والرياسة وروجت فيها صفة الدناءة والخساسة فجعل ما اكتسبه من الاباطيل وسيلة
الى تحصيل المشتهيات الدنية الزايلة وما افتريه من الاقاويل ذريعة الى تكميل التلذذات
الخسيسة الباطلة فضل عن سواء واضل غيره ممن اقتدى به من اهل الجهالة والبطالة الذين
طبايعهم مايلة الى الفساد والعناد وقلوبهم غافلة عن احوال المبدا والمعاد فاربد وابصر
اضلاله عن منهج الصواب واجتهد وابتداء اغوائه في الرجوع على الاعقاب اولئك
هم شر البرية وعن قليل يتبرا التابع من المتبوع والقايد من المقود فيتفارقون بالبغضاء
ويتلاعنون عند اللقاء ومتعلم من عالم على سبيل هدى من الله ونجاة من عذاب الاخرة ومن
فتنة الدنيا والطرف اعنى علم ومدخول صفة وحال المتعلم والعالم وهذا القسم هو الفرقة
الناجية التابعة للعترة عليهم السلم في الاصول والفروع ولهم دعاء الملكة وحملة العرش ودعاء
امير المومنين عليه السلم بقوله رحم الله عبدا سمع حكما فوعى ودعى الى الرشاد فدنى واخذ
بحجزة هاد فنجا وفيه دلالة على انه لابد للناس من استاد مرشد عالم ليحصل به نجاتهم في مضايق
سبيل الله وظلمات الطبايع البشرية كما يحصل النجاة لمن سلك طريقا مظلما لم يعرف حدوده
بسبب اخذ ذيل آخر عالم بحدوده وبين اهل السلوك خلاف في انه هل يفطر السالك
الى الشيخ العارف ام لا واكثرهم يرى وجوبه ويفهم ذلك من كلامه عم وبه يتمسك الموجبون
له ويؤيده ايضا ان طريق المريد مع شيخه العارف بالله اقرب الى الهداية وبدونه اقرب
الى الضلالة فلذلك قال عليه السلم فنجا يعنى ان النجاة معلقة به ودلايل الفريقين مذكورة
في مصباح العارفين ثم اعاد عليه السلم الذم على القسم الثالث وبين بعده عن الحق بقوله ثم هلك
من ادعى العلم والهداية ولا يكون عالما على هدى من الله ولا متعلما منه فضل لاضاعة الشرع
واضل لاعلان الباطل وخاب من افترى اى خاب عن الرحمة الالهية والشفاعة النبوية
من افترى الكذب على الله وعلى رسوله بادعائه العلم من الله مع عدم اتصافه به وافتائه في
الدين برايه او بقول جاهل آخر واضلاله للناس ووجه الهلاك والخيبة ان الكون على البدا -

في الدنيا والسلامة في الاخرة والفوز بالرحمة والشفاعة متوقف على العلم بالله وبرسوله والاقرار بجميع
ما انزل اليه وعدم الافتراء في الدين وهم قد اعرضوا عن جميع ذلك وجعلوه وراء ظهورهم واخذوا
دينا غير دين الحق فاستحقوا بذلك الهلاك والخيبة وابطلوا استعدادهم للحيوة الابدية وفوزهم
بالسعادة الاخروية وهذا الكلام يحتمل ان يكون اخبارا عن حالهم وسوء عاقبتهم وان يكون دعاء
عليهم بالهلاك والخيبة والخسران ودليل حصر الناس في الثلثة ان الناس اما ضال عن دين الحق خارج
عنه اولا والثاني اما عالم على هدى من الله مويد من عنده محفوظ عن الخطاء اولا فالاول هو القسم
الثالث وهم الثلثة المتحلين بالخلافة والثاني هو القسم الاول وهم الائمة المعصومون ورئيسهم علي
بن ابي طالب عليه السلام والثالث هو القسم الثالث وهم شيعتهم رضوان الله عليهم والشيعة كلهم متعلمون
على تفاوت درجاتهم في التعلم لانهم لما كانوا ثابتين في دين الحق سالكين فيما سلكه ذلك العالم لا محالة
يكونون متعلمين مهتدين بهداه متحليين به وبما ذكرنا يندفع ما يقال من ان ههنا قسما رابعا وهو
الجاهل الغافل الذي ليس بضال ولا متعلم لان هذا القسم لما لم يكن ضالا كان تابعا لذلك العالم متعلما
منه في الدين ولو بواسطة ومحبا له والرجل مع من احبه كما يشعر به الحديث الاتي ولو فرض
انه ليس بمتعلم فنقول لعله خارج عن المقسم لجواز ان يراد بالناس المقسم الناس المنتسبون الى
العلم ويؤيده تقييد الجاهل في القسم الثاني بكونه مدعيا للعلم فانه يفيد خروج الجاهل بالجهل البسيط
الذي لا ينتسب الى العلم وتقييد الاول والثالث بالعلم فعلم من ذلك اعتبار العلم في المقسم واما الجواب
بان هذا القسم خارج عن المقسم باعتبار ان المراد بالناس من له قوة تحصيل العلم وقدرة الارتقاء الى
درجة الكمال لا اعم منه وممن هو من اهل العذر والزمانة فليس بشيء لان كون هذا القسم مطلقا
من اهل العذر والزمانة الموجب لسقوط التكليف بالتعلم ممنوع كيف واكثر الجهال لهم قوة وقدرة
على تحصيل العلم والكمال الحسين بن محمد الاشعري عن معلى بن محمد عن الحسن بن علي الوشاء عن احمد بن
عائذ بالذال المعجمة ثقة عن ابي خديجة سالم بن مكرم وقد اختلف الاقوال فيه قال سيد الحكماء و
لا يرجح عندي فيه الصلاح كما رواه الكشي والثقة كما حكم به الشيخ في موضع وان لم يكن الثقة
مرتين كما نص عليه النجاشي وقطع به عن ابي عبد الله عليه السلام قال الناس ثلثة عالم مالك للحقيقة
الانسانية بالفعل وهي الوصول الى ما خلق الانسان لاجله من المعارف الالهية والطاعات البدنية

والكمال

والطهارة القلبية الموجبة لكمال القرب ورفع درجته عند الله والخلوص عن كل ما يوجب البعد عنه ومتعلم
فاقد لتلك الحقيقة بالفعل مستعد طالب لها ثابت في طريق تحصيلها سائر في ظلمات الطبيعة بنور
ذلك العالم وهدايته واعلامه متحرز عن الطرق المضلة بتعليمه وافهامه وغثاء اذا لم يكن
هذا ولا ذاك وهو بضم الغين المعجمة والثاء المثلثة والمد ما يجيء فوق السيل من الزبد
والوسخ والحشيش البالي والنبات اليابس والمراد به هنا اراذل الناس واوباشهم وادانيهم
الذين ابطلوا قوتهم الاستعدادية المعدة لطلب الكمال بسوء عقايدهم وقبح اعمالهم وافعالهم
وانما شبههم به لاضطرابهم بسيول الشبهات وتقلبهم بصرصر الشهوات وتحركهم بريح القبيحات
من حال الى حال ومن وضع الى وضع وعدم علمهم بمآل امورهم وموضع استقرارهم وعدم ثباتهم
على محل واحد من الاصول والفروع مثل الغثاء او لان ايجادهم بالعرض وانما المقصود الاصلي ايجاد
العالم والمتعلم لانتفاع الناس بهما كما ان ارسال الغثاء بالعرض وانما المقصود الاصلي ارسال السيل
لينتفع به الارض وينتفع الناس به او لان حركتهم في امور الدين والدنيا ليست ذاتية بل بواسطة
تحريك ابليس وجنوده كما ان حركة الغثاء ليست ذاتية بل بواسطة تحريك السيل له او لانتفاء
القوة الاستعدادية التي بها يمكن الوصول الى نهاية الكمال عنهم كانتفاء القوة الطبيعية الاستعدادية
التي من شانها ان تحرك الحشيش والنبات الى الغاية كما لها عن الغثاء وفي الاخير بعد لا يخفى والمراد
بالقسم الاول الائمة عليهم السلام وبالثاني شيعتهم ومواليهم وبالثالث اصحاب الملل الفاسدة
ويدل عليه ما سيجيء في حديث جميل عن ابي عبد الله عليه السلام ووجه الحصر ان الناس في اصل الفطرة
اما ان يكون في جميع كمالاته بالفعل ويكون في ذاته نورا صرفا وعقلا مستفادا من المبدا الاول على
وجه الكمال او يكون كمالاته بالقوة ويكون له قوة استعداد الحركة الى الكمال والاول هو الاول
والثاني اما ان يكون مشغولا باستخراج الكمال من القوة الى الفعل سالكا طريق تحصيله متمسكا
بذيل ذلك العالم او يكون مشغولا بما ينافي ذلك الكمال ويبطل ذلك الاستعداد فالاول هو الثاني
والثاني هو الثالث محمد بن يحيى عن عبد الله بن محمد الظاهر انه عبد الله بن محمد بن الحصين الاهوازي
الثقة الراوي عن الرضا عليه السلام ويحتمل عبد الله بن محمد بن خالد الطيالسي الثقة وعبد الله بن محمد

الاسدي الكوفي الثقة عن علي بن الحكم الطاهر انه الانباري عن العلا بن رزين عن محمد بن مسلم عن ابي
حمزة الثمالي قال قال ابو عبد الله عليه السلام اغد مثل أدع امر من غدا يغدو وغدوا وهو الذهاب
غدوة والمراد هنا مطلق الصيرورة اي صر عالما او متعلما او احب اهل العلم عطف على اعد ورد
والقضية منفصلة مانعة الخلو لوجوب الاتصاف باحد هذه الامور ولا تكن رابعا هذا
للايجاب القسم لا محالة الذي يبغض اهل العلم ويعانده فلذلك فرع عليه قوله فتهلك ببغضهم اي بسبب بغضهم
وعداوتهم في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فلانغماسك في بحر الفضيحة المولمة بحمل اثقال الرذايل
والقبايح الشيطانية واحتباسك في سجن الطبيعة المظلمة بالقيودات الثقيلة الوثيقة النفسانية
واما في الاخرة فلبعدك عن الرحمة الازلية ونزولك في نار الجحيم وقربك من الشقاوة الابدية
وورودك في العذاب الاليم وذلك لان العلم وما يتبعه من حب اهله صراط الجنة والنعيم الجليل
وما يتبعه من بغض اهل العلم صراط النار والجحيم ومن سلك صراطا وصل الغاية بوما الا يقال في
هذا الخبر تربيع القسمة وفيما مر وما ياتي تثليثها لانا نقول القسم الثالث في هذا الخبر داخل في
المتعلم فيما مر وما ياتي لان المرء مع من احب كما روي عن الباقر عليه السلام فالمحب لاهل العلم منتسب اليهم
كالمتعلم وهم رفقاؤهم في الدنيا والاخرة وحسن اولئك رفيقا هذا وقد جوز بعض المتاخرين
ان يقرا ببغضهم بالعين المهملة وقدر مضافا اي بعداوة بعضهم يعني بعض هذه الثلثة فانظر
ايها اللبيب الى قلة تدبره وخفة سير عقله حثيثا وقل فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا
علي بن ابرهيم عن محمد بن عيسى عن يونس عن جميل عن ابي عبد الله عليه السلام قال سمعته يقول يغدو
الناس على ثلثة اصناف عالم ومتعلم وغثاء فنحن العلماء وشيعتنا المتعلمون وسائر
الناس غثاء واعلم ان الله سبحانه انزل العلم من لدنه على قلوب نقية نقية طاهرة صافية مجلوة من الرين والغين
وجعلها معادن لسره ومواطن لحكمته ومواضع لنوره وشارع لرحمته واصحابه وهم العلماء الراسخون
واهل الذكر مامورون بارشاد العقول الناقصة المتحيرة في تيه الظلمات البدنية في مراقد الطبايع البشرية
وتذكيرها للفيوضات الابدية واخذ باعها في مزال الاقدام الفكرية وهم بعد نبينا صلى الله عليه وآله الائمة
المعصومون من الارجاس والزلل والمحفوظون من الخطا والخلل والمويدون بصدق القول
وسلامة العمل والواقفون على الصراط المستقيم لرد الخلايق عن سبيل الجحيم وساير الناس مامورون

